



مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها (الجزء الثالث)

المؤلف

عبدالله بن سعد بن أبي جمرة (الأزدي)

الملاحظات

• أصل هذه النسخة في مكتبة الإسكوريال - إسبانيا - رقم 442.

~~1.~~

1. Abdalla ebn Abi giamrah. Commentarium in opera Bejavi celeberrimi Al-hadisi vita, gestibus, Mahomet, ac Al-covani interpretis. Thomas Tertius sine era.

n. 858.

~~Cod 1364~~

Cod. 1507

3. ~~Al-hadisi~~ ~~Al-hadisi~~ ~~Al-hadisi~~

تم بحمد الله ووليته أبو بكر بن محمد بن
المراد بن أحمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب

الجزء الثالث من شرح أحاديث البخاري

بألف الشيخ الإمام العالم الزاهد

أبو محمد عبد الله بن سعد

ابن أبي حمزة الأزدي

رضي الله

عنه

ان يجلب لوليتيه

بسم الله الرحمن الرحيم
 قال النبي صلى الله عليه وسلم في ابنة حمزة لا تجل
 في الحديث ظاهر الحديث يفيد التحريم بالرضاعة كما
 هو النسب وفيه دليل على ان اللواحي من يرتضيه من
 الرجال لان ابنة حمزة خطبت للنبي صلى الله عليه وسلم
 ورغب فيها وهذا امر قد يعاقبه بعض اهل هذا الزمان
 وهو مخالف للسنة بدليل الحديث الذي نحن بسبيله هذا
 من جهة السنة واذا وقع النظر في معنى ذلك تاكد الامر
 فيه حتى انه اكد من خطبة الرجل للمرأة لان الرجل اذا تزوج
 فامر الفراق بيده فان اعجبه ما اتاه ولا تركه ولا مانع له منه
 والمرأة ليس بيدها ذلك فاذا حصل لها رجل غير مرضي وقعت
 في حيرة وتشبه ولا تفكاك لها منه غالبا فتاكد الامر
 ان يكون المرء ينظر لوليتيه ويخطب لها لعله ان يقع لها
 على اهل الفضل والدين لانه اذا اعطاها لمن يرتضيه في الدين
 فهي امان يوفق الله بينهما فتستريح الولية بذلك
 وتنال خير الرجل في الدنيا وفي الآخرة وان كان غير ذلك فقد
 حصل الامان من ظلمها لان اهل الدين لا يفعلون في الظلم ابته
 بل اذا وقع الفراق فلا بد وان تكون المرأة قد نالت من بركة
 شيئا فيحصل لها الخير من كلا الامرين بل اهل الدين والخير
 سيرهم تقتضي ان لا يقع الفراق لانهم لا يتزوجون الا لصالح
 دينهم

دينهم وامثالا لسنة نبينهم ومن تزوج لهذا المعنى فلا ينظر الى
 الجمال ولا الى المال ولا الى حسن الهيئة والكمال وانما ينظرون
 الى من يوافقهم ويعينهم على مرادهم وما هم اليه ساهرين وعليه
 معوليين من امراخرتهم فتاكد الامر لاجل هذا المعنى في خطبة
 اهل الخير والصلاح من النساء للرجال وفي الحديث دليل لاهل
 الصفة لقولهم يحبر القلوب لان ابنة حمزة عما نقل عنها كانت
 في الجمال لها الهالك فخطبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فادركت
 نسائه الخيرة من ذلك فقال عليه السلام لا تجل لي وبين العلة
 الهانعة له منها حتى جبر من بذلك واسكن روعتهن فكان في
 اخباره عليه السلام بذلك فايدتين تعجيد قاعدة من قواعد
 الشريعة وجبر نساياه ما كثر يتوقعن ولا يظن ظان ان
 غيرتهن كانت كخطوط انفسهن اذ ذلك لا يسوغ في ههنا اذ
 هن مختارات لخبر البرية وانما كانت غيرتهن لله عز وجل
 لان كل واحدة منهن تريد ان تتقرب الى رسول الله صلى الله عليه
 بكل ممكن يمكنها لعلها ان تقرب بذلك الى الله عز وجل فحسبتهن
 له كانت لاجل الله ومحبتة عليه السلام لهن وتفضيل بعضهن على
 بعض كانت لاجل الله ايضا ولما خص الله به كل واحدة منهن
 وهن اجل من ان تقع المحبة منهن لسبب اللذوات والاشخاص
 بل هذا الحال اوصي به عليه السلام لامته فقال تزوج المرأة
 لجمالها ومالها ودينها وحسبها ثم قال عليه السلام عليك بذات الدين

تربت يداك فاخبر عليه السلام لم تزوج المرأة ثم ارشد
الي ما هو الاصلح والارشد ولاجل هذا المعنى كان عليه السلام
يفضل عايشة على غيرها من نساياه حتى قيل له مرة اي النساء
احب اليك قال عايشة وهذا الاخبار قد يستفر الشيطان
بعقل بعض من يسمعه وهو غير عالم بحال النبي صلى الله عليه وسلم
ويسترقه فيظن ان حُب عايشة كان لاجل الصغر والجمال وذلك
باطل بدليل ما قدمناه وقد صرح عليه السلام بالعلية التي اشرنا
اليها وذكر لم فضلها على غيرها حين ساله نساؤه ان يعدل بينهن
في المحبة فقال عليه السلام في حق عايشة انه لم يوح الي في فراش
احد اكن الا في فراشها فكان تفضيله لها من قبل ان الله عز وجل
فضلها وخصها بذلك وقد قال عليه السلام خذوا عنها شطرينكم
وقد توفي عنها عليه السلام وهي ابنة ثمان عشرة سنة والعادة
تقتضي ان من كان في ذلك السن من النساء ليس له قابلية للعلم لاجل
صغره ثم انهما مع ذلك اخذت عنها شطرين الدين وهذه مزينة كبرى
خصها الله بها وفضلها بذلك على غيرها وقد جات اثار في فضلها
باجمعهن واثار بفضل كل واحدة منهن بخصها وكان عليه السلام
يفضل كل واحدة بحسب ما فضلها الله به وخصها فكانت
اس المحبة منه ومنهن لله لا غيره ولا يظن احد فيهن غير ذلك
الا من جهل قدرهن وقاس احوالهن على احوال غيرهن والله الموفق
واب عن ابي موسى سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يبني على رجل

ويطريه

ويطريه في مدحه الحديث ظاهر الحديث يدل على تحريم مدح الرجل
في وجهه لان النبي عليه السلام شبه ذلك بالقطع او الهلاك وذلك
ممنوع لكن يعارضه قوله عليه السلام في عبد الله بن عمر نعم الرجل
لو كان يقوم الليل وعبد الله بن عمر حاضر يسمع وذلك تركية له
وثنا عليه واجمع بينهما من وجوه الاول انما قاله النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان عبد الله بن عمر كان يرى الناس ياتون الي
النبي صلى الله عليه وسلم يفسرهم ما لهم فيتمنى في نفسه ان لو
راى رويافصال عنها النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعل الناس فراى
رويافصال عنها فاقتضت رويته انه من الصالحين لكن نقص منه
كونه لا يقوم الليل وقد ثبت عنه عليه السلام انه قال الرويا من
النبوة وما كان من النبوة فهو وحى والوحى لا يجوز كتمه فلذلك اورد
ما كان هناك الثاني هو ان تعارض الحديثين يبين معناهما
ويصح بالمراد في كليهما حديثين اخرين وهما قوله عليه السلام
لا تزكوا على الله احدا ولكن قولوا احاله كذا او اظنه كذا وقوله
عليه السلام اذا رايتم الرجل يواظب المسجد فاشهدوا له بالابمان
فتحصل من مجموع هذه الاحاديث ان التزكية بالقطع ممنوعة مطلقا
لان القطع بها حكم على الغيب والحكم على الغيب بالنسبة الى البشر
مستحيل واما التزكية بحسب الاعمال فلا تخلوا ان تكون من الانسان
نفسه لنفسه او من غيره فان كانت من الانسان لنفسه لنفسه فلا
يجوز لقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم وان كانت من غيره فلا تخلوا ان

تكون تركية له عند احكام لكي تقبل شهادته ام لا فان كانت كذلك
 فهي جائزة امتثالا لامر الشارع عليه السلام في ذلك وان كانت
 لغر ذلك فهي المنوعة في الحديث ولاجل هذا المعنى قال عليه السلام
 ولكن قولوا اخاله كذا او اظنه كذا فنفي التركيبة مرة واحدة وانبت
 الظن لان عمله يقوي الظن بانه من اهل الخير والصلاح واما حقيقة
 امره فهي الي الله عز وجل ولاجل هذا المعنى قال عليه السلام من
 مات على خير عمله فارحوه خيرا ومن مات على شر عمله فخافوا عليه
 ولا تياسوا فامر عليه السلام بالرجاء في الرحمة لمن مات على خير العمل
 ولم يخبر بان من مات على ذلك كان من اهل الرحمة على كل حال هذه هي
 التركيبة المنوعة واما الشهادة فهي جائزة لانها لا تناول الاما
 وقع من الفعل لانه عليه السلام قال اذا رايت الرجل يواظب المسجد
 فاشهدوا له بالايمان فالشهادة انما وقعت على شئ وجد حسا والفعل
 الحسي الذي قد ظهر دليل على الايمان وعلته الاعجاب فيها معدومة
 لانها شهادة بالاصل وهو الايمان الثالث ان معنى المدح في
 النهي عن مدح الرجل في وجهه هو خوف الاعتزاز والاعجاب وهو
 ممنوع شرعا وما يوجد هذا قول عليه السلام لو لم تذبوا لحقت
 عليكم ما هو اشد وهو الاعجاب ولهذا قال عليه السلام احثوا التراب
 في وجوه الملاحين ومعناه احرصوا على ان لا يزيدون في المدح فيقع
 الاعجاب بمدحهم وهذا المعنى الذي اشترنا اليه قد اهل اليوم جل
 الناس وعلموا على مقتضى النهي وارتابوه فكثير المدح عندهم بعضهم
 لبعض

لبعض في الظاهر مع الصغائر في القلوب وعبادة بعضهم لبعض
 في الباطن وجعلوا نفس انكباب النبي من النبل والكيس فانا لله
 وانا اليه راجعون ولكن الوقت يقتضي هذا الامر لان الشارع عليه
 السلام اخبر بذلك فالتاحيلة في زواله لانه عليه السلام قال
 ياتي في آخر الزمان قوم اخوان العلانية اعدا السريرة قتل وكيف
 يكون ذلك يا رسول الله قال يكون بملاهمة بعضهم في بعض
 ورغبة بعضهم لبعض فالخذر الخذر من نبل وكيس قد ذمه الشارع
 عليه السلام وجعله دالا وعلميا على قيام الساعة فاذا كان المراد
 بالنهي عن المدح خوف الاعجاب فقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم
 قد اطلع الله على حال هذا الرجل الممدوح وعلم منه انه بهلك بذلك
 الاعجاب بما يقال فيه وقد يحتمل ان يكون ذلك منه عليه السلام سدا
 للدرية وهذا موجود حسا لان الناس لم يتساوروا في هذا المعنى
 فمنهم من اذا ذكر له شئ من ذلك اغتر وراى ان ذلك من فعله وقوته
 ومنهم من اذا سمع شئ من ذلك ازداد خوفا من الله واشفاقا وعابثا
 منة الله عليه بتوفيقه اياه لما مدح به فبزداد خيرا الى خيره
 فيزيد في العمل شكرا لله عز وجل الذي جعله من اهل الخير ولم يجعله
 من اهل الشرك كما كان ذلك الاخبار سببا لزيادة التقيد والخير
 لعبد الله بن عمر لانه روي انه منذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما
 قال لم يتزك بعد قيام الليل وكذلك ايضا قوله عليه السلام
 لسيد الوفا من بني عبد القيس فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله

لبعض

الحلم والناة فقال الرجل ذلك مني او من شئ جليق الله عليه فقال
عليه السلام بل من شئ جليق الله عليه فقال الرجل الحمد لله الذي جليقني
الله على خصلتين تحبهما الله ورسوله فحمد الله على ما اولاه من ذلك
وشكر فقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلعه الله على حال هذا السيد
فعلم ان اعلامه بذلك يزيد خيرا فاعلمه كما تقدم فذكر في الاول فعلى
هذا فالمدح كيجوز ان يكون من اهل البصائر ام لا فان كان من اهل
البصائر فنظر اولاً في باطن الرجل حتى يعلم من اي الاقسام هو فان
راى الاخبار له يزيد خيراً الى خيره فعل ذلك وان راى ضد ذلك
ترك الامر وان كان من غير اهل البصائر فلا يجوز له المدح مرة
واحدة وشانه العمل على حديث النهي وان كان يطلب على طئه ان صاحبه
لا يفتخر بمدحه فلا يجوز ايضا لان النهي عام وانما خصصنا منه اهل
البصائر للمعنى الذي ذكرناه وهو اطلاعهم على حقيقة الامر
بالتكليف ثم هذه التزكية التي نهى الشارع عليه السلام عنها انما هي
تزكية نفس الشخص واما تزكية الاعمال فلا باس بذلك بل هي مندوبة
بدليل حديث السقاية الذي قال فيه عليه السلام اعلموا فانكم على عمل
صالح فمدح لهم الفعل ولم يمدح لهم انفسهم ولان مدح العمل ليس من
قبيل مدح الشخص لان مدح العمل يزيد لصاحبه الحرص على الزيادة
في العمل فيكون ذلك سبباً الى زيادة الخير ومدح الشخص نفسه يدخله
ما قدمناه من الاعجاب وفي الحديث دليل على جواز الكلام والخرق
محضه اهل الفضل لان الصحابة رضوا الله عنهم كانوا يتحدثون والنبي

صلى

صلى

صلى الله عليه وسلم يسمعون وقوله اهلكم او قطعتم ظهر الرجل هذا
شك من الراوي في ابها قال عليه السلام وبالله التوفيق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب اليم الحديث ظاهر الحديث يدل
تخريب هذه الثلاثة المذكورة في الحديث وانها من كباير الذنوب
وقوله عليه السلام رجل على فضل ما بطريق يمنع منه ابن السبيل
قد اختلف العلماء ما هو النابا الذي لا يجوز منه احتلافاً كثيراً فمنهم
من ذهب الى انه على العموم كانت الارض مستملكة او غير مستملكة ومنهم
من ذهب الى انه خاص بالابار الذي نسبت مستملكة وتكون في الفيافي
والقفار وقد ذكرنا كل الخلاف في الفقه وقد ورد على الحديث سؤال
وهو ان يقال قد تقرر من الشارع عليه السلام ان يخصص صاحب كل
فعل من افعال المعاصي بعذاب يخصه من غيره كما قال في القادر
وكما قال في كل الربا الى غير ذلك وهو الاثلاث المذكورين افعالهم
مختلفة فلم كان عذابهم واحد فالجواب عندهم انما استتركوا في
عذاب واحد لمعنى اجمع بينهم في فعلهم ونحن نبينه ان شاء الله تعالى
وذلك ان مانع الما قد تعرض بفعله ذلك الى منع الطرق وقد يؤول
الى ذهاب النفوس سيما اذا كان الموضع في الفيافي والقفار بحيث
لا يوجد ما غيره وقليل من يبصر على العطش فاذا عاين الما منع
منه ما نت نفسه فكان ذلك سبباً لقتل النفس التي حرم الله وقد
قال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب

دا

الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما فلما ان كان مانع المالم يقبل بيده
ولكن تشيب في القتل كان عليه الوعيد المذكور في الحديث واما من
بايع رجلا لا يبایعه الا لادنيا فذلك فيه من الفساد مثل ما قد منا
ويزيد عليه لان البيعة اصلها ان تكون لله تعالى ولا يثلاف كلمة
المؤمنين ويا تلاف الكلمة يكون الدت عن الدين وجهاد العدو فاذا
كانت البيعة للدنيا وخطاها وحفظوا النفس ورغبته انصرف ما
اريدت البيعة اليه وكان ضده وهو سفك دما المسلمين ووقوع القتل
في الدين فاشبه الاول او زاد عليه واما من سام رجلا سلعة بعد
العصر فحلف بالله لقد اعطى بها كذا فاما اشترك مع من تقدم ذكرها
في الجحيم العذاب لكونه ارتكب حمة اشيا عظيمة محرمة وهي الهيابة
والكذب واليمين الفاجرة وعش المسلمين واختراق حرمة هذا الزمان
الفصل وهو بعد صلاة العصر فلما ان ارتكب هذه الحمة الاشيا
على عظمها كان مساويا في العذاب لمن تعرض لقتل النفس وفي الحديث
دليل على فضل وقت العصر لان النبي صلى الله عليه وسلم شرط ان يكون
من موحيات العذاب الذي ذكر مصارفة وقت العصر وقد اتفق
العلماء على فضل ذلك الزمن بعد اختلافهم هل هي الصلاة الوسطى ام لا
وبالله التوفيق قولها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
ان يخرج سفرا اقرع بين ارجل وجه الحديث ظاهر الحديث يدل على
براة عابسة رضي الله عنها مما تحدث به فيها لكن قد يرد عليها اعتراض
وهو ان يقال بزانها فوعلت من كتاب الله تعالى فيما فايدة الاخبار

بذلك

بذلك ثابته واجواب عنه ان القران انما نزل في براتها من نفس ما رويت
به وبني تشوف النفوس السوء لان يكون هناك بموجب لما قيل عنها
او سبب من اسباب ما رويت به فيكون وقوعا ثانيا قريبا مما رويت منه
وقد اختلف العلماء في اسباب النكاح هل هو كالمباح ام لا فعلى قول من
قال بانها كالمباح فيكون ذلك امكانا ثانيا فيكون هلا كاشا يعا في الامة
لا يخرج منه وقد قال بعض العلماء ان من روى عابسة ام المؤمنين بنى
مما يراها الله منها انه مخلد في النار واستدل على ذلك بقوله تعالى ان
الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة
ولهم عذاب عظيم وعلى قول من قال بانه ليس كالمباح فيكون ذلك
معرة تلحقها ولحوق المعرة بها هتكم لحرمة ما حرم الله من حرمة بيت
النبوذة وقد قال عليه السلام سبعة لعنتهم انا وكل بني مستجاب
فغيرهم والمستشهدين حرمة اهل بيتي ما حرم الله وهذه مفسرة
كبرى في الدين وذلك عيون للشيطان على المؤمنين فبراتها لنفسها هانا
وان كان ظاهرا ذلك انه لنفسها لكن ذلك دين محض وبراة للمؤمنين
كما فعلت امر سليم ايضا في حديث الحديبية حين صدوا عن البيت
وهم محرمون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحلقوا ويحرموا ويحلقوا
فلم يفعلوا فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو متغير فقالت له
ما شانك فقال عليه السلام امرتهم فلم يفعلوا فقالت رضي الله عنها
انهم لن يعصوك وانما اتبعوك لانهم اشدوا بفعلك فافعل انت
فتبعوا فخرج عليه السلام ففعل ما امرهم ففعلوا فكان كلامها

رحمة للمؤمنين ولطفًا بهم لأنها إذا زالت ما كان وقع في قلبه عليه السلام
 من التغيير الذي منه يخاف الهلاك عليهم وكذلك قول عائشة رضي الله عنها
 هنا لأن ذلك رحمة وإزالة للهلاك وهذا رحمة ووقاية من الهلاك الذي
 أثر بالهداية وما يدل على أنها أرادت هذا الوجه أنها لم تقل شيئاً ولم
 تصح بالقضية كيف وقعت الأبعد ثبوت عدالتها وتصديق مقالها
 من كتاب ربها وحين لم يكن لها شاهد على ذلك لم تقل شيئاً وإنما كان
 قولها إذا خاك قصير جميل والله المستعان على ما تصفون على ما يأتي
 في آخر الحديث وفي هذا دليل على أن المرء ما مور ان يدفع المعرة عن نفسه
 إذا قدر على ذلك وكان له من خارج ما يصدقه والا فالصبر والاضطرار
 إلى الله لعله ان يكشف ذلك بفضله وكذلك أيضاً ينبغي ان تراعى حق
 أخوة المؤمنين فينفعهم كما ينفعهم كما فعلت عائشة رضي الله عنها
 أنت بالحديث لهدى للمعنيين على ما تقدم وقد حكى عن الأعمش رضي
 الله عنه قريباً من هذا المعنى وهو انه كان يمشي بطريق فلقيه احد
 تلامذته وكان اعور فمشى التلميذ معه فقال له الأعمش يا بني
 اذهب فامش وحدك فقال ولم فقال له الشيخ اعمش والتلميذ
 اعور فيقع الناس فينا فقال التلميذ نوحروا يا عمون فقال الشيخ نسلم
 ويملكون خير من ان نوحروا يا عمون فاختار سلامة المسلمين وعمل
 عليها ولم يرد ان يختص بالأجر مع دخول الأئم عليهم كما فعلت عائشة
 رضي الله عنها اراحت المسلمين من هذه المصيبة الكبرى التي قد
 كانت حلت بهم وتركوا الأجر لنفسها لأنها ما تكلم فيها كان لها في ذلك

اجر

اجر ثم في الحديث وخوه كثيرة من احكام واداب على ما يذكر بعد في تتبع
 الفاظ الحديث ان شاء الله تعالى فاما قولها كان النبي صلى الله عليه وسلم
 اذا اراد ان يخرج سراً افرع بين ارجله فابتعن خرج سراً
 خرج بهامغه فيه وجهان الاول حواز السفر بالنساء الثاني
 حواز القرعة لكن هل القرعة هنا واجبة ام لا فاما النبي صلى الله عليه وسلم
 فالقرعة في حقه ليست بواجبة لان القصة ليست واجبة عليه وهي
 الاصل فمن باب اولى الفرع واما غيره فقد اختلف العلماء فيه
 على ثلاثة اقوال وقد ذكر في الفقه وقولها فافرع بيننا في غزاه غزاه
 فخرج سهمي اي خرج سهمي بالقرعة حذف ذلك للاختصار وقد
 رد على ذلك سراً هذا الفصل سوال وهو ان يقال لم ابهت
 ذكر العزوة ولم تشبهها ولم تذكر ان فيها وقعة ام لا والجواب
 عنها انها ارادت بسياق الحديث ما ذكرنا ذكره من اننا المعرة
 عن نفسها ورعى حق أخوة المسلمين وذكر العزوة لا يتعلق بما هي
 بسببها شي فذكرت من ذلك ما لا بد منه لتعلم ان سفر النبي صلى الله
 عليه وسلم كان في العزوة لا في غيره وكذلك روي عنه عليه السلام انه لم
 يسافر بعد النبوة الا للحج او جهاد وقولها فخرجت معه بعد ما نزل
 الحجاب انما انت بذكر الحجاب توطئة لما تذكر بعد وهو من النصيح
 في الكلام اذا احتاج المرء الى ذكر شي في اوله بكلام يوطئ له بياناً لما
 يريد ابداه والحجاب على قسمين حجاب عن الابصار مباشر للذات
 وحجاب للذات مفارق لها منفصل عنها فالاول لا يجوز للاجنبي

مباشرة لان مباشرة لذلك مباشرة للبراة والثاني وهو المتصل
سابع للاجنبي مباشرة للضرورة في ذلك اذا كان فيه اهلية ومعرفة
بالخدمة كما كانت الاهلية في الحاملين لهذا اليهودج على ما ذكر بعد
وقولها فانما اخل في هودج وانزل فيه فيه وجوه الاول
انما كان للملاني وزيثها وكان يمونا على الدين فليس بدنيا وهو الغرة
لان اليهودج كان عند العرب مما يتخرون بدو وبناهون فلما ان جا
الشارع عليه السلام وراى فيه مصلحة للدين استعمله من اجل البستر
الذي فيه ولا يتاني مثله في غيره الثاني جواز حمل الثقل على البراة
الكبير اذا كانت مطلقة لذلك لم يمنع الشارع عللة السلام الثالث
جواز سستر المتصل عن البدن للاجانب لانها خبرت ان ناسا
كانوا يملكون يهودجها للرفع والخفض والسستر المتصل عن البدن
صفته كما تقدم وقولها فسرينا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غزوته تلك فانما قالت ذلك لتبين ان العادة كانت
مستصعبة في كل سفرهم على ما ذكرت في قبل لم يزيدوا في العادة
شياء ولا ينقصوا منها ما يوجب كلاما وقولها وقفل ودوننا من
المدينة قد يرد عليه سوال وهو ان يقال ما فائدة تكرارها بين
اللفظتين وذكر احدهما يعني عن الاخرى والجواب عنه انها
انما اتت بذلك لانها المعنيين مختلفين وليس المعنى واحد
وهما ايضا مختلفان للسير فيما ذكرت قبل من السير اذ بان الامر
كان مستصعبا على ما ذكرت من حين خروجهم الى حين وصولهم

و

الى الموضع الذي توجهوا اليه والقول يفيد بان الامر ايضا
كان مستصعبا حين الرجوع والردن يفيد بان ذلك ما مر حتى
كانوا يقرب المدينة ووقع لهم هذا الواقع وقولها اذن اولية
بالرحيل فتمت حين اذنوا بالرحيل فانما اتت بذكر هذا لتبين
العذر الذي وقعها في التحلف عن اليهودج حتى حمل عنها وقيد
دليل على ان الامام او امير الجيوش او صاحب رفة اذا اراد السير
ان يخبر من محله ويود لهم بذلك ثم يترخص عليهم قليلا بقدر
ما يقصون حوائجهم وما يكون لهم من الضراير ويكون ترخصه
معلوما لان الترخيص المجهول لا يتاني للناس به منعجه حتى
تكون مدة الترخيص معلومة وتتكون لوقت الرحيل اشارة غير
الاذن الاول لانها اخبرت انها لما سمعت بالاذن بالرحيل قامت
عند ذلك لقضا شأنها فلو عهدت منهم ان ذلك الاذن لنفس
الرحيل لم تكن لتخرج اذ ذاك وقولها فتمشيت حتى جاوزت
الجيوش فيه وجوه الاول جواز خروج البراة وحدها لكن
يشترط فيه ان تامن على نفسها الفتنة فان توقعت شيئا من
الفتنة فلا يسوغ خروجها لان خروج عارضة رضي الله عنها
كان مامونا من ذلك الثاني ان للبراة ان تخرج لقضا شأنها بغير
اذن من زوجها لانها اخبرت انها خرجت لما ذكرت ولم تذكر
انها استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقد يحتمل ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم اذن لها في ذلك او لا بالاستصحاب وتحتمل

ان يكون ذلك مسكوتاً عنه العلم به بحكم العادة الثالثة ان الخروج
لقضا الحاجة يكون بالبعد بحيث لا يسمع له صوت ولا يرى له
يخص لانها اخبرت انها جاوزت الجبس وحينئذ قضت ما
اليه خرجت الرابع ان اختلاف الاحوال سبب لتغير الاحكام
اما لسعادة او لكسفا لانها اخبرت انها كانت على حالة واحدة
فلما ان اخلت بما عهد منها لعذر كان هناك قد ابدته قبل
وتبدية بعد وقوعها ما وقع لكن تغيير الحال على ثلاث مرات
المرتبة الاولى تغير الشخص نفسه عما عهد الثانية تغير حال
الناظر من جهة التامه تغير العادة الجارية من الله اما الاولى فهي
لسبب وقع اما بفعله او بوقوع ذنب فيحتاج من كانت له عادة
مستمرة يعنى من افعال التعبد ثم لم يقدر عليها وعجز عنها ان
يرجع الي افعاله فينظر على لسان العلم فان وجد معه الخلل
اقلع عنه وتاب منه واستغفر وان لم يجد شيئا بقي منها
لنفسه بذلك ويسال الله ان يطلعه على ما خفي عليه من امره
ويستغيب به ويساله الاقاله لانه لا يد وان يكون قد تقدم
له من المخالفة شي حتى وقعت به العنوبة من اجله لقوله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما يلفتهم ولهذا كان
بعض الفضلاء من اهل الصوفيه يقول اعرف تغير حالى في خلقى
جماري لسراقتة لنفسه فمنها راي تغير ما انتبه فرجع
لنفسه فنظر في افعاله من ابن ابي فيها حتى ان من شدة مراقبتهم

افلس

افلس بعضهم في اخر عمره فقال هذا عقوبة ذنب اوقعته من
عشرين سنة قلت لرجل يا مفلس فمن شدة مراقبتك عرف من
ابن ابي وان كان الزمان قد طال به واما الثانية وهي ما
يقع بينك وبين صد يقك الذي كنت تعهد منه من العاقلة
فتان من وقع له فلما ان يرجع لنفسه فينظر بلسان العلم هل
وقع شيئا مما يوجب ذلك ام لا فان وجد شيئا اعترف
لصاحبه بخطا يده وتقصيره واستغفر من فعله وان لم يجد
شيئا فليسال عنه من ظهر له ذلك من فعله بخبره بذلك فاما ان
يكون له عذر فيستعذر او حقا فيعترف به الى غير ذلك لان
تغير الحال المعهود لا يقع الا لوجوب وبالنظر والسؤال بعد
النظر يوجد ذلك الثالثه وهي تغير العادة الجارية من الله
وهي على ضربين فقطع عادة تكون سببا للكرامة مثل تغير العادة
التي وقعت لعائشة رضي الله عنها كان تغير العادة لها سببا
لكرامتها ونزول القران في حتمها وزيادة في رفع قدرها والثانية
دالة على الغضب والبعد لقوله عليه السلام اذا ابغض الله قوما
امطر صيفهم واهم شتام فاحبر عليه السلام انه عند الغضب
تغير لهم العادة فاذا وقعت هذه النازلة فليس لهذه دواء
الا التوبة والاقلاع والاستغفار ولاجل هذا سن عليه السلام الاستسقا
والاستسحاضا وجعل من سنته كثرة الاستغفار وقولها فلما
قضيت ثاني اقبلت الي الرجل فليست صدري فيه وجوه الاول

فصيانة اللسان عن ذكر المستحبات لانها كانت عن قضا الحاجب قولها
 قضيت ثانياً وكذلك كانت عادة العرب في هذا المعنى وكذلك سوا
 قضا الحاجة غايطاً لان الغايط عدم المنخفض من الأرض وهم
 كانوا يقضون فيه حواجرهم ابلاغاً في السر فسما الشيء بالموضع الذي
 يحمل فيه مجازاً لثنيبه كلامهم عن ذكر المستحبات الثاني فقد
 المال لانها اخبرت انها فقدت عقدها حين الرجوع الثالث
 جواز تحلي النساء في السفر لكن ذلك بشرط ان يكون الحلي لا يسمع
 له صوت لانها اخبرت ان العقد الذي كان عليها في حين السفر والعقد
 ولو تحرك به صاحبه لم يسمع له صوت فاما اذا كان الحلي يسمع له
 صوت فلا يجوز التحلي به اذا ذاك لان سماعه سبب لفتنه بعض
 الناس وقولها فاذا عقد لي من جزع طفاري قد انقطع قد يرد عليه
 سوال وهو ان يقال ما فائدة اخبارها بذلك كصفة العقد وهي على
 ما قررتم لم تذكر شيئاً الا ليعنى مفيداً والجواب عنه ان ذكرها
 لصفة العقد فيه فائدة لتبيين ان العقد كان له قيمة يسيرة
 وقد نهى الشارع عليه السلام عن اضاءة المال عاماً في السير
 والكبير فرجعت في طلبه لامر الشارع عليه السلام لا للعقد
 نفسه وفيه ايضا فائدة اخرى وهي ان تبين انهم كانوا في
 الدنيا على قدم التجرّد والزهد بحيث انهم كانوا لا يتحلون بالذهب
 ولا بالفضة فان قيل ذلك تركيبة للنفس والتركيب ممنوعة فيل
 ليس هذا من باب التركيب لان ما تخبر به عن نفسها في هذا المقام
 فهو

فهو اخبار عن حال النبي صلى الله عليه وسلم في خبر بسنة
 النبي صلى الله عليه وسلم وحاله لا عن نفسها وقولها قالت
 عقدي فحسني ابتغاه فيه دليل على طلب المال والبحث
 عليه اذا ضاع لانها رجعت في طلب العقد واستغلت بلبسه
 حتى رحل القوم عنها وقولها فاقبل الذين برحلون لي الي
 قولها فاحتملوه فيه وجوه الاول تبريتها للمركبين تحمل
 اليهودج مما ينسب اليهم من الغفلة والتفريط لانها انت
 بالفاء وهي للتعقيب فلم بذلك انهم كانوا حين اتيانهم يبادرون
 ويسارعون في الخدمة من غير توان يلحقهم وان ذلك كان
 منهم عادة مستمرة لا يجتاجون في ذلك لاذن مستأنف
 الثاني التركيبة لهم ومعناه قريب مما تقدم لان اخبارها
 بسرعة الخدمة منهم تركيبة في حقهم اذا ان سرعة خدمتهم
 دالة على النصح منهم والوفاء لها يجب من تعظيم جانب النبوة
 ثم زادت ذلك وضوحاً وبيانياً حتى لا ينسب اليهم شيء ما من
 غفلة ولا تفريط بقولها لم يتقلن ولم يعشهن اللحم لان
 اليهودج كما قد علم من ثقله والنقل الكثير اذا نقص منه شيء يسير
 وجماعة يحملونه قل ان يتفطنوا لذلك كتحفابه وهي على ما اخبرت
 كانت خجلة الجسم لم يعشها اللحم كما كان نساء ذلك الوقت
 على ما سياتي بعد فهي بالنسبة الي ثقل اليهودج شيء يسير
 فزال عنهم ما يتوقع في حقهم بهذا الاخبار وفي هذا دليل

فهو

علي ان من ربي بشي وغيره يتضمن معه شيا مما ربي
به من اجله فاذا قدر على براءة نفسه فليبر غيره وبيبين
عذره كما يبر نفسه كما فعلت عائشة رضي الله عنها على ما
تقدم الثالث تبريتها مما نشان به لان الهزال في النساء
قد يكون عيبا في حقهن فزال ما ينسب اليها من ذلك بقولها
وكان النساء اذا ذاك خفا فلم يثقلن ولم يغسهن اللحم
فاخبرت ان نساء زمانها كن على ذلك الحال ولم تكن
وحدها كذلك وقد يرد على قولها فاذا كان كل النساء
على ذلك الحال فذلك ليس بعيب في حقها وانما يكون عيبا ان لو
كانت وحدها كذلك وقد يرد على قولها لم يثقلن ولم يغسهن
اللحم سوال وهو ان يقال ما فائدة تكرارها بين اللفظتين
وذكر احد بها يعني عن الاخرى والجواب عنه ان اللفظتين
ليستا بمعنى واحد لان كل سمين ثقيل وليس كل ثقيل سمي
لان من استوفى الطعام وان لم يسمن فقد امتلا الجوف بالطعام
والعروق بالدم والعصب والعظم بالقوة فحصل به الثقل بلا
سمن لان ليس كل الناس يكثر لحمه ويسمن بامتلا جوفه
بالطعام فقد يكون ذلك وقد لا يكون والثقل لا بد منه فاجبرت
ان المعنيين لم يكونا فيهن الرابع الاستعداد عنها وعن
غيرها من النسوة التي ذكرت بقولها وانما ياكلن العلقه من
الطعام والعلقه هي السبي اليسير من الطعام فابدت عذرها

وعذرها

وعذرها في ذلك وانما كن عليه ليس خلقه خلقن عليه
وانما كان سببه قلة اكلهن وفي هذا دليل على ان الهزال اذا قال
في نفسه او في غيره شيا وهو يتضمن معنى ما مما قد يلحق
به الشين فليبر نفسه وغيره ببيان العذر في ذلك وما هو
السبب الذي لاجله كان ذلك الخامس تركية نفسها وغيرها
من النسوة في زمانها لان قولها وانما ياكلن العلقه من الطعام
تركية في حقهن لان ذلك يبين زهدهن وايتارهن الدين
على الدنيا وذلك للقراين التي قد علمت من احوالهن لان الصحابة
رضي الله عنهم لم تكن لهم همة ولا نظر الا في الاقامة بامر الله
بعالي واظهار دينه وعلو كلمته فاشغلتهم ذلك عن طلب الدنيا
والحث عليها حتى كان النساء ياكلن العلقه من الطعام لاجل زهدهن
وقلة الشئ عندهن فيرضين بذلك فاذا كان اكل النساء على هذا
الحال فكيف باكل الرجال لانهم اكثر صبرا على الجوع من النساء
وقد جا اثر يبين اكل الرجال ايضا كيف كان وهو ما روي انهم
كانوا يمسكون نواة التمرة يتداولونها بينهم ويقا تلون عليها
فاذا كان قلة اكلهن لاجل هذا المعنى فالاجاب بذلك هو نفس
التركية فان قال قائل التركية ممنوعة بالكتاب فلا يسوغ ان
تكون زكت نفسها كما ذكرتم قبل له انما انت بذلك تركية للغير
وتضمن تركيبها للغير تركية نفسها بحكم الضرورة وهي لم تقصده
وايضا فالاجاب بهذه الاحوال ليس من باب التركية وانما هي

من باب الاخبار عن حال النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحال الصحابة وكيف كانوا في دنياهم السادة من المدح والذم انها يكون بحسب ما اعتاده الناس لان الفقر عيب لكن لما كان فقر الصحابة من قبل زهدهم وورعهم حتى قال بعضهم كنا ندع سبعين يابا من الحلال مخافة ان تقع في الحرام فلما ان كان فقرهم لاجل هذا المعنى صار مدحا في حقهم وكذلك التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ومثل ذلك قوله عليه السلام اكثر اهل الجنة ابله والبله باعتبار ما اراده الشارع عليه السلام رفضهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة حتى لا يدرون كيف يكتسبون الاموال ولا كيف ينسكبون في دنياهم واما في مسایل الدين فهم يعرف الناس بذلك هذا هو حال الابله الذي اراد الشارع عليه السلام فاذا قال اليوم رجل لا انسان يا ابله وهو يريد ما اضطلحوا عليه اليوم فذلك ذم له لان الابله عندهم من لا يميز مسایل دينه ولا دنياه وكذلك ايضا الفقر عندهم عيب كبير وقد سموا الغني سعيدا وان كان ما بيده من غير حله وعلى غير وجهه فقد يكون ما بيده هو السبب لدخوله جهنم وعذابه وهم يسمونه سعيدا من اجله فلما ان كان الفقر في الصحابة لاجل المعنى الذي ذكرناه كان مدحا لهم فلذلك وصفتهم عائشة رضي الله عنها بذلك لانها قالت يا كفن العلقه من الطعام وذلك يؤذن بفقرهم وقولها وكنت جارية حديثة السن قد برد عليه سوال وهو

ان يقر

ان يقال ما فائدة ذكرها لصغر سنها ولا يتعلق بذلك معنى مما ارادت ان تنديبه والجواب عنها انها ذكرت ذلك لتبين عذرها فيما فعلت لكونها اشتغلت بطلب العقد وتركت القوم حتى رحلوا فقد نسب في ذلك الى الغفلة والتفريط فانت بذكر صغر سنها لتبين ما حملها على ذلك لان الصغير السن لم تقع له تجربة بالاسفار وما يطرأ فيها بالامور حتى يعلم ما يفعل فيما يقع به فلو كانت لها تجربة بالاسفار وما يطرأ فيها لم تكن لتفعل ذلك ولانت الى موضعها قبل بحثها على العقد فتعلم النبي صلى الله عليه وسلم فترخص عليها حتى تحده كما فعلت في حديث التيمم ولا حل هذا المعنى قال الفقهاء في الشاهدين العدلين مجملان كشهادتهما واحدهما مبرز للشهادة وهما عارفاً بمقاطعتها ان يستفسر غير المبرز عن اجماله ما اراد به والمبرز يقبل منه الاجمال ولا يستفسر ولا فرق بينهما غير ان المبرز وقعت له التجربة بالشهادات وما يطرأ عليه فيها من الفساد وغير المبرز لم يقع له ذلك وقولها فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استتم الجيش فحيت منزلهم وليس فيه احد فانما انت بذلك لتبين عذرها ولتزيل ما يتوقع في حقها من الغفلة لانه قد يلبس اليها انها ابطت في الرجوع بعد وجود العقد حتى كان سببا لرحيل القوم عنها فانت بالفا التي هي للتعقيب لتبين ان رجوعها كان في اثر وجود العقد من غير مهالة ولا تراخي وقع منها

سبب اختلافه

ولتبين انها رجعت على الطريق ولم تحدد عند حتى كان ذلك سببا
لرجيل القوم عنها لانها لو حادت عن الطريق لنسبت في ذلك الى التفرقة
لانه قد يقال انها لما ان كانت جاهلة بالطريق لكان الاولي بها ان
تتخذ من يخرج معها ولا تخرج وحدها في اختلافها عن القوم لان ذلك
سبب الى اتلافها عن القوم فزال ما يتخيل هناك من هذه الامور
لكونها اتت بالفا فقالت فحيث منزلهم وذلك يفيد بانها بعد وجود
العقد لم يقع لها ترض في الطريق ولا في الموضع الذي كانت فيه وانما
قصدت عند وجود عقدها موضع هو ذجا لا غير و قولها قامت
منزلي الذي كنت فيه امت بمعنى قصدت اي قصدت الى موضع هو ذجا
فا قامت به وهذا مما يشهد لتبليها في امورها مع انها كانت صغيرة
السن لانها لو لم تقعد بموضعها ذلك وصارت في طلب القوم لاحتمال ان
نصيب طريقهم او تحود عنه فان حادت عنه فتهلك وتلف نفسها
ومقامها بموضعها تقطع فيه بانهم يرجعون اليها بذلك الموضع فلما ان احتمل
سرها في اثر القوم الاتلاف او التلافي ومقامها بموضعها تقطع فيه بالاتفاق
فعلت ما شئطع فيه بالنجاة وتركتم المحتمل وقد جعل اليوم جل اهل
هذا الزمان بعكس ذلك وعملوا عليه وتركوا ما يقطعون فيه بالخلاص
لانهم اخذوا في التعبد ودخلوا في المجاهدات من غير ان يلاحظوا السنة
ويبتغوها وتعبدتم ومجاهدتم مع ترك نظرهم الى سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل ان يقبل منهم وان قبل فلا يعلم هل يخلص ام لا والاتباع كان اولي
بهم من ذلك لانه يقطع فيه بالخلاص والنجاة بفضل الله ومشيته بقوله

فانظروا
المحتمل

في

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني بحبيكم الله وبقوله عليه السلام
ان الله لا يقبل عمل امرء حتى يتقنه قالوا يا رسول الله وما اتقانه
قال تخلصه من الريا والسمعة والبدعة والرياء هو العمل لاجل الناس
والبدعة هو ان يعمل في التقيد ما لم يمار السارح عليه السلام به ولا
فعله وقد قال عليه السلام من احيا سنة من سنتي قد احييت فكما
احياني ومن احياها كان معي في الجنة فالتابع اليوم للسنة قد شهد له
النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة كما شهد للعشرة رضى الله عنهم عمر ان العشرة
كانت لهم الفضيلة من جهة اخري وهي ما خصوصاً به من الزينة لقوله تعالى
وكا نوالحق بها واهلها وما اعطاهم الله ومن علمهم بصحة النبى صلى الله
عليه وسلم ورويته وتساووا مع غيرهم من احيا اليوم سنة في الوعد
الجميل بدار النعيم والخلود فيها وقولها وطننت انهم سيفقدوني
فيرجعون الي ظننت بمعنى علت وسيفقدوني ليس يعود علي من كان
يحمل اليهودج لانهم ما يفقدونها من حيث ان يفقدوها وانما هو عابد
علي النبى صلى الله عليه وسلم لان سيد القوم يكنى عنه بلفظ الجمع ويحتمل ان
يكون عابدا على ذوي محارمها من اب او اخ او غير ذلك من يجوز له الدخول
عليها وقولها فينا انا جالسة غلبتني عيناى فتمت يحتمل ان يكون
نومها بهذا الموضع احد وجهين وقد يحتمل ان احدها انها كانت حديثة
السن والحديث السن كثير النوم لاجل ما معد من الرطوبات فلم تقدر ان
تقعد لكثرة النوم الذي كان بها ويحتمل ان يكون نومها كرامة من الله في
حقها لان موضعها موضع الفزع سيما صغير السن اذا كان في البرية وحيدا

سبها وقد كانوا راجعين من الغزو والاعداء كثيرون فلما اجتمعت
عليها هذه الاسباب وكل واحدة منها موجبة للخوف فكيف بالجميع
فارسل الله عليها النوم ليذهب عنها ما تجرد من ذلك ومثله قوله عز وجل
اذ يغسأكم الغمام امته ارسل عز وجل النوم على المؤمنين حين كثر
عليهم الخوف وكان بينهم وبين المشركين رملة لا يستطعون قتالهم
بها فانزل الله عز وجل المطر وهم ينام فبهيات الرملة وحسن عليها
القتال فلما ان ارتفع المطر وزال عنهم ما كانوا يخافون اذهب الله
عنهم النوم فاستيقظ القوم ومنهم من سقط سيفه من يده لكثرة
نومه لان نومهم كان وهم يظهر خيولهم متهبين للحرب والمتاقون
لم يرسل الله عليهم النوم وبقي عليهم الخوف الشديد فكان نوم المؤمنين
كرامة في حقهم وكذلك نوم عائشة رضي الله عنها لما ان كثرت عليها اسباب
الخوف ارسل الله عليها النوم حتى زال عنها بالفرج وقولها وكان
صفوان ابن المعطل السلمي الى قولها يقود بي الراحلة فيه وجوه
الاولى ان السنة في السفر ان يكون وراء القوم رجل امين معروف
بالصلاح والخير يقفوا اثرهم لاني اخبرت ان صفوان بن المعطل كان
من وراء الجيش وصفوان هذا كان من اهل الخير والصلاح لان النبي صل
الله عليه وسلم شهد له بذلك على ما سياتي ولاجل ما يعلم فيه من الامانة
والخير جعله عليه السلام يقفوا اثر القوم والعلية في ذلك ان القوم اذا
رحلوا عن موضعهم قد يتركون شيئا من حوائجهم نسيانا او يقع لهم شيء
من اموالهم او ينقطع احد من ينقطع عنهم كما انفق لعائشة رضي

الله

رضي الله عنها فاذا كان من وراء القوم من يقفوا اثرهم وكان صالحا
امينا من ذلك لانه ان وجد ما لأرفعه بامانة لصاحبه وان وجد
ضعيفا او تالف حمله كما فعل صفوان مع عائشة رضي الله عنها وانما ذكرت
اسم الرجل لئلا يفسر بما رويت به ومن اسبابه لما يعلم من صلاحه ودينه
وانه ليس فيه اهلية لما قيل فيه وذكرت كيفية قدومه عليها لتزبل ما
يحمل هناك من الشوايب مما تكلم به من كلام ومراجعة وغير ذلك
الثاني ان للمرأة ان تكون في الهودج كما هي بينها ولا تكلف ان تستتر
فيه لانها قالت وكان يراني قبل الحجاب فافاد ذلك انه عرفها وكافقت
المعرفة الاوانه راي منها شيئا ظاهرا حتى عرفها به فلو كانت مستترة
بالستر الذي امر النساء ان يخرجن به لم ير منها شيئا ولو كانت في الهودج
مستترة كلها لكان الخروج بذلك اولى كان الخروج ليلا او نهارا ولان
الهودج يعني عن الستر لانه كالبيت وهي اذا كانت في البيت غير مأمورة
بذلك والخروج بالليل في الظلمة فيه ذلك المعنى لان الليل ستر بذاته فلا
يرى للمرء شخص فيه يتحقق صفاته به فلا يجب عليه الستر الذي يجب
بالنهار عدا اللباني المقهورة اذا كانت صاحبة الثاثة ان كلام المرأة لا
يجوز الا للضرورة لا بد منها بعد العجز عن التخييل في عدم الكلام الا ان تكون
تلك الضرورة لا بد فيها من الكلام ولا تزول الضرورة الا به فذلك ما يقع مثل
الشهادة على المرأة الى غير ذلك لاني اخبرت ان صفوان لما عرفها لم ينادها
باسمها ولا سالها ما خبرها وانما كان يرجع لان السؤال يستدعي الجواب
فعدل عن ذلك الى كلام لا يحتاج فيه الى جواب بحيلة لطيفة وهذا مما يتفهل

له بالدين وحسن النبالة والاسترجاع هو قول المرء ان الله وانا اليه راجعون
ايضا وكذلك قوله لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لما ان راها وعرفها تران
راحتة وهو يرجع لكي تستيقظ لاسترجاعه ثم وطى يده الناقة لانها عادة
العرب كانت اذا ارادوا ان يركبوا احدا وطوا يد الناقة لستهيا للركوب
فكانه يقول لها اركبي العادة المعروفة فيما فعل فلان افاقت لاسيرجاءه
ورأت منه تلك الحالة علمت انه يريد ركوبها للناقة فركبت ثم اخذ رضي
الله عنه بتمام الناقة فقادها ليكون ذلك اسرها فلا يرى لها شخصا
ولو كان خلفها لاحتاج ان يشد عينيه ولكانت هي متوقفة خائفة من
وقوع النظر فتقدم لكي يحيل بصره حيث اراد ولكي يرى الطريق ليمشي
عليه ويقصد القوم ولكي تبقى هي مستتره لا تشوق شيئا ولا تخافه كل
هذا من دينه وادبه ومسايسته ولاجل ما فيه من هذه المعاني جعله
النبى صلى الله عليه وسلم يقفوا اثرهم وقولها حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا
مع سين في بحر الظهيره ابي لم يزلوا على ذلك الحال حتى لحقوا بالقوم وكان
وصولهم في بحر الظهيره والقوم قد نزلوا والتعريس يطلق على النزول والاقامه
عن السير كان ذلك ليلا او نهارا وقولها فهلك من هلك انما ابهت ذكر
الهالكين ولا ذكرت بما هلكوا الا للعلم بذلك وقولها وكان الذي توري الافك
عبد الله بن ابي بن سلول عبد الله هذا من كبار المنافقين وهو ريبس من
تكلم فيها وتقول وقال فابدت ذكره وبينت اسمه لتبين ان اصل ما قيل كان
من قبله وما كان ابتداءه ممن كان هذا حاله فهو كذب محض لا شك فيه كما
ذكرت ايضا اسم صفوان للعلم بدينه وما هو عليه من الخير كل ذلك لكي يتبين

لانها

برائتها ويسلم الناس مما نزل بهم في ذلك وقولها فقد منا المدينة فاشتكيت
بها شهرا اشتكيت بمعنى مرضت اي صابها المرض مدة شهر بعد قرونها
من السفر وانما ذكرت مرضها لتبين العذر الذي منعها عن معرفة ما قيل مدة
الشهر لان المريض احكمت السنة فيه ان لا يقال له في ذلك الحال ما يوطئه
وقولها فيصون من قول اصحاب الافك اي اشتهر ما قاله اصحاب الافك
عند الناس وكانوا يتحدثون به بينهم ولا ينظن ظان ان الصحابة رضي الله
عنهم او واحدا منهم وقع فيها بشي مما قيل او صدق به وانما كان تحدتهم بذلك
على طريق التعجب والافتكال حتى لقد كان الرجل منهم يقول لزوجته الم اسمي
الي ما قيل في فلانة فتقول له زوجته لو قيل لك ذلك في اكن تصدق فتقول لا والله فتقول
فكيف بفلانة وقولها ويريبني حتى وحي الي قولها حتى نكمت فيه
وجوه الاول ان المرض يزيد بتعبر الباطن لانها قالت ويريبني في
وحي ابي ماري من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت اعهد منه
حين امرض ويريبني بمعنى يزيدني فان زاد الاليم بها لتعبر باطنها لتقص
احسان النبي صلى الله عليه وسلم لها وما عهدت منه من اللطف والرحمة في حال
المرض فسر المرض بالنسبة الى الباطن والظاهر ينقسم قسمين فمرض حسي
ومرض معنوي فالحسي هو ما يكون في البدن والمعنوي هو ما يتعلق بالنفس
من الثغرات والهموم والاحزان فاما المرض الحسي فشان صاحبه التردد الى
الطبيب واقتال ما يامر به من الادوية ان كان جاهلا بالطب فان كان
للحياة اذهب الله عنه ذلك الالم لان الله عز وجل لما ان خلق الداء خلق
له الدوا وقد كانت عايشة رضي الله عنها اعرف الناس بالطب فسبغت من

ايضاً اكتسبت ذلك فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الامراض
 وكان يتداوى فاما من علة الاوغر من بها وعالجها فالمداء واة من السنة اللهم
 الامن ترك ذلك ثقة بربده ومثلاً عليه في بريد فهو اولى لقوله عليه السلام
 يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا
 ينظرون وعليهم ينزولون فمن قدر على هذا كان اولي ومن لم يقدر عليه
 فله في السنة اتساع لان النبي صلى الله عليه وسلم انما ترك ذلك ورجع الي
 التداوي والمعالجة لانه هو المشرع ثم انه اذا تطبب محذراً ان يعتقد
 ان ذلك بريد وانما يجرد ذلك من الله عز وجل ويترك على الله فيه ويفعل
 الاسباب امثالا للسنة واطهار الحكمة لا لغير ذلك هذا هو حكم
 المرض الحسي واما المرض المعنوي فهو ينقسم قسمين فالاول هو النفاق
 كما قال تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وذلك ليس له دوا ولا
 معالجة الا الدخول في الاسلام والتصديق بوعده الله ووعيده واما
 الثاني فهو في المؤمن وهو ما يخطر في بواطنهم من الوسوس ومن الكسل
 عن العبادات وذلك ليس له دوا الا الدخول في المجاهدات وترك
 الوقوف مع ما يقع في الباطن من ذلك وقد قال عليه السلام ان الشيطان
 باي احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا
 قال له ذلك فليستغذ بالله ولينتبه ومنعني ولينتبه انه يعرف ان ذلك
 من الشيطان فيلجعه عنه لان البر ليس هو ما موراً بان لا يقع له شيء من
 هذه الامور وانما هو ما مور بان يدفع ما يقع له فاذا كثر ذلك منه ولم يقدر
 على دفعه فالمجاهد اذ ذاك والدخول في انواع التعبات والتعنى فيها

ولاجل

ولاجل هذا المعنى تحتاج المجاهدة لتتزيل ما يتوقع هناك من هذه
 الامور لان المر الظاهر يذهب بوسواس الباطن هذا هو حكم المرض
 المعنوي ثم ترجع الان الى بيان الوجوه المستفادة على ما قررنا ه
 الثاني ان تغيير العادة موجب لحكم ثان لان النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يغير لها العادة حتى تحدث في ثنائها وفي هذا دليل للقول بسد
 الدرعية لان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم في اهل كل خير وانهم ليسوا
 لما قبل اهل ومع ذلك نقص نقص لها من العادة واطهر لها من الكهف شيئا
 مما سدا للدرعية لان الغيرة من الدين ولو لم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم
 ذلك لادى الى ترك الغيرة لانه قد يقال في غير ما سنى بما قبل فيها او ما
 يشبهه فيترك الامتناع لذلك اقتدا به عليه السلام والامتناع لذلك
 هي الغيرة والغيرة شعبة من شعب الايمان ففعل ذلك لاجل هذا المعنى
 الثالث ان السنة في المريض ان يُلطف به لانها قالت لا اري من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت اعهد منه حين المرض فاذا
 ذلك انه عليه السلام كان له لطف زايد للمريض وقد امر عليه السلام في غير
 هذا الحديث ان يفسح للمريض في عمره لان مرض البدن هو الحسي والنفس
 ترتاح الى طول الحياة وتشتبه العافية فاذا فسح لها في العمر حصل له راحة
 من المرض المعنوي لارتياح نفسه مما به من غم المرض بما يقال له في ذلك
 فقد يكون ذلك سبباً لحفة المرض عنه كما ايضا يتغير باطنه يزيد به المرض
 كما تقدم الرابع ان من قبل فيه شيء يكون قد فاق حقه قد ذلك بوجوب
 هجره وان لم يتحقق عليه ما قبل ولا يجوز هجره بالكليد وانما يتقصر له

من العادة التي كان يعامل بها بحسب ما كان الواقع لان النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يبق لعائشة رضي الله عنها ما عهدت منه من اللطف ولم يهرها ايضا
 بالكلية لانه عليه السلام يسلم حين يدخل وقد روي عنه عليه السلام ان السلام
 يخرج من الحجر الخامس ان من وقع ذلك به لا يكلم كلاما يستدعي الجواب
 لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يسالها عن حالها لان ذلك يستدعي الجواب
 فاذا وقع منها الجواب والمر اجعة في الكلام كان ذلك موجبا للطف فزال
 ما اريد من الهجرة السادس السؤال على اهل البيت اذا كانوا مرضي لانه
 عليه السلام كان يسال عنها والعلة في ذلك انه قد يزيد عليهم زيادة في
 مرضهم فينتقل على رب البيت القيام بتلك الوظيفة السابع السلام
 على اهل البيت لانه عليه السلام كان يسلم حين دخوله عليهم وقد روي
 ان ذلك سبب البركة في البيت وقولها خرجت انا وام مسطح الى
 قولها فازدت مرضا على مرضي فيه وجوه الاول جواز خروج المرأة
 لقضاء حاجتها من غير اذن تشاؤن في ذلك لانها اخبرت انها خرجت
 لذلك ولم تذكر انها استأذنت ولانها عادة تقدمت وكلا عادة مستمرة
 لا يحتاج فيها الاذن الثاني في صيانة اللسان عن ذكر المستقدرات
 وحسن الكفاية في ذلك لانها كتبت عن ذكر قضا الحاجة بقولها متبرزا
 وقد تقدم الثالث صيانة البلد عن الفضلات لانها اخبرت انهم كانوا
 يخرجون الى البرية لقضاء حاجة الانسان على عادة العرب الاول لتلثرة
 بلدهم عن فضلات الانسان فكانت بلدهم مصانة عن فضلات الانسان
 ولهذا المعنى قال عليه السلام في المرأة تجر برطها وتحمي في المكان للقدر

لا

لان ما بعده يطهره لكون البلد كان مصانا من نجاسات وان كان فيه شيء
 من فضلات الدواب فذلك قليل وان كان فيكون في وسط الطريق لان الدواب
 غالب سيرها في وسط الطريق والستة في مستي النساء اذا خرجن مع الحيوان
 ولذلك قال عليه السلام ضيقوا عليهن الطريق لكي يكون مشيهن مع الجدران
 وفضلات الدواب لا تكون هناك هذا هو الغالب وان كان من ذلك شيء فنادر
 والنادر لا يحكم به وقد نهى عليه السلام عن قضا الحاجة في ظل الجدران
 على الاطلاق وكذلك في ظل الشجر كان ذلك في البلد او في البرية فالغالب على هذه
 المواضع سلامتها من نجاسات ولهذا سمي بالمكان القدر لان القدر غير النجس
 فالقدر هو ما تغافه النفوس وهو في نفسه طاهر يجعل عليه السلام ان ما بعده
 من المواضع التظيفة التي يسر عليها يطهره ازالة لما في النفوس من ذلك كما جعل
 عليه السلام النضج طهورا لما شك فيه ازالة لما في النفوس ولو كان المراد
 بالقدر النجس لا مر عليه السلام بغسله على الاطلاق كما امر بذلك في النجاسة
 نضج الثوب وتنعين فيه ولم يامر فيه بالنضج الرابع صيانة البيوت
 من اتخاذ الكنف فيها لانها قالت قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتها
 فاذا ذلك انهم حين اتخذوا الكنف لم يتخذوها في البيوت ولكن اتخذوها
 خارجة عنها قريبة منهم ولان الكنف موضع النجاسات وقد نهى عن الذكر
 فيها وقد امرنا بالتعبد في البيوت فمنعت ان تكون في البيوت لاجل هذا
 المعنى الخامس ان المرأة لا تخرج لقضا الحاجة الامسترة اذا كان
 الموضع الذي تخرج اليه خارجا عن موضعها بحيث انها تضطر ان تسترك
 مع غيرها في الطريق لانها قالت لا تخرج الا ليلا ليل لان الليل زيادة

الحيوان

في السرة وقوله اوفي البرية اوفي النزهه شك من الراوي في ايها قالت عائشة
 رضي الله عنها السادة من بصره المومن والنعظيم له وهو لازم مع الاجاب
 والاقارب لان ام مسطح لما قالت نفس مسطح قالت لها ليس ما قلت اتسبين
 رجلا شهد بدرا وان كان مسطح ابنا لها فردت عائشة رضي الله عنها ما قالت
 فيه وجه والدته بقولها بين ما قلت وعظمته بقولها اتسبين رجلا شهد بدرا
 السابع ان الاصل استصحاب الحال لانها استصحت ما كان عندها من
 عدالة مسطح لكونه شهيد بدرا وانكرت ما قيل فيه حتى ثبت عندها ذلك
 بيقين التام من ان الزاكر لشي ينقد عليه فعليه ان ياتي بالدليل على
 جوازه لان ام مسطح لما ذكرت ما ينقد عليها انت بالدليل على جواز ما
 ذكرت بقولها الر نسبحي الي ما قالوا واخبرت ان ولدها كان في جملة من
 خاض مع الخاضعين التاسع ابن السنين في الدين يوم اهل الفضل اكثر الالم
 لانها اخبرت انها لما قيل فيها ما قيل وذلك شين في الدين حزت لذلك
 حتى لم يبق لها نوم على ما سياتي ثم بقي بحث في خروج ام مسطح معها
 هل كان ذلك منها قصدا او موافقة او عائشة رضي الله عنها امرتها بالخروج
 معها يحتمل كل ذلك وكل وجه من هذه الوجوه يستدل به على حكم فان كان
 الاول فهو من باب حسن الخيلة والادارة وان يظهر المرء شيئا وقصده
 غيره وهو جائز ما لم يكن فيه ضرر بالغير لانها خرجت على سبيل الخدمة
 والانس لعائشة رضي الله عنها وقصدها لعلها ان تعرف من اخبار ولدها
 شيئا وان كان الثاني فهو من باب نسب الامر الذي ارادت القدرة
 نفوده لان خروج ام مسطح معها من جملة الاسباب الذي من اجله عرفت

الامر

الامر وان كان الثالث ففيه دليل على ان الناقه من المرض له ان
 يخرج معه غيره لتصرفه لكي يكون له عون على المشي لانه يجده يتكى عليه اذا غي
 وقد يضعف عن المشي فاذا كان معه غيره يجد من يحمله ويرده لموضع قعر
 عتور ام مسطح في مرطها ودها بها على ولدها يحتمل وجهين احدهما ان
 يكون بحكم القدر وتتمام الاسباب الذي بها وصل العلم لعائشة رضي الله عنها
 وهو اظهار القدرة والثاني ان يكون بالقصد منها وهو من باب حسن التسبب
 في الامر والتحقق وهو جائز على الوجه الذي قدمناه وهو ما لم يكن فيه
 ضرر بالمسلمين وفيه دليل على ان السنة في لبس النساء الطويل من الثياب
 لان ام مسطح عثرت في مرطها فلو كان قصيرا لم تكن لتعثر فيه وقد صرح
 الشارع عليه السلام بذلك في غير هذا الحديث وذلك بخلاف لبس الرجال
 وقولها فلما رجعت الي بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الي قولها الا
 اكثرن عليها فيه وجوه الاول انه ليس للمرأة ان تخرج الا باذن من زوجها
 لانها استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة ابويها فاذن لها وحينئذ خرجت
 فاذا كان هذا في حق الابوين فكيف بغيرهما الثاني فيه دليل على جواز
 عمل المندوب والمقصود منه ما هو اعلا في الدين يوجد ذلك من انها طلبت
 زيارة ابويها وهي من المندوبات وقصدها الكشف عما هو شين في دينها
 الثالث جواز التورية وهو اظها رشي والمراد غيره لانها استأذنت النبي
 صلى الله عليه وسلم في زيارة ابويها ولم تزد ذلك وانما ارادت ان تستيقن الخبر
 من قبلها وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل اذا اراد ان يخرج الي
 جهة يغزوها او ياتي غيرها الا في غزوة لبعدها ولهذا المعنى قال عليه السلام

استعينوا على حواجكم بالكتمان لكن بشرط في ذلك ان لا يقع للغير به
مضرة ممنوعة شرعا فان وقع ذلك فلا يجوز وهو من الخديعة والمكر وقد اخرج
عليه السلام الصحابة حين كان سفره ليعرفهم لولا انهم لم يعرفوا
بذلك لدخل عليهم الضرب لكونهم لم يتأهبوا للسفر البعيد ولا علموا عليه
الرابع ان من وقعت به نازلة وهي محتملة للصدق والكذب فلا يجاز فيها
وليثبت حتى تستيقظ ذلك بالفحص عنه ويعلم وجه الصواب فيه لانها لما اخرجت
ام مسطح بما قيل فيها لم تثق بقولها حتى مضت واستيقظت الخبر من قبل امرها
فوجدت الامر كما قيل لها وان كان خير الواحد معمول به على المشهور ومن
الاقاويل لكن ذلك في التدين واما في النوازل فخير الواحد فيه سبب للفحص
والحث على النازلة حتى يتبين فيها الضعف والتحقيق الخامس الاجال في
السؤال على النازلة لانها اجملت لامها في السؤال ولم تذكر ما سمعت
من امر مسطح والاجال هو الاستطلاع على الغير هل عنده مما قيل شي ام لا
وهل عنده زيادة على ما قيل او نقص منه السادس ان من وقعت به نازلة فليأخذ
فيها مع اقرب الناس اليه واجهم اليه بشرط ان يكون عا قلا عارفا بعواقب
الامور لانها لما انزلت بها هذه النازلة ركبت عند ذلك الى ابويها لكونها
اقرب الناس اليها واجهم فيها ولهما في الدين والعقل والعلم والمعرفة بعواقب
الامور القدم السبع السابعة نسبية المصاب عن مصيبتة لانها لما استكت
لامها بما قيل فيها سكتها عن ذلك بقولها هوني على نفسك الشان
ومن اعظم التسلية اعطاها العلة الموجبة لمثل ذلك الامر المولم وهي
ما ذكرت لها بقولها والله ما كانت امرأه قط وضيئه عند رجل نجبها

لعله
سلتها عن ذلك

ولها

ولها ضاير الا اكثر من عليها واكدت لها ذلك اليمين وهذا الاستثنا
محتاج فيه الى بحث وهو هل هو منفصل او متصل وما المراد به ان كان متصلا
وما المراد به ان كان منفصلا فان كان متصلا فيكون المراد بقولها الا
اكترن عليها اي اكثر من عليها بعض نساء ذلك الزمان لان العادة جارية بان
المرأة اذا كان فيها احد هذه الثلاث اكثر النساء الكلام فيها فكيف نجحوا
وحله على هذا الوجه اولى وهو الظاهر للقران الذي قارنته لان عنده وهو
المتصل بحال ان يحتمل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهم لم يختن احدا
فكيف تقع منهن الغيبة ذلك بحال وكذلك اسما المعروف من كتب الاحاديث
ان اسم امر عاتشة امر رومان ايضا لكن لتظن ذلك في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
لما يعلم من دينها ايضا فكيف بها تقع في ذلك وان كان متصلا فيكون التقدير
الا ان اكثر من عليها اي اكثر من عليها بعض اتباع ضايرها لان اسما رضي الله عنها
بحال في حقها ان تقع في نساء النبي صلى الله عليه وسلم فنقول عليهن ما لم يقطن
وبحال في حقهن ايضا ان يتكلمن بذلك كيف يقع ذلك منهن وقد اخترهن
الله لسيد المرسلين وقال في حقهن لستن كاحد من النساء فليبق
بعد التسليم في الاستثنا انه متصل الا ان يكون المراد بعض اتباع
الضاير ومثل هذا في السنة العرب كثير ومنه قوله تعالى حتى اذا استنيس
الرحل ووطنوا منهم فذكر بوا ومعلوم ان الرسل لم يستنيسوا قط وانما
وقع الاياس من بعض اتباعهم فاطلق عز وجل الاياس على الرسل والمراد
اتباعهم ومنه قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك ومعلوم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع له شك فيما انزل الله اليه وانما المراد بعض اتباعه

فكذلك فيما نحن بسبيله وليس من شرط اتباع نسا النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون الكل مومنين بل فيهم المومن وغيره لان المنافقين كانوا في زمانهم كثيرا وكانوا يريدون ان يتخذوا البيت النبوة سترا على انفسهم هذا اذا وقع التسليم بان الاستثنا متصل وليس كذلك يشهد لذلك عموم قولها الا ان اكثرين عليها ومعلوم ان الضارير غير المذكورين لا دخلوا ان يكن صالحات او غير صالحات فالصالحات منهن لا يرصنن بالغبية فكيف بالفرية ولا يكن صالحات مع وقوعهن في شيء من هذا الامر فلبطان العموم بدليل ما ذكرناه اني ان يكون منصلا يعود على الضارير ونفي ذلك في حق بعض الناس واقع لان بعض سفابل الناس اذا سمعوا عن احد تلك العلة المذكورة تحدثوا في شأن المذكور بالزيادة والنقص بما لم يعلموا ولم يعاينوا الضعف الدين وقلة العقل وقولها سبحانه الله تنزيها له سبحانه وتعالى عند تحققها بالنزلة وقد نطق القرآن العظيم بما نلفظت به فقال عند ذكر شأنها ولو لا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبحان من وقفها لموافقة كتاب ربها قبل نزوله عند تحققها بالنزلة وقولها ولقد تحدثت الناس بهذا تعجب منها لعلها بعدم الوجوب لذلك وقولها فبت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا بي دمع ولا اكحل بنوم فيه وجهان الاول ان العموم موجبة للسهر وسيلان الدموع لانها لما ان تحققت بالنزلة اكثرهما وكثر دمعها وانثى عند ذلك نومها **الثاني** ان اهل الفضل والخير انما هم ما كان من قبل اخراهم لانها لما ان نزلت بها هذه النزلة وهي من طريق

الآخرة وما يشان به في الدين اكثرهما لاجل ذلك لان الكلام فيها بذلك شين عليها في الدين ولو كان ذلك الواقع من جهة الدنيا لم تكن لتجن عليه فان الدنيا عندهم قدر فضوها وراء ظهورهم وسمعوا فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا نساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرة ما فالاصل عند هم سلامة الدين والتخفظ عليه والدنيا عندهم تبع فاذا وقع لهم شين في الدنيا لم يبالوا بذلك بل هم مستبشرون بما لهم عليه والآخرة من الاجور وانما وقع لهم شين في الاصل وهو الدين اكثر حزنهم ووجلم واستغاثوا برؤسهم واضطروا اليه كما فعلت عائشة رضي الله عنها وقولها فرعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق اهله فيه وجوه الاول انما اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه النزلة من كونه لم يعلم الامر فيها فذلك دال على معجزته وصدقته في كل ما جابه عن ربه عز وجل لانه عليه السلام اتى باشياء خارقة للعادة على ما تواتر وعلم واخبر عليه السلام بما سيكون الى يوم القيامة وفي هذه النزلة التي هي في اهله لم يكن له علم بها حتى استنثار غيره فيما يفعل فيها فظهرت عليه فيها اوصاف البشرية فكان ذلك دال على انه عليه السلام كما اتى به من اخبار الغيوب والمعجزات من الله عز وجل ولو كان ذلك بغير هذا الوجه على ما قاله اهل الكفر والعناد لكان ذلك باولي ان يكون يعلم هذه النزلة ويتحقق فيها بما كان فلما ان كان هذا علم ان الامر ليس بيده وانما يعلم

الآخرة

من الاشياء ما اطلع الله عليها وما علمه اياها التا في جواز المشورة
 لكن بشرط ان يكون المشاور اليه فيه اهلية لذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
 لما ان وقع له ما وقع دعا علي بن ابي طالب واسامة بن زيد فاستشارها
 في فراق اهله وعلي بن ابي طالب واسامة بن زيد فهما اهلية للمشورة
 علي ما تواتر وعلم من فضلهما الثالث ان السيد في قوله او الحاكم عليهم
 او من فاق غيره في الخير والصلاح اذا نزلت به نازلة فله ان يستشير
 من هو ادنى منه فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم كما قد علم هو افضل البشر
 لكن لما ان وقع له ما وقع استشار فيه اسامة وعلياً لكن تكون المشورة
 لمن فيه اهلية لها كما تقدم وانما انت بذكر الفراق مطلقاً في الامل
 ولم تذكر نفسها لوجهين الاول للفرقة التي هناك يعلم بها انها ارادت
 نفسها الثاني كراهية ذلك اللفظ منها ان تطلقه على نفسها وقولها
 فاما اسامة فاشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم اي بما يعلم
 نفس النبي صلى الله عليه وسلم من الود في عاقبة رضي الله عنها وقولها
 فقال اسامة اهلك يا رسول الله ولا تعلم والله الاخيراً فانما حلف اسامة
 علي ما ذكر لانه مستشار وليس بشاهد فحلف علي ما قاله بانه حق ليقوي
 عند النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حتى انه لا يشك فيه وقولها واما علي فقال
 يا رسول الله لم يضيق الله عليك والناس سواها اكثر واسأل الجارية
 تصدقك فانما قال علي ذلك لما يعلم من براءة الشخص مما رمي به وترك
 ايقاع الحكم لما يظن الله لو سوله صلى الله عليه وسلم ولما كان لفظه وهو
 قوله لم يضيق الله عليك يحتمل ايقاع الفراق والابقا اشار بقوله

للسيد ان ياخذ في امره مع الخادم اذ كان فيه اهلية لذلك كان
النبى صلى الله عليه وسلم اخذ في هذا الامر مع بريرة وكانت خادما لهم
وفيه دليل على جواز اتخاذ الخادم وفيه دليل على ان للمرأة الحرة
ان تخدم نفسها وليس هو عيبا في حقها لان عايشة رضي الله عنها كانت
تعجن بيدها على ما اخبرت بريرة والداجن هو كلما يتخذ في البيوت من
الحيوانات وقولها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من
عبد الله بن ابي بن سلول الى قولها حتى سكتوا وسكت فيه وجوه
الاول انه ليس للحاكم ان يحكم لنفسه لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان
كان له في هذا الامر حق لم يحكم فيه وانما طلب من يحكم له في ذلك فقال
من يعذرني من رجل ومعناه من ياخذ لي منه الحق ويحكم لي عليه الثاني
انه ليس للحاكم ان يحكم بعله وله ان يشهد به عند غيره من الاحتكام لانه
عليه السلام يعلم من اهله الخير والصلاح وقد شهد له علي واسامه وبريرة
بذلك تاكيدا لما كان يعلم هو في نفسه فلم يحكم هو صلى الله عليه وسلم
بذلك وشهد للغير لكي يحكم له به فان قال قائل الشهادته انما تكون بغير
يمين قيل له انما منعت اليمين للتهمة خشية شهادة الزور لان اليمين
ابلاغ في الحجة لصاحب الحق ثم ان العلماء قد اختلفوا هل يجوز الشهادة
مع اليمين ام لا على قولين فمن اجاز ذلك فله فيما نحن بسبيله استدلال
ومن منع راعي التهمة والتهمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم مستحيلة
الثالث الحجة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
لما استعذر من عبد الله بن ابي بن سلول قام سعد سيد الاوس عند ذلك

حاجة له عليه السلام فيما اراد فقال انا والله اعذر كمنه ان كان
من الاوس من ينعتقه وان كان من اخواننا المخزرج امرتنا ففعلنا
فيه امر ك وقد يورد على هذا سوالان وهوان يقال لم ذكرها تين
القبيلتين ولم يذكر غيرها من قبائل العرب والثاني ان يقال لم اخبر
انه ان كان من الاوس ينصب عنقه وان كان من المخزرج يمسك فيه
الامر والجواب عن الاول ان الاوس والمخزرج هما قبيلتان عظيمتان
في الكثرة والعدد وهما اهل المدينة فهم فيها متواترون وغيرهم
من قبائل العرب قد تركوا مسكنهم وتربوا من بلادهم وهاجروا الى
المدينة فليس الغريب باقوى من البلدي وايضا فان من اتي الى المدينة
من المهاجرين بالنسبة الى قبائلهم البعض من الكل والاوس والمخزرج
متوافرون ببلدهم لم يخرج منهم احد ودخلوا في الاسلام عن اخرهم
فبقيت قوتهم وشوكتهم على ما كانت عليه اولا قبل الدخول في الاسلام
فلا حل لهذا المعنى التي اختلفت به هاتان القبيلتان به وفقهم الله
سجانه لذلك وقد يحتمل ان يكون قد تكلم معهم بغيرهم من القبائل فذكرها
وذلك من باب التنبية بالا على الادنى لانه اذا كان ينصرو في هاتين
القبيلتين اللذين هما اعظم قوة واكثر عددا فكيف به في غيرها من
القبائل والجواب عن الثاني ان العرب كانت عادتهم ان السيد يحكم على
قومه في قبيلته ويمثل امره في كل ما يشعرون به وسعد هذا هو سيد
الاوس فخبره فيهم نافذ فان كان المشكك من قبيلته فلا يردده راد سخن
قتله وانما قال ينصب عنقه لان المسئلة لم يكن فيها نص من الشارع

عليه السلام فاجتهد رايه في ذلك وكذلك كل مسألة لم يكن فيها نص من
الشارع عليه السلام فللمحاكم ان يحكم فيها بحسب اجتهادها وانما اخبر
انه اذا كان من الخزيج يستل في الامر لان الخزيج ليس بقبيلته فاذا
اراد اخذ المتكلم ان كان منهم فليس له حكم عليهم فلا ينزك لاخذه الا
ان ياخذه بالفهر والغلبة وذلك يودي الى الفناء والتشاجر فكان
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من اخواننا الخزيج الذين هم في الكثرة
والقوة اكثر من غيرهم فانا متوقف فيهم مع امرك ان امرتي ياخذ الخزيج
منهم اخذته ولو بقناهم عن اخرهم فانا قادر على ذلك وهذا من غاية النصرة
والحمية فلما فرغ رضي الله عنه من مقالة احتملت لسعد سيد الخزيج
الحمية مثل ما احتملت واكثر فلم يستطع ان يراعيه قام في نصرة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو قادر عليها فتركها فقام من حينه بقوة الحمية التي
احتملتها فقال لسعد سيد الاوس كذبت لعمر الله والله لا نقتله ولا
نقدر على ذلك اي لا نخذ لقتله من سبيل لمبادرتنا قبلك لقتله ولا نقدر
على ذلك لو امتنعنا من النصرة فانت لا تستطيع ان تأخذه من ايدينا
لقوتنا وهذا هو غاية النصرة اذ انه اجبر انه في القوة والتمكين بحيث لا
يقدر عليه الاوس مع قوتهم وكثرتهم ثم مع ذلك هم تحت السمع والطاعة
للنبي صلى الله عليه وسلم وقول عائشة رضي الله عنها فيه وكان قبل ذلك رجلا
صالحا ولكن احتملت الحمية وانما قالت ذلك لتبين شدة نصرة في القصة
وقوته فيهما مع فائدة الاخبار بانه من الصالحين لان الرجل الصالح ابد يعرف
من الهدية والسكون والناموس لكنه زال كل ذلك عنه من شدة ما توالي

الاصح

عليه

عليه من الحمية للنبي صلى الله عليه وسلم وسعد هذا هو النبي قال للنبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر يا رسول الله نحن امامك وحلفك ان خصت
بنا بحر اخضناه معك وقد عرف منه كل خير جميل في غير ما موضع الرابع
الحكم بالنظام في المسائل وان كانت محتملة لا وجه شتى فالحكم بالنظام
هو الرابع لان اسيد بن حضير لما راي ما صدر من سعد سيد الخزيج نسبة
في ذلك الى الكذب والنفاق ولم يتاول له غير ما ظهر منه وان كان محتملا لغيره
وقد يرد على هذا سوال وهو ان يقال لو كانت حمية لم تذكر لم يصد
منهم هذا الكلام ولكانت عبارتهم بالفاظ غير تلك الالفاظ والجواب
عنه انما صدر ذلك منه لاجل قوه حال الحمية التي عظمت على قلوبهم حين
سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فلم يتمالك احد منهم الا قلم في النصرة
لان الحال اذا ورد على القلب ملك القلب فلا يري غير ما هو بسبيله فعملهم
حال الحمية حتى انهم لم يراعوا الالفاظ فوقع منهم السباب والتشاجر لغيرهم
بشدة انزعاجهم في النصرة ومثل هذا ما روي ان رجلا من الصحابة رضي الله عنهم
كتب الي مشركين مكة باخبار النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للصحابه على ذلك وارسل في طلبه الكتاب واعلمهم بانه مع امرة وسمى لهم المرأة
فلما خرجوا في طلبها وجدوا الكتاب عندها فوجدوا كما اخبر عليه السلام فقال
عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فابي عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وسال الرجل ما حمله على ما فعل فقال يا رسول الله والله ما كبرت بعد ايمان
ولكن لي اهل بمكة وليس لي من يدب عليهم ونحبهم فاردت ان اتخذوا عندهم
لاجل اهلي لان اخواني المهاجرين معهم من يحيي اهلهم وليس بي من يحيي اهلي فقبل

النبى صلى الله عليه وسلم عذره وبقي الرجل حياته معروفا بالخير والصلاح
فحكم عمر رضي الله عنه بالظاهر بحسب ما ظهر له الواقع فكان الامر غير ذلك
وكذلك في قصة الاوس والخزرج سوا كل منهم معذور فيما نسب صاحبه اليه
لاجل ما تولى عليهم من شدة المحبة لنبيهم صلى الله عليه وسلم وما يدل على
ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذب عليهم بعد ذلك فيما فعلوه ولا قال لهم
فيه شيا وان قلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم تركهم من اجل حسن خلقه وطرف
الحق الذي كان لهم فيه لم يكن الله عز وجل ليسانهم في ذلك لان الله عز وجل
قد نهاهم عما هو اقل من ذلك وهو رفع الصوت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضهم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون حتى ان احد
السعد بن المذكورين نفي في بيته لم يخرج فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم
يسال عنه فقال اني رجل جهير الصوت فاخاف اذا تكلمت ان يعلو صوتي صوت
النبي صلى الله عليه وسلم فيحبط عملي فامر به عليه السلام بالخروج واخبره ان ذلك
لا يكون الا بالقصد فانظر كيف كان حالهم في كلامهم المعناد فكيف يقع منهم
ما وقع وهم صاحبون يعقلون ما يفعلون ذلك محال ولو تركهم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يخفهم لتوالي المحبة عليهم حتى يقتلوا ولو كان ذلك بينهم فوقع بينهم
القتل لكان القاتل والمقتول في الجنة اذ ان كل واحد منهم في النصرة والخدمة
لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك كان قتال الصحابة رضي الله عنهم
بعضهم مع بعض كل منهم على الحق ومعنى لصاحبه انه اخطا في اجتهاده
لا شك في ذلك وانما وقع من وقع فيهم فنسبهم الي ما لا يليق بجنايتهم لكونه

فقد قاعدة فاسدة تقاس عليها واطرد مذهب فيها فادى ذلك حكم
الضرورة الى الطعن عليهم وفيهم لانه قاس احوال الصحابة رضي الله عنهم
على ما يقتضيه احوال بعض اهل عصره وهذا هو الغلط الكبير والزلل
العظيم كيف تقاس احوال الصحابة رضي الله عنهم على احوال غيرهم وقد
اختارهم الله عز وجل لنبيه عليه السلام وقد قال في حقهم وكانوا احق
بها واطلها وقال عليه السلام في حقهم اصحابي كالخمر بابهم اقدبتم
اهديتم وقال عليه السلام في حقهم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم فاي خطأ اعظم من هذا ناس قد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بانهم خير القرون ثم ياتي من هو في القرون الذي لم يشهد لهم بخير فيقيس
احوالهم وافعالهم ومقاصدهم على مقاصد بعض اهل عصره وافعالهم فانا
لله وانا اليه راجعون وبهذا المعنى يعني تغطية الحال على القلب واستفراق
الشخص فيما هو بسبيله صدرت من بعض اهل الصفة الفاظا وافعالا
لم يعلم لها معنى ظاهر فنسלט بعض الناس على تلك الالفاظ حتى استنبطوا
منها معان فاسدة فطعنوا فيهم لاجل ما ظهر لهم من المعاني الفاسدة وليس
الامر كذلك وانما هو على ما ذهب اليه بعض العلماء من جمع الله له الطريقتين
يعني في العلم والتصوف فقالوا ينبغي ان يسلم لهم في احوالهم ولا يعترض
عليهم فيها ولا يقندي بهم فيها ولا في الزمان الذي صدر ذلك عنهم نظرا منهم
للمعنى الذي ذكرناه وهو الا برآ للذمة والاقرب الى الله عز وجل وقولها
وبكيت يوي لا يرقال دمع ولا اكتمل نوم فيه وجوه الاول التكبر ممن
بمرض المريض اليد لينظر في مصالحه واللفظ به لانها قالت فاصح عندي ابوي



الثاني ان يكون الولد بمنزلة عن ابويه في المصنع لانها لو كانت معهم
في مصنف واحد او بيت واحد لما كان ابواها بيد حكران اليها وهي في
مترجم اذ ذلك لا يتأتى الثالث الاستيدان عند الدخول لانها قالت
اذ استأذنت امرأة من الانصار ما ذنت لها وقد امر الله عز وجل بذلك
في كتابه فقال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين
من قبلهم الرابع التفتيح للمصاب لانها قالت فجلست نبيكي معي وذلك
تفتح من المرأة لها ومنه قوله عليه السلام المومن للمومن كالبنيان
يستد بعضه بعضا فاذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى
ومثل هذا كان حال هذه الانصارية جلست نبيكي مع عايشة رضي الله عنها
لما نزل بها ولم يكن لها في ذلك مدخل ولا جل هذا المعنى جعل عليه السلام
لما المومن لآخيه المومن بشاشة الوجه صدقه لان المومن يستمد من آخيه
بحسب ما يظهر على ظاهره كما ان اهل البواطن يستمد بعضهم من
بعض بحسب ما يكون في بواطنهم فمن عليه السلام العلة الظاهرة
التي هي مشتركة بين العوام والخواص واذا راي المومن في وجه آخيه المومن
ما يستدل به على سروره سره هو بذلك وكان الاجر الاول الذي عمل السبب
للسرور وهو حسن البشاشة وطلق الوجه واعظم من ذلك اجرا كتمان
المصائب لقوله عليه السلام من كنوز الصبر كتمان المصائب وانما
حصل هذا الكثر لصاحب هذا الحال لانه لما اصابت المصيبة فظهر منها
وهي البشاشة والسمت وكتم المصيبة وصبر عليها ولم يقد مصيبته الى غير
غيره من اخوانه المومنين بيته اياها لهم ورد المكابدة كلها لنفسه فلاجل

هنا

هذا المعنى كان اكثر اجرام المتقدم الذكر وحصل له الكثر المذكور في
الحديث وبهذا المعاني وغيرها تبين حقيقة الايمان وفضله وما فيه
من الاداب وهي المراد بقوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
فعل هذا فالدين يشمل على اشيا فرض وسنة وفضائل واداب وحسن
خلق وحسن اعتقاد ومحبة وحسن معاملة فيما يخص بعضهم من بعض
وفيما يع ومن احكام هذا بمقتضى الاي والاحاديث بحسب ما جاءت دخل
في ضمن قوله تعالى وكان سعيكم مشكورا وقد اهل اليوم بعض اهل العزم
تلك الاخلاق والاداب التي اشرفنا اليها ويقولون ليس ذلك بفرض علينا ونحن
على المفروض على زعمهم ولا يزيدون عليه وهيئات هيئات من جبال المفروض جا
بغيره من السنن والرعايب فان رد ذلك ولم يعمل به فهو قبيح عظيما وقد
وقد يخشى عليه ان يدخل في عموم قوله تعالى افتمنون ببعض الكفائر
وتكفرون ببعض فما جزا من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة
يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون وفيما نحن بسبيله
استدلال لاهل الصفة اذ ان اول شرط عندهم في السلوك ثلاثة وهي
حمل الاداء وترك الآذا ووجود الراحة فوجود الراحة منه بشاشة
الروح وادخال السرور على الاخوان وحمل الاداء منه كتمان المصائب
وترك الاداء من قبيل الواجب والواجب اعظم القرب فاذا احكم المرء هذه
الثلاث وحققها ياخذون معه في السلوك ان وفقوا الى ذلك ولهم
فيما نحن بسبيله حجة واضحة وقد برز على هذا الفصل سورا لان وهو
ان يقال ان اخبرت بكارها في هذا الموضع وقد اخبرت به قبل ذلك وذلك

تكرار لغير فائدة ولم كان ابواها لا يسكان معها وهذه الانصارية بكت
 معها والجواب عن الاول انها انما أتت بذكر البكا ثانية لتبين ان حالها لم
 يتغير عما كان او لا وان البكا والحزن دام بها ادا امت بها النازلة وزادت
 فيها اشعارا بان فلك ازيد عليها وكثر بقاء الامر عليها بقولها حتى اظن
 ان البكا فائق كبدى والجواب عن الثاني ان المؤمن لم يتساووا فمنهم
 من اقم في مقام الخوف والاشفاق ومنهم من اقم في غير ذلك وهي سبع مقامات
 بعلاها الرضا والتسليم وهو المعبر عنه بالطائفة واصحاب هذا المقام
 لا يعترضون المقدور ولا ياولون في الامور الا انهم قد ادعوا واستسلموا
 لقضاء علم الغيوب فكل ما كان من جنس ما به مستبشرون وبه
 فرحون ما لم يتعين عليهم في ذلك امس او نهى و ابو بكر رضي الله عنه هو من
 اهل السبق في ذلك المقام كيف لا يكون كذلك وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه
 وصاحبه في الفار واسما رضي الله عنهما فريضة منه في هذا المقام لما
 تواتر عنهما وعلم من حالها فكانت وضيفتها في ذلك الرضا والتسليم
 لانه يعلم بالقطع بان ما نزل من البلا بالاولاد فهو اسد على الابا من نزول
 ذلك بانفسهم فالرضا والصبر على ما ينزل بالابنا احل للابا من الصبر
 على ما ينزل بهم في انفسهم وقد قال عليا السلام اذا قبض الله وليا
 لعبده المؤمن يقول للملائكة قبضتم رحمة قلب عبدي المؤمن فيقولون
 يا ربنا نعم فيقول هم وحل ابنوا الفصرا في الجنة وسموه قصر الحمد واما
 عائشة رضي الله عنها فانما كثر منها البكا والحزن لان ما نزل بها يستحا
 منه كل الحيا فان ركت الي ابويها استحييت منهما وان ركت الي النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم كان ذلكا اكثر وكذلك حالها مع الناس عن اخرهم فتوالت
 عليها اسباب الاحزان وكثرت مع صغر سنها فاذا ذلك بحكم الضرورة
 الي سيلان الدمع وكثرة الاحزان وانتفا النوم وقولها فينما نحن كذلك
 اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس الي قولها ثم تاب تاب الله عليه
 فيه وجوه الاول ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم هنا لعائشة رضي الله عنها
 لم يكن لزوال العجز الذي وقع وانما كان جلوس حكم فالافعال اذا لا
 تنفع ~~الاجساد~~ الا بحسب ما كان الفصد فيها لان كانت تسر بجلوس
 النبي صلى الله عليه وسلم لها على ما كانت تعهد منه وهذا الجلوس ازيد كبريا
 به لشدة حياها حين ذكر لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر الثاني ان تاخر
 النبي صلى الله عليه وسلم عن الحكم في المسئلة لم يكن من قبله وانما كان من قبل
 تاخر الوحي عنه لانها قالت وقد مكثت شهرا لا يوحى اليه في شي فانت
 بذلك لتبين عذر النبي صلى الله عليه وسلم في تاخر الحكم في الامر لانه عليه السلام
 كان لا يحكم لنفسه وان حكم لنفسه فيكون ذلك بالقران وهذه المسئلة له
 عليه السلام فيها حق فلم يمكنه ان يحكم فيها فلما ان تاخر الوحي عنه وتعارض
 له امران حقه وحق غيره غلب عليه السلام حق غيره على حق نفسه لان
 عائشة رضي الله عنها وان كانت اهله فهي اجنبية في الحكم لها وصعوان
 ابن المعطل رضي الله عنه له في المسئلة حق فلاجل حق غيره نظر عليه السلام
 من يحكم في المسئلة بعد النزول قليلا انتظار النزول الوحي لاجل حقه ولو
 كان الحكم لمصوان وعائشة رضي الله عنها ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم
 فيه حق لحكم عليه السلام عند نزول النازلة لقوله تعالى لنحكم بين الناس

بما اراك الله فكل ما يرى عليه السلام فهو وحى والوحى له عليه السلام
 على ضربين على ما قاله العلماء فوحى الرهام ووحى بواسطة الملك والكل
 من عند الله عز وجل الثالث فيه دليل على ان من السنة الابتداء بذكر
 الله تعالى في اول الكلام والشهادة لان النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد
 الكلام لعائشة رضي الله عنها تشهد ثم بعد ذلك تكلم بما اراد الرابع فيه
 دليل على ان من روي بسني وهو لم يفعله فان الله عز وجل يبريه من ذلك
 ويظهر الحق فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها فان كنت بريئة فسيبريك
 الله الخامس فيه دليل على ان اهل الخير والصلاح مطالبون باشياء لا
 يطالب بها غيرهم وخصوصا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يا نساء
 النبي لستن كما خلقن النساء لستن كاحد من النساء لان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لها ان كنت الممت والله عز وجل قد رفع ذلك عن المؤمنين في كتابه فقال
 الذين يجنبون كبار الابرار والنواحي الا اللهم ان ركبوا واسع المغفرة واللم
 على ما يفيد من الخلاف بين العلماء بادون الفاحشه فلما ان كانت عائشة رضي
 الله عنها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم تزلت باللم فقال لها عليه السلام
 ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف
 بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وقد قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب
 عنكم الرجس اهل البيت ويظهر لكم تطهيرا فاراد عز وجل منهن التطهير
 من الصغائر والكبار ولذلك اتي بها المبالغة بقوله تطهيرا او بما المبالغة
 في التطهير يتضمن ترك الصغائر كما ان المبالغة في افعال البر يتضمن
 مع الفرائض زيادة السنن والرعاب على اختلافها وقد قال صلى الله عليه

ان الله

ان الله يعاقب العاقل يوم القيامة ما لا يعاقب الا بمي وينتبه ما لا يتنب
 الا بمي قيل من الا بمي يا رسول الله قال الجاهل الكذوب لسانه الخافض فيما
 لا يعنيه وان كان قاريا كانبا وقد بين العاقل في الحديث وقال في صفته
 الصادق لسانه الطويل صمته وسيلم الناس من شره فذلك العاقل وان كان
 لا يقرأ من كتاب الله كثيرا ومنه قول اهل الصفه حسنة الامرار سيات
 المفترين السادس طلب النبي صلى الله عليه وسلم منها الاعتراف تحتل وجهين
 احدهما ان يكون اراد الاعتراف بين يدي الله والثاني ان يكون بين يديه
 عليه السلام ويحتمل ان يكون اراد مجموعهما وهو الاظهر لان ذلك لو وقع فله
 فيه حق وللبني صلى الله عليه وسلم فيه حق وحق البتر لا يعفو الله عنه الا
 ان يعفو عنه صاحبه فلما ان اجتمع الحقان فلا بد من كلاهما لان حق البشر
 موقوف على صاحبه لقوله عليه السلام من كانت عليه مظلمة لاجنه
 فليتحملها منها السابع فيه دليل على ان الاحكام مطلوبة ظاهرة وباطنة
 وللظاهر حكم وللباطن حكم وحكم الظاهر مقدم على حكم الباطن يعني في الخصم
 عنه والاجاز فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسئلها عن الباطن حتى فخص
 عن الظاهر وظهرت له طهارته بشهادة على واسامه وبريرة المتقدم ذكره
 وحينئذ رجح ينظر في حكم الباطن فنص لها عليه وما حكم الله فيه واظهر
 لها وجه الخلاص فيه وهذا هو الموجب لافصاحه عليه السلام لها بما قيل لكي
 يترتب الحكم عليه ومعرفة الخروج منه او التبرية الثامن قوله عليه السلام
 فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه يحتمل ان يكون على العموم
 ويحتمل ان يكون على الخصوص فان قلنا انه على العموم عارضنا حق الغير وقد

نص عليه السلام على ان ذلك ليس منه خلاص الا الاستحلال او الاعطاء
 فقال عليه السلام من كان عليه حق فليعطه او ليحمله منه وقد كان عليه السلام
 لا يصل على من عليه دين حتى ياتي من يتجمل عنه وقد تجمل بعض الصحابة عن
 ميت ثم اتي بعد يومين او ثلاثة فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى دينه
 فقال له عليه السلام لان بردت جلده وقد قال عليه السلام للاعرابي
 حين ساله فقال ارايت يا رسول الله ان قتلته في سبيل الله صابرا محتسبا
 مقبلا غير مدبر ايكفر الله عني خطاياي فقال نعم فلما ولي الاعرابي
 دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لله الا الدين هكذا اخبرني جبريل
 انفا والاحاديث في ذلك كثيرة فعلى هذا فليس ما نحن بسبيل على العموم
 وانما هو على الخصوص والخصوص هنا هو ان الذنب اذا كان بين
 العبد والرب فالحكم فيه ما نص النبي صلى الله عليه وسلم عليه وهو الاعتراف
 بالذنب والتوبة منه وقد شرط الفقهاء لذلك اربعة شروط وهي الندم
 والاقلاع ورد الظالم والعزم على ان لا يعود وهذه الاربعة شروط
 متضمنة لما نص لما نص النبي صلى الله عليه وسلم عليه فالندم والاقلاع
 يعهما قوله عليه السلام فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب فالاعتراف
 لا يكون الا عند الندم والاستغفار لا يكون الا عند الاقلاع واما لو كان
 الانسان يستغفر من المعصية وهو يريد ان يفعلها تانية فذلك
 استغفار الكذابين وليس هو المراد بها اشار النبي صلى الله عليه وسلم اليه
 والنزوم على ان لا يعود هي التوبة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم
 هنا ورد المطالم ربعه قوله عليه السلام في الحديث الاخر من كان عليه

حق فليعطه او ليحمله منه لكن النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط في ذلك
 شرطا وهم لم يتعرضوا اليه وهو تسمية الذنب لانه عليه السلام
 قال اذا اعترف بذنبه وذلك يقتضي تسميته فلا بد من تسميته للنص
 عليه فان كثرة الذنوب فان كثرت الذنوب حتى لا تخصي سقط
 عن صاحبه تسمية كل ذنب بعينه ووجب عليه ان يسمى حبر كل ذنب
 وقع فيه فيستغفر منه ويتوب وان كان حقوق الغير فيحتاج فيه الي
 تقسيم ولمن عجز عنه وما حكمه وقد تقدم ذلك في الكلام على قوله عليه
 السلام من كان عليه حق فليعطه او ليحمله منه وقولها فلما قضى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى ما احسن منه قطره الي قولها
 ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم روبا
 يبريني الله فيه وجوه الاول ان الحزن اذا توالى على المرء وكثر
 حفر دمه عند ذلك لانها قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مقالته قلص دمي حتى ما احسن منه قطره قلص دمي حتى ما احسن منه قطره
 واحسن بمعنى انها لا تجد منه حنيا فلما ان كثر عليها الحزن بمفاجات
 النبي صلى الله عليه وسلم لها بذلك الامر حفر دمه وانقطع الثاني
 الثاني النيابة في الكلام والاستعداد لانها قالت لا يسها اجبني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يرد عليه سوال انما سبيلت عن
 حكم الباطن وغيرها ليس له بذلك معرفة لان احدا لا يعرف ما في باطن
 احد حتى يعرفه به والحواب عنه انها لما قالت لا يسها اجبني
 اشارة منها اليه انه لم يكن في باطنها في المسئلة الاما في باطنه وهو

حق

وهو ان يقال صح

عدم الموجب لنا قبل الثالث الاخذ بالظاهر في المسائل وان كانت محتملة
لا وجد اخرا فالأخذ بالظاهر اسبق للفهم مع عدم التشويش فكيف مع
التشويش وفرض الحزن لانها لما ان قال لها ابواها ما قالوا قالت والله
لقد علمت انكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقروني صدوركم وصدقتم
به فتسببتم الي انهم قد صدقوا عليها ما قيل لها ظهر لها من سكوتهم
عن الجواب ولحجدهم عنه لشدة الحزن الذي توالا عليها ايضا فسبق
لها ظاهر اللفظ وانما كان سكوتهم عنه لتعذر الجواب في الوقت عليهم
لعظم الامر وخطره ليس لما ظنت هي من تصدقهم بما قيل الرابع ان
من روي بشي ثم سئل عنه هل هو حقا ام لا فان كان له من خارج ما يصدق
مقالته ابرأ نفسه مما قيل وان لم يكن ثم غير كلامه فلا ينفذ اذا كان
كلامه لانها لما ان سالها النبي صلى الله عليه وسلم عن امرها قالت لئن قلت
لكم اني بريه والله يعلم اني لبرية لانتصدقوني بذلك فلم تتعرض لبراة
نفسها في ذلك الوقت مما قيل فيها وبينت عذرها في سكوتها عن ذلك
من كون ان التصديق لا يقع بمقالتها بسبب انه ليس لها من خارج
ما يصدق ما تقول وحين انزل الله تعالى براتها ذكرت القصة وكيف
كان وقوعها لكون ان القران يصدقها فيما تقول من ذلك الخامس
ان من روي بشي ثم سئل عنه فلا يجوز له ان يقر على نفسه بما لم يفعل
وان كان فيه رضى للمسايل ويكون المسائل ممن يلمس رضاه لانها لما
ان سالها النبي صلى الله عليه وسلم عما قيل وكان ذلك باطلا وطلب منها
الاعتراف قالت لئن اعترفت لكم بماير والله يعلم اني بريه لتصدقوني

فلم يقر على نفسه بما لم يفعل ولان الافوار بذلك كذب والكذب محرم ولا
يلتمس رضى مخلوق بمجرد هذا اذا كان ذلك سالما من ان يتحدث به المرء
على نفسه شيئا في الدين فكيف باجتماعها معا السادس ان من روي بشي
ولا يقدر على نصرة نفسه ببيان نفي ما روي به فلا يستسلام الى الله تعالى
وترك ما سواه لانها لما ان قال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ابواها سكتا
عند ذلك وحادا عن الجواب وهما كانا عذرتها في السراء والضراء لم تتعلق
باحد منهما ولا طلبت منها دعاء ولا تفرحجا بل عرضت عن الاسباب
وتعلقت بالمسبب يشهد لذلك اعراضها عنهما بعدم الجواب وتحويل
جنبها عن ذلك الجنب الذي كانت مواجهة لهم به وقولها في المثل فصير
جميل فهذه هي صورة اللجأ وقطع الاسباب حالاً ومقالاً فلما ان فعلت
ذلك انتهت النصرة في الحين وكذلك كل من يتعلق بالله مضطرا انا النص
من جنبه كما اناها يسهد لذلك قوله تعالى ام من يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء ولاجل هذا المعنى فضل اهل الصفة غيرهم
حتى انه لا يخطر بقلوبهم شي الا وكان لهم في الحين من غير ان يطلبوه
ولا يتكلموا فيه لحصول حالة الاضطرار منهم في السراء والضراء السابع
من وقعت به مصيبة وتمازت به وكثرت عليه فلا يقنط فيها لانها لما
ان اتشدت الامر بها وتوالى عليها الاخران لم تكن اذا تقطع اليباس
لانها قالت حين تحولت على فراشها ارجوا ان يبريني الله وهذه المسئلة
تحتاج المرء ان يخرج منها ليل يرفع له اليباس والقنوط عند النوازل
وكثرتها فيسخو العذاب لقوله عليه السلام اخبارا عن ربه عز وجل

يقول لو كنت معجلا عقوبة لجهلتها علي القانطين من رحمتي التيا من ان
من تواضع لله رفعه الله لانها قالت والله ما ظننت ان ينزل في سائتي وحي
ولاننا احقر في نفسي من ان يكلم بالقران في امري وظننت هنا بمعنى علمت
وقطعت فلما ان كانت عند نفسها بهذه المنزلة وصل بها الاعدنا
الي ان نزل القران حقا وسادت بذلك على غيرها وقد جاني بعض
الكتب المنزلة يا عبدي لك عندي منزلة ما لم يكن لنفسك عندك منزلة
وقد جاني الاتر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرء الا
وبراسه حكمة كحكمة الدابة بيد ملك فان ارتفع ضربه الملك وقال
انضع وضعك الله وان تواضع رفعها الملك فقال ارتفع رفعك الله
ولاجل هذا المعنى ساد اهل الصفة على غيرهم لانه اول شرط عندهم في
الدخول العمل على قتل النفس وترك حظوظها ومهاجرتي لها حظ لم يضح
بعد الدخول في طريقهم وهذا هو نفس التواضع فزفهم الله لاجل
ذلك على غيرهم ولاجل هذا المعنى ايضا وضع اهل الدنيا فرجعوا
خدا ما لم تقدم ذكرهم لطلبهم الرفعة فوضعتوا وصاروا من الخدام
لدين طلبوا التواضع ثم ترقى سؤالي وارد على قولها وكنت جارية
حديث السن وهو ان يقال ما فائدة ذكرها الصغرسها وقد ذكرت ذلك
قبل والجواب عنده انما ذكرت ذلك لتبين عذرها وهو السبب
الذي لاجله كانت لا تحفظ كثير من القران فان قال قائل ما فائدة
اخبارها بانها لا تحفظ كثيرا وليس يتعلق مما هي بسبيله شي
من هذا قيل له انما اخبرت بهذا لتبين العذر الذي لاجله لم تحجب

البي

النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال من حينها وسكت عنه لان القران يشتمل
على احكام عديدة فمنها التعلق بالله وترك الاسباب ومنها عمل
الاسباب في الظاهر وخلق الباطن من التعلق بها وهو اجلها وازكارها
لان ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد وذلك لا يكون الا للافراد
الذي من الله عليهم بالتوفيق ولذلك مدح عز وجل يعقوب عليه السلام
في كتابه فقال وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لان يعقوب عليه السلام عمل الاسباب واجتهد في توفيقها وهو مقتضى
الحكمة ثم رد الامر كله لله تعالى واستسلم اليه وهو حقيقة التوحيد
وذلك انه عليه السلام لما انجاه بنوه اخوة يوسف ببضاعتهم يشكون
اليه ردها عليهم ويسألون منه ان يرسل معهم اخاهم بنيا من اهل عنده
الامر هل ذلك منهم مكر فان لكي يتلفوا بنيا من مثل ما اثلفوا يوسف
او ذلك حيلة من الغير في الاجتماع ببنيا من ليلقي اليه خير يوسف
وخاف من الاخوة ان يلقى اليهم ذلك ليلايضيعوا الخبر كما اضاعوا العين
فلما ان احتمل الامر الوجهين احتاط للواحد وهو التهمة لهم باخذ العهد
عليهم واحتاط للاخر بان قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة رجاء منه ان يبقى بنيا من وحده فيكون سببا لمعرفة
ما رجاه من خير يوسف عليه السلام وتشرده ذلك عليهم خوفا من ان
يتهموه فيما اوصاهم به او يضيعوا الوصية بان قال لهم انما قلت
لكم ذلك يعني التفرقة في الدخول من اهل الدين على ما نقله بعض اهل
التفسير فهذه الاسباب بمقتضى الحكمة ثم اوضح عليه السلام بما اكنه

في باطنه من حقيقة التوحيد فترك التعلق بما فعل من الاسباب
وقال لا اعني عنكم من الله شيئا ان الحكيم الا الله عليه توكلت وعليه فليتوكل
الموكلون فاشى الله عز وجل عليه من اجل جمعه بين هذه الحالتين
العظيمتين الذي القليل النادر من الناس من يجمع بينهما حتى انهم
افتروا على فرقتين ففريق يقول حقيقة لا غير وفريق يقول شريوة
لا غير ويرون ان الجمع بينهما كالمستحيل والخق ما ذكرناه وهو الجمع
بينها ولذلك اتى الله عز وجل على فاعل ذلك ثم قال بعد الثناء عليه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون كيفية الجمع بين تينك الحالتين
والجمع بينهما هو المطلوب من العبيد وعليه عمل الانبياء صلوات الله
عليهم اجمعين بما يؤخذ من استقراء الاحوالهم ومقالاتهم ولو لا التطويل
لذكرنا مناقبهم في ذلك واحدا واحدا لكن اللبيب يتتبع ذلك فمجده وكذلك
كان حال النبي صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام كان قد غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر ثم بعد ذلك قام حتى تورمت قدماه وكان يربط على
بطنه الاجار من كثرة المجاهدة ومواصلة الايام العديدة وهو الذي
جا بتشريع الاعمال والحض عليها وتبيين ما فيها من الاجور والدرجات
ثم بعد ذلك قال عليه السلام لن يدخل احد عمل الجنة قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغدى الله بفصل رحمته فبعد بدل
الجهد في الاعمال رجع الى حقيقة التوحيد وترك النظر الى غيره وهو
التعلق بالاسباب وكذلك كانت عادته عليه السلام ايضا اذا خرج الى سفر
شرب رجح وقد تقدم هذا في غير ما حديث ولاجل هذه الصفة العليا التي

تذوق

تركت عابثة رضي الله عنها وعدلت عنها الى غيرها وهو اخذها بحقيقة
التوحيد وتركها السبب امثالا للحكمة اعذرت بكونها كانت اذا ذلك
لا تحفظ كثيرا من القران لانها لو كانت تحفظ كل القران لعلمت على
الصفة العليا وتركت ما هو دونها فان قال قائل فما السبب الذي
كان لها ان تفعله فلم تفعله واستعدرت عن تركه بهذا التعريف
قبل له ان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها ان كان ثم شي ان
تعترف به وتستغفر منه وان لم يكن ثم شي فتبدي ذلك والله يبريها
ويصدقها فيما تقول فكان الجواب على هذا السؤال ان تقول والله
ما اعرف شيئا ما ذكرنا وارحوا البراة لو عدك الجميل عن المولي الجميل
هذا الكلام مما في معناه لانه عليه السلام قد وعدنا ان كانت بريئة
فان الله سيربها فتكون قد جمعت بين الحالتين فلما ان عدلت عن هذا
لما ذكرت في الحديث احتاجت ان تستعذر عن ذلك بهذا التعريف وان
كان هذا الفعل لها في ذلك الوقت اعني حقيقة التوحيد وترك الاسباب
والتعلق بها من اجل البراتب لصغرسها لكن لم ترض هي به عند تمكنا
فاستعدرت عنه وفي هذا دليل على ان المجتهد اذا اجتهد في المسئلة
ثم ظهر له غير ما ذهب اليه او لا فذلك ما ينبغي له وانما مثلت امرها
بمعقوب عليه السلام اذ قال فصبر جميل للعنى الذي قد منا وهو الاخذ
بحقيقة التوحيد لان الصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكوي فيه الا التسليم
والادعان لجميع المقدرور وقولها فوالله فإرام مجلسه ولا خرج احد
من اهل البيت الى قولها ولا احد الا الله فيه وجوه الاول فيه دليل

ان المصيبة اذا اشتدت فالفرج اذا ذاك قريب لانها لم يبلغ بها الامر
اشد من هذا الوقت لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بذلك وسكوت
ابو يعقوب عن الجواب فلما ان اشتدت بها تلك المصيبة وعظمت جاراتها
الفرج في الحين من غير مهلة ولا تراخ وقع قالت فوالله ما رام مجلسه
ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل عليه فاجرت ان الامر لم يطل حتى
يقع من احد الخروج او غير ذلك ولاجل هذا المعنى كان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اذا كان في شدة استهشرو فرج واذا كان في رخا فلق
وخاف فقيل له في ذلك فقال ما من ترحمة الا اتبعتها فرحة وما من
فرحة الا واتبعها ترحمة ثم يستشهد على ذلك بقوله تعالى فان
مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولاجل هذا المعنى يقول بعض الفضلاء
ما ابالي كيف اصحت فانما هي حالنا اما ابتلا او نعم فان كانت
النعم اخذت فن الشكر وان كانت البلاء اخذت في الصبر ولهذا
المعنى ساد اهل الصفة غيرهم لانهم قد عزموا على هاتين الصفتين
والقيام بوظائف كل واحدة منهما اذا كانت ومن كان على هذا الحال
ساد على غيره بالضرورة لان نفس السواد هو الاستغناء عن الخلق
ومن كان على الصفة التي ذكرناها لم تتعرض له حاجة لخلق ابر ولاجل
هذا لم يوجد قط احد منهم يسأل غيره بل هم المسؤلون في كل المنازل
وهم المفرجون لها وكذلك من تعلق بجنابهم لم يتوجه الله تعالى لخلق
ابدا اكراما لهم وعناية بهم الثاني ان ثقل القرآن كان محسوسا
عند نزوله لانها قالت فاخذه ما كان ياخذه من البرح في يوم شات

حج

حتى ان جبينه ليمتد منه مثل الجمان من العرق البرح كناية عن شدة
ما كان عليه السلام يلاقي عند نزول الوحي عليه من اجل ثقله والجمان
هو اللؤلؤ فشبهت عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه حين
نزول الوحي عليه كاللؤلؤ وان كان حسن عرقه عليه السلام اعلام
حسن اللؤلؤ لكن ليس في المحسوسات بما يشبه اعلامه ولا احسن
فهذا الثقل موجود احسا وقد اخبرت عائشة رضي الله عنها في غير
هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع راسه على ركبته ثم
ينزل عليه الوحي فتظن ان فخذها قد انقطع من شدة ما عليه من الثقل
وقبل ان ينزل عليه لم تكن لتجد ذلك وقد كان عليه السلام اذا انزل عليه
وهو على ناقته تيط به الناقة حتى يتقرب بطنها من الارض وقبل
ان ينزل عليه لم تكن لتفعل ذلك ثم بعد هذا لولا ان الله عز وجل اعطاه
القوة والتمكين لم يكن ليقدرا ان يتلقى ذلك الكلام وقد اسرنا الى هذا
في اول الكتاب حين نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
في اول ابدا الوحي وتقطيطه اياه ثلاثا ولان الله عز وجل لا يشبهه
شي ولا يقدر البشر على ان يتلقاه فكان لنزوله بعد ما اسرنا اليه من
التمكين والناييد لمن انزل عليه ذلك الناير لكن يعلم انه عز وجل ليس
له شبيه وانما يعلم هذا ويتحقق به من حصل له ميراث من النبي صلى الله عليه وسلم
في المعاملات والمناجات الثالث ضحك عليه السلام حين سري عنه
تحتل وجهه في الاول ان يكون ضحك مما دخل عليه من السرور لنصرة
الله تعالى لعائشة رضي الله عنها واطهار الحق في ذلك الامر الثاني

ان يكون ضحكك عليه السلام لكي يزيل عن عايشة رضي الله عنها ما كان بها
من شدة الغم والحزن ويحتمل ان يكون ضحكك للوجهين معا الرابع
الشكر على النعم لان عليه السلام قال لها حين انعم الله عليها بالبراة
احمد على الله وانا خصها بالجدون والشكر لانه اعلم من الشكر الخامس
ان الوارد بالبشارة العظمى يسهل بالاخبار زيارتها اولا ويقول منها شيئا
ما لكي يحصل العلم بذلك ولا يفصلها من حينه ذلك لان النبي صلى الله
عليه وسلم لما انزل الله عليه براه عايشة لم يكن ليتلو عليها الايات
من حينه وانا بداء اولا بالضحك ثم بعد الضحك اخبرها بالبراة مجمل
ولم يقل لها كيفية البراة كيف كانت فلما ان تحصل لها العلم بالبراة
وتهدت من الروعة التي كانت بها فحينئذ تلا عليها الايات والعلة
في منع الاخبار بذلك اولا ان البشارة اذا كانت مرة واحدة يخشى
على صاحبها ان يتفطر كبره من شدة الفرح وكذلك ايضا في العكس
وهو المصيبة وقد نقل ذلك في التوازي عن كثير من الناس قوم
فاجاهم السرور فقضى عليهم وفود فلجأتهم الاحزان فقضت عليهم
ولهذا المعنى كان ارسال يوسف عليه السلام لابيه يعقوب عليه السلام
بالقميص ثم بعد القميص البشير ثم بعد البشير الاحتجاج خشية مما
ذكرناه ولان النفس اذا قيل لها ذلك شي فشي تاثر به قليلا فليلا حتى
ياتيها التحقيق بذلك وهي قد استت به السادس ان طاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقدمة على طاعة الابوين لانها لما ان قال لها النبي
صلى الله عليه وسلم احدي الله وقالت لها انها قوتى الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم في

عليه وسلم بركت ما امرتها به امها واكدت ذلك باليمين ان لا تفعله
وامتثلت ما امرها به النبي صلى الله عليه وسلم من حمد الله عز وجل
وشكره واما امرتها امها بذلك ابرار الرسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمته
له وحملت قوله عليه السلام احدي الله على طريق البشارة لا على طريق
الامر فامرتها بالقيام الى الرسول صلى الله عليه وسلم لان القيام اليه طاعة
له والله ولما كانت طاعة له عليه السلام والله فهو شكر على هذه النعمة
ولكن لما ان كانت عايشة رضي الله عنها اعدت منها مجال النبي صلى الله عليه وسلم
وتعلم ما يسر به وما يتقرب به اليه ثم بعد ذلك قد نص لها عليه
في الوقت اسرعت الى ما تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه وهو مراده
وكان مراده صلى الله عليه وسلم ان لا تجد على النعم الا الله وحده مع امتثال
امره عليه السلام في ذلك يشهد لما ذكرناه من سكت ابوبكر رضي الله عنه
لها حين قالت لا والله لا اقوم اليه فلو كان ذلك منها لغير الوجه الذي
قررناه لجزها ابوبكر رضي الله عنه عن ذلك ولجبرها على القيام اليه صلى
الله عليه وسلم لانه صدر ذلك منه في اقل من هذا في حديث التميم حين انقطع
عقدها فدخل عليها يضرب في خاضتها ويعاتبها ويقول جلست
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما وليس معهم ما هذا
وهي لم يقع العقدها من عمده ولم تقل شيئا ولا فعلت شيئا الا ان النبي
صلى الله عليه وسلم اقام باختياره فلما ان كان كلامها هنا واختيارها
موافقا لمراد ابوبكر واختياره سكت لها عن ذلك لموافقها لما يريد
النبي صلى الله عليه وسلم ويخاره وما يريد ابوبكر ويخاره وهذا ما يشهد

لفضلها وعلو منزلتها على غيرها اذا انها مع صغر سنها تراعى مرضات
 النبي صلى الله عليه وسلم وتفضل على مرضات امويها ولاجل ذلك خصها
 الله تعالى بنجده عليه السلام فلم ير غيره ولا تعرف لانه عليه السلام
 لم يتزوج بكرة صغيرة السن غيرها واما غيرها من النسوة فترزجن
 بعد ما كبرن وراين الازواج وها هنا حكمة دقيقة تخرج ان نبيها
 لكي يستدل بها على فضلها وان كل الكلفا ضلات وانما الكلام فيما اختصت
 به في حال صغر سنها دون غيرها التي لم تحصل لمن الخصوصية الا بعد ما
 مضى لمن من العمر سنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اذن ان العجز
 وجل اذا اراد ان يخلق خلقا اجتمع ما الرجل مع ما المرأة بقدرته وبقى
 يسرى في مروق المرأة اربعين يوما ثم بعد الاربعين يجتمع دما في
 الرحم ثم يامر الله عز وجل ملكا ياخذ بين اصابعه من تراب الموضع
 الذي راد عز وجل ان يكون تربة هذا المخلوق منه فياتي الملك بذلك
 التراب ويعجنه بذلك اما الذي اجتمع في الرحم ثم يبقى يتطور في
 الرحم حتى الي حين خلقه فيصير على ما جاز فيه النص من الشارع عليه السلام
 والاراضي مختلفة فمنها السهل والرعر وفيها ما ينبت وفيها ما لا ينبت
 والتي ينبت فيها ما يطعم في الحين وفيها ما يتاخر طعمه وهذا موجود
 حسا لان بعض الاراضي لا يطعم شجرها الا بعد السنين الطويلة وبعضها
 لا يتاخر طعمها بعد خروجها من الارض الا يسيرا وياخذ في الطعم كارض الحجاز
 عن غيرها من الارضين تجد النخلة في ارض الحجاز مع الارض وهي حاملة للطعم
 وقد شبه عز وجل الايمان بالنخلة في كتابه حيث قال ومثل كلمة طيبة
 كثره

كثرة طيبة اصلها باث وفعها في السما وقيل ان هذه النخلة هي النخلة
 وقد شبه الشارع عليه السلام كمال الايمان بتناهي حلاوة هذه النخلة
 فقال عليه السلام لا يجد احدكم حلاوة الايمان حتى يكون الله ورسوله
 احب اليه مما سواها وان يحب المرء لا يحبه الا الله عز وجل وان يكره ان
 يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فكنى عليه السلام عن كمال الايمان
 بانثار هذه النخلة وتناهي طيبها لان الحلاوة لا توجد في الثمرة الا عند كمال
 ثمرها وتناهيها فلاجل هذا المعنى تزوج النبي صلى الله عليه وسلم مايشة رضي الله
 وهي حديثة السن لانها كانت حجازية التربة حسا ومعنى ثمر شجر ايمانها
 وتناهي طيبه مع حدث سنها وقيل بلوغها عند التكليف فناهيك به بعد البلوغ
 والتكليف ولاجل هذا المعنى حين ناشدن النبي صلى الله عليه وسلم ان ولجده في
 ايتار ما عليهن فقال لم يزوج الي في فراش احد اكن الا في فراشها فكان
 تفضيله لها لاجل ما خصت به من الصورة المعنوية لا للصورة الحسية
 ولاجل هذا المعنى قال عليه السلام خذوا عنها شطر دينكم وما يدل على
 فضلها فقهاها في هذا الحديث الذي لمرات بلقطة الالفائدة وما اظهر الله
 من رفعتها وعلو منزلتها ولاجل هذا المعنى والله اعلم لم يصح اجتماع نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم معه الا بعد سنين من اعمارهن مختلفة على قدر ما بلغ
 وقت كمال ايمانهن وجبيد يصلح له عليه السلام لانه لا يكون للطيب الا
 طيبه لقوله تعالى والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ولاجل هذا
 المعنى قال عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لا تتخذت ابابكر خليلا ولا ذاك
 الا للمعنى الذي جمع بينهما وهو تقارب من النبي صلى الله عليه وسلم في الايمان

فكلمت

يلج

كثرة

في الذنوب

لانه لا ايمان بعد ايمان النبي صلى الله عليه وسلم اقوى من ايمان ابي بكر وقد نص
على ذلك عليه السلام بقوله لم يفضلكم ابو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بتقوى
في صدره والاشارة في هذا الى قوة الايمان واليقين وقولها فانزل الله
عز وجل ان الذين جاءوا بالا فك عصبة منكم الايات الى اخر الحديث فيه وجوه
الاول ان اهل بدر لم تكن عصبتهم بان لا يقعوا في المخالفة خلافا لمن ذهب
لذلك فحل قوله عليه السلام اخبار عن ربه عز وجل انه قال يا اهل بدر اعملوا
ما شئتم مغفورا لكم انهم محضون من الوقوع وان اراحوها لا يقدرول
عليها للحفاظ لهم وما نحن بسبيله وما نحن بسبيله يرد ذلك عليه لان
مسطح من اهل بدر وما هو قد وقع فعلى هذا فلم يبق الا ان يكون قوله
اعمالا ما شئتم مغفورا لكم الاعلى العموم لا على الخصوص فيكون معنى ذلك
انهم من المغفور لهم ماداموا على الحال المرضي وان وقع بعضهم في الذنوب
فيجعل له سبب للمغفرة من اتباع حدود او غيرها من الوجوه الموجبة
للمغفرة مثل التوبة التي نص عليها الشارع عليه السلام فانها تجب ما قبلها
ولذلك نص عليه السلام على ان الحدود كفارة للذنوب وما جاء من الخارج
بحسب ما ورد في الاية والاحاديث فعمتهم الكل المغفرة اما مطلقة
واما بسبب الثاني ان من حد في حد من الحدود فلا يجوز ان يتعدى في
ذلك لغير ما امر به فيزاد فيه او ينقص منه وانما السنة في ذلك ان يقام الحد
على المحدود بحسب ما امر به الشارع عليه السلام لان الله عز وجل لما امر بحد
مسطح قام ابو بكر فزاد في عقوبته بان قطع له ما كان يجري عليه من الثقة فانزل
الله عز وجل في حقه ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا ولي القرزي

الاية

الاية الثالثة وهو قريب من الوجه المتقدم ان من حد في حد من الحدود
فلا يجوز ان يهجر ولا يخل بينصبه لان الله عز وجل لما امر بحد مسطح وكان
من اهل بدر ففعل معه ابو بكر ما فعل انزل الله عز وجل في حقه ما قد اوردناه
من الاية فجاه خيرا لما نقص من منزلته الرابع ان تصرف المرء لنفسه ولاهله
وقرابتة يكون له خالفا لا مشاركة للغير فيه بمثل في الكلام والله ولا
ينظر الى اختيار احد منهم لان ابا بكر رضي الله عنه لم يستنصر لعائشة رضي
الله عنها حين قيل فيها ما قيل لعدمه لامر الله في ذلك ما هو فاستصحب الاصل
وبقي عليه فلم يهجر مسطحا قبل نزول القران لان احسانه اليه كان لله فلو
هجره اذ ذاك لكان خطأ للنفس ونصرة لها فترك رضي الله ذلك فلما
ان نزل القران واستنصر لها لم عند ذلك ان ما صدر منه من نصرة لها
حماية لله لالهة المعنى الذي خصها الله به واكرمها لالتانها وكذلك
ايضا هجرته لمسطح لانه من قرابتة حماية لله فكان نصرة في اهله وقرابتة
بحسب مرضات ربه لا بحسب مرضات اهله ونفسه وقد نص عز وجل
على ذلك في كتابه حيث قال قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموالا تفرقتهموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتر بصوا حتى ياتي الله بامر
الخامس وهو يتضح بسؤال وارد وهو ان يقال لم جعل عز وجل ثواب
رجوع هذه النفقة المغفرة ولم يجعل فيه اجورا متضاعفة مثل ما جعل
في غيرها من النفقات مثل قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل كمثل حبة انبثت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف

لمن يشأ ومثل قوله عليه السلام الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين إلى سبعين
 وسبع مائة والله يضاعف لمن يشأ والأي الأحاديث في ذلك كثيرة والجواب
 عنه والله أعلم أنه لما اجتمع في هذه أشياء عديدة فمنها الاحسان وصلته الرحم
 وخير هذا المحرود لانه بدر يا وسبقت له عناية من الله عز وجل فكان الثواب
 على هذا المغفرة لاجتماع هذه الاشياء ولحرمة هذا السيد ايضا لانكسار قلبه
 لما لحقه من اهانت الحد واشعار بابته حرمته ما تقدم له من حضور بدر
 فخص بالاحسان اليه من هذا السيد الذي من اجله لحقه الهوان باجل المراتب
 وهي المغفرة فسبحان اللطيف الحكيم الذي رفع كل شخص بحسب حاله وجبر
 الكل على منازلهم بحسن لطفه وبالله التوفيق اللهم اجعلنا ممن رزقتهم
 حُبَّ نبيك الصفة من خلقك محمد صلى الله عليه وسلم وحب اله وازواجه
 واصحابه وانصاره وعرفتهم قدر فضلهم وما من الماثر من محنتهم واعصمنا
 من ان ننسب اليهم او الي احد منهم ما لا يليق بهم عصمة باطنة او ظاهرة
 واهدنا طريق الرشاد بفضلك واجعلنا على مركب السلامة في الدين والدنيا
 والاخرة بكرمك وعافنا من الفتن والمحن برحمتك وامنعنا بعزك
 من ان يحول علينا او يجهل على احد من خلقك واجعلنا ممن رحمتك في الدارين
 بلا حنة انك المفضل الجواد وصلى الله على محمد واله وسلم قوله
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين وهو فيها فاجر
 الحديث ظاهر الحديث يدل على تحريم اليمين الفاجرة التي يقطع بها
 مال المسلم وتشد يد الوعيد لمن حلفها ليقطع بها مال امرء مسلم ثم
 الكلام عليه من وجوه الاول قوله عليه السلام من حلف على يمين وهو

الح 2

فيها

فيها فاجر ليقطع بها مال امرء مسلم ظاهره انه اذا كان ذلك ليقطع مال
 امرء كافر فهو جائز وليس كذلك لان اهل الذمة ينزلون في معاملاتهم
 منزلة المومنين فعمل هذا فيحتمل ان يكون اطلاق عليه السلام ذلك على المومنين
 لكونهم اغلب لان اهل الذمة بالنسبة الى المومنين قليل ويحتمل ان يكون
 فعل ذلك مع الذي عقابه اخف من فعله مع المومن لتقص حرمته الذي
 عن حرمة المسلم ويحتمل ان يكون فعل ذلك مع الذي اسد في العقاب لانه
 جمع فيه ما جمع في المسلم وزاد عليه حقه والذمة الثاني وهو يتقرر
 بسؤال وارد وهو ان يقال لم خص فاعل هذا الذنب بالغضب دون
 غيره من افعال الذنوب لانه جافيتها من فعل كذا كان له كفا وعوقب بكذا
 كما قيل في القادر ينصب له لواء محمد الله بقدر عدرته ينادي عليه
 هذه غدرة فلان بن فلان وكما قيل في اكل اموال اليتامى ياكل نارا
 والجواب عنه انما خص صاحب هذا الفعل بالغضب لكونه ارتكب
 ثلاثة اشياء عظيمة محرمة وهي اليمين الفاجرة وهي التي يعبرون عنها
 الفقهاء باليمين الغموس ورد الحق باطلا واخذ مال هذا بغير حق
 الثالث ان غضب الله المذكور في الحديث ليس المراد به ما يعهد من الغضب
 في البشر لان ذلك مستحيل في حق الله تعالى وانما المراد به ما يصدر عنه من
 شدة العقاب لان اليك اذا غضب على احد عاقبه وتشد عليه وكذلك
 ايضا اذا رضي عن احد احسن اليه وزاد في الاحسان والله عز وجل مستجيب
 في حقه الصفة الواردة على البشر الموجبة للرضا والغضب وهو البيل
 والتعلق والتقور والكراهية ومثاله في النقيض وهو طرد الاحسان

قوله عليه السلام بضحك ركب من ثلاث القوم يصطفون للفتال والقوم
 يصطفون الصلاة والرجل يقوم في جوف الليل والبراد بالضحك هنا
 كثرة الثواب لهم والاحسان اليهم الرابع ان الغضب لا يتعلق الا
 بجموع الاوصاف المتقدم ذكرها فاذا لم يبلغ كان عقابه غير الغضب
 وكذلك ايضا اذا كان الخلف بغير اسم الله تعالى وصفاته لان ذلك ليس
 بيمين شرعي وانما سموه القمرا سيما مجازا ومثاله من حلف بالطلاق
 او العتاق او الهبى او غير ذلك فحاصله انه علق فعله بشرط فاذا وقع
 الشرط وقع المشروط وبالله التوفيق قوله عليه السلام لا تصدقوا
 اهل الكتاب ولا تكذبوهم الحديث ظاهر الحديث يدل على منع تصديق اهل
 الكتاب وتكذيبهم ثم الكلام على شتم وجهه الاول هل النهي عام في
 كل ما يدعون في كتبهم وغيره من الشهادات او خاص بما يدعون في
 كتبهم لا غير كتتمل الوجهين معا لكن تمام الحديث يقتضي ان المراد ما
 ما يدعون في كتبهم لانه عليه السلام قال بعد النهي وقولوا امنا بالله
 وما انزل اليكم يعني به التوراة والانجيل لانه قد صح باخبار القران ان
 الكتابين التوراة والانجيل انزل عليهم وانهم قد غيروا فيها وبدلوا
 فاذا قرأوا شيئا وادعوا انه من التوراة او الانجيل احتمل ان يكون ذلك
 حقا لانهم لم يبدلوا الكتاب كله وانما بدلوا بعضه واحتمل ان يكون ذلك
 مما بدلوه وغيره فلما ان احتمل الوجهين معا منع عليه السلام التصديق
 لهم حذرا من ان ينسب له تعالى ما لم يقله ومنع التكذيب حذرا من ان يكذب
 بسلام الله تعالى اذا كان ما قالوه حقا وبه يستدل ما لكرهه على القول

بسر

ع ٤

وسبعين فرقة وسنفرق امني على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار الا
 واحدة قيل يا رسول الله وما هي الواحدة قال ما انا عليه واصحابي او كما قال فما
 اوجب النار لمن تقدم ذكرهم الا تلك الشوايب التي عندهم من الكفر وكذبك هو لا
 لانهم لا يخلون من الشوايب ولا جل تخلص هذه الطائفة المذكورة في الحديث من
 الشوايب كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة فعلى هذا فينبغي لمن لم يكن له
 علم بما يعرف صدق اهل هذا الزمان من كذبهم ان يحثهم مرة واحدة الا
 ان يوقعه الله عز وجل على رجل من اهل العلم عامل بعلمه تابع للسننة فيجب
 عليه ان يسند طهره اليه ويمثل امره فيما يشير به عليه وياخذه بكلنا يديه
 ويشد عليه لان مثل هذا اليوم من نادر وجوده والاصل المحذر من الوقوع
 في مخالفة من تقدم ذكرهم وقليل من يسلم منهم لسرعة سره ان سبهم لمخالطهم
 اللهم الا من من الله عليه بالتوفيق بويده ما قررناه فوالله عليه السلام
 ياتي في اخر الزمان قوم يحدونكم بما لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فخذوا
 ما تعرفوا ودعوا ما شكروا فعلى هذا فلا يفتنر بالحديث على ما ذكرناه لا غير
 اذ المعنى فيه ما قد ذكرناه وما هو اكد عليه واخص بكم وذلك موجود
 في المرء نفسه بل ما في نفسه اشد عليه ما قد تقدم لانه مع هولاء بكيفية
 الانزال منهم ويسلم منهم وليس له قدرة ان ينزع عن نفسه الابجادة
 وحضور في كل انقاسه وقوة من الله عز وجل وتأييد فيكون حاضرا
 غايبا حيا ميتا فجميع بين الاضداد وباليت بعد هذا السلامه والى خلاص
 وان لم يكن على هذا الاسلوب والا فقد هلك بيان ذلك انه قد اجمع عليه
 في نفسه ثلاثة اشياء وهي موثقه مهلكة ان وقع الطوع اليها وهي النفس

والهوى والشيطان فالنفس قد قال الله تعالى في حقها ان النفس لا مارة
 بالسوء والهوى قد قال الله تعالى تحلى في حقه واتبع هواه فمثله كمثل الكلب
 ان تحل عليه يلهث او تركه يلهث وتشوبل الهوى وتشوبل النفس قريب
 من قريب والشيطان قال الله تعالى في حقه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
 عدوا فان لم يكن المراد حاضرا في كل انقاسه وله تمييز بوقوع ما ياتيه
 من هذه الخواطر والافتقد دخل في عموم الحديث الذي نحن بسبيله فيصدق
 باطلا او يكذب حقا ولاجل الجهل بهذه الخواطر وقع كثير من المدعين
 بانهم من ارباب القلوب فكل ما يخبرون به باطلا لانه هذه الثلاث
 خواطر وليه اثنان اخوان وهما ما يتون من قبل الله عز وجل والملك
 فالذي من قبل الله عز وجل هو في سرعة وقوعه مثل البرق ثم بعده في الجبن
 من غير مهلة خاطر النفس فما بعد ذلك الا وهذا قد استقر فيمن لم يكن له
 معرفة بهذا الامر والافتقد ضل بالضرورة وكان من الذين يحسبون انهم
 يحسنون صنعا وهم على غير شئ ولهذا كثير منهم يقول قيل لي وقلت
 وخطرتي ووقع لي وكذلك باطل وانما الواقع له احد الثلاث التي قد مرنا
 ذكرها وان خرج في بعض المرات شئ بحسب ما قال فذلك بالوفاق واما
 بالحقيقة فلا كل ذلك سببه الجهل بالفرقة بين ما قد ذكرناه فالحاصل
 من حاله انه داخل في عموم الحديث بكذب حقا ويصدق باطلا لكن
 يحتاج هنا الى بيان هذه الخواطر وما هو الحكم فيها لارباب القلوب
 وما هو الحكم فيها لغيرهم فحكم من كان من ارباب القلوب ان ينظر فيما وقع
 له من الخواطر من اي جهة يقع لان القلب له بابان باب للفؤاد وباب

والهوى

في وسط القلب ينلق الغيوب من الرب فالخاطر الرباني يأتي من ذلك الباب
الذي له على الصفة التي قد مرنا ذكرها أثر مستقر بموضع خاطر النفس
والهوى فيحتاج صاحب هذا الحال المحصور المحصور الكلي حتى يعلم الخاطر
الاول وما استقر بعد في الخلق ومن اجل التحقيق بهذين الخاطرين ومعرفة
وكيفيةها كان كثير ممن من الله عليهم بذلك لا يقولون شيئا ولا يستأون
على شيء فيجيبون عليه الا ويخرج في الوجود كذلك لا زيادة فيه ولا نقصان
لانهم يعلمون على خاطر الرباني بالحقيقة وما كان من الله فوقه لا شك
فيه هذا هو حكم هذه الخواطر الثلاثة واما ما كان من قبل الملك فوقه
من ناحية يمين القلب واما ما كان من جهة الشيطان فوقه من جهة اليسار
هذا هو حكم ارباب القلوب واما عنهم فحكمه في ذلك ان ينظر السبب
السبب الذي من اجله وقع ثم لا يخلوا الواقع ان يكون طاعة
مطلقة او معصية مطلقة فالطاعة كلها من الهام الله عز وجل او من الملك
والمعصية كلها من الشيطان والنفس وان كانت بعض الطاعات فيها اشباه
هل هي من الله او من الملك او من النفس او من الشيطان فاذا وقع هذا الشبه
فليوقع بازا به محيص ذلك الواقع على لسان العلم وتخليصه من الشوايب
المتعلقة به فما كان من الله او من الملك فهو من قبيل افعال البر على الاطلاق
لا يتعلق به شبيهه وان كان من النفس والشيطان فلا بد من التسمية
بظهر عند تخليصه بلسان العلم لانهما لا يامران بذلك الا لمرحوقيهما
لا يقدران ان يتوصلا الى ما ارادا الا بواسطة هذه الطاعة مثال
ذلك في الشيطان ان يأتي او لا من قبل المعاصي فلا يقدر على صلحه بشي

فيا ترى

فيا ترى من قبل الترعيب في العبادة والتبذل والانقطاع وليس مقصوده
في ذلك الا لعله يكثر منها فتحصل له السامة فعند حصول السامة بانه في بعض
له بالسّهوات التي كان يالف فبرده اليها فيرجع حاله احسن مما كان اولا
لتركه العبادة والقنط من رحمة الله تعالى والاحذ في السّهوات ومثال
ذلك في النفس ما حكى عن بعض الفضلاء انه كان في تبعد وخير ثم وقع له ان
يخرج الى الجهاد فبقي متخيرا في امره من كون ان الجهاد من افعال البر والنفس
هي الامارة بذلك ومحال في حقها ان يطلب الخير او تريد فبقي متها لها فيما
امرت به فمن عليه بالاجا الى الله تعالى ان يطلع على ما خبئه امرها فنام
فاذا بقابل يقول له قد سميت من كثرة المجاهدة من الصيام والقيام
ويست ان تسترخ منه فارادت ان تموت في الجهاد لكي تسترخ جاني
فيه وتحصل لها الثابت بعد الموت ثم افاق من نومه فالاعل نفسه ان لا يزال
على حاله او يزيد عليه حتى يموت على ما هو بسبيله فانظر شدة خبئتها
ودقته وخفايه حتى انهار ضمنت بالثابت بعد الموت ولا فائدة لها فيه
وقليل من يتفطن الى هذا النظر الدقيق الامن من الله عليه بالتوفيق
ولا جل ما فيها من هذا الخبث العظيم لم يكن لاهل الصفة في ابتدا امرهم
شغل ولا نظر غير العمل على قلبها وترك النظر اليها ثم بعد قتلها وهو
الرجع عنه تخالفها في كل ما تريد لم يطعنوا اليها وهم حذرون منها
مخزونون في كل انفسهم حتى لقد حكى عن بعض فضلائهم انه قال رايت
فيما يرى التائم ملايكة نزلت من السما يخبرون كل شخص ويعطون ما
يريد ثم اتوا في فيروني فاخترت فقل نفسي في في بها في صوره فقطعوا راسها

فقلت بقي مني الجنة تقطعها قطعاً قطعا فقلت بقي مني البضع فانا اعمل
 على البضع الذي بقي لي ان يله فانا نظر بعد ما فعل بها هذا الفعل لم يطمين
 اليها واخذني مجاهدتها هذا هو حكم غير ارباب القلوب في خواطرهم فحسدك
 الفحص عما يخصك وهو اكد مما يعم وانما احتجنا الي ذكر هذه الخواطر وحكمها
 وما العرف فيها لكون الحديث يتناولها بالمعنى الذي ذكرناه وهو التصديق
 بالباطل والتكذيب بالحق وذلك موجود في الخواطر لا شك فيه بل هو
 اكد لانه مما يخص وغيره على العموم والله المستعان عن امر كل ثور
 بنت عقبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لس الكذاب النبي
 يصلح بين الناس فيمنى خيراً او يقول خيراً اظا هو الحديث يدل على جواز تعدد
 الكذب اذا كان ماله الى خير وقوله عليه السلام يمني خيراً او يقول خيراً
 معناه ان يكون نفس الكذب لفظ خيراً او تكون تلك الكذبة تنمي الى خير لكن
 يعارض هذا رواه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه للكذاب وهو يعذب
 بالكلوب من الحديد على ما ذكر في الحديث اول الكتاب والجمع بينهما والله اعلم
 هو ان العذاب على الكذب عام فيملكه وما جازي غيره فهو تخصيص للعام
 مثل هذا الحديث الذي نحن بسبيله وغيره كما نص عليه لكن يحتاج هنا
 الى تقسيم الكذب من حيث هو كذب وبيان كل قسم منه وما الحكم فيه
 وذكر ان الكذب على خمسة اقسام فكذب واجب واخر مندوب والثالث
 مباح والرابع مكروه والخامس حرام فاما الواجب فهو ما اذا علمت مستقر
 شخص وسالك عنه من يريد قتله ظلماً وعدواناً وعلمت ذلك يتقين فيعين
 عليك الكذب اذا ذاك وليس بكذب شرعاً وانما هو كذب لغة على ما نقله

الفقهاء واما المندوب فهو مثل الكذب في الحرب لقوله عليه السلام
 الحرب خدعة وهو من شيم الابطال والشجعان وكذلك كل كذب ينمي الى
 خير وهذا القسم هو الذي يتناوله الحديث الذي نحن بسبيله لان الخبر
 مندوب اليه ابتداءً وما ألك اليه فهو مثله ما لم يخاطبه بشئ ممنوع شرعاً
 واما السباح فهو من يعلم شيئاً ثم يتحدث بضده ناسياً او مخطياً لقوله
 عليه السلام رفع عن امتي الخطا والسيان واما المكروه فهو مثل كذب
 الرجل لامرأته لما جاء في الحديث ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الكذب على امرأتي فقال لا فقال او عدها فقال نعم لان القصد بالكذب لها
 صلاح خاطرها وذلك يحصل بالوعد ولا حاجة للكذب والوعد ليس من
 شرطه وقوع الكذب لانه محتمل ان يموت هو او توت هي او يقع الفراق
 او يفيخ الله عليه فيفي يوعده لها ويا في الكذب على عموم حديث الكلوب
 المعارض لما نحن بسبيله وقد حان في الحديث ان الرجل اذا تفلت ذابته
 فادها الخلاء فتظن ان فيها العلف فتاتي فلا تجد شيئاً انها تسمى كذبيه
 بحاسب الموء عليها هذا مع ان الشارع عليه السلام نهى عن اضاءة المال
 وترك الدابة مهمله موجب لا صاعها فناهيك به في غيرها ولاهل الصوفة
 في الحديث دليل لما يفعلونه من المكر نفوسهم فيوعدونها ببعض شهواتها
 لكي تبلغهم ما يريدونه من افعال الطاعات ثم بعد تبليغها لهم ما ارادوه
 لا يوفون لها بما اشتهت عليهم الا ان ياتيهم من غير نسيب فيه ولا عمل
 عليه لان القاعدة عندهم ترك الشهوات حتى لقد حكى عن بعض الحكماء
 انه اشتهى شهوة من الشهوات فكلف نفسه انواعاً من العبادات وانذرها

الفقهاء

عنه

انها ان فعلت ذلك انا لها ما ارادته ففعلت ما كلفها واجتهدت
 في خلاصه ثم لما فرغت منه كلفها لثبتي اخر ثم كذلك ترك ذلك حتى سيمت
 النفس بالكليه فعاهدتها انها ان فعلت كذا وكذا من افعال البر لياتها
 بما ارادته على كل حال فلما ان رأت منه العهد قوي رجاها في الوفا
 واجتهدت فيما كلفها من الطاعات حتى اتمتها على ما شرط عليها ثم بقي
 بعد ذلك مترددا لا يدري ما يفعل في امره فلم يقدر ان ينيلها شهواتها
 فنقلب بعد سنين في مجاهدتها ولم يقدر ان يتركها كذلك ليلانسام
 وتكسل عن التعب فبينما هو كذلك مترددا في امره لا يدري ما يفعل
 واذا باخ له يستاذن عليه فاذن له بالدخول فاذا هو بتلك الشهوة
 على المراد فسأله عن ذلك فقال اشترتته لا كله ترجيت به الى البيت
 فتمت وتركته فرايت النبي صلى الله وسلم في المنام يقول اذهب بذلك الطعام
 الى اخيك فلان فكله معه فانظر كيف كان حاله في شهوة واحدة
 افضت بهم الى هذا الخير العظيم فكيف بهم ان لو عدت عليهم الشهوات
 لكانوا يقتلونها في انواع التعبدات وهي لم تضل بعد الى طرف من غيوبها
 ف لو عد للنفس مرغوبها كالوعد للزوجة بذلك سواء لان المقصود صلاحها
 ولاجل تقييد حالهم على هذا الاسلوب كانت نفوسهم ابدا لا تشتهي
 شيئا حذرا منها من ادخال المسيق عليها لانها لا تطلب الا الراحة في
 وقتها وان وقعت لمر شهوة فنادر حتى ان من وقع له منهم شهوة تسطر
 في الكتب لذورها فانظر الكذب للنفس ما اني من الخير وما اظهر ولو لم يكن
 فيه الا انها ترندع عن الشهوات لكان ذلك كافيا لان ترك الشهوات

هو المعبر عنه بفرع الباب والله المستعان عن البر ابن عازب
 بلغ قرأه صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركون يوم الحديبية على ثلاثة اشيا
 الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز صلح المسلمين مع المشركين والكلام
 عليه من وجوه الاول انه لا يقتصر في افعال الطاعات على بعضها دون
 بعض وان كان ما تركه اخص رتبة مما يفعل لان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان في المدينة يقوم بالفريضة على البراد ويفعل من افعال البر كله من المرب
 فيه والسندوب ما استطاع لكن لما ان كانت العمة مطلوبة في الايمان
 لم يتركها ولم يستغن عنها عنها الثاني المبادرة الى افعال البر
 ابتدا من غير توقف وترك النظر اليها يتوقع من الواقع لان النبي
 صلى الله عليه وسلم خرج الى العمة فع انه متوقع هل يترك للدخول لطواف
 البيت ام لا الثالث حسن التلطف في الوصول الى الطاعات وان كانت
 غير واجبة ما لم يكن ذلك ممنوعا شرعا لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاب
 المشركين لما طلبوه منه ولم يظهر لهم ما في القوس من البغض لهم والكرامية
 فيهم لطفامه فيما يوصل من البلوغ الى الطاعات التي خرج اليها الرابع
 ان صلح المسلمين مع المشركين لا يجوز الا بشرط ان لا يكون على المؤمنين في
 ذلك حيف من اعطاء مال او غيره مما هو سبيل الادعاء لهم لان النبي صلى
 الله عليه وسلم اعقد الصلح على ان من اناه من المشركين رده اليهم ومن اناه
 من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل بجلاب السلاح السيف
 والقوس وخوها وهذه الشروط الثلاثة هي عز للمسلمين وان كان
 يسبق الى بعض الاذهان غير ذلك لانه عليه السلام لم يعقد الصلح على ان من

اناه من المشركين رده اليهم الا لشبهة العهد فمن وقع له ايمان هو يعلم بالعهد فيترتب حتى تتلغى ايام العهد ويكتم ايمانه فيها ثم يخرج بعد انقضاها وليس في هذا نقص بالمؤمنين وكان اسلامهم ايضا متوقع ولا يترك شي فيه مصلحة يقطع بها النبي برجي وقوعه ولا يتم اليوم من الاحرم لم فلا يراعى حقهم وان قوي الايمان عند احدهم يعني من اسلم من مشركي مكة فخرج من بيوتهم يجعل الله من امره فرجا وخيرا لقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكذلك وقع لهم لاز يابته ولا نقصان لان كل من هرب منهم الى المدينة فلم يقبله النبي صلى الله عليه وسلم للعهد الذي عاهدتم فلم يرجعوا الى مكة وانما كان رجوع كل من وقع له ذلك الى موضع قريب من مكة واعطاهم الله القوة والشجاعة او قويت فصاروا بذلك الموضع يقطعون الطرق على المشركين فلم يستطع احد ان يخرج معهم فانقطع بهم الداخل والخارج من مكة حتى ان المشركين ارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يسالوه لعله يتفضل عليهم بقبول هولايك ولا يكون ذلك نكثا في العهد ففعل عليه السلام ذلك فجاهم بالخروج والفرج والنصر واما الشرط الثاني هو من اثارهم من المسلمين لم يردوه فانما شرط ذلك لانه من اتي اليهم فليس بجسم وانما هو مرتد فاشترط ذلك لاضرر فيه على المسلمين واما الشرط الثالث فلا يتم بشرطوا عليه ان يدخلها بغير سلاح وانما اسقطوا له من السلاح الرمح لا يجيز والقتال بالسيف والقوس وما اشبهها ما تقع في البلد من الرمح ولان العرب ابدا عزهم انما هو بسيفهم فهذه الشروط

الثلاث قد بان بانها ليست بنقص في حق المسلمين فلا يجوز ان يشترط ما يكون في حقهم نقص باشترطه بدليل ما قرناه وقد قال عليه السلام الاسلام الاسلام يعلموا ولا يعلم عليه الخامس ان للامام ان ينظر ما هو الاصلح بالرعية فينقله لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان واري المصلحة للمسلمين في الرجوع وعقد الصلح فقل السادس ترك الطاعة وان شرع فيها اذا كان تركها لما هو اولى لكن على وجه تجيزه الشريعة لان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين احرموا بالعمرة مثل ما ان منعوا من البيت ولم يتاتي لهم الدخول الا بالقتال تركوا ذلك وعدلوا عنه لما هو الارجح والاولى للمصلحة التي فيه السابع جواز فتح الحج والاختلال منه اذا منع العدو من الوصول الى البيت لكن هل غير العدو من الاعذار المانعة من الوصول الى البيت يتنزل منزلة العدو ام لا قد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من ذهب الى ان كل عذر مثله في الحكم ومنهم من ذهب الى ان العذر لا يكون الا بالعدو لا غير ولا يتعدى ولا بد من الاثبات لمكة والتحليل بها اذا كان المانع غير العدو ومنهم من فرق بين ان يكون العذر قويا وضعيفا فان كان قويا كان حكمه حكم العدو ويحلل حيث كان وان كان ضعيفا لم يحزله التحلل الا بمكة الثامن فيه دليل على حرمة مكة لانه عليه السلام كان قادرا في وقته على القتال لكن لما ان عارضه حرمة مكة ترك القتال ورجع الى الصلح فان قال قائل قد دخلها عليه السلام عنوة فليس له فقد اخبر ان الله عز وجل اذن له في ذلك الوقت بعينه لا يتعداه وان ذلك على غيره حرام

الثلاث

فقال عليه السلام لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت
 لي ساعة من نهار فترك عليه السلام القتال بها قبل الاذن لها
 جعل الله لها من الحرمه وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها
 من تقوي القلوب فتعظم ما عظم الله كان من البقع او من الشراوم
 ثنا الله زيادة في الايمان وقوة في اليقين الناسح ان كل ما يقضي
 الله تعالى حيرتهم ونصرهم وان كان ظاهرا ما يقع عند ذلك لان خروج
 النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السفره ورجوعه بغير ما اليه قصد ظاهره
 انه رجع بغير نصره وليس كذلك لان خروجه لقتال كوعده للصلح
 مع المشركين فيه فائدة كبرى لان اهل مكة كانوا في الكفر مع اليهود
 فلو كان القتال مع المشركين في تلك السنة لكثرت الاعداء على المؤمنين
 ولتواتر عليهم من كل جانب فكان في انعقاد الصلح وترك القتال في هذه
 السنة مصلحة عظيمة لان ما عقد عليه السلام الصلح مع المشركين ورجع
 قاصدا الى المدينة صالح اليهود الذين كانوا حلفاء لاهل مكة فلما تقضى
 العهد الذي كان بينه وبين اهل مكة بالحجرة التي دخل بها وكان الفتح
 بعد ذلك كان المسلمون قد زاد فيهم اضعافهم وكثر بجد المشركون اذ
 ذاك من ينصرهم لعقد صلح اليهود مع النبي عليه السلام فكان الصلح في
 هذه السنة المذكورة سبب للفتح والنصر وقد نص عليه السلام على
 ذلك فقال والله لا يقضي الله لليوم من قضا الا كان خيرا له هو الصادق
 عليه السلام بغير بين فكيف باليمن ولاجل هذا المعنى والعمل على حصوله
 حالا استغفر اهل الصوفه في مراقبه ربهم وتركوا التدبير في الامور

لشغلهم

لشغلهم يتصحح ايمانهم في كل وقت وحين مع الاستسلام والتقوى
 نظرا منهم للمعنى الذي ذكرناه لانه اذا صح الايمان كان كل ما يجري
 عليهم من المقدور رحمة به وخيرا ولاجل تحققتهم بذلك كان كثير منهم
 يتنجسون بالبلوي حتى لقد حكي عن بعض فضلائهم انه مرض بجلدة البطن
 عشرين سنة وقيل ثلاثين سنة فدخل عليه بعض اخوانه فرئي لحاله وبكى
 فقال له العليل لا تبك فان الملائكة تصافحني فاحبره ان ذلك البلاء بلا
 خير ومنه لا بلا فثمة ونقمة العاشر جواز دخول دار الحرب بالصلح
 اذا كان في المسلمين قوة ولهم عدة وعصبة من حيث ان يامنوا على انفسهم
 لانه عليه السلام دخل مكة وهي للمشركين باصحابه لما ان كانت فيهم
 العصبة ولهم القوة والعدة الحادي عشر ان الاقامة في دار الحرب
 تحت الذلة والصغار لا تجوز لانه عليه السلام لما ان ظهر المشركون عليه
 اولام يكن ليقعد معهم وانما خرج فارا من بينهم فلما ان تقوى الاسلام
 وظهر اصحابه اناهم وقعد بينهم ايام العشرة لاجل القوة التي كانت في
 المسلمين فلم يكونوا تحت ذلة ولا تحت عنفارة لكافر الثاني عشر ان البقع
 وغيرها من المخلوقات لا تترك لذواتها وانما تترك لاوصاف بها لان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن خروجه اولا من مكة لذاتها وانما كان لاجل
 سكانها فلما ان ظهر وقوي على قتال اهلها اتى بها هذا المعنى اشار اهل
 الصوفه بترك البقع التي وقعت المعاصي فيها وليس هذا منهم على العموم
 وانما يحكم بها للبندى التائب لان من وقعت منه معصية بموضع فالغالب
 عليه فيه الخطاء السوء ومن لا يتفجع برويته فاذا هو تائب وبقي معهم

قد تكون محاورته لم سببا لرجوعه لما عهد لانهم لا يتركون نبلها اراد
 لشيطنتهم وقد قال تعالى شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى
 الى بعض وشيطان الانس اشد على المرين شيطان الجن لان شيطان
 الجن قد يروك بالتمعود والقراءة وغير ذلك وشيطان الانس يتعود وهو
 لم يزل عن تشويشه وتعميره وهو من صنف الشخص ويأتيه من قبل
 النصيحة فكان اقوى على الفساد من الجن لاجل هذه العلة فاذا وقعت
 التوبة فينبغي الخروج عن ذلك المحل في الجن خشية ما ذكرناه ثم ان من
 من الله عليه بالقوة والتمكين لم يضره رجوعه الى موطنه ذلك لانه
 قل ان يستطيع احد على رجوعه عما هو بسبيله لقوته في طريقه وتمكنه
 فيه والله الموفق من سعد بن ابي وقاص قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم
 يعودني وانا بمكة الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز الصدقة بالثلث
 والنع فيما عداه والكلام عليه من وجوه الاول ان زيارة المريض من
 السنة لان النبي صلى الله عليه وسلم اتى الى زيارة هذا المريض الثاني زيارة
 الاعلى الى الادنى وهي من صفات الايمان لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك
 انه افضل الناس ثم انه اتى في عيادة سعد المذكور الثالث ان الامام يتفقد
 اصحابه ويبال عن من غاب منهم فمن كان منهم له عذر اخذ معه فيه بقدر ما يمكنه
 لحق اخوة الاسلام ولحق الصعبة ايضا لانه عليه السلام لو كان يبالي
 عن اصحابه ويتفقد لهم لم عرف مرض هذا الصحابي حتى يزوره الرابع قوله
 وهو بكرة ان يموت بالارض الذي هاجر منها هل الكراهة هنا عائدة على النبي صلى
 الله عليه وسلم او على سعد المذكور يحتمل الوجهين معا لكن الاظهر والله اعلم انها
 عائدة

علي النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد سبق الى بعض الاذهان انها عائدة على
 سعد وليس بالجيد بدليل قوله يعودني وانا بمكة فلو كانت الكراهة
 منه لقال وانا اكره ان اموت بالارض التي هاجرت منها فلما ان عدل عن
 هذه الصيغة الى تلك علم ان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسوغ ان يقال
 هو عائد على سعد ولا يضر ان ينتقل في مخاطبته من لفظ الحاضر للفظ
 الغائب لان ذلك خطأ بيهنا ان الانتقال من الحضور الى الغيبة لا يسوغ
 الا اذا كان المتكلم يتكلم عن غيره ولما ان يكون المتكلم عن نفسه بل لفظ
 الغائب فذلك لا يسوغ عند النجاة ولم يجز مثله في السنة العرب فلما
 ان كان هذا ممنوع علم انه اراد هنا اتبني صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن
 نفسه ثم رجع الى الاخبار عن الغير وفيه من الفقه ان من مات بمكة فرأى
 له النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم امضى لاصحابي هجرتهم وفي هذا
 توقف في البطلان او النقص والله اعلم فظاهر اللفظ التقص لقوله
 انتم لاصحابي والتمام لا يكون الا من نقص وقد يحتمل البطلان وهو ضعيف
 الخامس ان من ترك شيئا لله وخرج عنه فليس له الرجوع فيه ويبطل
 عمله ان رجع ولا يحصل له ثواب عليه لان من هاجر من مكة انها كانت هجرتهم
 لله ولرسوله فلم يتركهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقيموا بموضع خرجوا عنه
 الى الله عز وجل وكان يخاف عليهم ان يموتوا بها هذا مع انهم لا يعتمدون
 ذلك وانا كان اقامة من اقام لعذر المرض فكيف بالمعتد وعلى هذا فقس
 وقد جات في هذا المعنى احاديث كثيرة صحيحة ولو لا التطويل لذكرناهم شيئا
 فسيامع انهم لا يخلون ان قد اشرنا الى شئ من ذلك في الكلام على بعض الاحاديث

ع

وهو وما دونه جازر وما زاد عليه ممنوع وقد وجد المخالف لذلك توجهها
 اخر وليس بالقوي وحيثما فيه اي ما ويل مع اخراج اللفظ عن ظاهره ولو لا
 التطويل لذكرناه وابطلناه مع ان الشارع عليه السلام قد نص على ذلك في
 بغير احتمال فقال ان الله تصدق عليكم بثلاث اموالكم تتصدقون به عند موتكم
 التاسع ان ترك المال للورثة اذا كانت لهم به حاجة افضل من الصدقة به
 على الاجانب لانه عليه السلام قال انك ان تدع انت ورثتك اغنيا خير امن
 ان تدعهم عالة يتكفون الناس في ايديهم العالة هم الذين لا شيء لهم وغيرهم
 يقوم بهم ومنه قوله تعالى ووجدك عالا فاعني ويتكفون بمعنى
 يطلبون هذا اذا كان للورثة بالمال حاجة وان كانوا اغنيا فهو بالخيار
 في ماله اعني في الثلث ان شئت تصدق به وان شئت تركه والافضل الصدقة
 لانه منتقل الى الآخرة والله عز وجل قد تصدق عليه بالتصريف في الثلث
 فقال عليه السلام ان الله تصدق عليكم بثلاث اموالكم تتصدقون به عند موتكم
 وليس للورثة به تلك الحاجة الكلية فالصدق به اولى بل كن تكون الصدقة
 ملاقرب فالاقرب والاحوج فالاحوج لان الصدقة للاقرب مجتمع فيها
 شيان صدقة وصله رحم وذو الحاجة ايضا فيه فضلا اخر لقوله
 عليه السلام اذا اراد الله بصدخرا صادف معروفه حاجة اخيه
 والترتيب في الاقارب قد ذكره عليه السلام في غير هذا الحديث حين
 ساله احد الصحابة فقال عندي دينار ان تصدق به فقال تصدق به
 على زوجتك فقال عندي اخر فقال تصدق به على ابويك فقال عندي
 اخر فقال تصدق به على خادمك فقال عندي اخر فقال انت ابصر بنفسك

التقدمة السادسة تذكر الزاير للمريض بالاشغال ليصل حاله من
 ادحق ان كان عليه او لفعل معروف ان لم يكن عليه حق وينتهي للرحيل
 لانه عليه السلام ذكر هذا المريض حين اتى اليه بعوده بقوله برحم الله ابن
 عفران ابن عفران المهاجر بن مرض بمكة ومات بها فعرض له بذكره لكي ينسبه
 لشريفة ذمته ان كان بها بي وينيها للرحيل ففهم عنه سعد رضي الله عنه
 ما اراد فقال اوصي بمالي كله وذلك يتضمن براءة الذمه لانه لا يوتي الى
 السدوب الا بعد براءة الذمة فاتي رضي الله به باعلا المندوب وهو التصرف
 بجميع المال السابغ السائل اذا سال عن شيء ثم منع منه والمنع يحتمل
 وجهين او وجوها فله ان يسال حتى يتبين له المراد بغير احتمال لان سعدا
 لما سال النبي صلى الله عليه وسلم في الوصية بالمال كله فنهه عليه السلام احتمال
 المنع ان يكون عن جميع المال واحتمل ان يكون عن بعضه دون بعض فلما احتمل
 ذلك معا فسال عن الشطر والثلث حتى علم الوجه الممنوع في ذلك بغير احتمال
 الثامن قوله عليه السلام الثلث والثلث كثير هل الصدقة بجميع الثلث
 ممنوعة او هل ذلك جازر قد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من ذهب الى المنع
 حتى ينقص منه وليس بالقوي ومنهم من ذهب الى الكراهة وهو مثل
 الاول ومنهم من ذهب الى الاجازة من غير كراهة وهو الاظهر لانه جاز
 على سياق الحديث لانه عليه السلام لو اراد منع الصدقة بالثلث لقال كما مثل
 ما قال قبله فلما ارعد عن صيغة النبي الى صيغة الاذن علم ان ذلك جازر
 ولا تعلق للمخالف بقوله عليه السلام والثلث كثير لان وجه الصواب فيه ان
 يقال اشار به الى ان الصدقة نهايتها الى الثلث وهو اكثرها واعلاها

وهو

والفائدة ابدأ المرامي الى القرابة وان تباعدت لان فيها صلة الرحم وليست
 كالأجنبي فتحاج لان ذكر عدد المال الذي تركه للورثة حين من التصديق
 به وقد نص بعض العلماء بان ثمان مائة درهم فيما دونها الورثة بها اولى
 ولاجل هذا قالت عائشة رضي الله عنها في ثمان مائة درهم نفقة لا تحتمل
 الوصية تريد ان تركه كله للورثة اولى من ان يوصى ببعضه ومثل ذلك روي
 عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فيما يقرب من هذا العدد لكن يحتاج الى الخبر
 احضار النبي في تركه للورثة وهو ان ينوي ان ما من عليه من الصدقة
 بالثلث في مثل هذا العدد او ما قارب صدقة منه على ورثته وكذلك فيما
 نقص من هذا العدد الى درهم يحسب ترك ثلثه لهم صدقة عليهم فيكون
 قد جمع بين ما اشار الشارع عليه السلام اليه وبين قول عائشة رضي الله عنها
 على ما ذكرناه من تلك المعاني كلها العاشر قوله عليه السلام انك ان تدع
 انت ورثتك اغنيا خيرا لك من ان تدعمهم عالة يتكفون الناس في
 ايديهم هل تخصصه عليه السلام له من جهة المخاطبة او هذا من جهة
 الخصوص به واذا قلنا من جهة العموم فهل ذلك لعل تعلم او ليس احتمل
 الوجهين معا فعلى الاحتمال الواحد وهو من طريق المخاطبة والكلام عليه
 والفقهاء فيه كما تقدم وان كان على الخصوص فان كانت العلة غير معلومة
 فلا بحث وان كانت معلومة فهاهي فتقول والله اعلم ان سعدا لم يكن له
 الابنة واحدة والمرأة اذا كانت يتيمه ولم يكن لها مال كانت مرغوبا
 عنها واذا كان لها مال كانت مرغوبا فيها فيكون من اجل ذلك الخبر لهذا السيد
 ان يترك ابنته غنية فلا يتركها عيلة على الناس ويترتب على هذا من

الفقه

الفقه

ان المرء ينظر لورثته الاصلح فيفعله ويكون ذلك الاقرب له الى الله تعالى
 واولى في حق الميت ومكث آخر في قوله عليه السلام مهما انفقت من نفقة
 فيه وجهان من الفقه الواحد اخباره ان كلما ينفق هو من نفقة فانه يوجب
 عليها حتى اللقمة يجعلها في امراته فيكون على ماله كله ما جورا ما تصدق
 به وما امسكه والوجه الاخر فيه تسلية بهذا القول من اجل ما منع من
 الصدقة بماله كله لاجل وجع قلبه على قوة ذلك كالاخر وعلى كل واحد من
 هذين الوجهين بحثه اما البحث على كون كلما ينفق هو ما جور فيه هل هذا
 لفصله ودينه وان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك اما بالوحي واما بما راي
 منه من قرآين الحال لانه لا ينفق شيئا الا على لسان العلم وهو عالم به ايضا وكل
 من هو بهذه الصفة فيكون كذلك فان كان هذا من طريق الوحي فيكون ذلك
 خاصا به لما سبق له في علم الله من السعادة وان كان للعللة التي ذكرناها
 فيكون هذا ارشادا للومنين بالاستقامة في تصرفهم على لسان العلم
 والعلم به وهذا هو الاظهر والله اعلم لانه وان كان اخبار بذلك من طريق الوحي
 فما هو لذاته بل هو من اجل هذه العلة التي ذكرنا والبحث الذي على الوجه
 الاخر الذي هو التسلية ما الحكمة بان سلا به ولم يسله بغيرها فيه
 اشارة واضحة لانه لما وقع له الخروج عن جميع ماله ولم يتبقى له اليد ميل
 وانما حبسه من طريق امره له بذلك فقد زال عنه الحرص المدموم والتعلق
 بالكروه وما بقي له اشتغال الابا امتثال ما امر فلا يتهم في الادخار
 واثار النقص على الخير من اجل شهوة وكل من لا يكون له تعلق بالمحموس
 وان كان في يده فذلك عين الزهد فان الزهد ليس هو بقل ذات اليد

وانها هو بعدم تعلق الطب فتلك الصيغة دالة على ما هو اعظم منها
وما بين مثل ما جرى لبعض اهل السلوك بافريقيا كان قد فتح له فيما
بين وبين مولاة حتى خرج عن الدنيا خروجا جميلا ووقع الله في قلوب
اهل زمانه حبه وخدمته وكان اذا خرج لا يترك تخرج الاراكبا واذا ركب
كان تحصل منه من النظم حتى يفصل كفل البغلة بما الورد ونسبة حاله
من ذلك وهو لا يلتفت الى شيء من ذلك وكان بعض اصحابه من الرجال يلد
بالقربة منها يقال لها سررت وكانت له عيلة وكان يتسبب بالورع في
صيد الحوت في البحر بالسناره فبما بعض اصحاب ذلك المتورع المتسبب
يزور هذا السيد فرأى ما هو فيه من المملكة فبقي يتعجب فلما جا بودع
ويرجع فقال قل لاخي فلان يعني ذلك السيد المتسبب كذا يتبع الدنيا
فزاد الفقير تعجبا فلما اخبر ذلك الاخر بمقالته ساله بعض الاخوان عن
ذلك المعنى الذي اراد هذا السيد ان يمتبه به ذلك الاخ المبارك قال له
عنايه ان تخلي قلبه مما سوى مولاة لكون تعلقه بالصيد قد اخذت كذا
وبعجزني فان هذا وان كان مشروعا فان تعلق القلب به مكروه لاهل
الاحوال لانه شغل عن المناجاة والحضور وقوله عليه السلام فانك
مما انفتت من تقية فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها الى في امر انك ليس
على العموم وانما ذلك لمن كانت له نية وانما اتى عليه السلام بهذا اللفظ على
العموم لكونه كان مخاطب هذا الصحابي والصحابي يعلم ذلك انما يكون مع النبي
للقاعدة التي تقعدت عندهم من قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات وانما
لكلامه مانوي ولو كان خطابه لغير الصحابي الذي لا يعلم تلك القاعدة

لشرطها

لشرطها عليه يشهد لهذا ما حاق في الحديث اول الكتاب من قوله عليه السلام
اذا اتفق الرجل على اهله بحسبها فهو له صدقة فانظر لئلا ان اتى بالثقة
على العموم قيدها بالاحتساب ولما ان اتى بها لعدم يقيدها عليه فان
ما قريناه وظهر فان قال قائل الثقة على المرأة واجبة ولم يكلف الشارع
عليه السلام فيها التبد وكل واجب اذا وقع على ما امر به الشارع عليه السلام
ففي فعله الاجر قيل له ليس النزاع في ذلك لانا سلمنا انه اذا اتفق على
عماله فقد امثل الامر وحصل له اجر الاقامة بالواجب لكنه لم يدخل
في هذه الافضلية وهو ان يزداد له على ذلك اجر الصدقة يشهد لما قريناه قوله
عليه السلام من قام رمضان ايمانا واحسانا باغفر له ما تقدم من ذنبه
وقيام رمضان مطلوب ابتداء على يابه فاذا قام المرء ولم تكن له نية الايمان
والاحسان فقد حصل له اجر القيام لكن لم يحصل له كفارة تلك السنة لان
النبي صلى الله عليه وسلم شرط في الكفارة ان لا تكون الامع وجود نيتك الصفتين
وقد بينا ما معنى الايمان والاحسان في الكلام على الحديث اول الكتاب فاذا
كان القيام الذي ليس للنفس فيه شهوة ولا حظ وهو من افعال البر على الاطلاق
لا يحصل فيه ما اشار الشارع عليه السلام اليه الا بدنيك فتناهيك به في
فعل مشترك بين وجوه عديدة اما المحبة في الشخص او الشهوة او للحيا
او ربا للغير او مصادفة من غير قصد او للاخرة الى غير ذلك من الوجوه
المتوقعة هناك وهذا الوجه قد مال اليه اكثر من الفقهاء في التعمد فكيف
به في هذا الامر فقالوا في رجل خرج الى البحر يغتسل من الجنابة فلما ان وصل
الى البحر عزبت عنه النية ووقع منه الغسل بغير نية فرقوا فيه بين زمن

الصيف وزمن الشتاء فقالوا بالبطلان في زمن الصيف وبالاجزافي زمن الشتاء
 ولا ذاك الا لكون ان الغالب على الناس الاعتقال في الصيف للبرد ثم ان المرء
 اذا اتفق بغير نية انما يحصل له الاجر في تلك الثقة بقدر الواجب عليه وما
 زاد على الواجب بغير اجرة متوقف على نيته وكثير من الناس الغالب عليهم الزيادة
 في الثقة على الواجب فيلغى اعتقاد النية ابتداءً حذرًا من سقوط هذا
 الخسر العظيم وفيه من الفقه انه لا يقتصر به على ثقة المال كما لا يقتصر بل
 هو عام في كل الحركات والسكنات لان كل ما يفعله المرء من تحرك وكلام
 فهو ثقة ونص الحديث عام في كل ذلك لانه قال مما اتفقت من ثقة
 وهذا لفظ يفيد العموم في كل التفقات وهذا العموم كعموم قوله تعالى
 لن نثاوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يشهد لما قرناه ان النبي صلى الله
 عليه وسلم جعل هنا اللقمة يرفعها الرجل الي في امراته صدقة وجعل في
 حديث اخر لقا المؤمن ببشاشة الوجه صدقة ولما طه الاذي عن
 الطريق صدقة الى غير ذلك مما جازي هذا المعنى فقد استوي في المعنى
 اتفاق المال وغيره لكن في هذه التفقات تفصيل وهو ان ثقة المال
 تكون في مرضات الله عز وجل وفي سبيل البر والخير وثقة البدن العادة
 بالدوام وثقة اللسان دوام الذكر والتلاوه وثقة العينين نظرها
 بالاعتبار ودراسة العلوم والقران ثم لهذه النسبة في جميع الاعضا
 كل منهم ثقته بحسب ما يليق به وما هو وظيفته ولجل التحقق
 بهذه المعاني التي ابرزناها والفوائد التي قرناها فضل اهل الصوفة
 غيرهم لكونهم احتسبوا انفسهم واموالهم واهلهم لله لا لغيره تعلقا

منهم

منهم بهذا الحديث اذ ان كلما ينقده المرء فهو صدقة فهم قد اتفقوا
 جميعا بالديهم كان ذلك من كلام اوصيت او نوم او غير ذلك لا يتلفسون
 بنفس الاجتناب وادب ما ينظرون ما عليهم فيه من الوضيفة وما هو
 الاقرب الى الله فيبادرون اليه باسراع واجابة لقوله تعالى اولئك الذين
 يدعون يبتغون الي ربكهم الوسيلة ايهم اقرب فمن رآهم يتصرفون في المباحات
 يظن ان ذلك مباح على يابه وليس كذلك لانهم لا يفعلون فعلا حتى يحسبوه
 لله على ما قرناه حتى لقد حكى عن بعضهم ان كان يسأل فيسكت ساعة
 ثم يجيب فسئل عن ذلك فقال تنظر ايها خير لي هل السكوت او الكلام
 وقد يكون بعضهم له من الحضور ما هو اشد من هذا فيعرف عند الخطاب
 ما هو الافضل له فيعمل عليه من غير ان يقع منه سكوت بعد السؤال وصاحب
 هذا الحال هو الكبريت الاحمر والسيد الاعظم فمن يراهم يلبسون الحسن
 من الثياب وياكون الطيب من الطعام ويتحدثون مع الاخوان وياخذون
 راحة يظن ان ذلك من جملة المباح وليس عندهم فرق بين هذه الاشياء
 والتعبد بدليل ما قرناه بوميد ذلك حديث معاذ الذي قال فيه واحتسب
 نومي كما احتسب قومي فشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالفضل والاولية
 وقول عمر رضي الله عنه اني لاطا النساء وما لي لهن شهوة فقيل له ولم
 يا امير المؤمنين فقال رجبا ان يخرج من ظهري من يكثر محمد لم بهم الامم
 يوم القيامة اعاد الله علينا من بركاتهم ومن علينا مما به من عليهم وقوله
 عليه السلام عسى الله ان يرفعك فينتفع بك الناس ويضربك احزون هل
 هذا بمعنى الدعاء بالرفعة في الدنيا او هو يعني ان ينسى الله في اجله فيكون

معنى الرعا بطول الحياه احتمال الوجهين معا على الانفراد واحتمل مجموعهما
 لان كل واحد من هذين لهذا السيد يتضمن الآخر فانه اذا عاش من هو
 مثل هذا السيد فقد ارتفع به اهل الحق وقد ذل اهل الباطل وان كان
 يريد رفعة في الدنيا فالحياة من لازمها وفي اجتماع هذين العنيتين في
 هذه الصيغة دليل على ما من به على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضلة
 والبلاغة فاما الانتفاع فظاهر لان المؤمن رحمة حيث ما حل واما الضر
 محتاج الى بيانه وذلك انه عليه السلام اتى بلفظ الناس وهو عام في المسلم
 والمنافق والكافر ولا شئ اشد ضررا على المنافق والكافر من المؤمن لانه
 ما صور بعدا وثمر ومقاتلتهم وقد وقع الامر لهذا السيد المذكور على
 ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا زيادة ولا نقصان فعاش بعد ذلك
 وطالت حياته فانفع به كثير من الناس وانصرت به اخرون فمن قدر
 عليه بذلك وكذلك هم فضلا ابدا ينتفع بهم من اراد الله سعادته
 ويضر بهم من سبقت عليه الشقاوه لانهم حجة الله وانصار الدين
 وفيه دليل على ان السنة في المريض ان يفتح له في العير لان قوله عليه السلام
 عسى الله ان يرفعك فيه دعاه بالبقا وافساح له في العمر لكن ذلك بشرط
 فيه وهو ان يكون المريض ممن يكون فيه اهلية للخير او يرجي ذلك فيه
 تحرز اليلا يكون فاسقا او ظالما او من فيه ضرر على المسلمين لقوله
 عليه السلام حين سمع احد الصحابة يقول لمنافق يا سيد فقال عليه السلام
 ان اردت ان يكون هذا سيدا فقد احببت ان تعصى الله وقد قال
 عليه السلام اذا مات المنافق استراح منه البلاد والعباد ؛

قوله

قوله عليه السلام قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل
 الله وانذر عشيرته الاقربين الحديث ظاهر الحديث يدل على ان الانذار
 للقرابة خصوصا والكلام عليه من وجوه الاول لقائل ان يقول لم امر الله
 عز وجل بالانذار للقرابة دون غيرهم والجواب عنه ان الله عز وجل قد
 امر بالانذار لجميع الناس في غير هذه الاية فقال تعالى يا ايها المدثر قم فانذر
 ثم امر بعد الانذار العام بالانذار للقرابة تخصصا لهم وتكريها ومنه قوله
 تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فخص جبريل وميكال
 لشرهما وكذلك تخصص القرابة هنا من هذا الوجه والله اعلم وقد يحتمل ان
 يكون انذارهم سدا للدرجة ليلابغ عند احد ان القرابة ليست في التكليف
 كالا جانب حرمتهم لانه بعد نزول هذه الاية ووضوحها قد وقع ذلك في
 النفوس فانه قد روي ان رجلا سأل عليا رضي الله عنه هل خصم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اهل البيت بشئ فاجاب رضي الله عنه بان قال لم يخصنا
 الا بان لا ناكلوا صدقة ولا نلثوا الحمر على الخيل ومن فتح الله له فيها في
 كتاب الله وهذا يدل على ان تخصيصهم بالانذار مكرمة في حقهم لان التكليف
 على ما يقوله العقلا وهو نفس الرحمة لمن سبقت له السعادة ولذلك شد
 عليهم في التكليف فخر عليهم ما تقدم ذكره وهو لم يحرم على غيرهم لترتفع
 درجاتهم ولتعلم خصوصيتهم ووجه اخر ايضا ان يكون معنى قوله
 عليه السلام لا اغني معناه الاجزا والاجزا هو ما يتخلص به المرء ولا
 عتب عليه وبعارضنا حديث الشفاعة والشفاعة لا تكون الا لمن عليه
 العتب واستوجب العذاب ولذلك قال عليه السلام اخيبت شفاعتي

لاهل الكبار من اني فلا تعارض بينهما وفيه دليل على ان الكفار ليس هم
مخاطبين بفروع الشريعة لان الآية عامة احتملت الكافر من عشرته وغير
الكافر وما انذر هو صلى الله عليه وسلم من عشرته الا المومنين لان عمومته كانت
فوق العشرة وما اسلم منهم الاحزبه والعباس ولا شك ان جميع العمومة من اهل
العشيرة ولم يكلم منهم الا المومنين وفيه دليل على ان روية اهل الفضل من
العلماء والصالحين ومخالطتهم لا تنفع الا اذا وقع الاقناب بهم وكيف ما
كان الاقناب كانت النسبة للتقرب لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقرايته ما
قال في الحديث ثم ان فاطمة التي هي منه بتلك المزية الكبرى وقال فيها عليه
السلام يورثني ما رايها وفاطمة بضعة مني قال لها لا اغني عنك من الله
شيئا فاذا كان هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو اعظم البشر حمة وتفضيلا
وله الشفاعتان العظيمتان عامة وخاصة فكيف بغيره من الاولياء
والصالحين ولا يتوهم متوهم ان ما ذكرناه هنا معارض لما جاء ان الرجل
يشفع في اهل بيته وان الرجل يشفع في عشيرته وان الرجل يشفع في
مثل عدد ربيعة ومضر لا نأقول هذه الشفاعدة انما هي لمن يشاء الله
الشفاعة له لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا بادن له فلعل هذا
المتعلق بهذا السيد لعله ان يشفع له يكون ممن اراد الله ان لا يشفعه
فيه وان يشفع في مثل ما تقدم وانما المقطوع فيه بالجملة افعال الاوامر
لقوله عليه السلام من اتي بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا واحتقارهن
كان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة فليس ما هو مقطوع به بالوعد الجميل
كالمحمل فعلي هذا فينبغي للعالمين لهم التعلق بالله والتشبب بهم ولا يعتقد

عليهم ويترك التعلق بالله فان احدا لا يغني عن احد شيئا وانما جعلهم
الله عوننا على الخير وسببا للرحمة فان كان المراد على هذا الحال فهي السعادة
العضوية والافلسان الحال قائم عليه بالانذار يشهد لذلك قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله وقوله عليه السلام
يا معشر قريش او كلمه نحوها هذا شك من الراوي هل قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذه النقطه التي هي يا معشر قريش او ما في معناها وفيه دليل على التحرف
من الكذب والتخري في الصدق لانه لما اشبهه عليه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
ابدا ذلك ولم يقتصر على كلمة واحدة لا غير وقوله عليه السلام
اشترى وانفسكم من الله يرد عليه سوال وهو ان يقال ذكر عليه السلام
الشرا ولم يعين الممن الذي يشترى به وايضا فكيف يشترى الانسان نفسه
والحوادث عنه انه عليه السلام انما لم يعين الممن للعلم به في الكتاب وهو
قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الآية واما الشرا فانه
يسوع ان يطلق على البايع والمبتاع لان كل واحد منهما في الحقيقة بايع وشترى
فالومن الحقيقي ليس له في نفسه شيء وانما هو عليها امين مثل الموصي على اليتيم يبيع
عليه بالبيع وفي لا يتعداه لان المومن قد باع نفسه فليس له فيها ملك وانما هي ملك
للغير وتركته له كالامانة فقبل له افعل لا تفعل فهو يمشي على هذا الاسلوب
لا يتعداه فان اجل بشي مما امر به او نهى عنه فقد وقعت منه الخيانة في الامانة
لكن او تمن فيحتاج عند وقوع الخيانة ان يعترف لصاحب الامانة بفعله الذميمة
ويتوب اليه مما ارتكب من الخيانة ما دام يجد له سبيلا فله ان يعفو عنه

عليهم

فيما مضى ويتداركه بالاعانة على حسن الامانة فيما بقي ولاهل الصوفه
فيما نحن بسبيله من الاي والحديث الحجة البالغة والادلة القاطعة اذ ان اول
شرط عندهم بعد الزهد قتل النفس ومعنى قتل النفس عندهم ما نحن بسبيل
بيعها من الله وانباع امره فيها في كل احوالها وترى حظوظها ولاجل هذه القاعدة
التي قعدوا عليها ابتدأ امرهم كانوا في افعال البر لهم القدم السبق وكانوا فيها
بحري الله عليهم في الدنيا من القدر من ابتلا او بعمار ائمة مستسلمين
لا يتعوضون ولا يدتروون لانهم يروا انهم ليس لهم في بقوسهم شي حتى يترحموا
من خدمة من استراها منهم ويبرون ان رب الشئ وصاحبه هو اولى بالنبي
فيه والنظر وتدبير غيره او نظره من الفضول فهم الذين حصل لهم من ميراث
بيهم او فر نصيب لانه عليه السلام كان لا يستنصر لنفسه فاذا راي حرمة من
حرم الله ثنته كان اسرع الناس له انصرة وهم ما شئوا على هذا الاسلوب
كما قرناهم وما يشهد لذلك ما حكى عن بعض فضلائهم وهو ابراهيم بن ادهم
رضي الله عنه ان ساءل ساءله اي الايام كان امر عليك فقال يوم نتفت لحيتي
فانظر مع انه كان ملك خراسان والعراق ولم يبر عليه يوم اسر مما ذكر ولا ذاك
الا لكونه حصل له فيه من الميراث الذي قد ما ذكره نصيب لان نتف اللحية مما
ما لا نصبر النفس عليه في الغالب وناخذ بالنار ونطلب النصر بكل ممكن يمكنها
لما يلحقها فلما ان فعل به ذلك ونفقت نفسه حين الفعل راضية مستسلمة سر
بذلك لاجل هذه الصفة التي تحصلت له لا للفعل نفسه هذا حالهم في ترك
الاستنصار للنفس والرضي والتسليم واما حالهم في الطرف الاخير وهو غضبهم
ونصرتهم لامر الله فيشهد لذلك ما حكى عن بعض فضلائهم انه من يهودي من اهل الازمة

وجملة

من المسلمين قد اجتمعوا على طلب فرد يده على ما كان عنده من السلاح وقال
والله لا اترك ذمة محمد كحفر وانا حي فخلصه من ايديهم ومثل هذا
عنهم كثير وقوله عليه السلام يا بني عبد مناف ابي قولك ويا فاطمة بود
عليه سوا الان وهما يتضمنان اسئلة جملة وهو ان يقال لم خص عليه
السلام العباس بتعيينه عن غيره من الرجال ولم خص صفية عن غيرها من
النسوة بالتعيين وكذلك في فاطمة لم عينها عن اخواتها ولم ذكر لفاطمة اسمه
وذكر لصفية الرسالة ولم يذكر فيما قبل اسما ولا رسالة والجواب عن الاول
ان تعيين العباس عن غيره من الرجال فيه من المعنى ما تقدم في تخصيص القرابة
بالانذار فلما ان كان العباس عمه وكان الانذار اليه تخصيصا ليمتاز بذلك
على غيره ومن كان في درجته من القرابة يحصل له الانذار في ضمن الانذار
للعباس وكذلك الجواب عن تعيين صفية عن غيرها من النسوة وكذلك
الجواب عن تعيين فاطمة دون اخواتها والجواب عن الثاني وهو انه
عليه السلام انما لم يذكر او لا اسما ولا رسالة لانه قام في الانذار ابتداء الصيغة
الامر وانما ذكر الرسالة لصفية ازالة لها يقع في بعض الاذهان الفاسدة
من دفع الرسالة او بعضها لما يتوهم من عموم قول لا اغتني عنكم من الله
شيا وانما خص فاطمة بالاسم دون اخواتها لكي تقع الموافقة في الاسم كما هي
في المعنى لانه عليه السلام قال هي بضعة مني وكما ذكر اسمها ذكر اسمه
وقوله عليه السلام لفاطمة سليمان ما شئت من مالي فيه دليل على ان
النيابة والاعطاء فيما عدا الدين سابقه وفي اعمال الدين ممنوعه وبه يستدل
ملك رحمه الله حيث يقول ان اعمال الابدان لا ينوب فيها احد عن احد

لان هذا تخصيص على القيام بالامر والنهي لقوله عليه السلام اشترى
انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا فالشرا هنا عبارة عن القيام بالامر
والنهي وقوله بعد ذلك سليمان ما شئت من مالي دال على ان النيابة في
اعمال الدين لا تجوز ولو جاز ذلك لكان عليه السلام يتحمل عنها وعن غيرها
من اهل بيته ما يخصهم به فاذا هو عليه السلام لم يفت في ذلك عن غيره فمن ياب
اولي الغير ولقابل ان يقول لم خص عليه السلام فاطمة رضي الله عنها بان قال لها
سليتي ما شئت من مالي ولم يقر ذلك لصفية ولا لمن تقدمها بالذكر والجواب
عنه من وجهين الاول انه عليه السلام انما خص فاطمة بذلك من جهة
صغر سنها لان ما قاله فيه للسامع رعب عند الاخبار به ابتداء فزال عليه
السلام عن فاطمة ما يلحقها من ذلك لطعامه بها ورحمة لانه ليس جلد ما جلد
الكبير الثاني وهو الاظهر ان قوله لفاطمة رضي الله عنها سليمان ما شئت
من مالي لا اعني عنك من الله شيئا فيه اشعار للغير والبلغ لم في الاشارة
لانهم يقولون هذه هي فاطمة التي هي منه حيث هي واخبرها بان يفعل لها
ما يطلب منه عدا اعمال الدين لا يقدر لها على رفع شي منه عنها فكيف بذلك
في غيرها فيضمن هذا الكلام تحصيل الابلاغ في الاشارة للغير والله عز وجل اعلم
بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنه
الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز ركوب البدنه للضرورة والكلام عليه من
وجهه الاول ان الامام ينظر في حال رعيته ويدير امرهم لان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يتفقد اصحابه بالنظر لما راى صاحب البدنه فامر بركوبها وقد قال
عليه السلام كلم راجع وكلم رسول عن رعيته وكان هذا المنهاج شان الخلفاء

رضي الله عنهم

رضي الله عنهم بعده يشهد لذلك ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
تقد بعض اصحابه من صلاة الصبح فلما اصبحت من الى امه فسألها عنه وليس هذا
مقتصر على الامام وحده لا غير بل هو عام في كل الناس عن اخرهم وقد بينا
عموم ذلك في الكلام على قوله عليه السلام كلم راجع وكلم رسول عن رعيته
الوجه الثاني ان الضرورة لها حكم يختص بها ويباح لاجلها ما يمنع في غيرها
لان ركوب البدنه ممنوعا شرعا فلما ان ادت الضرورة الى ركوبها لكون
صاحبها لم يكن له مركوب اجاز الشارع عليه السلام ذلك لكن يشترط في
الضرورة ان تكون ضرورة شرعية وان ما يستباح لاجلها قد اغتفره
الشارع عليه السلام في مثلها فان عدم هذا الشرط فلا تجوز الاباحة الثالث
جواز المراجعة لاهل الفضل اذا لم يفهم الخطاب ما قيل له لان صاحب البدنه
لما ان قال له النبي صلى الله عليه وسلم اركبها احتمل عنده هل يكون النبي صلى الله عليه وسلم
علم انها بدنه او لم يعلم وقد تقرر عنده النهي عن الركوب لها فراجع لاجل ذلك
الاحتمال حتى فهم ما اراده النبي صلى الله عليه وسلم لكن تكون المراجعة لهم
بتداب ووقار لان هذا الصحابي رضي الله عنه سأل بتداب واحترام فلم يقل
له انك نهيت عن ركوب البدنه ولكن ناداه باحب اسماء اليه وهو رسول الله
ثم قال له هي بدنه سؤال ارشاد وتعلم وانما زاد على الاثنين او كان
زادها لكونه احتمل عنده هل سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال اوله يسمع فاعاد
الثالث لكي ينزل عنه ما يتخيل من ذلك وانما قال له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
في اخر الكلام لكي يعلم انه سمع ما قال وقد تقرر ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم
على امته دعاهم لادعاهم كما تقدم في الاحاديث قبل الرابع ما الحكمة في تنفيذ

البدنة وأشعارها وذك شهرة لها وقد تقرر من الشرع على ما نقله العلماء ان
 الافضل فيما عدا الفرائض هو الاخفا والجواب من وجوه الاول ان من
 العلماء من يقول ان امور الحج كلها فر من فعلها فالامر على بابيه الثاني ان سنن
 الحج كلها بخلاف غيرها لانها ظاهرة فالحكمة بان جعلت ظاهرة ليكون الامر
 متناسبا الثالث ان بالتقليد وجبت فجعل علما على وجوبها هذه الفائدة
 ويكون ذلك العلم فيه قطعاً للنفس من الطمع في الرجوع فيها فيكون فيه معنى
 من باب الاربعة وقد تكون ولجته بنذر او غيره فيكون ذلك علما لها من اجل
 ما ذكرناه ومن اجل ان لا تختلط مع غيرها قوله ان سعد بن عبادة توفيت
 امه وهو غاب عنها الحديث ظاهراً الحديث يدل على جواز الصدقة عن الميت وان
 ثواب ذلك يصل اليه والكلام عليه من وجوه الاول السؤال للعالم عند الجهل
 وترك الحكم بالرأي لان هذا الصحابي رضي الله عنه لما ان لم يكن له علم هل تنفع
 صدقة تطلق النية التي اراد ام لا لم يقدم عليها براهه وانما سأل النبي صلى الله
 عليه وسلم وحينئذ قدم على الفعل بعد العلم بالحكم الثاني فيه دليل على جواز السنن
 محضرة الابوين لان هذا الصحابي رضي الله عنه سافر وامه بالحياه لكن بشرط
 فيه اذن الابوين وقد تكلم الفقهاء في ذلك وانما سكت عن الاخبار بالاذن في هذا
 الحديث للعلم به الثالث ان بر الوالدين مطلوب بعد ما نهما لان الصدقة
 عنهما من ذلك الباب وقد صرح الشارع عليه السلام بذلك في غير هذا الحديث
 حين سأل بعض الصحابة عن ذلك فقال له ان نفذ وصيتها ونبر صدقتها
 فقد يكون المرء عاقاً في حياة الابوين باراً لهما في الممات وقد يكون بالعكس
 الرابع فيه دليل على ان الافضل المسارعة الى افعال البر اذا علمت حتى يكون

العلم

العلم مستصحباً بالعلم لان هذا الصحابي رضي الله عنه لما ان اخبره النبي صلى الله
 عليه وسلم بجواز الصدقة وعلم ان له فيها الاجر اخبرها من حينه فاشهد النبي
 صلى الله عليه وسلم على صدقته وعلى هذا الاسلوب ابراً كان حال الصحابة رضي الله عنهم
 مما زاد احداهم مسألة في علمه ظهرت في عمله حتى انهم كانوا يعرفون زيادة
 علم الانسان في عمله وكذلك التابعون لهم باحسان الي يوم الدين لان
 العلم مع ترك العمل حجة ووبال على صاحبه الخامس فيه دليل على الاستهاد
 بالصدق لان هذا الصحابي رضي الله عنه اشهد النبي صلى الله عليه وسلم على صدقته
 والحكمة في ذلك اعتراف صدق النية في العمل حين حصول العلم فبيت الامر
 ليؤمن غايلة النفس ومكر العدو وقد جاء في الحديث ان البر لا يتصدق
 بصدقته حتى ينفك بها لحي سبعين شيطاناً السادس فيه دليل على ان
 اظهار الصدقة في مثل هذا الموضع افضل من اخفائها لان هذا الصحابي قد
 اظهر صدقته هنا ولم تخفها والحكمة في ذلك ما ذكرنا في الوجه قبله وهو
 اعتراف صدق النية لانه حصل له صدق النية عند الاخبار فاغتمها لما جا
 اوقع الله اجره على قدر نيته فلما حصل له صدق النية لم يترك الحاصل لممكن
 والحاصل هو صدق النية في هذا الوقت والممكن هو ما في صدقة الاخفا من
 الاجر لانه جافه تخصيص كثير من الشارع عليه السلام وبالغ في التخصيص
 على ذلك حين قال لا تعلم شيئاً له ما يتفق بميمته فدل بهذا ان حسن النية والصدق
 مع الاظهار افضل من ضعف النية فيها مع الاخفا لان هذا الصحابي قد فعل
 ذلك واقتره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله ولم يشر الي غيره السابع فيه
 دليل لاهل الصوفية على قولهم الوقت سيف ومعناه عندهم اقطع الوقت بالعمل

ليلا يقطعك بالتسوية وفعل هذا الصحابي هذا من ذلك الباب وكان
الله عز وجل قد قال سارعوا وسابقوا ولا تكون المسارعة والمسابقة الا
بسرعة العمل ولهذا كان بعضهم مرة في الخلا في يوم شديد البرد وكان عليه
ثوبان وكان بعض الاخوان في الموضع عليه الهار الثياب فحضر له وهو
في الخلا ان يجود على صاحب تلك الثياب الاطهار باحد الثوبين الذين كانا عليه
فجرده من حينه في موضع ذلك وصاح به وارماه اليه فلما خرج سأل الشيخ
كيف تكلمت في بيت الخلا فقال حفت على بنتي ان تحول عند الخروج فشكل
ذلك منه الثامن فيه دليل لملك رجمه الله حيث يقول ان الصدقة تجوز
بغير ان يجدها لان هذا الصحابي تصدق بحايطة لم يجده واجاز النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك ولو كان بيعا لما جاز حتى يجده التاسع فيه دليل لملك
رجمه الله حيث يقول كسب بالقول لان قال اشهد ان حايطة صدقة واقرة
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم يطلب منه زيادة في الوجوب العاشر فيه
دليل على تحمل الحاكم الشهادة في غير موطن الحكم اشهده بها وتحمل اياها
لانه لما ان سال هذا الصحابي النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما اخبر اشهده
على صدقته كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم هو الحاكم باجماع لكن لم يكن هذا الموطن
موطن حكم وانما كان موطن سوال وجواب الحادي عشر فيه دليل على ان
للرجل بعد اشهادها على الصدقة ان يتصرف فيها اعني في نفريها لانه لما
ان اشهد النبي صلى الله عليه وسلم على صدقته لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم
اعط فلان وامنع من فلان قوله قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ليس له خادم الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز اتخاذ الخادم

بان الصدقة

وكذلك

وكذلك في العكس وهو عدم اتخاذ لان النبي صلى الله عليه وسلم سافر
بغير خادم فلما ان اتاه بالخادم منبرعا قبله فعل هذا فالامر سببان
والكلام عليه من وجوه الاول فيه دليل على انه ليس من شرط
الحاكم اتخاذ الخادم ردا على من قال بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
ياجماع انه كان حاكما قبل قدومه الى المدينة وفي حال قدومه ولم يكن له
اذا كان خادما وانما حمل من قال بذلك الفقهي النفساني فلا يعيبا
بقوله لانه ليس الجائز كاللزام الثاني قوله فاخذ ابو طلحة بيدي
فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه دليل على ان الكفيل له الحكم
على من يكفل بما له فيه مصلحة لان اباطلحة لما ان راي البصليحة لانس
في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم على ما فعل ويترتب على هذا من الفقه ان
خدمة اهل الفضل يزيد بها ثرا ولذلك جبر ابو طلحة انسا على خدمة النبي
صلى الله عليه وسلم الثالث فيه دليل على جواز خدمة النعم اذا كان برأي
كفيله لان انسا لم يكن له اب وقد قبله النبي صلى الله عليه وسلم للحكومة فلو كان
غير جائز لم يقبله النبي صلى الله عليه وسلم الرابع فيه دليل على جواز خدمة
الصبي الصغير اذا كان وليه المتبرع بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجتزأ بتبرع الولي في ذلك الخامس قوله ان انسا غلام كيس فلم يخدمك
فيه دليل على ان الكيس مطلوب في الخدم لانه قدم الكيس بعد ذلك قال له يخدمك
فلو لا ان الكيس كان عندهم مطلوبا في الخدم لما قدمه ويتعلق بهذا من الفقه
ان يذكر ما في الشخص من الحامد بقدر ما يبرئ اليه لتقع الرغبة فيه في ذلك
الشان والمعرفة بكانه فيه وكذلك كلما يتقرب به الناس بعضهم لبعض يذكر

من ربه

ما فيه من المحاسن يعرف قدره ويكون اجدر لفصل القبول لان الفضائل
مخفية لا تعلم الا بالوصف او بالادراك عند المخالطة فان كان مدحا لغير
هذه الغايد فهو داخل في عموم قوله عليه السلام قطع ظمير الرجل ويستحب
في ذلك الاجاز والاختصار من غير تطويل ولا اكار لانه قال له ان اشأ
غلام كئيب فاجز في العبارة واجمع السادس حينئذ على جواز هبة
النافع كهيئة الايمان لانه قال له تحمدك والخدمة هبة متفعة لا عين
السابع فيه دليل لما في رحمه الله حيث يحجز الهبة غير محدودة ولا معينة
لانه قال له تحمدك ولم يعين له الخدمة وما زانها الثامن فيه دليل على
جواز استنابة الصبي في الامر اليسير لان نفس الخدمة تقتضي النيابة في
بعض الاشياء وكذلك كان عليه السلام يفعل التاسع فيه دليل على جواز
انعزال الصبي عن وليه بشرط ان يكون في موضع يامن عليه مما يتوقع لان انسا
انعزل عن وليه وبقي في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم سنين العاشر قوله فخدمته
في السفر والحضر فيه دليل على جواز سفر الصبي الصغير بشرط ان يكون فيه
كياسه حتى يكون من حيث يدبر مصالح نفسه الحادي عشر قوله ما قال
لي لشي صنعته الى اخر الحديث فيه دليل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة
مامده الله به من كثره اليقين لان انسا بقي في خدمته عليه السلام عشر
سنين ثم مع طول السنين ومباشرة الخدمة لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم ولا قط لم
فعلت هذا هكذا ولا لم لم تفعل لهما ان كان عليه السلام هو الذي اتى الناس
بالايمان واليقين اعطى منه اجر نصيب وان الناس بعده ورثوا منه بقدر
هممهم ومقاصدهم واليه اشار عليه السلام بقوله لم يفصلكم ابو بكر بصوم ولا

بصلاة

بصلاة في الحسن بن علي وفي صدره والشي الذي وفي صدره هو قوله اليقين
حتى كان يقول كافي انظر الى العرش لما ان كان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في الغار
وخليفته بعد الانتقال اجر له في الميراث اكثر من ابي بعده وكذلك كل من كان
له قدر في الدين انما على وارثه بحسب ما اجر له من الميراث وخص به من
بقي على الحديث سوال وارد وهو ان يقال العمل على هذا الحديث يؤدي الى ترك
تاديب الاولاد لانه اذا كان المرء ينظر الى ما قرر ثم لم يبق فيما يوجب الولد
وذلك يؤدي الى ان يكبر الولد على غير حاله في تصرفه وقد جعل عليه السلام
تاديب الولد افضل من الصدقة والجواب عنه ان الامر كذلك لكن في الحديث
ما ينفصل به عن ذلك السؤال لانه قال فيه غلام كئيب والكيس شرعاً هو الذي
لا يقع منه خلل في الدين فلما ان اخبر الله عز وجل انسا لخدمته بتدبيره عليه
السلام اعطاه من ميراث المهدي نصيباً لقوله عليه السلام ادبني زبي فاحسن
تاديبى اي هداه الى كل شئ من صنية واخلاق سنية فاذا حصل للولد نسبة
من هذا الميراث لا يحتاج الى التاديب فاذا كان بعكس هذا الكيس فالتاديب
اذ ذاك جائز وهو لا يعارض ما نحن بسبيله للمعنى الذي ذكرناه قوله
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل قال الصلاة على ميتاتها
الحديث ظاهر الحديث يدل على فضل هذه الاعمال المذكورة فيه على ما
سواها والكلام عليه من وجوه الاول قوله اي العمل افضل على مراده
بالا فضلية كثره الثواب وتضعيف الاجر وما يقرب الى الله وان كان المعنى
يقربان الى الله عز وجل لكن اذا اجتمع ابي بالذي يقرب الى الله اكثر مثال
ذلك الزكاة وما اشبهها من الفروض فيها تضعيف الاجر وان كانت لا تخلوا

من القرب الى الله وبر الوالدین ليس فيه تضييف الاجر محدود وقد جعل
عز وجل رضاهم مع رضاه وسخطه مع سخطهم فهذا ليس في القرب مع
انه لم يذكر فيه تضييف الاجر يشهد لذلك ما روينا ان احد الصحابة
كان كثير التعبد والمجاهرة فلما حضر منع الشهادة فجاه النبي صلى الله عليه
فاستدعي بابه فاذا هي غضبانة عليه من قبل انه كان يؤثر زوجته عليها
فسالها النبي صلى الله عليه وسلم في الرضى عنه فخرها الله للاجابة ببركة
النبي صلى الله عليه وسلم فدعت لولدها ورضيت عنه فانطلق لسانه بالشهادة
فانظر اجتهاد هذا الصحابي في انواع التعبد لم يتفعد مع الاخلاق بهذا
الجزء البسيط الذي هو ايثار الزوجة على الام بغير حفاء فكيف ينفع
تضييف الاجر لمن ليس فيه من هذا الحال شي فبان بهذا ما قررناه وهو
ان الاعمال على قسمين قسم لتضييف الاجر والقرب الى الله عز وجل وهذا
تقدم مثاله وقسم يتبني به القرب الى الله سبحانه لا غير وهو مثل بر الوالدین
وما اشبهه مع انه يتضمن الاجر لكن ذلك الى الله ليس للبشر فيه مجال
وبان به ان سوال الصحابي كان عن هذا الجنس اعني عما يقرب به الى الله
لما تضمنه جواب النبي صلى الله عليه وسلم ومن يسأل عن الافضل ابدا لا
يترك غيره وانما سواله لكي يهتم بالافضل ويند عليه محاقطة الثاني
قوله عليه السلام الصلاة على ميتاتها الى اخر السوال يرد عليه سوال
وهو ان يقال لم تقدم الصلاة على بر الوالدین ولم تقدم بر الوالدین على الجهاد
والجواب عنه ان الصلاة انما قدمت لاجل انها اشرف الدين وعمدته
وبها قوامه ولا يصح الدين الا بها وميتي وقع بها خلل لم ينفع غيرها من

الاعمال

الاعمال بدليل احاديث كثيرة جات في ذلك فمنها قوله عليه السلام موضع الصلاة
من الدين موضع الابرار من الجسد ومنها قوله عليه السلام اول ما يحاسب
به العبد الصلاة فان قبلت منه نظر في باقي عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في
شي من عمله الى غير ذلك مما جاز في هذا المعنى وامر بر الوالدین فانما يقصد به
السلام على الجهاد لان الله عز وجل قد فرضه واكد فيه ولم يجعل فيه عذرا
وقرن رضاهما برضاه فقال تعالى ان اسكر لي ولوالديك الى الصبر وان جاهداك
على ان تترك لي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا فانظر
مع الكفر لم يرض عن عز وجل في عقوبتها فكيف بهما مومنين وقد قال تعالى ولا
تقل لها ان ولا تنهرها وقل لها قول لا يما وقد قال بعض العلماء في معنى
قوله تعالى وعلى الاعراف رجال امنهم هم الشهداء الذين جاهدوا بغير اذن
ابويهم فاستشهدوا بالشهادة تمنعهم من دخول النار وعقوق الوالدین
يمنعهم من دخول الجنة فيبقوا على الاعراف حتى يرضي الله عز وجل عنهم
والدينم بعد خلعهم الجنة والى والاحاديث في ذلك كثيرة فلما ان كان
فيه هذا التشد يد من الله عز وجل امر عليه السلام به بعد الصلاة وانما
امر عليه السلام بالجهاد بعد بر الوالدین لما ثبت ان الشهداء احياء عند
ربهم يرزقون ولقوله عليه السلام اعمال البر في الجهاد كبرفة في بحر ولان
الاعمال كلها فيها اعطاء بعض وابقا لبعض والجهاد فيه اعطاء
الكل النفس والمال مع ما فيه من اعلامة التوحيد ثم ان الجهاد كان على
الصحابة فرضين يحين فانظر الى هذا النظام العجيب كيف امر اولاهما هو الفرق
بين الاسلام والكفر وهو الصلاة ثم امر ثانيا بما فيه رضى الرحمن وهو بر

والوالدين ثم امر بالثمة بما احتوى على الخير بين العام والخاص وهو
الجهاد فالخير العام الذي فيه هو ظهور الاسلام والخير الخاص هو ما فيه من
بدل جميع المحبوبات في ذات الله فمن نور الله بصيرته ينظر الي هذا الترتيب
الجميل فينتبئه في جميع الاعمال بالنسبة الي حاله فياخذ الافضل فالافضل
يدخل بذلك في عموم قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم
الوسيلة ايمهم اقرب الوجه الثالث قوله عليه السلام الصلاة على ميتاتها
يفيد استغراق الوقت كله من اوله الى اخره متى وقعت الصلاة فيه حصل القصد
لكن قد جات رواية اخري قال فيها الصلاة اول ميتاتها فعلى هذا فالاول عام
في الوقت كله وما وردناه مخصص بما اول الوقت والعام محمل على الخاص
سيما في هذا الموضع للقران التي قارنته وهو ان ابتاع الصلاة اول الوقت
فيه براءة الذمة مما تعرت به وفيه شدة الابتهاك بامر الله والمساغة اليه
وفي هذا من الخير ما لا يخفى وانما استحب بعض العلماء تأخيرها قليلا عن اول
الوقت لعلتين الواحدة في مساجد الجماعات لكي يجتمع الناس للصلاة والثانية
الابراء بها قليلا في زمن الصيف للهنبي الذي جاني ذلك واما اذا عذمت هاتان
العلتان فقد اتفق العلماء فيما اعلم ان اول الوقت افضل عدا ابي حنيفة وليس ما
ذهب اليه في هذه المسألة بالفوي وقد قال ابو بكر رضي الله عنه اول الوقت
رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله واخر الوقت عفو الله ثم قال
رضوان الله احب الي من عفو الله وهذا يؤذن بان ابتاع الصلاة اخر الوقت
فيه شي ما من العفة لان العفو يقتضي ان يكون وقع شي يعني عنه الوجه
الرابع امره عليه السلام بتلك الافعال الثلاثة فيه دليل على ان التبعده انما

يكون

يكون اولاً بالواجبات ويبدا منها ضابطاً هو الاوكد فالاوكد الخامس قوله
ولو استزدته لزا دني فيه دليل على ان الثاوب والاحترام للعلماء وان لا يكثر عليهم
في السؤال لغير ضرورة لان اقتضاه على تلك الثلاثة وقوله بعد ذلك ولو استزدته
لزا دني فيه وجوه منها فترك الاحتياج على العالم وهو من الاحترام والثاوب كما تقدم
ومنها الاخذ من الاعمال بقدر الطاقة لان ثلاثة افعال من افعال البر يحافظ
عليها خير من كثير لا يقام بحقها لان الصحابة كانوا يعلمون بما يعلمون
ومنها ان العلم اعلا الشفقه فيه وانما الخصال في الشفقه تقدم العمل لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا ولا يكون المجاهدة الا بالعمل وقوله
عليه السلام من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم وعلم ما لم يعلم منه يستنبط
من الاحكام من الاحاديث والاي فلما حصلت له ثلاث وجوه على ما ذكرناه
اقتصر على توفية العمل فيما قبله والاهتمام به وخاف من الزيادة لئلا يعجز
عن التوفية او يقع منه نسيان وقد حكي عن بعض الفضلاء من ليس
في زمن الصحابه انه كان يحضر مجالس بعض العلماء فاذا سمع مسألة واحدة خرج
اذنك فسيل لم يفعل ذلك فقال لان اسمع مسألة واحدة اشتغل بها يومى
خير من ان اسمع مساييل فننسيها الثانية الاولى وكذلك الثالثة لما قبلها
فيقع منى التفريط فيما سمعت وعدم التحصيل لما كنت قد وعيت فاذا كان
هذا التحافظ العظيم في غير الصحابة فكيف به في الصحابة من باب اولي فعلي
هذا وهو الحق الواضح اتباع العلم بالعمل افضل من تحصيل العلم وتضييع
العمل ومنها ان رعى العلم يكون بالعمل فترك السؤال مع علمه بالزيادة
ليستفقه فيما نص له عليه وما يتضمن على باقي الاعمال ليحصل له بذلك

افضلية استنباط العلم لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى
 الامر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم والاستفعال باستنباط الاحكام
 وفهم المعاني من اجل الاعمال يشهد لذلك ما روي ان عبد الله بن عمر مكث
 على سورة البقرة ثلاث سنين يتعلمها ولان مراعات العلم على ضربين عمل واستنباط
 فمن عمل عليهما حصلت له الدرجة العليا في العلم والعمل وهذا السيد من فهم
 ما اشترنا اليه من حسن هذا الاسلوب وما تضمنه من الفوائد لما رزقه الله من
 النور فحصل له اذ ذاك ما قصد مع التقصيف في السوال بخلاف القرض لانه
 لا يوجد فيه مع حضور الشارع عليه السلام بالاستنباط ولا بالقياس والاجتهاد
 فلما ان كان سواله على الافضل اقتصر على معرفة بعض دون بعض للمعنى الذي
 اشترنا اليه والله المستعان **قوله** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا هجرة بعد الفتح الحديث ظاهر الحديث يدل على ان الهجرة قد انقطعت بعد
 الفتح لكن له معار من اخر وهو قوله عليه السلام الهجرة باقية الى يوم القيامة
 واجمع بينهما والله اعلم ان يقال الهجرة من مكة الى المدينة والاقامة بها
 مع النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد بين يديه قد انقطعت لا تكون ابدا وانما
 غيرها من انواع الهجرة فذلك باق لم يزل مثل الخروج من دار الكفر الى دار الاسلام
 وكذلك ايضا الخروج من موضع غلب فيه المنكر الى موضع لم يمس فيه ذلك يشهد
 لهذا قوله عليه السلام سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدين دينه
 الا من فر من شاهق الى شاهق والفرار من شاهق الى شاهق من اجل الدين
 هجرة لا شك فيها ثم قال عليه السلام العمل في الهجرة معنى واي
 عمل وهجرة اعظم من الفرار بالدين من شاهق الى شاهق لكن هذه الهجرة

المذكورة

المذكورة انما وقع التشبه بينها وبين الهجرة الاولى في تصغير الثواب
 والاجور واما تلك الهجرة فتمت لاصحابها وهي مثل الصحبة لا تكون لغير
 الصحابة ابدا لقوله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا في سبيل الله والذين
 اؤوا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة وجزاؤهم كبير قال
 والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم نعم قد اجتمعان
 في المعنى وهو ان العدة فيهما معا الفرار بالدين من موضع كثر فيه الخالفه
 الى موضع برحى فيه الخير ثم الكلام على الحديث من وجهين الاول قوله
 عليه السلام ولكن جهاد ونية يريدان الجهاد باق لم يزل ولم يرتفع وانه لا يكون
 جهادا حتى يكون بنية والنية فيه قد اجبر بها عليه السلام في غير هذا الحديث
 حين ساله الاعرابي ما القتال في سبيل الله فقال من قاتل لم يكون كلمة الله في العليا
 فهو في سبيل الله وقدم الكلام عليه بما فيه كفايه وفيه دليل على ان نيات
 الخير على اختلافها ما حرز صاحبها فيها ما بلغه منها علمه وما يبلغه وقد
 قال عليه السلام في غير هذا الحديث نية المرء ابلغ من عمله الثاني قوله
 عليه السلام فاذا استنفرتم فانفروا اي اذا اطلبتم للجهاد فبادروا بالخروج
 ولا تقعدوا ولان الجهاد كان على الصحابة رضي الله عنهم فرض عين فلا يجوز لهم
 الجلوس اذا سمعوا الاستنصار وكذلك من اتى بعدهم اذا كان الجهاد عليهم فرض
 عين وحكمهم حكم الصحابة اذا استنفروا ومن كان عليه فرض كفاية فهو بالخيار
 ان شاخج فله الاجر وان لم يخرج فلا يخرج لكن ذلك بشرط ان يعلم الفرق
 بين فرض الكفاية وفرض العين وهو المذكور في كتاب الفقه فاذا تحقق المرء
 بلسان العلم بان الجهاد في حقه فرض كفاية فحينئذ يكون مخيرا لئلا يكون

تعوده عاصيا لامر النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث إشارة صوفيه وهي
على ثلاثة أوجه الأول في قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح قد اخبر في غير
هذا الحديث بان الجهاد جهادان الأكبر وأصغر فقد قال عليه السلام هبطت
من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس فإذا كان الجهاد على قسمين فكذلك
يلزم من الهجرة ان تكون كبرى وصغرى فالصغرى ما تقدم والكبرى هي هجرة النفس
من مآلوفاتها وشهواتها وأخواتها وأهلها وبنيتها وودها إلى الله في كل أخوالها
وقد نص غز وجل على ذلك في كتابه حيث قال قل ان كانا بآؤكم وبنياؤكم وأخوانكم
إلى قوله فترصبوا فالزهد في هذه الاستيا هو المطلوب وخلو القلب والنفس
منها وحقيقة الزهد هو أعلى من هذا وهو لاهل الخصوص يشهد لذلك ما حكى عن
بعض الفضلاء قال زهدت الله قال زهدت في ثلاثه ايام الأول في الدنيا وما فيها
والثاني في الآخرة وما فيها والثالث فيما سوي الله وهذه هي الهجرة العظيمة
وقفنا الله اليها بمنه ولا يقدر على هذه الهجرة الا اهل الهم السنية والمقاومة
العليه ومن كان ضعيفا لا يقدر على هذه الهجرة فلا يهمل نفسه بالكيفية فان
فان ذلك دال على الخسران ولها خذ نفسه بالرفق والمسايسة في الجهاد والهجرة
لان المرء في نفسه شبيه بذلك لان بدنه كالمدينة والعقل والملك كالمسلمين
والشيطان والهوى والنفس اعرا فمحتاج اولا إلى الهجرة من دار الحرب إلى دار الاسلام
والهجرة هنا عبارة عن خروج عن رأي النفس والهوى والشيطان ورجوعه إلى رأي
العقل والملك حتى يستفتح بلاد العدو والفتح هنا عبارة عن أسر النفس والشيطان
والهوى وان يكون العقل والملكها الامران الناهيان على الجوارح فاذا حصل
للمريد هذا الحال فلا يحتاج بعد ذلك إلى جهاد أي إلى مجاهدة لان المجاهدة لا

تراد

تراد لذاتها وإنما المقصود منها حصول هذه الصفة وقد حصلت كان الجهاد
يراد لذاته وانما يراد لفتح البلاد للإسلام واسر العدو واسلامه وقد روي
ان القلب كالمملكة والعقل والهوى والنفس والشيطان كالمدينين يعتركون فيه
فايم غلب وسكن القلب كان هو الأمر على الجوارح فخلصت النسبة بينه وبين ما
نحو بسبيله من حكم الظاهر من كل الجهان فمن له لب يفهم ما أمرنا اليه ويعمل عليه
محصل ان شاء الله على المراد لكن ذلك بعد الافتقار إلى الله وطلب العون منه في
كل المحطات والأفلا ينفع الحذر والجهاد والهجرة الوجه الثاني قوله عليه
السلام ولكن جهاد وبنه فاذا وقع الفتح للمريد يحتاج عند ذلك إلى الجهاد ونعني
بالجهاد هنا المبادرة إلى افعال البر بكل ممكن ولا يترك بالتسوية بل يلزم
فان بذلك يفوت العتق فاذا ظهر بالفتح والغنمة فيحتاج عند ذلك إلى اخلاص النية
في كل الاعمال ويبتذل بها والحذر من وقوع العمل وبفان الاعمال بحسب ما
احتوت عليها النيات فاذا حصل للمريد هذا الحال فقد حصل له الجهاد والنية
الثالث قوله فاذا استنفرتم فاقروا وهو على وجهين فحكم يختص بالشخص
نفسه وحكم يتعدى لغيره فاما ما يختص بالشخص فهو انه اذا تحصلت له هذه
الحالة السنية اعني الفتح والجهاد وتخلصت له النية على ما قررنا يحتاج عند
ذلك إلى محاسبة نفسه في كل اوقاته ليلا يفتح منه غفلة فيظفر العدو ومن ملك
القلب في شئ من التصرفات ينفع بذلك الخلل بعد وقوع النصر والظفر فاذا حاسب
المرء نفسه اقل شئ يطرأ له من ذلك استيقظ له فرج عنه فان لم يقدر على
تركه فقد ظفر العدو ثانية وظهر وهذا هو موضع الاستنفا ايضا لان الملك
والعقل قد غلب فيدخل ايضا في المجاهدة حتى ينزل ما كان واقع واصلا

ما عدا الشخص بذلك لا يكون الا لمن حصلت له هذه الاحوال التي قد ذكرها
ويمكن فيها فحينئذ يجب عليه ان ينظر في حق الغير فاذا جاءه احد من غلب عقله وملكه
يطلب منه النصر فيجب عليه اذ ذاك نصرته لان هذا هو موضع الاستنفار والنصرة
من عبارة عن الدعاء في ظهر الغيب وبيان كيفية خاطر الملك والعقل الذي قد غلب
عليه وبيان كيفية خاطر النفس والهوى والشيطان وما يتجر من وقوع المفيد
وبما تحصل الغنم والله المستعان عن النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على مائة امرأة اتوسعن وتسعون
كلهن تاتي بغار من مجاهد في سبيل الله الحديث ظاهر الحديث يدل على امور الغيب
لا يجوز القطع عليها في فتح ما يرجي منها الامع الاستئناس والكلام عليه من وجوه
الاول جواز ذكر النساء وذكر الطواف عليهن بين الاصدقاء والاصحاب وكذلك
ذكر ما يعزم عليه من افعال الطاعات بينهم لان في الاخبار طم بذلك تنبيه لهم على
المبادرة لشئ وان كان لم يطلب منهم لكن هذا مما يكون بحسب النيات لان ذكر
سليمان عليه السلام الطواف على نسائه بين اصحابه فيه ذلك المعنى على ما سياتي
بيانه بعد وفيه دليل على جواز ذكر افعال الدنيا اذا اريد بها الآخرة او يكون
سببا لامر اخروي لان سليمان عليه السلام ذكر النكاح وهو دنياوي لما يترتب
عليه كما ذكر وقوله على مائة امرأة اتوسعن وتسعين هذا شك من راوي الحديث
وايها قال عليه السلام الثاني قدرة الله عز وجل ومعزة سليمان عليه السلام
اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امرأة في ليلة واحدة فاظهر الله عز وجل قدرته
بان اعطى سليمان عليه السلام القوة على ذلك فكان فيها معزة واظهار قدرته وابدأ
حكمة ردا على من ربط الاشياء بالهوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد

كذا

كذا الا من كذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في صلبي سليمان عليه السلام ما مائة رجل
وكان له ثلاثمائة زوجة والتم نسيبه فظهر حرق العادة وانها ليست من
اللازم لكن هذا امر قد يسبق به الى بعض الاديان تفضل سليمان عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط غير ما اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة
قطا هو هذا التفضيل وليس كذلك وانما هو بالعكس وان كان الاثنان انبياء عظما
لكن للنبي صلى الله عليه وسلم مرتبة في الافضية لا يساويه فيها غيره ببيان ما
ذكرناه من الافضية هو ان سليمان عليه السلام تبنى ان يكون ملكا فقال هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطى الملك على ما قد علم واعطى هذه القوة في الجماع
لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات لان الملوك ابدا يتخذون من النساء
قدرا ما احل لهم ويتخذون من السرات بقدر ما يستطيعون عليه فاعطى الله عز وجل
سليمان تلك الخصوصية حتى يمتاز بها عنهم وكان نساؤهم من جنس ملكية
الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طلب والنبي صلى الله عليه وسلم لما ان خير هل
يكون نبيا ملكا ابي ذلك ولخيار ان يكون نبيا عبدا فاعطيه من الخصوصية
ذلك القدر لكونه رضي بالفقر والعبودية فاعطى الزايد بخرق العادة في النوع
الذي اختاره وهو الفقر والعبودية وكان عليه السلام يربط على ربطه ثلاثة
اجار من شدة الجوع والمجاعة وهو على حاله في هذا الشأن اعني في الجماع
لم ينقصه شي والناس ابدا اذا اخذهم الجوع والمجاعة لا يستطيعون على
ذلك وقد قال عليه السلام ان الصوم له وجاء لان الصوم لغيره وجاء في
حق نفسه المكرم لا ينقصه شي فهو ابلغ في الكرامة واظهر في المعزة الثالث
طواف سليمان عليه السلام على مائة امرأة في ليلة واحدة يحتمل معنيين احدهما

ان يكون الليل في ذلك الزمان ^{متأخر} في الطول حتى كان يتأخر له فيه من اجل
 طوله ان يجامع ما ينة امرأة مع ظهوره وتحمده ونومه فان حملناه على هذا الوجه
 فيكون قول النبي صلى الله عليه وسلم لان تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان على ظاه
 لفظه ينقص من طول الايام والليالي وليس الحمل على هذا بالقويح بالتوبي
 لانه اذا كان كذلك قلنا ان يكون اليوم ببقية من طول الزمان شي وامسا
 المعنى الثاني وهو الاظهر هو ان يكون الله عز وجل اظهر له في ذلك خرق
 العادة فيجاءع ويتطهر وينيام ويقوم والليل في الطول على ما هو اليوم
 مثل ما اظهر عز وجل لابيه داود عليه السلام في قراءة الزبور وكان يقراه
 بقدر ما تشرح له دابته وهذا قد يوجد اليوم كثير في الاوليا والصالحين
 يفعلون بالليل او بالنهار افعالا لو اجتمع عليها اضعا فهم لما قدر واعلمها
 يشهد لذلك ما حكى من بعض الفضلاء انه كان ياتي اهله بلليل ثم يتطهر ثم
 يقوم يربح القرآن ثم كذلك ثم كذلك الى ان تختم القرآن قبل طلوع الفجر فلو
 اجتمع في هذا الفعل اثنان يقسمانه بينهم واشد والليلهم قل ان يقدر
 عليه مع ان هذا السيد الذي فعل هذا الفعل قد لا تخلوا من النوم اذ هو من
 ضرورة البشر وقد حكى من هذا المعنى كثير عن بعض اهل الصوفية فاذا كان
 هذا موجودا في كرامات الاوليا فكيف به في معجزات الانبيا عليهم السلام
 فاذا حملناه على هذا الوجه فيكون قول النبي صلى الله عليه وسلم لان تقوم الساعة
 حتى يتقارب الزمان محمول على المعنى وليس على ظاهر اللفظ وقد زدنا هذا
 وضوحا في الكلام على ذلك الحديث الرابع قوله كلهن تاتي بفارس مجاهد
 في سبيل الله فيه دليل انوا الخير والتسبب فيه بشرط ان يكون ذلك بصدر
 علي

عن

عنه في جري العادة ذلك الفعل لان سليمان عليه السلام علو وجدان
 الفرسان بالوطي والوطي قد يكون منه حمل وقد لا يكون وان كان فقد
 يكون بالانات دون الرجال وقد يكون بهما معا وعلى ان يكون الحمل كله
 بالرجال قد يكونوا ممن يطبقون الحرب ويحسنون الركوب وقد يكونون
 بغير ذلك الى غير ذلك من الوجوه المحتملات فافراد احد الوجوه عن المحتملات
 كلها وهو ان ياتين الكلاب بالاولاد ذكور كلهم مجاهد في سبيل الله تقوية
 رجائمه عليه السلام وابلاغ في حسن النية لانه قد تقرر ان نية المؤمن
 ابلغ من عمله فهو ينوي ما استطاع ان يعتقد النية عليه فان قدر عليه
 فيها ونعمه وان عجز فقد حصل له اجر النية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
 الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته
 الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته
 الى ما هجر اليه وكذلك فيما غن بسبيله سوا من ان اهله لسهوة كان
 له ذلك ومن اثارهم لا دخال السرور عليهم ولكي يوصل لهم حقا واجبا لهم
 عليه ولكي يولد له مولود في الاسلام فيكثر المسلمين بنكاحه فله بحسب ما
 احتوت عليه نيته ومنه قول عمر رضي الله عنه اني لاطا النساء ومالي
 اليهن شهوة فقبل له ولم يا امير المؤمنين قال رجا ان يخرج الله من
 ظهري ما يكثر به محمد الامم اوانا قال عمر هذا لكي يقتدي به فيه لان
 اعتقاد النية على هذا الحال من افعال البر واطهار افعال البر مع القدرة
 على اخفائها ربا لكن لما ان عارضه مصلحة دينية اعظم له في الاجر
 من الاخفا صرح بذلك ومن هذا الباب كان اخبار سليمان عليه السلام

يوم القيامة

لبيبي لمن حضره ما هو المقصود بالجماع ولاي شي يراد فعل هذا فينبغي
للرء ان يحسن نيته ما استطاع ويبالغ في ذلك جهده ثم بعد ابلاغ الجهر
يستسلم لله حين الفعل فان اراد عز وجل امضا ذلك امدته بالعون حتى
يحصل للرء ما نوي وان اراد غير ذلك فقد حصل له اجر النية والاجل
هذا المعنى اخذ اهل الصوفية في المبالغة في انواع الخير من حيث هو خير
لا يردم عن ذلك شي حتى لقد حكى عن بعض فضلائهم انه كان مريضا فدخل
بعض اخوان فقال لهم انووا بنا حجا انووا بنا رباطا وعدد لهم انواعا
من افعال البر فقالوا له كيف وانت على هذا الحال فقال ان عشتنا وفينا
وان متنا حصل لنا اجر النية والاجل حسن نياتهم وتبعتها على هذا المعنا
كان بعض فضلائهم اذا اتى الجماع الذي هو اعظم ما يكون من الملاذوذات
ياتيه وهو معتبر في الحكمة في ذلك الفعل على ما هو عليه وما يبتغ منه فلو كان
ايتانه للتهمة لما صدر الاعتبار في تلك الحالة فاذا كان هذا حالهم في
النكاح الذي هو اعظم الملاذوذات يرجع لهم بحسن نياتهم مما يتقربون
به فكيف بهم في غيره من التصرفات لكن بقى على هذا الفصل سؤالا
وهو ان يقال قد تقرر ان العاقل افضل من غيره لقوله عليه السلام
طلب العلم في الجهاد كبرية في محرو وقد قرئتم ان سليمان عليه السلام
انما اراد اعظام النية فكان الاولى على تلك القاعده ان ينوي بهم ان يكونوا
علماء والجواب عنه ان العلماء جعلوا للتقريب الاحكام وبيانها والترسان
جعلوا لنصرة الدين وعلواء الكله فطلب سليمان عليه السلام ما هو المثلث
للاصل مع انه لا ينافي ان يكون الفارس عالما الوجه السادس قوله فقال

له صاحبه ان ما الله فلم يقل ان ما الله فيه دليل على الاورشاد لاهل
الفضل بالثادب والاحترام لان سليمان عليه السلام لما ان نسي الاستئنا
فيما اراد فعله لم يامر صاحبه بالاستئنا وانما تكلم بذلك حكايه لكي ينبيه
سليمان عليه السلام للاستئنا فيستفتي لان الامر لم فيه شي مما من قلة الاحترام
وانما سكت سليمان عن الاستئنا لكونه نسي ولم يسمع صاحبه حين استئنا
واما لو سمع او لم يسمع الاستئنا لان الاستئنا من باب نادب العبودية
مع الربوبية والانبياء اعل الناس في ذلك الشأن ولكن لما ان اراد الله عز وجل
غير ما اليه قصد انشاءه ان يعلق ذلك بالمشية السابع فيه دليل على انكار
الفضل على الفاضل وترك الهيبة له مع وجود الحق لان سليمان عليه السلام
افضل اهل زمانه لانه رسول والرسول افضل اهل زمانهم لكن لما ان نسي الاستئنا
لم يكن صاحبه ليستك له على ذلك الثامن قوله عليه السلام والذي نفس محمد
بيده لو قال ان ما الله لما هدوا في سبيل الله عز وجل فرسانا اجمعون
فيه دليل على ان نوح النسخي المقطوع به ان تجع المرء فيه بين الحقيقة وادب
الشرعية فاذا فعل ذلك نوح سعيه لاحالة لانه عليه السلام الصادق بغير
بمين فكيف باليمن ولان سليمان عليه السلام لما ان نسي الاستئنا وهو
الحقيقي وقد حصل ادب الشريعة وهو ما نوي من الخير والتسبب فيه
وهو النكاح مع قوة الرجا في احد المحتملات كما ذكرنا لم يبتغ السعي لاجل بعض
تعلق الامر بالحقيقة فعلى هذا فيحتاج المرء ان يحضر ادب الشريعة في
الحال والماضي والمستقبل مع تحقيق التعلق بالوحدانية والتوكل عليها
والاعتماد على الفضل ولكن ان اراد نوح سعيه وقد نبه عز وجل على هذه الاحكام

الثلاث في كتابه فقال في الماضي وقال عسى ان يهديني زني لا ارب من هذا شيئا
وقال في الحال اياك بعد واياك مستعين وقال في المستقبل ولا تقولن
لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فهذه الاحوال الثلاث من طريق الاستحسان
ومن طريق التصرف في المحسوس على مقتضى الشريعة في الامر الذي يكون
التصرف فيه بصدق وتصديق فمن وفق لذلك فقد كملت له دائرة السعادة
ونجح سعيه في الدنيا والاخرة فيما اراد به متضمن لاي وقسم الشارع
عليه السلام جعلنا الله ممن وفق لذلك بسنة التاسع قوله فلم تخل مني الا
امراة واحدة جات بسنق رجل بالحكمة في ذلك ولم اصنع للحمل من الكلد ولما
كان الواحد كان تكون انثى او يكون رجلا كاملا وقوله صلى الله عليه وسلم لو
قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون والجواب عن الحمل
لم كان كذلك ان قلنا ارادة الالهية لا مجال للعقل فيها فلا جت وان
نظرنا لقوله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون ونظرنا الى كرامات الرسل والانبيا على الله بان لنا من مجموع
ذلك من حكمة الحكيم وجه ما فكر منهم عند الله بربهم مولاهم بالادب
العجيب والبر مع ذلك ضمنه ليكون الاعلى اعلى من لثيم فلول لم يقع الحمل
مرة واحدة من الكلد كان يدخل على سليمان على سليمان عليه السلام من ذلك
تسويبتش من وجهين الاول ان يقول لعل وقع لي عند الاخبار في النية شبيه
ما وهم من ذلك معصومون فيلحقه الخوف خيفة ان يكون قد رفعت عنه
العصمة وهذا تسويبتش كبير او يقول لعل وقع مني في ايقاع النكاح استعمال
حتى لم يات على الوجه الذي قد احكته حكمة الحكيم ان يكون معه الحمل فيكون

الخوف

الخوف هنا لان يكون صفة البشرية غلبت على تصرفه وهذا في حقهم ايضا
ممنوع في الحمل في هذا ولوجات بانثى كان هذا دليل يفرغ يخرج من
ليس في مقامه لانه عند ما عزم عليه وتلك العزيمة طاعة وضد ما دال
على عدم القبول وكونه لم يكن تمام الخلق من اجل ما نقص من الاسباب المبلغت
لما كان اراده وهو قوله ان شاء الله فلما كان الاستئنا وهو زيادة الامر
لم يقع منه شي لم يقع من الزبدة المذكورة التي من اجلها كان النكاح شي جزاء
وما اذا فظهرت الاجابة بقدر الاسباب وظهرت الحكمة حقيقة فائدة الاستئنا
وظهر الادب حقيقة الربوبية ففسي هنا الشيبين هذه الثلاثة الاحكام
كما قال سيدنا صلى الله عليه وسلم انما انسى او انسى لاسن لانهم السادة
الكرام الذي على ايديهم اجري الله خيراتهم للامام واما قوله والذي نفس محمد
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله يمينه عليه السلام تاكيد في
الابلاغ لانه هو الصادق بلا قسم فكيف بالقسم واخباره بانه لو قال ان شاء الله
اثبات تحقيق فائدة حكم الاستئنا في بلوغ امالك من استعمالها فيما يرجوه
من الفائدة فيما يتسبب فيه في المستقبل او الحال وفيه من الفقه ان الاشيا
لا تمتشي الاعلى ما شاتها حكمة الحكم للرفيع والوضيع ومن اراد امر الخلاف
ذلك لم يمتش له ذلك وفي ذلك زيادة للرسل عليهم السلام وتأكيد في حقهم لانهم
الذين ارسلوا بالحكمة وقهر اهل الحقيقة ويترب عليه من الفائدة النظر
في العلم ما يحتاج المرء اليه في عمله قبل الدخول فيه والله الموفق قوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطاعون شهادة لكل مسلم ظاهر
الحديث يدل على ان من مات من المسلمين بعلة الطاعون مات شهيدا

والكلام عليه من وجوه الاول من مات بالطاعون ~~من~~ بالشهادتين الذين
قتلوا في سبيل الله ام لا اما في اشتراك الاسم فنعلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
عد الشهداء سبعة وعد فيهم المطعون واما في تضعف الاجر فهو متوقف
على اخبار الشارع عليه السلام ولم يجز عنه في ذلك حتى اعني في هذا الحديث لان تفضيل
الشهداء بعضهم على بعض قد ورد في الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى ولا
تخسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربكم يرزقون فمن بما
اثام الله من فضله فنص عز وجل ان هذه الرتبة العليا انما تكون للذين قتلوا
في سبيل الله دون غيرهم من الشهداء واما السنة فقوله عليه السلام ارواح الشهداء
في حواصل طير خضر تاكل من ثمار الجنة وتشرب من انهارها حتى يردوها الله
الي اجسادها يوم القيمة وقوله عليه السلام فيهم ايضا انهم ياتون يوم
القيامة وجرحهم يتعبد دماء الذين لوت ديم والريح المسك فبان
بهذا ان القتل في سبيل الله فضل على غيرهم من سائر الشهداء الوجه الثاني
فيه دليل على ان الخير كله لاهل الايمان وان كان ظاهر ما يجري عليهم ضده
لان هذا الطاعون الذي كان بلاء هو بنفسه رحمة للمؤمنين اذ انه سبب لو تم
على الشهادة والشهادة اعلى الراتب على ما تقر في الشريعة ومثل ذلك ايضا
الغرق والهدم والحرق والحلأ والتفاسا وغير ذلك مما اشبه هذا المعنى هو في
ظاهره بلاء وهو نفس الرحمة الثالثة فيه دليل على فضل هذه الامة على غيرها
لان الطاعون كان بلاء لغيرها وجعل شهادته لها فينبغي لمن اصابه شي منه
ان يسر به ويشكر عليه لان الشهادة قد حصلت به وهي اعظم مراتب وتعني
بالشكر هنا ان يشكر على الشهادة التي حصلت له لا على البلاء ولاجل هذا المعنى قال

بعض

بعض الشهداء الصحابة رضي الله عنهم حتى تقدمت مقابلة في الجهاد فزنت
ورب الكعبة لان المنفرد والمقاتل ميتا فسر لكونه مات شهيدا الرابع فيه دليل
على ان الخير انما يكون بحسب قوة الايمان لانه لما كان قبل هذا بلا صار بنفسه
رحمة لهذه الامة لكونها اقوى ايمانا من تقدم يدل على ذلك قوله تعالى يومنون
بالغيب ثم قال ايضا في حقهم كنتم خير امة اخرجت للناس وقال وكذلك
جعلنا حكمة وسطا اي عدلا فلاجل ما خصوا به من قوة الايمان جعلت لهم
هذه المدة الخامسة فيه دليل على تصديق قسم الشارع عليه السلام حيث قال والله
لا يقضى الله للمؤمن قضا الا كان خيرا له لان الطاعون اعظم البلاء وجعل
بنفسه للمؤمن اعلا الدرجات وهي الشهادة وكذلك جعل له البلاكه سببا للرحمة
واعلا لدرجته حتى الشوكه ~~بها~~ يكفر بها من خطاياها السادسة فيه دليل
على ان حقيقة الايمان تتضمن الخوف والرجا لان ما نحن بسبيله دليل واحد
يتضمن الخوف والرجا لانه في ظاهره بلا يقع الخوف عند نزوله لبلاء يكون
حقيقيا ويقع الرجاء في التوعد الجميل الذي نحن بسبيله فيقوي الرجاء
في ذلك فاذا كان هذا في دليل واحد فكيف به في دلائل عدة فالايان حقيقة
متضمنة بوجوب الخوف والرجا ولذلك قال عليه السلام لو وزن رجاء
المؤمن وخوفه لاستويا السابع فيه دليل على ان شأن المؤمن ان يحسن ظنه
بالله مطلقا في دق الامور وجلها ولا يلتفت الى الاعراض ولا ياباه بها لان هذا
محتمل لوجهين اما بلا او رحمة ولا يعلم حقيقة ما هو الا الله عز وجل وكذلك
كل امور لا يعلم حقيقتها الا هو جل وعز وقد نص عز وجل في كتابه براقته
بالمؤمنين ورحمته بهم وان كان قضا يقضه لهم او عليهم خير لهم فقال تعالى

وعسى ان نكرها شيئا وهو خير لكم وعسى ان يجبو شيئا وهو شر لكم والله
يعلم واتم لاتعلمون وقال عز وجل وكان بالمومنين رحيمًا فوجب بالوعد
للجميل حسن الظن ولا يلفظت الى الاعراض وذواتها وانما يلفظت الى الوعد
الجميل ولهذا قال تعالى الابذكر الله تطمئن القلوب فلم يعلق عز وجل الاطمئنان
بسبب من الاسباب لانها مظنة للتغير وعلق الطمانينة به جل وعز الذي
لا يتغير فجعل عز وجل الرجا في موضع حقيقة الرجا الذي لا يحتمل التغير
الثامن فيه دليل على صدق هذا الوجه وهو الخوف للمؤمن في هذه الدار
اذ ان اعلا المراتب وهو الإيمان لا يؤمن معه من بلا هذه الدار وعند
نزول البلا صاحبه محتمل لان يصبر فيحصل له ما وعد او لا يصبر فيخسر الدارين
نعوذ بالله من ذلك وقد وقع مثل هذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة وهو
ما روي ان بعض المسلمين كان يتقاتل العدو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واحسن في القتال فنتجى الصحابة رضى الله عنهم من شدته في القتال ونهضته
فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فاحبرهم انه من اهل النار فتعجبوا من ذلك
فراقبه بعضهم واتبع اثره فراه قد تشغل بالجراح فلم يصبر فقتل نفسه بيده
ولهذا كان عليه السلام يقول لا تمنوا لقاء العدو واسئلو الله العاقبة
فاذا القيتهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف التاسع
فيه دليل لاهل السنة حيث يقولون ان العادة لا تؤثر بنفسها لان هذا
كان بلا لمن تقدم ثم عاد بنفسه وصفته رحمة لهذه الامم العاشر
فيه دليل لاهل السنة حيث يقولون بان قدرة الله تعالى لا تحصر بالعقل لان
هذا كان بلا بنفسه وعاد رحمة بنفسه وحاله واحدة لم تتغير ولهذا قال

بعض

بعض الفضلا في تنزيه القدره هه ابدى وأخفى لطفه في قهره هه
هه اعطاوه في منعه متكثرة هه الحادي عشر فيه دليل على اتقان حكمة الحكيم
لانه لما ان جعل عز وجل هذه الدار للتغير جعل كلما فيها مظنة للتغير مثل
هذا وما اشبهه ولما ان جعل الله عز وجل الاخرة للبقاء جعل كلما فيها باق لا
يتغير من خسر وضده الثاني عشر فيه دليل لاهل التحقيق الذين يرون بدوام
الافتقار ولا يقولون على ما يظنهم لهم من مبادئ الامور لان هذه امره وافق ظاهره
باطنه ومرة خالف ظاهره باطنه وكل الامور مثله في هذا المعنى فلما شاهدوا
من عدم ادراكهم لحقيقة الامور سلموا الله في كل قضايه وافترسوا اليه في كل
حركة وسكون لجهلهم بعاقبة الامور ولعلمه بها وبهم وما يرد عليهم الا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ولهذا كان عليه السلام يعلم الصحابة دعاء
الاستخارة كما يعلم السورة من القران لاجل ان الامور قد تكون بمقتضى ما
يدل عليه ظاهرها وقد تكون بمقتضى ضده كما هي فيما نحن بسبيله الثالث عشر
فيه دليل للخائفين من السابقة لولا ان السابق قد سبق بان هذا يكون علما
على السعادة وعلى ضدها وهو على صورة واحدة لا يتبدل لما كان كذلك
وكذلك كلما في الامور من التغير والتبدل والتحسين والتفجيج كل ذلك بما قد سبق
في الارادة الارلية فوجب الخوف من السابقة لاجل هذا المعنى الرابع عشر
فيه دليل للخائفين من العاقبة الذين لا ينظرون الا اليها ولا يلفظتون للحال
لان هذا سببها بلا وقد تكون عاقبته مثله او ضده وكل الامور مثله فوجب
الخوف من العاقبة لاجل هذا المعنى الخامس عشر فيه دليل للزاهدين اذ
ان الاشياء بذواتها متغير المقصود فيها والزهد مندوب لذاته فاخذ ما هو

مندوب لذاته اولى من اخذ ما يمكن لان يحصل به المراد اولا يحصل واقل ما فيه
من التغيير ان صاحبه يبقى متوقف لا يدري هل يحصل له ما قصد اولا يحصل
السادس عشر فيه دليل لاهل الصوفه الذين لا يلتفتون للاسباب الامن جهة
الاشغال ويتعلقون بحسبها اذ ان الامور تنقضي على صورتها والحقايق فيها
مختلفه كما هو هذا كان بلا شرا عار ورحمة والصفة واحدة لم تتغير السابع عشر
فيه دليل على فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم وبلاغته لان اتي بلفظ واحد
يدل على معان كثيرة متساوية ومتضادة كما تقدم الثامن عشر فيه دليل على
عظيم قدرة الله تعالى اذ التى الواحد منهم منه اشياء مستعدده متساوية ومتضاده
كما تقدم وذلك مختلف في الناس بحسب ما يسر الله تعالى لهم من الفهم فبعضهم
فبعضهم لا يفهم منه الا تلاوة لا غير وبعضهم يفهم منه وجهان من الخوف ليس
الا وبعضهم يفهم منه وجهان من الرجال ليس الا وبعضهم يفهم بعض المعاني المذكورة
على افرادها ليس الا وبعضهم يفهم معينين ليس الا وبعضهم يزيد على ذلك
الي عدد يطول وصفه هنا وكل واحد يقول لا يفهم من هذا غير هذا وبعضهم
يرى ان فهمه فيما فتح به عليه باجتهاده وحسن نظره فيحصل له به اختراع
واستدراج وهذا هالك وبانه استعبد وبعضهم يرى ذلك فتحا عليه ليس الا وهذا
باب من ابواب الخير المحيورة المدوحة وبعضهم يراه فتحا عليه ويرى روية
الفتح منه اخري عليه وقف لتما فقف على باب من الخير عظيم فان استرسل
في تدقيق النظر حتى تجلي التخلي الكلي دون حظ من ابقا البشرية بما يوفى اثر
التكليف ومقتضى الحكمة قد ذكر محرف وان ابقى عليه هناك طرف من البشرية
لتوفيقه حتى التكليف ولا عظام حكمة الحكيم والاخر بها فهذا قد اجمع الكمال

بحمد

بحمد بين تعظيم قدرة القدير ومقتضى حكمة الحكيم فقد سبق هذا في بحر التعم
وخلع عليه خلق التبريد والافصال فسهل من هو يرمح اثار قدرتها غصان قلوبها
عباده فمنهم متواضع بالافتقار ومهتم وافع بالخوف والاعظام ومنهم متقلب
بين هذه الاطوار ولا نهاية في تحديده هذه الاطوار لا دراك قدرة الملك الجبار
وانما هذه اشارة للفظين ليس يدل على عظيم قدرة القدير يشهد لما قرنا به
قوله عليه السلام انما انا قاسم والله يعطي فاللفظ واحد والافهام مختلفة
والخطاب منفرد والاحوال مفترقة يبين هذا ويزيده ايضا قولا
عليه السلام قلب المؤمن اشد تقريبا من القدير اذا اجتمعت غلبا فمرة تحركه رياح
الجوف ومرة تحركه رياح الرجا ومرة تحركه رياح الشوق ومرة تحركه رياح
القلق ومرة تحركه اليها الى غير ذلك من الرياح المؤثرة لكل خير جميل ثم يتداخل
بعضها على بعض وحقيقة الايمان توجب قلب القلب ابتداء من غير ان يفهم
هذه الرياح لاحل ما يتبين له ما هو فيه من عظيم الافتقار اذا نظر بعين
الاعتبار في صنع الحكيم المفضل فكيف به اذا هزته تلك الرياح المؤثرة لما تقدم
من الخير العظيم جعلنا الله من اجزله من ذلك نصيب واسعده به في الدنيا والاخرة
انه وفي كونه عن البراء قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
ينقل التراب وقد وارا التراب بياض بطنه الحديث ظاهر الحديث يدل على الشخص
من العدو والحذر منه واخذ الالهة لقناله والكلام عليه من وجوه الاول
منها فيه دليل على ان الامام ينزل للخدمة مع اصحابه لان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل للخدمة مع اصحابه واعانهم فيما كانوا بسبيله الثاني فيه دليل على تواضع
النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك الفضل

ذات

القطر كان ينقل التراب مع اصحابه كانه واحد منهم القائله قوله وفروا
 التراب بياض بطنه حينه دليل على ان البطن ليس بيورة لانه لو كانت حمويه لما ظهرت
 من النبي صلى الله عليه وسلم للغير الرابع وفيه دليل على التشرع حين الخدمة ستة لانه
 لو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتشرع لذلك لما ظهر بطنه الخامس قوله عليه
 السلام لو ان الله اخذ منا ما اهدينا ولا تصدقنا ولا يطينا فيه دليل على ان الجز في الاما
 جيلنا اذا كان غير مقصود لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا به ولم يقصده وفيه دليل
 على ان افعال الخير تنسب الى الله وان كان العبد هو المتسبب فيها لان التولي
 هو المنعم بها يوخذ ذلك من قوله لو ان الله اخذ منا ما تصدقنا ولا اهلينا السادس
 فيه دليل على الاجتهاد في امثال الحكمة والتوحيد المحض بعد انتقال الهجره الى
 الى الله بعد ابلاغ الجهد في العمل لانه عليه السلام ابلغ في العمل واجتهد فيه فحفر وحمل
 التراب وامر اصحابه بذلك مع انه يعلم انه منصور مويد لكنه امتثل للحكمة وابلغ
 فيها ثم بعد ذلك رد الامر الى الله واقتران ذلك ليس ببداهة وهو التوحيد المحض
 وعلى هذا الاسلوب كانت افعاله عليه السلام ابدا يدخل اولها في الفعل امثالا
 الحكمة ويستعين بالله عليه ثم بعد الفراغ يتبرأ منه ويرد كل ذلك الى الله كمثل
 خروجه عليه السلام الى الحج والغزوة واستنائه عند الخروج وتوبته عند
 الرجوع وقد ابدينا معنى ذلك في غير ما حديث السابع قوله عليه السلام فانزل
 السكينة علينا وثبت الاقدام ان لا يقينا يرد عليه للمواله وهو ان يقال
 السكينة معناها التثبيت عند نزول الامر وثبت الاقدام معناه ذلك فلم يطلبها
 معا وهما بمعنى واحد والجواب ان السكينة ليست كالنثبت في المعنى
 لان السكينة تحتاج عند نزول الحوادث فيتوقف عند نزولها ويدبر في الواقع

وما

مقتضى الحكمة فيه بالعقل ولسان العلم وثبت الاقدام انها تحتاج حين الثقال
 والمفارقة فطلب عليه السلام السكينة فيما دون الحرب للمعنى الذي ذكرنا وطلب
 تثبت الاقدام حين المقاتلة اذ هو المقصود في الحرب الثامن قوله عليه السلام
~~الاولى قد بغوا علينا~~ الاولى بمعنى اوليك لكن بينهما فرق وهو ان اوليك
 تستعمل للبعيد والاول تستعمل للتريب فذكر ما هو مستعمل للتريب لكون ان
 العدو كان قريبا من المدينة العرب الكلي حتى كان حاضرا معهم وبعوا بمعنى طغوا
 اي ايمانهم طغوا حتى مالوا لقنا لنا التاسع قوله عليه السلام اذا ارادوا فتنه
 ابينا يريد ثم مع طغيانهم وكثرتهم وطلبهم للمقاتلة اذا ارادوا الفتنه في الدين
 لم تتركهم وتخذوا في قتالهم وفيه دليل على ان الانسان يسمى حاجته عند
 الدعاء لان عليه السلام ذكر ما اراد وعينه فان قال قائل كيف يحتاج الى النبيين
 والله عز وجل اعلم بقلبك من صاحبه قيل له تسمية الحاجة وتعيينها هي السنه
 ومقتضى الحجده ومنه قوله تعالى ولما يعلم الله الذين اجاهدوا منكم ويعلم
 الصابرين فهو عز وجل العالم بكل الامور على ما هي عليه قبل كونها وعند كونها
 على حد واحد لكن العلم هنا وفي كل موضع اما على نحو وهو العلم الذي يقع
 عليه الجزاء بمقتضى الحكمة في التكليف والنقل والشهادة وفي الحديث اشارة
 معنوية وهو انه اذا كان هذا القدر من التخصن في الجهاد الاضغر على ما سماه
 عليه السلام حيث قال هبطتم من الجهاد الاضغر الى الجهاد الاكبر وهو جهاد
 النفس فمن باب اولي التخصن في الجهاد الاكبر وطريقه كما قال اهل التحقيق
 ان تجعل بينك وبين الشهوات خندقا وصورا فان ترك الشهوات قرع الباب
 وخلع العذار في التنافس في التريب ونصح الحال بحقيقة الاقتدار وترك

المحفوظ فان ترك المحفوظ رفع الجحود واشتعال القلب بالتعلق بالوحداية
 حتى يعطى ثواب القرب بطن الافتخار ويعلق لسان حال السر بالنطق
 بالاخلاص فيتسابقا في ثأب احوالهما كل منهما بما يقتضيه موضوعه فهذا
 قد دخل العذار حتى ابدى ما كان احقا وهذا ابدى الجهور وهذا حتى وار
 التراب ما كان الثوب قد وارا فهناك ككل الحال وعز المقال وهو فضل
 الله بوتي من يشاعن النبي سعيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
 يقول من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا ظاهرا الحديث
 يدل على ان هذا الثواب المذكور فيه الصائم في جهاد العدو وان كان يحتمل
 اوجه كثيرة لكن هذا هو ظاهره بالنص والضمن لكن له معارض وهو
 قوله عليه السلام فاز المفطرون بالاجر قال ذلك في عزوة كان بعض الصحابة
 فيها صائم وبعضهم مفطر فانتهى يوما فلم يقدر الصائم على التصرف
 حين الوصول واتوا المفطرون عند النزول يصفون الخمار واستقوا
 الماء وقاموا بصرورات اخوانهم فقال عليه السلام عند ذلك فار المفطرون
 بالاجر والجمع بينهما هو ان من كان فيه اهلية للصوم وتوفيقه ضروراته مع
 القدرة على ديب العدو وقناله دون نصب بلغة حتى ينقصه عن هذا الحال
 فهو القابز بالاجر على مقتضى الحديث ومن لم يطق فليأخذ بالحديث الثاني
 فهو افضل له اعني الفطر وقد يحتمل ان يكون الحديث على العموم فيكون في
 سبيل البر كلها كما ذهب اليه بعض الصحابة رضي الله عنهم حين لقي أحد
 الصحابة وهو عامدا الى المسجد للصلاة وقد اعترت قدماه بغبار الطريق
 فقال له شهدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اعبرت قدم رجل في

سبيل الله

في سبيل الله الاحرمت عليه النار فقال له صاحبه ذلك خاص بالقتال في سبيل
 الله فقال لا بل في كل افعال البر والكلام على الحديث من وجهين الاول قوله
 عليه السلام بعد الله وجهه من النار الوجه هنا عبارة عن الذات اي بعد الله
 ذاته عن النار لان العرب تقول وجه الطريق وهي تريد عينه وذاته ولا يسوغ
 فيه غير ذلك لانه لو كان الوجه هنا على ظاهره لم تحصل الراحة بذلك اذا كان
 البدن في النار والوجه مصروف عنها ومحال ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 بعدم حصول الراحة على فعل من افعال القرب الوجه الثاني قوله سبعين خريفا
 يحتمل ثلاثة اوجه الاول ان يجعل على ظاهره وليس بالقوي اذ انه لو كان
 فاعل ذلك يبقى سبعين خريفا ثم يعود الى النار لم تحصل بذلك راحة لان الله عز
 وجل يقول افرأيت ان منغمام سنين ثم جاهم ما كانوا يوعدون ما انفي عنهم
 ما كانوا يمتعون وكذلك هذا المذكور ان لو كان ممن بقي سبعين سنة ثم يعود
 الى النار فكانه لم يبر خيرا ولا نعيما قط الوجه الثاني هو انه قد يكون
 اكنى عن كثرة الاجر بالبعد من النار توسعة يشهد لفظ قوله عليه السلام
 انقوا النار ولو بشق تمره فاذا كان شق تمره يقى من النار فكيف بهذه المجاهدة
 العظيمة فالخاصل من هذا انه اخبر بعظيم اجره بكفاية بعد النار عنه
 الوجه الثالث وهو الاظهر والله اعلم انه اكنى بالسبعين عن ان فاعل ذلك
 لا يدخل النار ابدا لان العادة عند العرب انما تطلق السبعين لكثرة العدد
 الذي لا يتناهي ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
 لهم فقال عليه السلام لا يزيدن علي السبعين ان لم انه فاخذ بظاهر اللفظ شفقه
 منه ورحمة ولم ينظر الى عادة العرب في ذلك فانزل الله عز وجل ولا تنصل على احد

منهم مات ابداً فعلم بالبيان اخراً ان هذا كان المقصود اولاً عن زيد بن خالد
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غارياً في سبيل الله جل وعز
 فقد غزا ومن خلف غارياً في سبيل الله محير فقد غزا ظاهر الحديث
 يدل على ان من جهز غارياً في سبيل الله او خلفه محير فله من الثواب والاجر
 مثل الغاربي والكلام عليه من وجوه الاول هل هذا الثواب مقصور على من
 جهز غارياً لم يستطع الجهاد وعجز عنه او هو عام في المستطيع وغيره كمثل
 الوجهين معاً لكن الاظهر انه على العموم وهو مثل قولنا عليه السلام من فطر ملياً
 فله اجر صائم وهو عام في القادر على الفطر وغيره ولانه قد يكون ممن يقدر على
 الجهاد لكن بمنع الشئ على ماله فاذا وجد من يجهزه خرج وكذلك ايضا الكلام
 على من خلفه بخير ومعناه انه خلفه في توفيقه ما يلزمه من الوصايف مثل النفقة
 على عياله وما اشبهها مادام الغاربي في الجهاد الثاني هل من اعان غارياً له
 مثل من جهزه ام لا ظاهر اللفظ يفيد ان لا الا ان يكون هو المتحمل لجهازه
 كله فان فعل بعضاً وتوكل بعضاً كان له الاجر على المعروف الذي فعل ولم يكن
 له هذا الثواب المذكور وكذلك ايضا الكلام على من خلفه بخير وهو ايضا مثل
 افطار الصائم في المعنى لانه معلوم ان افطار الصائم لا يراد به الا ازاله حاجته
 الى الطعام والشراب ليذهب ما به من غنا وظمناً فلا ذهاب الظما والعنا كان له
 مثل اجر من تخله واذا افطره بشئ مما مثل التمره وغيرها فليس المراد ذلك وانما
 المراد ما ذكرناه نعم لا يخلوا من الاجر في تفرقة لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً
 يره ولذلك فيما نحن بسبيله سوا لا يخلوا المعنى للغاربي من الاجر على معرفة
 واما ان يكون له اجر غارياً فاللفظ لا يعطيه الثالث هل من جهز غارياً على

المحار

الكامل وخلفه بخير في اهله هل له اجر غارياً او غارياً واحداً ظاهر اللفظ
 يفيد ان له اجر غارياً لان عليه السلام جعل كل فعل مستقل بنفسه غير مرتبط
 بغيره فقال من جهز غارياً في سبيل الله فقد غزا فقد حصل اجر الغاربي لصاحب
 هذا الفعل بشرط ان يكون بعد ذلك ومن خلف غارياً في سبيل الله بخير فقد غزا فحصل
 للاخر ايضا مثل ما حصل الاول وهذا فضل من الله ورحمة الرابع هل جميع افعال
 الطاعات من اعان عليها كان له مثلها او ليس فان قلنا بان الحديث تنبيهه بالا على
 على الا ان يقوله عليه السلام اعمال البر في الجهاد كبرفة في بحر فهو كذلك وان
 قلنا بان هذا خاص بالجهاد فالترغيب فيه لما فيه من الثعب والمثقة فقد يرجي
 لذلك من طريق اخر لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه السلام
 الدال على الخير كفاعله فاذا كان الدال عليه مثله فكيف المعين عليه حسناً
 والاي والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فقد كثرت الدلائل فهل من عامل اعاننا
 الله على ذلك وجعلنا من اهله بمنه قوله قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من احتسب فرساً في سبيل الله الحديث ظاهر الحديث يدل على ان من احتسب فرساً
 في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقاً بوعده فكل اكل الفرس وتصرفه حسناً
 واجوراً في ميزان صاحبه يوم القيامة والكلام عليه من وجوه الاول
 قوله عليه السلام من احتسب فرساً في سبيل الله يريد من حبسه بنية جهاد العدو
 ولا يريد غير ذلك وفيه دليل على تأكيد النبي في احتسابه لذلك لانه اتى فيه
 بلفظ احتسب التي هي من ابنية المبالغة كافتعل ولم يقل حبس اشارة منه عليه
 السلام الى تأكيد ابنية في هذا الفعل وازالة الشوايب عنها والمعنى في ذلك
 ان الفرس من جملة الزينة والترفة وما جعلت النفس على محبة ركوبه والتصرف

٤٤

عليه وما ينفخر الناس به ويتباهون وفيه اشياء عديدة في هذا المعنى فلما ان
كان في حبسه هذه الوجوه والغالب هي اشار عليه السلام الى اخلاص النية اذا
قصد به الوجه الذي اراد عليه السلام حذرا لئلا يظن المرء ان فعله ذلك لله وليس
له ذلك لما يطرأ عليه من الشوايب في نيته الثاني قوله عليه السلام ايماننا بالله
وتصديقا بوعده الايمان هو الايمان بالله والتحقق بوجوده ونيوي بفعله ذلك
ذلك لله لا لغيره والتصديق هو ان تصدق فاعل ذلك ما سمع عن الله من احسانه
وإنجاز وعده الجميل على ذلك الفعل لا يتحقق فيه ان حصل منه الفعل على مراد الشارع
عليه السلام الثالث قوله عليه السلام فان شبعه ورية ورونه وبوله في
ميزانه يوم القيامة يريد ان كل ذلك يكون له يوم القيامة حسنات في ميزانه زيادة
على العمل وهو حسن الفرس وقد جاء في حديث غير هذا على ما ياتي بعد ولو انما
اسيت مرفا وشرفين كان ذلك في ميزانه يوم القيامة والمعنى في ذلك ان
هذا الذي احتبس فرسا في سبيل الله قد حصل له الاجر على فعله وبقي اطعامه
والنظر في مصالحه فعل زائد على الاحتباس فكان له ذلك الاجر المذكور لاجل
هذه الطاعة الثانية التي فعل لقوله تعالى جزاء وفاقا لفضلنا من غير وجل
على عباده ونعطف الرابع فيه دليل لاهل السنة في تحقيق الميزان يوم القيامة
وقوم وجود هناك محسوس على صورة الميزان المفهومة هنا لان النبي صلى الله
عليه وسلم اخبر ان كل ما ذكر عن الفرس يكون في ميزان صاحبه يوم القيامة
ولا يقع الخطاب الاعلى ما يعرف هنا ويعهد مثله هناك الخامس فيه دليل لاهل
السنة في قولهم بوجود يوم القيامة جواهر محسوسات توزن وترجح كانت
الحسنات هناك محسوسة او معنوية لان ما ذكر عليه السلام حسنات وقد اخرج

بان الحسنات

انها توزن

انها توزن يوم القيامة لكن ثقل الحسنات هناك وزجها انما يكون
بحسب النية فيها وعلى قدر حسن النية في العمل يكون ثقل الحسنات التي
يثاب عليها وبالنظر الى هذا المعنى ترجع جميع الحسنات هناك معنوية لانه
لا يكون قبول الحسنة الا بتقدم النية والنية من جملة المعاني وقد زاد الشارع
عليه السلام لهذا بيانا في حديث اخر حيث قال اوقع الله اجره على قدر
نيته فكان ثقل الحسنة بحسب قوة المعنى السادس فيه دليل على ان هذه
الحسنات المذكورة في الحديث تبقى ولا يدخلها ما يدخل لغيرها من باقي الحسنات
لانه عليه السلام في هذه الحسنات انها تكون في ميزان صاحبها يوم القيامة
ولا يكون في الميزان الا ما قد قبل والذي يدخل لغيرها هو ما روي ان بعض الحسنات
تترد ولا تقبل وبعضها ياخذها المظلومون فيما بقي لهم من التبعات وبعضها
تقدم لصاحبها في هذه الدار ومنه قوله تعالى رضا اثنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة قال المفسرون معناه ان تقدم له بعض حسنة في هذه الدار
فكان قوله عليه السلام في ميزانه تخفيض على كسب هذه الحسنات التي ذكر
وانها مجردا صاحبها اخرج ما يكون اليها في ذلك الموضع لانه اخرج ما يكون
العبد هناك السابع هل الحديث مقصور على الفرس لا غير او هو عام في كل ما
يشبهه من افعال البر الكلام عليه كاللحاح على تعدي الحديث الذي قبله لغيره
او قصره على ما جاء بالنص في الثامن فيه دليل على ان الاعمال تنقسم قسمين
دنياوي واخر اوي والنية هي الفارقة بينهما وقد يرجع ما هو للآخرة للدنيا
وقد يرجع ما هو للدنيا للآخرة بحسب النيات في ذلك لان الفرس هو ما يتخذ
لما ذكرناه من الوجوه التي هي للدنيا وزينتها وقد قال تعالى تركبونها وزينة

فكون

مقتطف من مقدمات

فاذا اصرقت النية فيه الى الجهاد رجع للاخرة صرف وكان فيه من ذكره
تؤكد تلك النسبة في سائر الاعمال ومثال ذلك في الطرف الاخر طلب العلم
الذي هو للاخرة فاذا قصد به صاحبه النباهي والشهرة يقال له يوم القيمة
انما فعلت ذلك ليقال فقد قيل فهو اول من تسع به النار يوم القيامة على ما جا
في الصحيح والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من كانت هجرته الى الله ورسوله
فحجرتة الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها
فحجرتة الى ما هاجر اليه فكذلك في جميع الاعمال دقت او حلت ولهم هذا
المعنى فضل اهل الصوفة ~~على غيرهم~~ لانهم جعلوا كل تصرفاتهم لله وبالله حتى
لم يتركوا لانفسهم فعلا مباحا الا انهم يترددون بين واجب ومندوب
واكد الواجب بحسن النية فيه بالايمان والاحتساب واخرجوا المباح
الى المندوب لانهم اتخذوه عوناً على الطاعة واحضروا النية في ذلك مع تكرار
الاعمال والانفاس فصفا حتى شتموا بالصغرة وهو فضل الله بوثيقه من بيتنا
قوله كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير
الحديث ظاهر الحديث يدل على ان المؤمنين المحققين لا يعذبون والاعلام
عليه من وجوه الاول فيه دليل على نواضع النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه
اذ انه في الفضل حيث هو وكان يركب مع غيره هو وغيره على دابة واحدة
الثاني فيه دليل على جوار ركوب اثنين على دابة اذا كانت مطيقة لذلك الثالث
فيه دليل على ان صاحب الدابة اولى بمقدمها لان هذه الدابة كانت للنبي صلى الله عليه
وكان في مقدمها الرابع فيه دليل على جواز تسمية البرهايم لان هذه الدابة سميت
بالعفير وكذلك سميت ايضا الناق بالعضب الخامس قوله عليه السلام يا معاذ

ط 2

في

فيه دليل ان ترك الكفاية في الاسماء افضل وسياتي لهذا زيادة بيان في حديث
الاسرا ان شأ الله وقد تجاوز الكفاية باضافة الرجل لوالده وما اشبه ذلك
لان العرب كانت تكنى بذلك ولم يبنها من النبي صلى الله عليه وسلم وقد كنى عليه
السلام لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه بابي تراب وانما الكفاية التي لا تجوز
هي ما احدثت اليوم من التسمية بالدين فذلك لا يسوغ لانه قد يكون كدنا والكاتب
متعدا عليه من الوعيد ما قد علم من قواعد الشرع وما جا فيه بالنص وان كان
ما قيل فيه حقا فاقبل ما يكون مكروها لمخالفته السنة في ذلك بدل على ذلك ما رواه
مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج جويرة فوجد اسمها برة
فكره ذلك الاسم وقال لا تزكوا انفسكم ثم رد اسمها جويرة ولو كانت الكفاية
بذلك سافه لكان السلف رضي الله عنهم احق من ان يتسمون بذلك اذا فهم
شعور الهدى ونور الظلم وبهم اقام الله دينه القويم السابع فيه دليل على
جواز الكلام على الدابة لان النبي صلى الله عليه وسلم كلم لمعاذ وهو على الدابة الثامن
فيه دليل على جواز كلام الرجل مع اخيه وهو مبدعه بوجهه اذا كان ذلك لغزوة
لان النبي صلى الله عليه وسلم كلم معاذا وهو غير مقابل له بوجهه لغزوة الركوب
الذي كانا على الدابة معا التاسع فيه دليل على الاستفهام للمتعلم وان كان
يعلم انه لا يعلم في ذلك شيئا لان النبي صلى الله عليه وسلم استفهم معاذا فيما اراد ان
يلقى اليه وحينئذ التي اليه والمعنى في ذلك ان المتعلم اذا استفهم ولم يكن له
علم بما يلقي اليه يصغي اذ اداك لما يقال وياخذه باهبة فيكون اسرع في التعلم والنشاط
للذهن العاشر قوله الله ورسوله اعلم يرد عليه سوال وهو ان يقال لم قال
الله ورسوله اعلم والحواب من وجوه الاول ان يكون على طريق الادب

كما قال للصحابه رضي الله عنهم اي بليد هذا الثاني لعل ان يكون في الامر
 زياده الثالث الترتيب بسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ويترتب عليه من
 التقه ان السؤال اذا كان محتملا لما يعلم الشخص فان كان المسائل له ارفع
 منه في العلم والحال رد بدل الجواب سواء لا يحصل له بذلك اما زياده حكم او
 بركة او مجموعها وان كان دونه يفصح له لانه طلب بدل على تعليم فيعلمه ولا
 يحل له التماهل لانه يكون يدخل تحت من سئل عن علم فكتمه الحادي عشر
 قوله عليه السلام هل تدري ما حق الله على عباده وما حق للعباد على الله
 حق الله على عباده وحق العباد على الله صفتان متغايرتان فحق الله على عباده
 حق واجب حتم لا انفكاك للعباد عنه وحق العباد على الله حق تفصيل وامتنان
 لاحق وجوب محتمل لان ذلك في حقه جل جلاله مستحيل وفيه دليل على ان
 الحق يطلق على ما كان من طريق الوجوب وعلى ما كان من طريق التفضل
 اذا علم المخاطب ذلك ولا يجوز ان يطلق ذلك لمن لا يعلمه لان النبي صلى الله عليه وسلم
 اخبر بذلك لمعاد رضي الله عنه لكونه كان عالما بسياق الحديث وما المراد
 به لما تقرر عنده قبل من العلم الذي كان لديه فاجل له في الاخبار ومنع
 عليه السلام الاخبار به للغير الثاني عشر فيه دليل على ان الجهل بالحق لا ينفذ
 اذا عمل موجه لان المومن قد حصل له الحق يتضمن ما اخبر بالعمل ومنع عليه
 السلام اخبارهم بالحق الذي لهم الثالث عشر فيه دليل لاهل السنه حيث
 يقولون بوجوب الايمان قبل النظر والاستدلال وان النظر والاستدلال
 شرط كمال لا شرط صحة لانه قد صح لعامة المومنين هذا الحق المذكور في الحديث
 بمجرد الايمان ومعلوم ان عامة المومنين لم يكن ايمانهم بالنظر والاستدلال

وانما كان

وانما كان بالتسليم والاستسلام كما قال عمر رضي الله عنه ديننا وزاد من العجايز
 اي في العجز والاستسلام فاذا حصل لهم الايمان فقد حصل لهم ما وعدوا عليه
 والعام بعد ذلك بالدليل على المصود او بالعلم بالوعود على العمل لا ينقص مما قد
 حصل من احد الطرفين شيئا ايمان وعمل الرابع عشر فيه دليل على ان زياده
 العلم بعد القدر الذي يحتاج اليه العمل محتملة للزيادة والنقص فاذا كان
 المحبر به فيه اهلية كائنت الزيادة في العلم له خيرا وان كان ليس فيه اهلية كانت
 الزيادة نقصا بوجه ذلك من انه عليه السلام اخبر بما ذكر لمعاد ومنعه من
 ان يخبر الغير به لان معاذ صفته على ما تقدم الخامس عشر فيه دليل لاهل
 الصوفه حيث يأخذون بالاجتهاد في الاعمال بالصدق والتصدق بمواقفه
 منهم لما امروا وادعانا لما عنه نهوا ولم ينفقوا ما لهم في ذلك لان الاعمال
 بعد حصول الايمان طريق النجاة على ما تقرر والزيادة على ما تقرر ذلك
 كما تقدم محتمل للزيادة والنقص فتكرروا الاشتغال بما هو محتمل للزيادة والنقص
 واخذوا في الطريق المذكور الذي ليس فيه احتمال قلما ان عملوا على ذلك وجدوا
 في طلبه فمن كان منهم فيه اهلية للزيادة يسر له اسباب الزيادة وفتح عليه
 في ذلك بايسر لم يوفى اقل زمان ومن كان منهم ليس فيه اهلية الى الزيادة بقي على
 حاله ذلك حتى توفي عليه ولم يلحقه نقص عما اخذ بسبيله لان من العلم ما يكون
 سببا للجهل وقد صرح عليه السلام بذلك فقال ان من العلم لجهلا السادس عشر
 قوله قلت الله ورسوله اعلم فيه دليل على رد الامر الى الله فيما لا يعلم والاعتراف
 بالنقص بين يدي الله ورسوله وكذلك بين يدي من اهل الله للخير وخصه بالعلم
 الشرعي السابع عشر قوله عليه السلام فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا

به شيئا فيه وجوه الاول فيه دليل على التظيم قبل السؤال لانه عليه السلام
علم المعاذ ولم يقع من معاذ سوال الثاني فيه دليل على جواز البحث في العلم في الطرق
على الدواب هذا بشرط ان تكون الطريق ليس فيها اللغز الكثير لانه قل ان الثاني
التعلم مع كثرة اللغز لان ما خبر به عليه السلام في الطرق على الدابة من
ذلك الباب الثالث فيه دليل على ان حق الله على عباده ما شرنا اليه والحادثة
المقدمة وهو الجمع بين امثال الحكمة وتحقيق التوحيد لانه عليه السلام شرط
ذلك هنا بقوله حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فانما يقول
ان يعبدوه الى امثال الحكمة في الامر والنهي وانشاء بقوله ولا يشركوا به شيئا
الى حقيقة التوحيد الرابع فيه دليل على ان من حصل له الجمع بين تينك الحالتين
لا يعذب لانه عليه السلام قال حق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا
ومن لا يشرك به شيئا هو الذي اتى بتينك الحالتين المطلوبتين قبل ومن
اقتص على احدهما وترك الاخرى لم يتم له قدم بعد في الايمان ولم يات بها هو
المطلوب منه على الكمال وقد صرح المشايخ عليه السلام بهذا المعنى حيث قال
الايمان ايمانان ايمان لا يدخل صاحبه النار وايمان لا يدخل صاحبه في النار
فالايمان الذي لا يدخل صاحبه النار هو ما صرح به هنا وهو من اتى به على
الكمال فوفى ما به امر واجتهد فيه امتثالا وحققا بالوحدانية وبالبلغ جهده
فيها والايمان الذي لا يدخل صاحبه في النار هو الناقص عن الكمال
الاخذ بطرفي والثارك لآخر او الظاهر لبعضهما على الحكمة والعامل ببعضهما
الخامس قوله عليه السلام لا يشركهم فيشكلوا انما نهاها عليه السلام عن الاخبار

للحكمة صح

لاجل

لاجل ان التوكل على ضربين شرعي ولغوي ومن لم يكن له علم انما التوكل
عنده اللغوي وهو المعبر عنه عند اهل الشرع بالطبع والتوكل الشرعي
هو التوكل على الله وتفويض الامر اليه بعد بذل الجهد في امثال امره ونهيه
وهي الحكمة واللغوي هو الاتكال دون عمل والى هذا التوكل اشار عليه السلام
فان لانه نهي ان يلبسوا بها اخبر به خيفة التوكل دون عمل ومعلوم
ان التوكل على الوجه المتقدم ذكره الذي معه العمل خير عظيم لهم ومرتبته
عليا في جهنم فلو كان يحدث لهم بدلك الاخبار هذا التوكل لكان الاخبار لهم
بدلك من احد الامور اذ انه زيادة لهم في الهدى والترقي ولكن لما ان كانت
خشية عليه السلام من التوكل الاخرية ذلك لئلا يحصل الطمع به لمن لم يكمل
الايمان بشروطه فيظن انه من الناجين وليس كذلك فيكون سببا الى الاعتزاز
وترك العمل وهو نفس الهلاك اعادنا الله من ذلك بمنه وانما حدث الصحابي به
بعد ذلك لذهاب هذا التوكل اللغوي الذي ذكرناه لانه لما ان تفقدت قواعد
الشرعية على الكمال علم عند ذلك ما المراد بهذا التوكل بتلك القواعد فلا يحصل
له اعتزاز لا جليما يعارضه من الاي والاحاديث وما يبين معناه وما المراد به
وبالله التوفيق قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل
لثلاثة الحديث ظاهر الحديث يدل على اتحاد هذا العمل في الظاهر واختلافه
بالنية على تلك الوجوه الثلاثة والكلام عليه من وجوه الاول قوله عليه السلام
الخيل ثلاثة لرجل اجر ورجل ستر ورجل زبر فبه دليل على جواز التفسير
قبل التفسير والبيان لانه عليه السلام قسم الخيل على ثلاثة اجزا ثم بعد ذلك فسر ما
قسم الثاني قوله عليه السلام فاما الذي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله هذا الوجه

هو على ما تحبس الخيل اليه وهو المندوب الثالث قوله عليه السلام فاطال في مرج
 اوروضة بديه انه اطال في التي الذي ربطها فيه حتى تشرح في المرج وتجر سبيلا في الاتع
 للرجي بخلاف ان لو كان الربط قصيرا لم تكن لتشرح في الرعي الرابع فيما اصاب
 في طلبها ذلك من المرج اوروضة كانت له حسنات يريد بذلك ما اكلت وما شربت
 وما شربت وما شئت كان ذلك كماله حسنات له يوم القيامة تجده موفورا الخامس
 قوله عليه السلام ولو انها قطعت طيلها فاسننت شرفا او شرفين كانت ارواها وانها
 حسنات له معناه انها ان قطعت الشئ الذي ربطت به وتعدت الموضع الذي تركها صاحبها
 ترحي فيه ومضت الي غيره كلما فعلت من هذا حتى الروث تروثه كان ذلك له حسنات السادس
 قوله عليه السلام ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يستقيها كان ذلك حسنات له
 فيه دليل ان من اوقف شيئا لله فكما احتوي عليه من المنافع فله اجر قصده او لم يقصد
 علم به او لم يعلم كان له راضيا او كاره لان عليه السلام اخبر ان صاحب الفرس لو لم يرد
 ان يستقيها فشربت كان ذلك له حسنات ولا اذا اكل الاصل المتقدم ذكره وهو كونه
 ربطها في سبيل الله فكذلك كلما كان اصله لله كل ما يحتوي عليه من المنافع علم به او لم
 يعلم كان ذلك حسنات لصاحب الاصل فيه ومثل ذلك الفرس اذا كان النبيه فيه لله
 وعلا على الحديث الذي ورد في فضله فكما اصاب من ذلك الفرس شيئا من ادبي او طير
 او وحش كان كل ذلك حسنات لصاحب الفرس علم به او لم يعلم كان كالمذكور ذلك او
 يرضاه اذا ان الاصل او كان له ثم بهذه النسبة سائر افعال البر السابع قوله
 عليه السلام ورجل ربطها تعنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها هذا الوجه مندوب
 اليه ايضا لكن الوجه المتقدم اعلمه في الذب لكن لا يكون ندبا الا اذا جمع تلك الخصال
 الثلاث المذكورة في الحديث وهو التقني والتعفف ولم ينس حق الله في رقابها

ومعنى

ومعنى التقني انه فتح بكسبها عن غيرها من الاموال راضيا بذلك موثرا لها
 على غيرها وهو من قولهم استغنيت بكذا عن كذا اي اثرته على غيره ورضيت به
 ومعنى التعفف اي استعفف بالكسب عليها عن المسئلة وعن ضرر الناس ومعنى
 لم ينس حق الله في رقابها اي في ذواتها كما يقال رقبت العبد اي ذاته والحق
 لها في رقابها قد اشار اليه عليه السلام حين سئل عنها هل انزل عليك في الحرمي
 فقال لا الا الاية الشاذة الفاذه فمن جعل مثقال ذرة خيرا برة ومن جعل
 مثقال ذرة شرا برة والحق فيها على مقتضى الاي على ضربين واجب ومندوب
 فالواجب هو ان لا يجلبها ما لا يطيق ويوفي لها حقها في الاكل لان الضرر ممنوع
 في الحيوان كله عاقلا كان او غير عاقل وكذلك في الامور كلها لقوله عليه السلام
 لا ضرر ولا ضرار والمندوب ما اشار اليه بعض العلماء من حمل المنافع للكل
 وركوب المضطر اليها يوجب ما اشترى اليه في هذا الوجه قوله عليه السلام
 انها ستر لمن حبسها لئلا تلتك الثلاثة الاوجه ومعنى السترة ان يكون متصلا في
 الدارين فالستر في الدنيا هو ان يفنيه عن مسألة الناس والستر في الآخرة
 هو ان ينجي من هولاء يوم القيامة وقد قال عليه السلام المؤمن تحت ظل
 صدقته وهذا الكلام مبني على ان الواو في قوله تعنيا وتعففا ولم ينس
 حق الله في رقابها للعطف واما ان كانت الواو للتشويح فليس يشترط في الفعل
 ان يكون مندوبا بجمع تلك الثلاثة اوجه المذكورة ولكن ان وجد واحد من الثلاثة
 كان الفعل مندوبا وكانت سترا لصاحبها وهو الاظهر والله اعلم لانه ترك في
 كسبه النية المذمومة وهو حبها لرينة الدنيا وقد قال تعالى زين للناس حب
 الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة

فاذا ترك المذموم كان له الاجر على تركه فاذا اضاف اليه اعتقاد المذوب كان من باب اوليان يرمى له الاستر ولا يقتصر بهذا على الوجه المذكور لا غير بل هو عام في كل تحسبات الدنيا اذا كان بهذه النية المذكورة لان العلة التي بها الحكم منوط بوجوده لان الحكم ليس هو معلقا بالعين وقد عدا العلماء الحكم الماهر اقل من هذا وهو قوله عليه السلام لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان فقالوا كل مشورتين لا يجوز له الحكم بعد من حقن او جوع او عطش او غيره من التشنجات فتعدية ما نحن بسبيله اولى او حود العلة نفسها التام من قوله عليه السلام ورجل ربطها فخرا وريا ونواة لاهل الاسلام اما الفخر والريا فمعلوم واما النواة فهو مثل ما يفعله الشيطان في قطع طرق المسلمين بها ومثل الظلمة تتخذونها عونا على ظلم المسلمين وما اشبه ذلك ثم الكلام على الواو هل هي العطف او التنويج كاللام في البحث المتقدم لكن هنا بحث يختص بالوضع وهو انه ان كانت العطف فيكون معنى قوله وزر اي اتقل لهم بكثرة الذنوب لان هذه الثلاثة الاشياء كلها ممنوعة وحمل وزرها يتقل الظهر وان كانت الواو والتنويج فيكون الوزر بمعنى الاثر لان كل واحد من هذه الثلاثة محجور شرعا وكل من اتى ما هو محجور شرعا كان ما ثوما ولا يقتصر بهذا ايظنا على هذا الوجه لا غير بل هو عام في كل ما يشبهه والكلام على تعديه لغيره كالقلام على تعددي الوجه قبل ثم بقي القسم المباح في اتخاذها وانما سكت عنه عليه السلام لانه شأنه ابداء بين ما فيه الاحكام ويسكت عما سواه وقد قال عليه السلام ما تركتكم لكم فهو عفو والمباح فيما هو من افئنا بها عريضة عن النية المذمومة والمندوبة والله المستعان قولها كان يوما عندي بلعب السودان بالدرق والمراب الحديث ظاهر الحديث يدل على

جوز

جواز اللعب في المسجد وليس كذلك الا على ما يذكريه والكلام عليه من وجوه الاول قولها كان يوما عندي بلعب السودان تريد بقرب منزلي تريد بقرب منزلي لان العرب تسمى الشيء بما قاربه وكان لعب السودان في المسجد ومنزلها ومنزل ازوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن كانت في حايط المسجد فلما ان كان السودان يقرب منزلها اضاقتهم الى نفسها الثاني ان اللعب في المسجد على ما هو ظاهر الحديث ليس على العموم لما عارضه من الاي والحديث والاثر اما الاي فقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال العلماء معناه انها تغلق ولا تفتح الا عند الصلوات والصلاة هي المراد بالذكر في الاية والرفع هو عبارة عن الغلق والصفاء واما الحديث فقوله عليه السلام انما الساجد لما ثبت له فمن اشتد ضالته فقولوا لا جمع الله عليه قال الحديث موافق للاي في المعنى واما الاثر فماروي عن عمر رضي الله عنه انه بي رجة خارج المسجد تسمى البليحا وقال من اراد ان يشتد ضالته او يشتد شعرا فليخرج الى هذه الرجة وقد كذب ابن مسعود رضي الله عنه اذا راي احدا في المسجد يريد ان يبيع دهاه يساله ما معك وما تريد فان اخبره انه يريد ان يبيعه قال عليك بسوق الدنيا فانما هذا سوق الاخرة فلم يبق ان يكون اللعب في المسجد اذ ذاك الا للضرورة لضيق المدينة وضيق البيوت ولعب الثقاف لا بد منه في وقتهم ذلك لضرورة التدريب للقتال فاذا كانت ضرورة مثل هذه جاز والاقلا فقد اختلف العلماء في تدريس العلم في المسجد الذي هو افضل من الجهاد نفسه عليا ورد النص فيه وليس فيه لعب وهو نفس الطاعة على قولين فمن راي انه من الدين اجاز ومن راي انه من كلام البشر وهو مود الى ارتفاع الاصوات في المسجد منع فكيف بهم في لعب انما كان طاعة بحسب النية فيه ولما يولد امره وقد يكون

لله ولا غير فمن باب اولي ان يمنعوه من غير خلاف بينهم اذا عمدت الضرورة
التي اشرفنا اليها الثالثة قولها فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال
تستهيبن ان تنظرن يروى تنظرن وتنظري وكلاهما بمعنى واحد وقولها اما وما
شك منها في ايها كان الواقع من الكلام الرابع قولها فاقامني وراه خدي علي خدي
فيه دليل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه وفيه دليل لها ذهب اليه
جمهور العلماء من جواز نظر النساء الى الرجال اذا كن مستترات وامن من الفتنة
وفيه دليل على ان النظر في اللعب اذا قصد به الطاعة طاعة لانه لما كان لعب
السودان بنيت التدريب للقتال ترك النبي صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها
نظر اليهم ولو كان النظر اليهم غير طاعة لم يكن هو عليه السلام ينظر اليهم ولا يترك
اهله لذلك اذ انه عليه السلام واهل بيته محال في حقهم التعرف في الله والنظر
اليه بل كثير من الاوليا ليس لهم تصرف الا في واجب او مندوب فكيف بهم اهل بيت
النبوة الذي يورث منهم ذلك وهم الاصل فيه وغيرهم فوجع عنهم وتبع لهم ومما
يشهد لذلك ما روي عنه عليه السلام انه مر بموضع كان بعض صحابه يتعاونون
فيه الرمي فترج نعله ومشي فيه حافيا ثم قال روضة من رياض الجنة وبعثناه ان
العمل الذي عمل فيه يوجب روضة من رياض الجنة وما كان من فعل يوجب روضة من
رياض الجنة فالنظر اليه عبادة ولعل بركة الحضور معهم بعم الخير على الكل من لعب
ومن نظر الخامس قوله عليه السلام دونكم بنوا ارفده بنوا ارفده قبيله من قبائل
السودان فكان عليه السلام يجرضهم بقوله ذلك على السدة والنهضة فيهما هم بسبيله
لان تجرجه لهم تحدث لهم قوة وهم ليست عندهم قبل وفيه دليل على ان
التعاون في افعال البر كمن ما امكن بكلام او فعل او غيره لان كلام النبي صلى الله عليه وسلم

هو

لهو كما عونا لهم على التعلم ومثل هذا ايضا ما روي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما
كانا يوما يتسابقان في الرمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارم يا حسين وانا معك
فامسك الحسن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم ترم فقال كيف ارم وانت
معه قال ارم وانا معك هذا نذر يبال تعلم القتال للجهاد وفيه دليل على
تعليم انواع الخير وان لم يكن المتعلم بها مكلفا لان نظر عايشة رضي الله عنها
الى لعب التناق قد يحصل لها به التعلم وليس للنساء مكلفين بالجهاد حتى يحتج
الي تعليم الجهاد الثقافي لكن من عرفه منهن يحصل لهن في معرفته الاجر وقد يحتج
اليه في بعض الاوقات كما احتج اليه يوم الارمك في فتح الشام حتى دفعن عن انفسهن
وتلاحقت بهن المسلمون ونجا بذلك من يدي العدو وعاد النصر للمسلمين على ما ذكره
اهل التاريخ ومثاله ذلك من كان مشتغلا بطلب العلم واخذ منه ما يجزيه
لفرضه فما زاد على ذلك فهو من المرغب فيه وان كان لم يحتج اليه في وقته ذلك وله
الاجر في تعلمه وتدريسه وقد يعلمه لمن يحب عليه تعليمه وقد يحتاج اليه في
بعض الاوقات مثل الفقير يقرأ كتاب الزكاة ويحكه ثم يرجع مليا وما اشبه ذلك
السادس قولها حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي فيه دليل
على جواز الحكم على الباطن بما يظهر في الظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم استدل على
انها ملئت بما ظهر له من حالها لكن الحكم بذلك مطلقا لا يجوز حتى يستيقن ذلك من
صاحبه لان النبي صلى الله عليه وسلم اعرف الناس بذلك ثم لم يحكم به حتى استقن معاينه
فاجابت بتحقيق ما ظهر له السابع فيه دليل على ان التعلم انما يكون من الباعث
من المتعلم وان عدم الباعث منه فالترك اذا كان لكي تجر النفس ثم تاخذ به باهية
لانه عليه السلام لما ان ظهر له من عايشة رضي الله عنها انها ملت قال لها حسبك

يزيد هذا ايضا قوله عليه السلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ولا تن
ولان التعلم مع الكسل قل ان يتاخر منه المقصود الثامن انه لا يقتصر بالحديث
على ما حافيه لا غير بل هو عام في كل الامور الدنيوية اذا قصد بها الاخره
عادت بالقصد ندبا وان كان ظاهرها مباحا لان اللعب ظاهره لغيره فلما ان
كان القصد به تعلم الثقافة لاجل الجهاد كان طاعة فكذلك كل فعل قصد به الله
او الدار الاخره وان كان من افعال الدنيا فهو حسن النية فيه مما يتقرب به الي
الله وثواب صاحبه عليه كما ثاب على الافعال التي ليست فعل الا للاخره ومن
ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه حيث قال اني لا طاء النساء وما لي اليهن شهوة
فقبل له ولم يا امير المؤمنين قال رجا ان يخرج الله من ظهري ما يكثربه محمد
الام يوم القيامة والله الموفق عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلك الذلة والصغار على من
خالف امري ظاهر الحديث يدل على ان رزق النبي صلى الله عليه وسلم تحت ظل رمحه
وان الذلة والصغار واقعد بمن خالف امره عليه السلام والكلام عليه من وجوه
الاول ان المخالفة المذكورة في الحديث هل هي عامة او خاصة ظاهر اللفظ
يفيد العموم وذلك موجود حسنا لان من خالف امره من كل الجهات وهم الكفار
او جب لهم ذلك ذلة القتل واعطاء الجزية وهم صاغرون ومن خالف في بعض
واتبع في بعض كالمؤمنين من اهل البدع والمعاصي اوجب لهم ذلك ذلة العقوبة
من الحد وغيره وكراهية الناس لهم واما من اتبع امره عليه السلام في كل الاحوال
من فعل ومقال فقد ناله العز في الدنيا والاخره وارتفع عنه الذل مثل العلماء
العاملين والصالحين المنبعين نالهم العز في الدنيا حتى ان الملوك وابنا الملوك

لا تن

ياتون في خدمتهم راجين بركة ربيهم ونالهم العز في الاخرة بما اعطوا من
الثقافة في غيرهم عوا ما ادخلهم من انواع الكرامات ومن خدمة الملائكة لهم
وسكناهم جوار ربهم الوجه الثاني لقائل ان يقول قال عليه السلام جعل
رزقي تحت ظل رمحي ولم يقل في سنان رمحي ولا في غيره من السلاح والجواب عليه من
وجوه الاول ان السنان انما جعل لقتل الاعداء الذين هم ارباب الاموال فاذا
مظلوا بسنان الرياح بقيت اموالهم تحت ظلال رماح المسلمين وهي العنايم وقد
احلت بخلاف النبل والسيوف فانه بعد ضرب العدو به لم يبق لاحد مما ظلت حتى
تكون الغنيمه تحته الثاني ان رايات العرب كانت في اطراف الرياح ولا يكون
اقامة الرايات الا مع النصر والظهور وقد نصره الله عز وجل بالربيع امامه
شهرًا واحل له ما اوحى عليه بالخيل وما اناه مدعنا بالربيع لانه من خوف
الريح اتوا فهم تحت ظل رمحه الثالث ان السنان جعله عليه السلام
للجهاد وهو اكبر الطاعات فجعل له الرزق في طله اي في ضمه وان كان لم
يقصده فالطاعة واستمال الامر في الجاهلية للرزق يويد هذا التوجيه
الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
لان سالك رزقا حتى ترزقك والعاقبة للمتقون واما السنة فقوله عليه السلام
لا ينال ما عند الله الا بطاعة الله وقوله عليه السلام تكفل الله برزق طالب
العلم وهو عز وجل قد تكفل بارزاق الكل لكن لما ان اشتغل هذا بطلب العلم
عن التكسب اناه رزقه من غير تعب ولا نصب وهذا اشاره لطيفة مرغية
في الاتباع وترك الالتفات لما يطرأ على البتريه وما يعرض لها في حال الاتباع
لانه لما ان جادوا بما طلب منهم في الجهاد من بدل الكرمية ولم يبالوا بها ابدلوا

منها في الدارين اعلا منازلها ففي الآخرة ما جاء عنهم انهم اجتمعوا عند ربه عز وجل
وانهم تحت ظل العرش يوم لا ظل الا ظله وما انيلوا من الشفاعة الا بخير ذلك
من الاي والاحاديث التي جاءت بها النص في رفع منزلتهم وفي هذه الذرائع
لهم القيام على اختلافها كما قال تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واورثوا
ثم تطوها وانيلوا العز وهو النصر والظهور وهو اعلا منازل هذه الطر
فاذا كان هذا في الجهاد الاصغر فكيف به في الجهاد الاكبر ولذلك قال تعالى في الجهاد
على بعض افعالهم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
ولا جل هذا المعنى اخذ اهل المصنف في الاتباع في كل اللغات ونزكو الانثفات
للعوارض ولما بطرا من التغييرات فلم ينظروا الى الرزق ولم يفكروا فيه
واشغلوا بما هم عليه قادمون لان العبد مطلوب والرزق طالب ومضمون
فلا يشغل بالمضمون عن المطلوب ثم زاد هذا الحديث تأكيدا لهذا المعنى اذ
الطاعة تبسّر الرزق وتسوقه ولهذا المعنى يقول بعض الفضلاء اذا
التفت المرء الى ربه احسن الله له الغذاء في طريقه والله المستعان
قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير
في قميص من حرير لحكة كانت بهما ظاهرا الحديث يدل على جواز لبس الحرير
للعلة المذكورة فيه والكلام عليه من وجوه الاوّل هل يستباح لبس الحرير
للضرورة اذا كانت على الاطلاق او للضرورة مقصورة على ما وردت فيه لا غير
ظاهر اللفظي قيد الافتصاح على تلك الضرورة بعينها وقد اختلف العلماء في ذلك
فمن ذهب الى اطلاق الضرورة حيث وجدها ومن ذهب الى الافتصاح
على ما ورد النص فيه ولم يعدّه وفايدة اختلافهم تظهر فيمن لم يجد ثوبا للصلاة

الا

الاثوب حرير وثوب نجس فمن اقتصر على العلة المنصوص عليها ذهب الى الصلاة بالثوب
النجس ومن اطرد وقاس قال بالصلاة في ثوب الحرير الوجه الثاني ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان عارفا بطب الابدان كما كان عارفا بطب الاديان لانه عليه السلام لم
يرخص لغيره في لبس الحرير الا للمنفعة التي فيه للعلة التي كانت بها فدل هذا
على انه كان عارفا بذلك الشأن ومما يبين هذا ويوضحه ما روي عن احد الصحابة
انه لقيه احد مشركي اهل الكتاب ممن كان عارفا بالطب ما هذا فيه فقال له ان عيسى
كان نبيا حكيما ولم يكن ببيكم يعرف الطب فقال الصحابي اربع كلمات قال النبي
صلى الله عليه وسلم حصر فيها الطب فقال الكتابي وما هي فقال قال عليه السلام
المعدة بيت الداء والحمية رأس الدوا واصل كل داء البرده وعودوا كل بدن بحب
ما اعتاد فقال الكتابي لم يبق ببيكم من الطب شيئا الثالث هل يلبس الحرير هنا
من اجل التداوي او من اجل لينة عما عداه من الثياب لان غيره من الثياب قد ينادي
صاحب الحكمة بلبسها ولا ينادي بلبس الحرير لما فيه من اللين فاذا قلنا ان لبسه
من اجل اللين فيجوز لبسه لصاحب الحكمة مطلقا من غير خلاف اذ ليس له بدل
منه وان قلنا انه للتداوي فهل يجوز بيع وجود غيره من الادوية او لا يجوز الا
عند عدمها اما عند العدم فيجوز بغير خلاف واما مع وجود غيره من الادوية
فموضع يقضي الخلاف الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلل ويحرم ابتداء
من عنده من غير ان ينزل عليه في ذلك فانا لانه عليه السلام حرم الحرير من غير ان
ينزل عليه في ذلك فلو كان فيه نص ثم رخص فيه في هذا الموضع ولم ينزل عليه في شيء
وهذا هو المراد بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراكم الله لكن قد ذهب بعض العلماء
الى ان المراد بذلك الحكم بينهم فيما اراه الله من الثاويل فيما انزل عليه وليس بالقوي

والصحيح ما ذهب اليه الجمهور وهو انه عام في المنزل وغير المنزل حكه عليه السلام نافع في الكل يجب على المكلف امتثاله فان ترك شيئا منه كان عاصيا بتركه بحسب ما كان الشيء المتروك هل من المفروض او من المندوب لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى فكلما يذكر عليه السلام لا يخلو اما ان يكون بوجي واسطه وهو التزوير او بما يظهر له وهو وجي الهام مع انه عليه السلام قد نص على هذا المعنى في مسئلة جبر حيث اناه رجل من اليهود فشكاه ان بعض الصحابة ضرب امامهم ودخل بعض مواضعهم فامر عليه السلام بالصلاة جامعة ثم قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال لا يجلس احدكم متكيا على ارجلته يقول لم ار في كتاب الله الا اني قد اخبرتكم وامرتكم ونهيتمكم بامور هي مثل الكتاب او اشد لا يجعل لكم ان تصنوا ما هو لا ولا ان تدخلوا منازلهم اذا ادوا اليكم ما صالحوكم عليه فلم يبق للمخالف مع نص هذا الحديث الجلي يقال والحديث اخرجه ابوداود والله الموفق قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقائلوا الترك ظاهرا الحديث يدل على ان الرهطين المذكورين في هذه اذا ظهر افرحوا علم علي اقرب الساعة والكلام عليه من وجهين الاول فيه دليل على ان معراج النبي صلى الله عليه وسلم على قسامين مشاهدين مري واخبار يوم من به ويصدق وكل الامة اجتمعت على ذلك اولهم واخرهم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد انتقل الى الآخرة لكن معجزة لم تترك باقية مستمرة الى قيام الساعة بيان ذلك لان الصحابة رضي الله عنهم عابثوا ما كان في زمانهم من معراج النبي صلى الله عليه وسلم مما اظهر الله على يديه وامنوا بما اخبر به مما ياتي بعدهم واهل هذا الزمان حصل لهم الايمان بمشاهدة ما ورد في هذا الحديث واشباهه والتصديق بما راي الصحابة

رضوان الله عليهم والايان بما ياتي بعد وكذا من ياتي بعدهم لا بد من معجرات يشاهدونها وذلك مستمر لا ينقطع الى قيام الساعة وهذا من الادلة الظاهرة على علو منزلته عليه السلام التي لم تنزل معجزة مشاهدة الى يوم القيامة الوجه الثاني خروج هذين الرهطين المذكورين ^{هنا} هو دال على الاخره كما اخبر عليه السلام لا غيرا وفيه معنى زايد على ما يظهر صيغته محتمل الوجهين معا والمعنى الزايد هو ان يكون ذلك من جملة الفتن التي تكون عند اقتراب الساعة مع ما فيه من الدلائل قرب القيامة فان كان دال على قرب الآخرة ليس الا فتكون قايمة الاخبار به ان يقطع الامل من هذه الدار عند معاينة ذلكا اذا انها قد انصرت والاقبال على الآخرة والعمل على الخلاص فيها اذا انها قد قربت فظهر منه عليه السلام هنا ما اخبر عز وجل عنه في كتابه حيث وصفه بان قال حريص عليكم بالمؤمنين روف رحيم لانه نظر الخبر لاهته بكل ممكن امكنه من اخبار احوال وان كان المراد بالاخبار به ان يعلم لها ذكر فيه من جملة الفتن مع كونه دال على قرب قيام الساعة فيكون القايدة فيه للمساعدة الى اخذ الدوا الذي به يرفع الخلاص من الفتن والدوا هو ما نص عليه السلام عليه في غير هذا الحديث حين ذكر الفتنه فقيل له ما نأمرنا ان ادركنا ذلك فقال عليه السلام الجوا الى الايمان والاعمال الصالحات وهذا الوجه الاخر هو الاظهر والله اعلم وهو ان يكون المراد بسباق الحديث للمعنيين الذين ذكرناها في هذا الوجه الاخير بدليل قوله عليه السلام اتركوا مقاتلة الترك ما تركوكم فلو لا ما هم من جملة الفتن ما حصن عليه السلام على ترك قتالهم مللم يبدوا بالقتال وامر تقبال عنهم من الكفار مطلقا ولان معنى قوله عليه السلام الجوا الى الايمان والاعمال الصالحات يظهر من قوة الاخبار بهذا الحديث اذ ان الفتن لا تنفع الا للضعف في الايمان

رضوان

او في فترة في كاله فقد ظهر ما خبر به عليه السلام فوجب الامتنان لما امر به فمن
زرق التوفيق لامتنان ما امر به ضمن له الخلاص من مقتضى الوعد الجميل والحذر
الحذر لمن اراد الخلاص ان يلبثت لفساد الوقت ولا الخلل الواقع في الاحوال لان ذلك
سبب للهلاك جعلنا الله من قومي ايمانه وصلاح عمله عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله الحديث ظاهر الحديث يدل على قتال المشركين حتى يعلموا او يظنوا بالكلمة
وحققنا ما المسلمين الاجتهاد والكلام عليه من وجوه الاول قوله عليه السلام امرت
هذا الامر هنا هل هو على الوجوب او على الندب ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وحده فهو على الوجوب وان كان الخطاب له ولائته فهو واجب في اول الامر ثم
بعد ذلك رجوع في بعض الاوقات واحيانا في بعضها مندوبا بحسب قرائن الاحوال
على مقتضى اصول الشريعة وهو مذكور في كتب الفقه الثاني فيه دليل على ان
المطلوب من الامر الامتنان دون نظر الى علة لانه عليه السلام قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولم يذكر لذلك تعليلا الا انه عليه السلام
اخذ اذا ذك في القتال ولم ينظر الى التعليل فعلى هذا لا اشتغال عن العمل بطلب
العلة في الدين علة الاحي نصوص عليها او اشير اليها فهي توسعة ورحمة الثالث
قوله عليه السلام ان اقاتل القتال هل المراد به القتال المعهود وهو الفناء
بالسيف والرمح وغير ذلك من السلاح او المراد به القتال بالحجة والبرهان محتمل
الوجهين معا بدليل قوله تعالى وجاهدوهم به جهادا كبيرا يعني بالقران وبدليل قوله
عليه السلام قاتلوا المشركين بالسيف والبرهان لان قتالهم بالبرهان
والبرهان وذلك قبل الهجرة ثم بعد الهجرة امر بقتال خاص وهو من قاتله او نازعه

سور

قتال قتال

قتال تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقال تعالى فان القوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ثم بعد ثمان من الهجرة انزلت براءة وامر الله عز
وجل فيها بقتال المشركين كافة حتى يعلنوا بالصلوة او يودوا الجزية عن
يدوهم صاعرون والظاهر بالقتال هنا والله اعلم ان يكون البرهان بالقتال
باللسان وبالجملة والبرهان لانه عليه السلام لم يذكر فيه الجزية واحتمل ان يكون
المراد به القتال العام وسكت عن الجزية لعدم العلم بها الرابع قوله عليه السلام
اقاتل الناس الالف واللام هنا للجنس والعهد محتمل للوجهين معا فان كان الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ففي العهد لان قتال المؤمنين لا يجوز ولانه عليه السلام
قد خصص المؤمنين واخرجهم من عموم اللفظ بقوله حتى يقولوا لا اله الا الله
ومن قالها هم المؤمنون فوقع النص بمنع قتالهم وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولائته ففي الجنس وهذا هو الاظهر والله اعلم لان العادة جارية بان الخطاب للرسول
خطابا لهم ولائته الامراض قليلا لها قرائن تبينها الخامس قوله عليه السلام
حتى يقولوا لا اله الا الله يريد على مقتضى ما جيت به وما جازموا الاقرار بالوحداية
على ما هي من الجلال والكمال وتبني الشريك والصد والصاحبة والافرار بالرسالة
على ما تقر في الشريعة ومثله كثير في السنة العرب اذا كان لاحد حق معلوم
منع منه يقول لا ازال اقاتل حتى اخذ حقي وببهمه ولا يعينه للعلم به السادس
فيه دليل على ان هذا الذكر الخاص وهو قول لا اله الا الله اذا كانت خالصة امان
لصاحبها في الظاهر والباطن فالامان الذي هو في الظاهر هو ما تضمنه قوله
عليه السلام عصم امني والامان الذي هو في الباطن هو ما تضمنه قوله عز وجل
في كتابه الا بذكر الله تطمئن القلوب السابع فيه دليل لقول من يقول بان الكفار

ليس هم مخاطبون بفروع الشريعة لانه عليه السلام اخبر ان القتال انما يكون
على التوحيد دون الفروع والتوحيد هو ما ذكر من قول لا اله الا الله التام من
قوله عليه السلام فمن قالها عصم من نفسه وماله فيه دليل على ان حرمة المال
كجرمة الدم لانه عليه السلام سوي بينهما في الحكم التاسع فيه دليل على ان الاموال
تابعة للدم لانه اذا استبيح الدم استبيح المال بالضرورة ما لم يكن في حد من
الحدود العاشر فيه دليل لقول من يقول ان العبد لا يملك الا ان دم العبد ليس له
وانما هو وليسده والمال تابع للدم على ما قرناه الحادي عشر قوله عليه السلام
الاحتق هذا الاستئنا هو منفصل او متصل بمثل الوجهين معا فان كان
متصلا فالضير عايد على المال لانه اقرب مذكور والحق الذي في المال هو اخذ الزكاة
وحقوق الغير وغير ذلك مما لا يجوز منعه ويبقى الدم ليس في الحديث ما يدل على
حكه فيوجد حكمه من غير هذا الحديث وهو قوله لا يجلد دم امرئ مسلم الا
بأحد ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احسان او قتل نفس بغير حق وان كان
لاستئنا متصلا فالضير عايد على الدين المشار اليه في الحديث وهو قوله لا اله
الا الله لان من قالها فقد دخل في الدين واذا دخل في الدين لزمه حقه وحقه
هو ما في الابدان من الحدود وما في الاموال من الحقوق وهذا هو الاظهر
والله اعلم وفي هذا زيادة ايضاح وبيان لما قدمناه من الاستدلال لقول
من قال بان الكفار ليس هم مخاطبون بفروع الشريعة الثاني عشر قوله عليه السلام
وحسابه على الله فيه دليل على ان التكليف مطلوب ظاهرا وباطنا لانه بعد اعلامهم
بالكلمة قال حسابهم على الله اي فيما احتوي باطنه عليه من الاخلاص وضده فعل
هذا الظاهر الحكم فيه للبشر والباطن الى الله ولا يخلص المرء الا الاخلاص في الباطن

والاستقامة

والاستقامة في الظاهر وقد نص مر و جل على ذلك في كتابه حيث قال قل انما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل وتبدلوا بها الى الحرام لتاكلوا فيها من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون
وقال عز وجل ان المناققين في الدرك الاسفل من النار فكانوا اشدا اهل النار
عدا بالكونهم اسروا خلاف ما اظهر واو الاي في ذلك كثير وقد قال عليه السلام
انكم تختصمون الي فلعل احدكم يكون الحن با حجة من اجبه فاحكم له بحسب
ما اسع فمن قطعت له من مال اخيه شيئا فلا ياخذ منه شيئا فانما قطع له قطعة
من النار والاحاديث في هذا المعنى كثيرة مع كثرة الادلة من القران والحديث
على منع هذا الوجه فيها هو اليوم قد كثرت ونشأ لا تهر قد نواطير على اشيا
لا تجوز باجماع المسلمين فيقيدونها في الظاهر على صورة تجوز على مذهب
بعض العلماء ثم ياتون الى الحاكم فيحكون بها بينهم فكان ذلك مقتضى ما قال عز وجل
وتبدلوا بها الى الحرام فان الله وانا اليه راجعون الثالث عشر في الحديث دليل
على انه ينبغي للكلف ان يقيم الحجة على نفسه بلسان العلم مادام في هذه الدار
حتى يكون ايمانه حقيقه دون دعوى ليل يكون ممن ياتي يوم القيامة للحساب
فيظهر له الخسران لعدم توفية ما يجب من حق الباطن الذي هو الحساب فيه
موكول الى الله وحقيقة الايمان الذي اشترنا اليه هو اتباع الامر والنهي في الظاهر
والباطن وسلامة الاعتقاد والخوف من الله والرجاء فيه على مقتضى الكتاب والسنة
وقد قال عليه السلام حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال عليه السلام
حين مدح له رجل فقال كيف هو في عقله يعني عند الامر والنهي جعلنا الله من اتباع
امره واجتنب نهيه ووفي بعهدته انه ولي كريم

عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في بعض ايامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس
 فقال ايها الناس لا تخمنوا لقا العدو واسئلو الله العافية الحديث ظاهر
 الحديث يدل على الوعظ للمجاهدين حين ارادتهم القتال والكلام عليه من
 وجوه الاول قوله في بعض ايامه التي لقي فيها يريد في بعض الايام التي قاتل
 فيها الثاني قوله انتظر حتى مالت الشمس مالت بمعنى زالت وفيه دليل
 على ان السنة في القتال ان يكون ما عدوة او عشية لانه عليه السلام
 لم يكن ليقا تل حتى تزول الشمس ولم يكن هذا الا اذا فاته القتال عدوة
 لانه قد جازي غير هذا الحديث انه عليه السلام كان يقابل اول النهار فاذا
 فاته اول النهار تركه الى الزوال او يقول لا صحابه دعوه حتى نهب الارباع
 ويدعوا لكم اخوانكم المؤمنون وقد قال بعض العلماء ان النصر لا يكون الا بالزح
 لقوله عليه السلام نصرت بالصبا والصباح شرفه فعلى هذا فالزح من
 جملة ما يستعان به على النصر لانه قد صار للسلاح وقد ترك بعض جيش
 المسلمين هذه السنة في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطال بهم
 المقام على الحصن الذي كان بافريقيه ولربما نال العدو منهم فاسلوا
 الى عمر رضي الله عنه يسألونه النجدة فاسل اليهم عبد الله بن الزبير
 فسألهم عبد الله رضي الله عنه عن كيفية قتالهم فاخبروه انهم يرجعون
 الى الحصن قبل الزوال فانكروا عليهم وقال لهم خالفتم سنة نبيكم ثم امرهم
 بامثال السنة في ترك القتال حتى مالت الشمس ثم امرهم بالزحف للحصن
 بعد الزوال فنصروا فانظر كيف كانت افعاله عليه السلام لا يصدر منه شيء

الا

الا وتحتنه من الفوائد ما لا ينحصر كيف لا يكون كذلك وقد وصفه الله عز وجل
 في كتابه بانه رحمة للعالمين فانبأه في الأفعال والأقوال سبب النصر
 والظفر بل هو عين النصر والخير ومخالفة سبب الذلة كما تقدم في الحديث
 قبله فيقدر المخالفة يكون الذل ويقدر الامتثال والاتباع يكون العز
 الثالث قوله ثم قام في الناس فقال ايها الناس لا تخمنوا لقا العدو
 وقد تقدم ان ذلك دليل على الوعظ للمجاهدين حين ارادتهم القتال
 وفيه دليل على التذكير حين نزول الحوادث الطلعة وان كان من تزيده
 ذلك غار ومثل هذا ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه عند وفاة النبي صلى الله
 عليه وسلم قام في الناس وخطبهم وذكرهم الآية وهي قوله تعالى وما محمد الا رسول
 قد خلت من قبله الرسل فكانهم الان عرفوها فقتلوا بها وقوي بها ايمانهم وبيقينهم
 فما ترى منهم احدا الا يتلوها مع ان العلم كان لهم بها قبل ذلك الرابع قوله
 عليه السلام واسئلو الله العافية فيه دليل على طلب العافية في زمان المهله
 وقد قال عليه السلام احب الدعاء الى الله العفو والعافية وقال عليه السلام
 اذا سألتم الله فاسئلوه العفو والعافية وقد مر عليه السلام على رجل به بلا كبير
 فقال له يا هذا هل دعوت الله بشي فقال سالت الله ان كان لي في الآخرة عذاب ان يجعله
 لي هنا فقال له عليه السلام هل سألته العفو والعافية لانه عز وجل لا يجزي
 قدرته ممكن فكما يجزي بفضله من الاكبر فكذلك يجزي من الاصغر لان الدارين له وحكمه
 فيهما نافع ما شاء فيها كان وما لم يشأ لم يكن وكذلك فيما نحن بسبيله هو عز
 وجل قادر على نصر المسلمين من غير ان تكون منهم مقاتله لعدوهم فتحصل من هذا
 ان شان المرء ان يسأل من الله العافية حيث ما كانت وترك التمني والاختيار

لحمة دون اخري الخامس قوله عليه السلام واذا قبتمهم فاصبروا اي
اذا قاتلتم المشركين فاقبتموا وقفوا لان الثابت عند المقاتله هو المطلوب
والفرار من الكبار وفيه دليل على الصبر عند نزول المحنة وترك القتال اذ
ذاك السادس قوله عليه السلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف فيه دليل
على التذكار بالاجور لاهل الصاب اذا نزلت بهم واعلمهم بما لهم من الخير اذا سئلوا
لله في قضايته ورضوا به ومن فعل هذا كان له من الاجر مثل ما للمصاب لقوله
عليه السلام من عزي مصابا فله مثل اجر المصاب وكان تذكيرا لايه بذلك
وتغريته كانه عون له على الصبر على ما نزل به فكان ذلك الاجر لكونك اعنته على
حمل ما نزل به السابع لقابل ان يقول لم جعل عليه السلام هنا الجنة تحت
ظلال السيوف وجعل في الحديث المتقدم الغنايم تحت ظلال الرماح والجواب
من وجهين الاول ان القتال بالسيف لا يكون الا عند شدة الحرب وحمي الوطيس
فيه وعند هذا الحال يكثر العبارة حتى يكون على المقاتلين كالظل فذلك الظل
صادر عن القتال بالسيف فاجبر بها هو صادر عنه بظلال لان العرب تسمى الشيء باصله
او بما قاربه والحرب اذا وصل الي هذه الحالة الغالب فيه القتل واذا وقع القتل
حصلت الجنة بمن ضمن الوعد الصادق لانه ان كان المومن هو القاتل فقد حصل له
ما امل وما هو المراد بالجهاد وحصل له من الثواب ما تقرره في الشريعة وان كان هو
المقتول فقد حصل له الشهادة والشهيد في الجنة الثاني هو ان ظل السيف
لا يظهر الا عند الضرب به لان عادة العرب لا تنسل السيف الا عند ارادة الضرب به
فيخرج جوفه من عمده الى الضرب بغير مهالة فيما يظهر ظله الا عند الضرب وعن الضرب
يكون القتل والقاتل له هناك من الخير ما قد علم والمقتول شهيد وقد قال تعالى

في الشهاد احياء عند ربهم يرزقون ففي نفس القتل حصل له الحياه والاستمرار
في الجنة بالوعد الصادق واما الجواب عن الريح فقد مر الكلام عليه في الحديث
قبل هذا فسبحان من ايد به بالفصاحة والبلاغة الوجه الثامن قوله عليه السلام
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم يرد
على هذا الفصل سوال وهو ان يقال ما الفائدة في اختصاصه عليه السلام لذكر هذه
الصفات الثلاث في هذا المقام دون غيرها من الاسماء الصفات والجواب انه
عليه السلام في هذا المقام يطلب النصر على الاعداء والاعداء كانوا في الكثرة بحيث
يعلم من الاخبار المنقولة عنه ولا تقع الغلبة من الجمع اليسير على الجمع الكثير
الا بالقدرة فطلب عليه السلام النصر كيف تكون فاتي بتلك الثلاث لاجل ما فيها
من هذا المعنى بيان ذلك ان السحاب تجرى بين السما والارض مثقله بالما ليس
هي على عمد ولا علاقة فوقها وهي مع ذلك تهب الرياح من الزرع ونقف حيث تومر
ولا يحركها الريح حين تومر بالوقوف وتمسك الماء ولا تنزله الا حيث تومر فيه
اظهار قدرة بارزه مشاهدة بغير حكمة تغطيها واما هزم الاحزاب فهو من
هذا النهار ايضا لان الجمع الكثير ابدى بمقتضى الحكمة يطلب الجمع اليسير وهما هنا
كانت الغلبة فالقدرة ابطلت ما جرت به عادة الحكمة فكان ذلك مقتضى ما قاله
عز وجل يرونيهم مثليهم راي العين والله يويد بنصره من يشا وقال عز وجل
وما النصر الا من عند الله فلم يعلقه بالحكمة وانما علقه بعظم اثار القدرة التي
لا يعلبها بشي وانما انفصل ما شئت كيف شئت واما انزال الكتاب فهو من ذلك
الباب ايضا لانه عليه السلام لو اراد تعظيمه لتوسل به فقال بحق الكتاب ولكنه
عدل عن ذلك واتي بهذه الصيغة التي فيها اظهار القدرة من غير حكمة تغطيها كما

فعل في الوجهين قبله لكي يأتي بصفة تناسب ما يطلب في وقته والقدرة الظاهرة
التي في الكتاب هي كونه كلام الله القديم الأزلي ثم يسره عز وجل باللغة
العربية التي هي صفة المحدث حتى وقع لنا بذلك الفهم لما اريد منا كيف اريد
منا فعل هذا فالكلام منزل حقا ميسر باللغة حقا ولا سبيل الى القول
بالحلول ولا بالكمال بل يجب الايمان بالتنزيل بغير شك والتيسير باللغة
العربية بغير ريب ولا سبيل الى طلب الكيفية في اتصال القديم بالمحدث كما
ليس في الشيين المذكورين معه في الحديث سبيل الى معرفة الكيفية فيما
مع مشاهدتها عيانا وهذا ادل دليل على تحقيق ما ذكرناه في حديث البيعة
من ان الكيفية في اتصال الكلام القديم بالحروف المحدثه ممنهجة لان هذه صفة
وهذه صفة وكذلك يجب في جميع الصفات والذات مع الكيفية مرة واحدة
ولا سبيل الى طلب شيء من ذلك فيها ومن يحاول ذلك فقد ضل عن الطريق وخرج
عن سنن اهل التحقيق بل يجب الايمان بالذات وجميع الصفات على ما ينبغي من
الحلال والكمال مع نفي التكييف والتحديد لانه قد ذكر من فائدة اختصاص
ذكره عليه السلام لهذه الثلاث في هذا الموطن انه سال بصفة عظيمة وهي القدرة
التي ظهر اثارها في هذه المذكورات وهو من اعظم ما يستدل به على عظيم القدرة
فذكر عليه السلام صفة تناسب ما هو بسبيله وطلب الشيء من باب الوجه التاسع
فيه دليل على ان الداعي اذا دعى فالسنة فيه ان يذكر من اسم الله تعالى وصفاته
ما يكون من نسبة حاجته لانه عليه السلام لما ان طلب النصره وهي من اظهار
القدرة ذكر ما يناسبها كما تقدم ومثال هذا من يطلب المغفرة والرحمة فليذكر
اذا ذكر مثل الغفور الرحيم والروفي الى غير ذلك مما يناسب ما هو بسبيله وهو

منع

من

من ادب الدعا ويرجي له القبول لامتناله السنة فيه العاشر فيه دليل على ان
عند النوازل من السنة لانه عليه السلام دعا على الكفار بالهزم ودعا لنفسه
والمؤمنين بالنصر حين اراد القتال وهذا منه عليه السلام جمع بين الحقيقة
والشريعة فالشريعة هي اخذ العدة من السلاح وغيره والخروج للقتال
وتحريض الصحابة لذلك والحقيقة هي دعاؤه عليه السلام واظهاره للافتقار
فتعلقه بربه عز وجل وكذلك كان عليه السلام يفعل في كل الاشياء بالغ في
امتنال الحكمة ثم بعد ذلك يرجع الى الحقيقة فيتعلق بالله ويرد الامر اليه
الحادي عشر فيه دليل على وجوب قتال المشركين بالايدي والاموال
والالسنة لانه عليه السلام اخذ العدة للقتال وانقضا وهو الجهاد بالمال
ودعا عليهم بالهزم والمؤمنين بالنصر وهو الجهاد باللسان وقائل عليه السلام
وقالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وهو الجهاد بالايدي وقد صرح
عليه السلام بهذا في غير هذا الحديث فقال قاتلوا المشركين بايديكم واموالكم
والسنتكم فبين بفعله فيما نحن بسبيله ما نص عليه في هذا الثاني عشر
فيه دليل لاهل الصوفة في المجاهدة التي يلخزون بها انفسهم في كل ممكن يمكنهم
بالمال والايدي والسنة لانه اذا كان في الجهاد الاضغر ذلك فكيف به في
الجهاد الاكبر وكيفية في الجهاد الاكبر ان لا يصرف شيئا من ذلك الا بانواع
امر الله فيه ونهيته الثالث عشر فيه دليل لهم ايضا في كونهم يطلبون العافية بانفسهم
ولا يعرضون بانفسهم الى المجاهدة التي لا قدرة لهم عليها الا ان يضطروا الى ذلك
فينفعلون ذلك للاضطرار لانه عليه السلام نهي في الجهاد الاضغر نهي عليه السلام
عن التمني للقاء العدو وامر بطلب العافية فكيف به في الجهاد الاكبر فعلى هذا

فشان المرء بان يطلب العافية في كل الاشياء ولا يعرض نفسه لشيء وهو لا
يقدر عليه اللهم الا ان انا امر وقا حاه فوظفته اذ ذاك الصبر والثبات
والادب فيما اقيم فيه ولاجل ترك النظر الى هذا المعنى او الجهل به كان كثير
ممن لم يبرح له قدم في الطريق ولم يجمع مع احد من فضلا اهله يقطع به في نفس
مجاهدته ويدخل عليه الخلل فيما هو بسبيله اما الخلل في العقل واما يارتداد
لعدم وجود البينات لان من دخل في المجاهدة منهم اعنى من الفضلاء المتقين
لم يفعل ذلك بنفسه وانما هو محمول في حاله بل انهم اذا حملوا في شيء من تلك الأحوال
لم يقدر احد منهم ابدان يرجع عما اقيم فيه حتى يجوعه فان رجح باختيار نفسه
عوقب ولم يترك كذلك وهم في كل نفس يسألون العافية الشاملة ويستجيبون
بالله من الفتنة وهي ان يردوا الى قوتهم وحيلهم فمن يرام في الظاهر يفعلون
ما يأمرون من المجاهدات يظن ان ذلك من قوي البلى وحيلته فيريد التشبه
بهم فيقطع به عنهم وهبهات هبهات البندى يشبه باهل النهايات ذلك
محال لان هناك مقامات واحوال لا علم لهم بها بل انهم لا يدرون كيف يسمونها
والله الموفق قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامي من
الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة الحديث
ظاهر الحديث يدل على ان من فعل هذه الافعال المذكورة فيه فله من الثواب على ذلك
والاجر كتواب المتصدق واجره والكلام عليه من وجوه الاول قوله عليه السلام
كل سلامي من الناس عليه صدقة يرد عليه سوال وهو ان يقال لم اتي بلفظ السلامي
بصيغة المصدر والجواب عنه ان العرب لا تاتي بصيغة المصدر وتولده الا في
مواضع تريد بها الحقيقة ونفي المجاز والحقيقة هي الصيغة الشرعية للسلامي

بالتخاطب

بالتخاطب والمشافهة لقوله تعالى واذا حيينم بحجة فيجوابا حسن منها او ردوا
وقوله عليه السلام اكثر ما ينتمى السلام الى البركات والاي والحديث في ذلك
كثيره والصيغة معلومة مشهورة والمجاز الذي نخرز منه عليه السلام هو ما
كان بالواسطة او بالكتب او بالاشارة فانه سلام لغة توسعة ومجازا والحقيقة
ما ذكرنا وكذلك الكلام ايضا عندهم حقيقي ومجازي فما كان منه مشافهة فهو
الحقيقي وما كان بكتب او اشارة او بواسطة فهو المجازي ولاجل هذا اكدت على كلامه
لوي عليه السلام بالمصدر حيث قال وكلم الله موي تكلما الوجه الثاني يحتمل ان
تكون للذي يسلم ومعنى الصدقة الاجر وهذا هو الظاهر والله اعلم لان مساق الكلام
يقضي ان الاجر للفاعل في السلام وفيما بعده من الفاظ الحديث ولان الابتداء في
السلام جافه الخير كثير ومن جملة ما جافه ما روي ان عليا رضي الله عنه لقي
ابا بكر هو ما فلم يسلم عليه حتى سلم عليه ابو بكر فرد عليه السلام وكان من عادته
ان يقبده بالسلام اذ القبه فدخل ابو بكر رضي الله عنه فشكل على النبي صلى الله عليه
وسلم فشكله عليا فسأله النبي صلى الله عليه وسلم لم لم يبتديه اليوم بالسلام فقال
رضي الله عنه رايك البارحة فيما يري لنايم قصرا في الجنة لم ار مثله قلت لمن هذا
فيل لمن يبتدي اخاه بالسلام فارت ان اوثر ابا بكر به على نفسي وقد جعله عليه
السلام من الحقوق التي بين المسلمين فقال من حق المؤمن على المؤمن ان يسلم عليه
اذا القبه واحتمل ان الصدقة على المسلم عليه ومعنى ذلك انما ابتداءه بالسلام
تعين عليه الرد وجوبا ومن فعل الواجب كان ما جورا وقد قال عليه السلام
الدال على الخير كفاعله فكيف بمن كان فيه سببا كما فعل هذا لانه لو لا ابتداءه اياه
بالسلام لم يكن ليحصل له اجر الرد فهذا التاويل يبين ان المسلم عليه هو

الصدقة

المتصدق عليه الوجه الثالث لفظ الناس في هذا الموضع يحتمل ان يكون الالف واللام فيه للعهد او المحبس فعلى التوجيه الاول فالالف واللام للعهد وهو على الظاهر والله اعلم لان السلام على الكفار ابتداء لا يجوز وعلى التوجيه الثاني فالالف واللام للمحبس وهو بين لان الرد على اهل الذمة بصيغة وعليكم جازر وهي السنة ومن ائبح السنة كان ماجوزاً وذكره عليه السلام للناس على كلا الوجهين تحريز من سلام الملائكة لان سلامهم رحمة وتحريز من سلام الحق سبحانه على عباده لانه رحمة لقوله تعالى سلام على عباده الذين اصطفى الوجه الرابع قوله عليه السلام كل يوم تطلع فيه الشمس بعد ان بين اثنين صدقة العدل هنا يحتمل وجوها الاول ان يكون المراد به الحكم بين المتخاصمين وهذا خاص بالحكام الثاني ان يكون من جهة الاحكام فيما استرعى المرء عليه من ماله واهله وعبيده وحواسه لقوله عليه السلام كلكم راع وكلهم مسؤول عن عيئه الثالث ان يكون المراد به التفرقة بين الحق والباطل واطانة كل شئ الى جنبه وهذا يعم الوجهين المتقدمين وغيرهما مثل الوصايا والصلح بين الناس وغير ذلك على العموم لكن يرد على هذا الفصل ثلاثة اسئلة الاول ان يقال لم يذكر هنا اليوم ولم يذكره فيما قبل ولا فيما بعد الثاني لم ذكر طلوع الشمس وذكر اليوم يغني عنه الثالث لم ذكر النهار ولم يذكر الليل والجواب على الاول انه عليه السلام لما ذكر العدل وهو التفرقة بين الحق والباطل على ما مر الكلام عليه فذلك اليوم خير كله اي هو ماجور فيه من اوله الى اخره لانه اذا قام بالعدل فيه كان فيه ماجورا وان نام في بعضه واستراح وكل ذلك صدقة وخير يشهد لذلك ما حكى عن معاذ حيث قال واخشب نومتى كما احتسب قومتى فاجاز النبي صلى الله عليه وسلم له ذلك واقوه عليه لان النوم له اعانة على القيام بالعدل والجواب عن الثاني من وجهين الاول انه انما ذكر طلوع

الشمس

الشمس لان النهار لغة من وقت طلوعها وشرعا من طلوع الفجر للصائم فاراد عليه السلام ان يبين انه اراد اليوم اللغوي لانه عليه تقرر الاحكام الثاني ان يكون عليه السلام تحريز بذكر طلوع الشمس من اليوم الذي لا تطلع فيه حتى تطلع بعد الغد من مغربها وذلك اليوم لا يقبل فيه العمل لان ذلك هو المراد بقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل لان ذلك وقت المعاينة والايان والعمل الذي ينفع معه انا هو ما كان بالمعيب وامام المعاينة فلا وقدام فرعون حين راي البلا فدخل به ولم ينفعه فلم ينفعه اذ ذاك لاجل انه ما من حتى عاين اليوم الذي تبقى الشمس لا تطلع فيه قد اخبر به عليه السلام وجعله علما على قيام الساعة وجعله من الايات الكبار الدالة على قيامها فاخبر ان الشمس تأتي في كل ليلة الى موضع تحت العرش حيث قدر لها فتجد هناك وتبقى ساجدة ماشا الله فيوزن لها في القيام والطلوع من موضع الذي تعهد ثم ياتي القمر كذلك فيسجد فيبقى ساجدا ماشا الله ثم يوزن له في الرجوع والطلوع من موضعه الذي يعهد فها كذلك لا يجتمعان حتى ياتي تلك الليلة فتاتي الشمس فتسجد فينصرم الليل ولا يوزن لها في الرجوع فيبقى على حالها فياتي القمر على عادته فيسجد فها كذلك فيسجد هو ايضا ويبقى كذلك ماشا الله ثم يوزن له بالرجوع وان يطلععا معا من مغربهما فمن كان عنده في ذلك الوقت ايمان فهو السعيد ومن كان عن رايته فقد خسر الخسران المبين لانه ما بعد المعاينة الا الثواب لاهل الايمان والاعمال والطرد لاهل الكفر والعناد والجواب عن الثاني انه عليه السلام انما ذكر اليوم ولم يذكر الليل لان الليل جعل للنوم وجعل النهار للنكسب والمعاش وقد قال تعالى وجعلنا الليل ليلا وجعلنا النهار معاشا فلما ان كان الليل للنوم في الاغلب او للتفكير للوقوفين لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقوله تعالى

ان ناشية الليل هي اشد وطأ واقوم قليلا سكنت عنه عليه السلام اذ ليس فيه الاهدين
 الفعليين غالباً ودكر النهار لكونه فيه التكب فبحاج فيه الى العدل وان اجنب الى
 اقامة العدل بالليل من ضرر مظلوم واداء حق فذلك نادر والنادر لا يراعى حتى يحتاج
 الى ذكره وان وقع فهو مقبس على العدل بالنهار فترك ذكره ابلاغاً في الاختصار مع حصول
 الفائدة فيهما معاً الوجه الخامس من البحث المتقدم قوله عليه السلام ويعين الرجل على
 دابته فيحمل عليها او يرفع شكا من الراوي في ايها قال عليه السلام والكلام عليه من وجهين
 الاول ان المناع والداية لشخص واحد لكن عجز عن رفع المناع على دابته فكانت الاعانة
 عليه سبباً للتبليغ متاعه الى ظهر دابته فحصل له الاجر على مشاركة له في هذا المقدار
 السير الثاني انه ليس على العموم والكلام فيه من ثلاثة اوجه في التحامل والمجور عليه
 اما التحامل فهو ان يجنب فيه ان لا يكون ظالماً ولا بدعياً ولا فاسقاً وما اشبههم
 لان هجرهم واجبة فلا تجوز اعانتهم واما المجور فهو ان يجنب فيه من جمل خير
 او مناع معصوب او ما اشبه ذلك لان المعنى لذلك كالفاعل له لانه عليه السلام
 قد لعن شارب الخمر وحاملها وشاهدها وكذلك سائر المنوعات واما المجور
 عليه فهو ان لا يكلف الا ما يطيق لان الاعانة على ذلك لا تجوز الوجه السادس
 من البحث الاول قوله عليه السلام والكلمة الطيبة صدقة الكلمة الطيبة هنا
 احتملت وجهين ان كان المراد بها ادخال السرور على المتكلم معه فليس على
 العموم لما جان الرجل يتكلم بالكلمة فيضحك بها اهله لا يبالي بها بهوي بها في النار
 سبعين خريفاً ومثل ذلك اليوم كثير لتعلق بعضهم لبعض في الظاهر وبعض
 بعضهم لبعض في الباطن وقد اجبر بذلك عليه السلام حيث قال ياتي آخر
 الزمان اقواماً اصدقا العلانية اعدا السريرة قالوا وكيف يكون ذلك قال

ذلك

ذلك برغبة بعضهم لبعض وبرهبة بعضهم لبعض فهذا وما اشبهه ممنوع
 وان كان المراد بها في ذاتها فتكون طيبة على مقتضى لسان العلم الوجه السابع
 قوله عليه السلام وكل خطوة يخطوها الى الصلاة صدقة ظاهرة هذا انه معارض لقوله
 عليه السلام يكتب له باحدي خطوته حسنة ونجى عنه بالآخرى سيئه يعني في الخطا
 الى المساجد لكن ان وقع التحقيق في النظر في معناها فيها لا يتناهيان اذ ان الصلاة
 اشارة عن كسب الحسنة ولا تحيى الصية الا بكسب الحسنة لقوله تعالى ان
 الحسنات يذهبن السيئات فالحسنة التي تكسب في الخطوة الواحدة تذهب بالسيئة
 وقد اختلف العلماء هل هو السيئات محسوسه او معنوية على قولين فمن قال
 بالمحسوس ذهب الى ان السيئات تنجي من السجود حتى ياتي صاحبها يوم القيامة
 فلا يجدها ومن قال بالمعنوية ذهب الى انها باقية في السجود لكن لكونها اذا جعلت
 في كفة والحسنات في كفة فساوت فلم يبق عليه في السيئات عقاب فكانها محسوسه
 اذ عقابها سقط وهذا هو الاظهر والله اعلم لقوله تعالى فمن ثقلت موازينه
 فاوليكم المفلحون فلو محبت بالحس على ما ذهبت اليه الطائفة الاولى لم يبق ما
 يوزن الوجه الثامن قوله عليه السلام ويميط الاذى عن الطريق صدقة فالكلام
 عليه من وجهين في الاماطة وفي الاذا ~~فليس الا لاجبى~~ فالاماطة
 معنى الازالة والاذا هو كل ما يثاذي منه في الطريق فيكون الذي يزيله ماجوراً
 فيه دقا وجل ومثل ذلك ما روي مالك في موطاه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 ان رجلاً اماط شوكة من الطريق فشكر الله له فغفر له الوجه التاسع
 في الحديث تنبيه معنوي لانه اذا كنت مطلوباً بهذا فحسبك به تغلاً ولهذا
 المعنى قال عليه السلام كفى بالعبادة شغلاً لان من لم ينفرد لهذا الشأن فاته من

الخبر كبير ولهذا انقطع اهل التحقيق للعبادة لان نظرهم الى هذه الاشياء وتبعتها
لا يسعهم معها غيرها وهي طريق السعادة والله الموفق قوله عن النبي صلى
الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الوحدة ما اعلم ما سار راكب بليل وحده ظاهر
الحديث يدل على منع سير الراكب بالليل وحده والكلام عليه من وجوه الاوّل
قوله عليه السلام لو يعلم الناس في الوحدة ما اعلم هل هذا عايد على ما ذكره عليه
السلام في احاديث غير هذا مما اذكره بعد اول امر ثان غير فكذلك او لجموعها احتمال
كل واحد منهما واحتمل ان يكون عايدا على كلهم وهذا هو الاظهر لانه ابلغ في الزجر
واقوى وذلك موجود في الشريعة في غير ما موضع الابهام لتعظيم الفايده فاذا
كان المراد هذا الوجه الذي ابدىناه فيترتب عليه من الفقه ان ينظر ما هو الارشاد
هل ابدأ الاحتياقي او الاشارة اليها دون تعيينها فالذي فيه الاصلح منها يفعل
لانه عليه السلام مرة اشار الى الحقايق ولم يبينها كما فعل فيما نحن بسبيله ومرة
ابدا الحقايق من ذكر الثواب على الاعمال وغير ذلك الثاني هل هذا النهي مقصور
على الراكب دون غيره او هو من باب التنبيه بالا على علي الاذني لا يباح للظلمة
احتمل الوجهين معا والاظهر ان يكون من باب التنبيه بالا على علي الاذني لانه اجمع
للفايده ولان العاشق من باب اولي ان ينهي من الراكب لانه يباشر الارض بنفسه
والراكب لا يباشر الارض بنفسه وقد يتأثر بالرابية التي هو عليها راكب
لان العلة التي لاجلها نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك هي والله اعلم ما ذكره
في حديث غير هذا حيث اخبر بان الشياطين تنتشر اول الليل اكثر من اخره
فاذا كان الرجل وحده لا ينام عليه من اذينة الشياطين وكذلك اذا كان هو
وغيره ليس معهما ثالث لقوله عليه السلام في حديث غير هذا الشيطان يهيم

بالواحد

بالواحد والاثنين والثلاثة ركب فاذا كانوا جماعة وقع الامن من اذائهم هذا
من جهة الشياطين وفيه معنى اخر وهو انه قد يخاف عليه لئلا يغلبه النوم فيضل
عن الطريق لان الليل للنوم او ياخذ الرما او نار له من النوازل فلا يجد من يلجأ
اليه ولا يستعين به وبرفق النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمومنين روقا
رحما لمحضهم على ما هو الاصلح لهم في الدنيا والاخرة وهذا النهي ليس على العموم
لكل الناس وانما هو للعوام او بعض الخواص من هو متردد في حاله وامان
كان من الخواص المتحققين فليس يتناول هذا النهي لان النهي انما ورد فيمن كان
وحده وهذا ليس وحده يدل على ذلك قوله عليه السلام انت الصاحب في السفر
وقوله عليه السلام اخبارا عن رج عزم رجل يقول انا جليس من ذكري والخواص لا
لايزالون في الذكر فاذا حصل له صحبة مولاة ومحالسته في سفره فيمضي الطريق
المباركة ومثل ما نحن بسبيله قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى
فامر تعالى بالزاد عموما ثم نبه لاهل الخصوص باعلى الزاد وهو التقوى فمن كان
من اهل التقوى فقد اخذ باعلى الزاد ومن لم يكن له تقوى فلا يجوز له السفر
الا بالزاد المحسوس فان سافر بدونه كان عاصيا ودخل في عموم قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكذلك فيما نحن بسبيله ان سافر في حقه دخل تحت
النهي والحق بيده الى التهلكة ان لم يكن من اهل الخصوص والى ما نحن بسبيله
اشار بعض الفضلاء من اهل الطريق بقوله ان الحال القوي اذا ورد على الفقير
يمشي حيث شا فهو في ذمة الله لا يلحقه اذا وينجح سعيه في كل ما يخطر له من
سبل الخير والامور المباحات لكن هذا يحتاج الى بيان لان المباح عند اهل
الطريق متروك لكن قد يكون المباح واجبا او مندوبا اذا كان سببا

لا جدها لانه ما لا يتوصل الى الواجب الابنه فهو واجب وما لا يتوصل الى المنسوب
 الابنه فهو مندوب فان كان الريد في حاله متردداً فذلك دال على ضعفه فلا يعمل
 عليه وشانه التقييد بلسان العلم فان ترك لسان العلم وعمل على الحال الذي
 ورد عليه مع ضعفه كان مرتكباً للذي الوجه الثالث في الحديث اشارة صريحة
 وهو ان السفر عند اهل الطريق عبارة عن الانتقال من حال الى حال كما هو عند ابناء
 الدنيا عبارة عن الانتقال من بقعة الى بقعة وظلمة الليل عبارة عن الجهل وواقفهم
 في هذا اهل النعمة لان الظلام عند الكل بمعنى الجهل وصدده العلم وهو النور فلا
 يسافر احد منهم سراً فيه ظلمة الا بصواففة العلم والتقوى فيصير فهو بمن معه
 ركاباً من من ضرر الشيطان وقتن الهوي جعلنا الله من صحب ما صحبوا حتى
 يبلغ ما بلغوا بسنة قوله جارجل الي النبي فاستاذنه في الجهاد الحديث
 ظاهر الحديث يدل على ان بر الوالد ين اكد من الجهاد والكلام عليه من وجوه
 الاول ان هذا الاكد ليس على عمومه لانه اذا كان الجهاد فرض عين لا يستاذن
 فيه الابوان وانما يستاذن فيه اذا كان فرض كفاية فذلك الذي برهم فيه اكد
 من الجهاد وفيه دليل على الغزو ولا يخرج اليه الا باذن الامام لان الصحابي هذا
 رضي الله عنه لم يكن يخرج حتى استاذن النبي صلى الله عليه وسلم هل يخرج ام لا الثاني
 لقابل ان يقول لم امر عليه السلام لهذا بالحلوس مع الابوين وامره بترك الجهاد
 وهو على الاعمال لقوله عليه السلام اعمال البر في الجهاد كبرقة في بحر والابوان
 عنه انه لم يخلف احد من العلماء ان الجهاد اذا كان واحياً وجوئاً على الاعيان لا
 يستاذن فيه الابوان مثل ان يغشى العدو قرية قوم فيتعين الجهاد على الكلدون
 استشارة احد لا واحد لوالد ولا عبد لسيد واذا كان الجهاد فرض كفاية

ط ٤٢

فلا

فلا يكون برني الوالد من والا فخذ منهم ارفع من الجهاد بمقتضى الحديث الذي
 نحن بسبيله الثالث فيه دليل على ان طاعة العالم او العارف لا تكون الا بمقتضى
 لسان العلم والترجيح فيها والاخذ بالا على فالاعلى بمقتضى الحال لان هذا الصحابي
 رضي الله عنه لما اراد الجهاد لما سمع فيه من الرغبة وعزم على فعله خاف ان يكون
 هناك فعل اقرب الى الله تعالى بالنسبة الى حاله فسأل السيد النبي صلى الله عليه وآله
 سوال ارشاد ليبين له ما هو الاصلح في حقه والاقترب الى الله فذكر له عليه السلام
 الحديث ولهذا المعنى اشار اهل المعرفة بقولهم طاعة الجاهل شهوة وطاعة العارف
 امتثال بويدها قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الي وهم الوسيلة
 ايهم اقرب الرابع فيه دليل على جواز العبارة عن الشيء بضمه اذا فهم المعنى كان
 صيغة اللفظ وهو قوله عليه السلام ففيهما فجاهد يقتضى على ظاهره ابرار
 الضرر الذي كان لغيرهم هما اولي به وليس ذلك المراد وانما المقصود فني
 برهم نفسك فجاهد الخامس فيه دليل على ان بر الام والوالد على حد سواء
 رداً على من يقول بان تلتني البر للام لان عليه السلام سوي بينهما في اللفظ
 فان احتج هذا القائل بقوله عليه السلام في غير هذا الحديث امك ثم امك
 ثم ابوك فكرر الام مرتين قبل له انما كرر النبي صلى الله عليه وسلم الام مرتين
 لان العرب كانت تهاب الرجال وتعظمهم وتستنضعف النساء وتستخقرهن
 فاكد التكرار في حق المرأة ليرجعوا من تلك العادة ويلحق برها بر الاب على حد
 سواء كما نص عليه في هذا الحديث السادس فيه دليل على ان بر الوالد ين اجل
 من الجهاد ما لم يكن فرض عين لان الجهاد في وقتنا وبرها لا يقال الا بدوام
 المجاهدة طول عمرها والجهاد الدائم افضل من جهاد ساعة ولهذا المعنى قال

عليه السلام هبط من الجهاد الاضيق الى الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس لان
 الجهاد ساعة من الزمان وجهاد النفس مستمر على الدوام السابع فيه دليل على
 ان كل ما يؤول اليه النفس يسمى جهادا لان الابوين قد تحملاه ما لا تستهي النفس فسماه
 عليه السلام لاجل ذلك جهادا التام فيه دليل على انه لا يبلغ حقيقة رضي
 الوالدين الا بالمجاهرة الكلبة لان عليه السلام جعل الخوس معها والقتال امرها
 والصبر بمثابة المجاهد في سبيل الله كيفلا وقد قال تعالى ولا تقل لها اف ولا
 تنهرها وقل لها قولا كريما فاذا ضاع من الاستراحة في الجواب بهذا المقدار
 فكيف لا يكون هذا الكبر من الجهاد وفضل لان ذلك اشق على النفس واقرى من لقاء
 العدو ومضارته التاسع فيه دليل على ان المستشار يسأل على احوال المستشير
 حتى يعلمه وحينئذ يشير عليه فيما هو الاصل في حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم
 لما ان استشاره هذا الصحابي هل يخرج للجهاد ام لا ساله عن حاله بقوله احي والديك
 حتى يعلم ما هو الاقرب في حقه بالنسبة الى حاله فارشده اليه العائش فيه دليل
 على انه حوّل في السلوك والمجاهرة السنة فيه على يد عارف فيرشده الى ما
 هو الاصل فيه والاسد بالنسبة الى حال السالك لان الصحابي رضي الله عنه
 لما ان اراد الخروج الى الجهاد لم يستبد برأي نفسه في ذلك حتى استشار من
 هو اعلم منه واعرف هذا ما هو في الجهاد الاضيق فكيف به في الجهاد الاكبر
 وهذا ادل دليل لاهل الصوفه المتحققين الذين لا يدخلون في المجاهدات والسلوك
 الا تحت يد شيخ عارف بالسلوك ويقولون بان من دخل في ذلك دون شيخ قل ان
 يحيى بن عبيد بن شي وان جافلا يصل الى مقام البري ومع فته وطمته اللهم الا ان كان
 ذلك تحرق العاده فليس الكلام عليه وانما الكلام على ما جرت به العادة

ان يكون مع

قوله

قوله انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يخلون رجلان بامرأة
 الحديث ظاهر الحديث يدل على منع الخلوة بالمرأة بموضع واحد اذا كانت اجنبية
 ومنع سفرها بغير محرم والكلام عليه من وجوه الاول ان مستمع العلم لا يكون
 حجة فيه الا لمحرف فائدة العمل لا مجرد الكلام والظهور لان هذا الصحابي رضي الله عنه
 لما ان سمع حكمتين لم يسأل ولم يبحث الا فيما احتاج اليه في الوقت وهو السؤال
 عن الخروج مع امراته الثاني ان الامر اذا امر المأمور بشي ثم سمعه المأمور
 يبين حكمة اخرى ويحض عليه نكته ان يستفسر الامر هل يفهم على شريح فيه
 او ينتقل الى هذا الامر الثاني وهذا الوجه انما يكون بحضور الامر اذا
 كان هو المبتدئ للاحكام واما الآن فقد ارتفع ذلك لان العلم اليوم لا يؤخذ الا
 بالنقل فاذا كان الانسان على عمل قد تقدم له به علم ثم افاد علمه ثانيا ويكون العمل
 سلم بالثاني افضل من الاول فالمدوب في حقه ترك العمل الاول والرجوع الى العمل
 الثاني ما لم يكن العلم الثاني يوجب عليه فرض فانتقاله للفرض واجب عليه
 الثالث جواز ذكر النساء بحضرة الفضلا من غير زيادة ما احث اليوم
 من البدع من قولهم عند ذكرهن حائشك لانه قد تردد هذا ذكر المرأة من النبي
 صلى الله عليه وسلم والصحابي ولم يزيد على ذكر المرأة شيئا وبعض اهل هذا الزمان
 اتخذوا زيادة ذلك من الادب وهي بدعة محضه ولان الله عز وجل لما ان ذكر الرجال
 سوى بين ذكرهم وذكر النساء فقال تعالى الرجال قوامون على النساء فذكرن
 في القران والسنة مع الرجال على حد واحد لان زيادة لهن في اللفظ الرابع
 لقائل ان يقول لمرأه عليه السلام بالخروج مع امراته وترك الجهاد والجهاد
 فيه من الفضيلة ما تقدم في الحديث قبل هذا والحوادث عنه ان خروجه للمحج

230

مع امراته مندوب وخروجه الى الجهاد الذي ليس بفرض عين مندوب ايضا
 فلما كان الخروج مع المراه مندوبا وينضاف اليه مندوب غيره وهو حجه عن
 نفسه بعد الحج الواجب فمندوب يتضمن مندوبين اولى من مندوب واحد
 لا يتضمن زياده ويترتب على هذا من الفقهاء انه اذا نفر من عملان على حد سواء
 من طريق الفضيل او البدييه وكان احدهما يترشح الاخر بزيادة اجر او سبب
 الى العمل يوجب اجرا فاخذ الراجح وترك المرجوح هو الاولى الخامس ان الامام
 اذا وجه جمعا الى جهة فالسنة لهم ان يضبطوا بالكتب لانه قال اكتببت
 في عزوة كذا وان اكتب بمنع من النسيان عن بعض من عين في ذلك الوجه وايضا
 فانهم اذا حُصروا بالكتب كان ذلك قطع مادة لهم عن ان يتخلف احد منهم او
 تحدث نفسه بذلك وتخصيضا عليهم في الالهة لما هم بسبيله السادس
 ان الراي ينظر لرعيته في المنفعة الخاصة والعامة ويؤثر الالهة فالاهم لان النبي
 صل الله عليه وسلم لما ان جعل هذا العجايب في الجهاد وفيه منفعة خاصة وعامة
 ثم راي له زيادة منفعة في الخاصية به حمل على ما هو ارفع له في الخاص به لان غيره
 يسد مسده في العام فدل هذا على ان الشخص في نفسه وما يخص بذاته اكره عليه
 مما يعم بحنسه في الواجبات والسدوبات وما يؤيد هذا قوله عليه السلام ابدا بمن
 تقول وكذلك يجب في الرعاية العامة والخاصة والله المستعان ابو اليسر ده
 انه سمع اباها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يوتون اجرهم مرتين
 الرجل يكون له الامة فيعلمها وتحسن تعليمها الحديث ظاهر الحديث يدل على
 تضعيف الاجر لكونه المذكورين فيه والكلام عليه من وجوه الاول قوله
 عليه السلام ثلاث يوتون اجرهم مرتين تكمل معناه وجوها الاول ان يكون

تضعيف

تضعيف الاجر عند اجتماع الاعمال المذكورة لان كل واحد منها فعل يوجب
 صاحبه عليه على انفراد فلما ان اجتمع مع صاحبه ضعيف في كل واحد منها
 ضعيف على ما كان في كل واحد منها ان لو كان منفردا الثاني ان يكون صاحب
 هذه الافعال وفي له باجر كل فعل ولم ينقص له من اجر الاخر شيئا فاخر عليه السلام
 بما حصل له في الحال كما يقال في التمتع انه حصل له اجر العرة واجر الحج الثالث
 ان يكون الاجر على قسمين اجر على الافعال مستقني ما جاني ذلك عن الشارع عليه
 السلام واجر العناية بحجها ومجاهدة النفس على ذلك والصبر عليها وقد ورد
 على هذا التوجيهات بحث وهو ان تضعيف الاجر على احد هذه المحتملات
 او على مجموعها على ما ذكرناه على هو خاص بالثلاثة المذكورة او هو متعد لغيرها
 بحتم الوجهين معا فان قلنا بان مقتصر على الثلاثة فلا بحث وان قلنا بان متعدد
 فما العلة التي بها يتعدى وهل العلة واحدة في الثلاثة او هي مختلفة فيتمثل ايضا
 فاما على القول بان العلة فيها واحدة فهي ما اشترتا اليها انفا في احد المحتملات
 وهي العناية بحجها ومجاهدة النفس على ذلك والصبر عليها بحيث ما وجد طاعة
 طاعة مجموعها على هذا التعليل رجي فيها التضعيف ولا نقول بالقطع في ذلك
 لان حقيقة الاجور في الاعمال انما تصح بقول الشارع صلى الله عليه وسلم واما على
 القول بان العلة في الثلاثة مفترقة فيحتاج الى بيان كل علة منها فالعلة في الامتدوا
 اعلم من ثلاثة اوجه الاول صبره على تعليمها الثاني عندها حين قر العين بها الثالث
 تركه لحظ نفسه في تزويجها ورفع منزلتها فهذه ثلاثة اوجه مجموعها في اثنين
 وهو يدل ما احبته النفس لله ومجاهدة النفس في ترك حظها لما برهن الله بحديث
 وجدت هذه العلة رجي التضعيف ايضا واما العلة في المومن من اهل الكتاب فهو

انه بايمانه الثاني احرز الايمان الاول لانه لو لا الايمان الثاني لم يحبط ايمانه الاول
فايمانه بالنبي صلى الله عليه وسلم حصل له الاجر عليه واحرز له اجر ما تقدم من ايمانه
يشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم لحكيم حين قال له امور كنت اتخنت بها
في الجاهلية فقال له عليه السلام اسلمت على ما سلفت من خير فاذا كان الاسلام محرز
اجر ما كان في الجاهلية فمن باب اولي احرازه لاجر الايمان الذي هو اعلی افعال
البر فعلى هذا فاذا وجدت طاعة صاحبها ما جور فيها وهي محرز اجر غير ما من
الطاعات رجي فيها التضعيف واما العلة في العبد فهي اجتماع الحقوق عليه
مع قلة اشاع الزمان لها فاجهد نفسه حتى وفيها فاذا وجدت هذه العلة ايضا
وطاعة من الطاعات رجي فيها التضعيف الوجه الثاني من البحث الاول قوله
عليه السلام الرجل يكون له الامة فيعلمها ويحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن ثابها
هل التعليم والادب اسمين لمعتي واحد او لمعنيين يحتمل الوجهين مع ان العلم
يسوع ان يطلق عليه مودبا وكذلك بالعكس ويحتمل ان يكون لمعنيين وهو
الاظهر والله اعلم واذا قلنا انها لمعنيين فبهاهما احتمل وجوها الاول
ان يكون التعليم لامور الدين من الواجبات وغيرها يشهد لهذا قوله عليه السلام
علموا وبيروا ويكون الادب لتهديب الطباع وحسن الخلق في التصرف
والمعاملات والزجر عن المكروهات في الافعال والافعال وتعليم مكارم الاخلاق
يشهد لهذا قوله عليه السلام لان يودب احدكم وولده خير له من ان يتصدق
بصاع طعام واما الحسن في التعليم فهو ما اشار عليه السلام اليه في الحديث انما
من التبشير والتبشير هو حسن الالقاء وترك السواد من التشديدات والرخص
ولهذا اشار عليه السلام في حديثه قال خرجت من عند الخليفة فيها لانه لما

اراد

اراد

ان يولف كتاب الموطا قال له الخليفة تجنب سدايد ابن عمر ورخص ابن عباس
والي المعنى الاول اشار العليما بقولهم وتواضعون لمن تتعلمون منه وتواضعون
لمن تعلمونه ويكفي في ذلك شاهدا قوله عليه السلام بيروا واولا تعسروا واهما
الحسن في الادب فهو ان تحلم برفق دون عنف لقوله عليه السلام ما كان الرفق
في شيء الا زانه ولا كان الخنف في شيء الا شانه الثاني ان يكون التعليم المراد بهما
تحتاج الامة اليه من استعمال البيت وحفظ مناع البيت والبال وحسن الامانة
في ذلك لانه غالب المقصود من الامة وتبدر تحصل الامة لهذا يتنافس في تحنها
ويكون الاحسان في التعليم على هذا التوجيه اثنان كل شغل بحسب العادة فيه
لقوله عليه السلام رحم الله امرأ صنع شيئا صنع شيئا لله ويكون الادب
حمله على رياضة النفس واحكام الشريعة لقوله عليه السلام ادبني ربي فاحسن
ناديبي والنبي ادب به عليه السلام ما من عليه من حسن الخلق واتباع الامر والنهي
وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن ويكون الحسن في الادب على
هذا التوجيه حملها في ذلك على ايضاح السنة الثالث ان يكون التعليم فيما
تحتاج اليه المرأة في نفسها لان النساء يحتاجن الى اشياء تخصهن والامة لا والادة لها
ولا والاد حتى يعلمنها ذلك مقام هو مقام الام في تعليم ذلك وتبسيته ويكون الادب
هنا ما تحتاج المرأة من الادب مع الزوج والسيد ان كانت للسيد لان ذلك سببا لرفع
منزلتها وحظونها عند السيد والزوج ان تزوجت ويكون الاحسان في هاتين التواضع
لها والاعضاء عن العيوب التي في البشيرة وقد يحتمل ان يكون المراد بالتعليم والادب
جميع ما ذكرنا واكثر من ذلك لانه عليه السلام اتي جوامع الكرام الوجه الثالث من البحث
الاول تقديمه عليه السلام الامة على المؤمن والمؤمن على العبد ما الحكمة في ذلك وان كانت

الواو لا تعطي الترتيب في لسان العرب لكن الحكيم لا يقدم شيئا عينا ومثله ذلك
 قوله تعالى في الكفارات اطعام عشرة مساكين او كسوتهم او تحرير رقبة فاني
 عز وجل بالواو التي هي للتخيير توسعة على المكلف ورعا به وعلى مقتضى الحكمة في
 الترتيب ابتداءً اولاً ببدل المال الذي هو اسند على النفوس ثم جعل بدله في
 اطلاق القرب وهو الاطعام الذي به حياة النفوس وقد قال تعالى ومن احياها
 فكاننا حيي الناس جميعاً فان عدم هذا الوجه فيكون بدله في دفع الآذ وهي
 الكسوة التي بها يتقى اذا الجمر والبرد فان عدم هذا الوجه فيكون بدله
 في ادخال السرور وهو رفع الحال من مقام العبودية الى مقام الحرية فان
 عدم هذا الوجه فمجاهدة النفس وهو الصوم يشهد لما ذكرناه من ان
 الانفاق اشد الامور على النفس واعلاها قرينة الكتاب والسنة اما الكتاب
 فقوله تعالى لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون والمال اكثر تعلقاً بالقلب مما
 ذكر بعده وقوله تعالى الذين ينفقون في السرا والضر او انكافين العيت والمافين
 عن الناس والله يحب المحسنين فقدم الانفاق ايضا واما السنة فقوله عليه السلام
 لا يخرج احدكم صدقة حتى يفيك لحيي سبعين شيطاناً والي ما نحن بسبيله
 اشار عليه السلام في الصفا والبروة حيث قال تبدوا بما بدا الله به والواو
 من جهة التكليف لم تعط الترتيب فاختر عليه السلام فيما خيره من جهة
 التكليف ما اقتضته الحكمة في التقديم لحكمة الحكيم وموافقاً للفظ القران فاذا
 كان الكتاب على ما قرناه فالحديث كذلك ايضا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى
 فكلها صادر عن حكمة حكيم فينبغي ان تكون الامة مع الفاظ التقرينات
 والحديث كذلك ينظرون من طريق التكليف ما يجب ومن طريق الحكمة

ها

ما تقتضي والي هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله لكل اية ظهر وبطن ولكل
 حرف حد ومطلع فالظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى والحد هو التحليل
 والتخيير والمطلع هو ما نحن بسبيله من النظر بمقتضى الحكمة في هذا النوع
 وغيره من انواع ما تحتوي عليه الحكمة ثم نرجع الآن الى الانفصال عن
 الحديث والانفصال عنه بما قد ذكرناه انفاً من العلة المنفردة فيه للتقدي وهو
 جمعة ثلاثة اشياء وهي ترجع لتبيين على ما تقدم وهو بدل ما احبت النفس
 لله ومجاهدتها في ترك حظها لما يرضي الله واما تقديم المؤمن على العبد فهو
 من باب تقديم الاصل على الفرع لان مجاهدة النفس فرع عن الايمان والايان هو
 الاصل فقدم عليه السلام الاصل على الفرع لان ذلك هو مقتضى الحكمة الوجه الرابع
 من البحث المتقدم قوله عليه السلام الرجل يكون له الامة يرد عليه سوال وهو
 ان يقال لمر قال تكون له الامة ولم يقل اشتراها او غير ذلك من الالفاظ والجواب
 عنه ان هذا اللفظ يحتوي جميع انواع التملك وغيره لا ينوب عنه لانه اجمع بذلك
 جميع ما تملك الامة به من ميراث وشراء وهبة وسبي وغير ذلك وهذا ادل
 دليل على فصاحته عليه السلام لانه قد اجمع في هذا الحديث الاخبار بعظيم الاجور
 ارشاداً الى الخير واثار الحكمة تنبيهها عليها وابدعي ما من الله به عليه من
 البيان والفصاحة اعاد الله علينا من بركته ورزقنا اتباع سنته انه وفي حميد
 عن ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان
 ظاهر الحديث يدل على ان قتل النساء والصبيان لا يجوز لكن هل النهي على العموم
 ام لا محتمل والاطهر انه ليس على العموم لان المعنى به في غزو المشركين بعد القدرة
 عليه وهذا يفيد وهو ان يكون النساء والصبيان لم يقاتلوا حين الحرب فان

قاتلوا قتلهم جاز هذا في حال القدرة عليهم واما حين الحرب وورمهم بالنبل
 والمجاهدين فلا يتوقا ما اصاب منهم اذا كان بغير نية ولا يدخل قاتلهم تحت
 النهي لقوله عليه السلام في هذه الحالة هم من ابايهم ثم هذا النهي هل هو لعلة
 لا الظاهر انه لعله اذا النساء والصبيان من جملة الغنابيم ولم يدخل بهم ضرر
 على المسلمين في جنح جريمهم ثم هذه العلة هل هي متعدية ام لا فان قلنا بانها غير
 متعدية فلا بحث وان قلنا بانها متعدية وهو الظاهر لان الاثر يتبع الكلام الشارع
 عليه السلام لانه اوتي جوامع الكلم فحيث ما وجد من كلامه حكم وفهمت لعله
 فحيث ما وجدت تلك العلة يكون الحكم منوطا بها والعلة في هذا الحديث ما
 ذكرنا وهو ما حصل للمسلمين من الفائدة في غنيمة النساء والصبيان من غير ضرر
 لهم كما تقدم فحيث ما وجدنا فائدة لم يتعلق بها ضرر في الدين وجب استعمالها
 وانما قلنا ان تكون لا يلحق منها لان اكبر الضرر في الدين مقاتلة المشركين المؤمنين
 لان مقاتلتهم اياهم علا على اطفال نور الله والنساء والصبيان لم يكفوا فلم يدخل
 من قتلهم ضرر فكانت فائدة بغير ضرر في الدين ثم هذه العلة هل يتعدى الحكم
 بها للباطن ام لا الظاهر بتعدىها على البحث الذي قدمناه ولان اهل الباطن والظاهر
 من نحوه عليه السلام اقر فوالكل كل منهم على مقتضى طريقه قد علم كل اناس مشربهم
 فتعدىها للباطن هو ان تعرف تلك العلة في الباطن كما عرفت في الظاهر فالمراد
 في الباطن كناية عن الدنيا لانها من زينتها والصبيان كناية لان مثلهم لمخالفة
 العقل وغلبة الشهوة عليه لان الصبي يوصف بعدم العقل واتباع المرديات وهي صفة
 الهوا فان تعلق القلب بواحد منها دون ضرر في الدين جاز استعماله على مقتضى
 العلة فمثال تعلقه بالدنيا هو مثل اخذ شي حلال لا حيار من يستعان به على طاعة

عن احمد

م

الله ولم يقع فيه خلل بلسان العلم ولم يكن تعلق القلب به يمنع من اداب
 الاعمال والخصوز فيها فهذا جاز ولا يضر اتباع النفس والهوا فيه ومثل هذا
 كانت افعال الصحابة رضي الله عنهم مثل علي رضي الله عنه حيث يقول لاهله
 اعلموا الطعام مشروبا فان بين الماكول والمشروب كذا كذا اية فلم يكن نظره
 للطعام للشهوة وانما كان تقليل للطعام لزيادة التقرب والعبادة لان تعلق
 القلب بالشهوة الباعثة في الطعام وغيره من المباحات وان كان جازا على لسان
 العلم فهو ممنوع عند اهل الباطن فوجب قتله عندهم وقتله هو تركه لانهم يقولون
 ترك الشهوات قمع الباب وترك المحظوظ رفع الحجب ولهذا المعنى كان عمر رضي
 الله عنه يقول في لا تزوج النساء وما لي اليهن حاجة واطا المرأة وما لي اليها شهوة
 فقيل له ولما يا امير المؤمنين قال رجالا يخرج الله من ظهري ما يكثر به محمد
 الامم يوم القيامة وان كانت الشهوة في النكاح والوصول اليها جائزة على لسان
 العلم وما جور صاحبها فيها اذا كان النكاح على لسان العلم لانه عليه السلام قد قال
 في حديث تعداد الاجور للمؤمنين بوجوب المؤمن حتى في بضعة لامرأته فقيل كيف
 يا رسول الله ينال احدنا شهوته ويكون فيها ما جورا قال ارايت لو وضعتها
 في الحرام ما كان يكون ما ثوما قيل نعم قال كذلك اذا وضعتها في الحلال يكون ما جورا
 وقد طلق عمر رضي الله عنه احد نسائه فقيل له لم طلقتها وهي من امرها وشانها
 واشئ عليها بانواع من الخير فقال اعرف فيها اكثر مما تقولون لكن ما لي قلبي اليها
 فحفت ان تشغل بها عما يلزم من امور المسلمين فقارقتها فما كذا هم ارباب القلوب
 اذا كانت الامور جائزة على لسان العلم وكان فيها بعض شغل عن توفيقه اداب
 الشريعة والحضور في التعبدات تركوها لان ما طلبوا اجل لان من علم ما طلب هان

عليها ترك فما يكون لهم من هذه الخواطر والشهوات فهو من النوع الذي
يقتل وقتله هو دفعه وقد قال عز وجل في كتابه ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والطائف هذا الخاطر الذي يخطر من
اغواء الشيطان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها حين سألته عن
الرجل يثبث في صلاته فقال تلك خلصة تخلسها الشيطان من صلاة احدكم
وقال عليه السلام ان الله لا يقبل عمل امرء حتى يكون قلبه مع جوارحه ولا يكون
القلب مع الجوارح الا بدوام الحضور دون حديث نفس او خيرة من شيطان او
هوى ولهذا المعنى قال بعض الصابة لا احب ان يكون لي دكان على باب المسجد
لا تفوتني صلاة مع جماعة ارجح فيه كل يوم ديناراً اتصدق به في سبيل الله لا اوثر
ذلك على الفقر وانما قال ذلك لانه مشتغل بالبيع والترا والاحذ والعطاء عن الحضور
والذكر والفقير ليس له شغل غير التقيد والحضور واما صفة تعلق خطرات الهوى
فهو مثل ان يكون هواه مما يوافق فيه فيفعل هو القرية ولا يبالي بموافقة
الهوى الا ان الهوى كان سبباً للغبية وهي غيبة الاجر الذي حصل في ذلك
الفعل وما كان سبباً لشيء فهو مثله فهو اذا ذاك غيبة ولهذا المعنى قال
عليه السلام من سعادة المرء ان تكون شهوته فيما يرضى ربه ومثل ما نحن بسبيله
الاصحح لانها قريبة وفيها الاكل والاعطاء والتمتع والادخار ومثل هذه الخصال
هي التي تحسن عليها النفس والهوى فيكون المرء في ذلك ما جوراً وان كانت النفس
والهوى يريدان ذلك وهذا اذا قصد بها السنة واما اذا لم يقصد ذلك وقصد
بها مباحات او فحراً فهو من النوع الذي يقتل لانه ضار في الدين وقتله هو تركه
لان قتل النساء والصبيان اعدام لهم وتركها هو اعدامه فيناط الحكم بالعلة

حجراً

حيث وجدت كما ذكرنا ومن ذلك ايضا النفس الثياب والطيب والزينة والاعباد
والجمع اذا قصد بها السنة ويكون في ذلك ما جوراً لان فيه ايضا راحة النفس وخطأ
وتنعمها ومع ذلك فله الاجر في فعله ذلك ومثل هذا كثير والكلام الاول ان كان لا يقال
السنة فالاجر فيه حاصل ولا يضر تعلق النفس والهوى بذلك وان كان لشهوة
او لحظ فالحكم كما تقدم وعلى هذا نفس عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان امر محرق فلان وفلان ان النار لا يعذب بها الا الله
عز وجل فان وجدتموها فاقتلوهما ظاهر الحديث يدل على ان العقاب والحرد
لا تكون بالحرق وانما تكون بغيره وان كان قد ورد عن ابي بكر رضي الله عنه انه
احرق لوطياً لكن كان ذلك منه مرة واحدة واخذة ولم يفعل بعد ولعله فعل
ذلك لعدم بلوغ الحديث اليه ورجع عنه بلوغه اليه والكلام عليه من وجوه الاول
انه يجوز للمجتهد اذا حكم بحكم ثم ظهر له غير ما اجتهد فيه ان ينزع ذلك عن اجتهاده
ذلك الى غيره اذا كان الحكم باقياً لم يمتص لان النبي صلى الله عليه وسلم كان امر محرق
هذين ثم نزع عن ذلك وقال ان وجدتموها فاقتلوهما الثاني ان المجتهد اذا
حكم بحكم ثم ظهر له غيره ان يذكر العلة الموجبة لتغيير الحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم
بين العذر الذي لاجله رجع بقوله ان النار لا يعذب بها الا الله الثالث جواز
النيابة في الاحكام لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل هذين ولم يامر بان يوتي اليه
بهما الثلث الرابع ان من سب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب
لان فلان وفلان المذكورين في الحديث قد سميا في حديث غير هذا وقيل كان سبب ذلك
انها كانا يوديان الله ورسوله الخامس ان طالة الزمان لا توجب رفع العقاب
لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل هذين حين رجعا القدرة عليهما وقيل ذلك حين

كانت الاذية منها صادرة ولم يبرح القدرة للمسلمين عليها لم يامر فيها بشي ويترب
على هذا من التنبية ان من وقع في شي يوجب العقاب فستر الله عليه واسبع عليه نعمة
وامهله فلا يعتر بذلك ويديم على مخالفته ويقول ان رجوا العفو لما ظهر من صفة الوجهة
من دوام الستر وادار النعم فليبادر الى التوبة والاقلاع قبل مفاجات المنايا او
التم كان الله عز وجل يقول في كتابه افرأيت ان متعام سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون
ما الخفي عنهم ما كانوا يستعون وقال تعالى ولا يفركم بالله الغرور والغرور هو
ترك الخوف والطمانينة لما اظهر عز وجل من اماله وادار انعامه وقال
النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يقبلته والتنبية هنا
لكل نوع من نوعه لاهل الظاهر من نوعهم واهل الباطن بمشربهم فتنبه ان كنت
سببا وما يتذكر الامن ينيب والله حسبنا وكفى عن الناس ابن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر فلما نزع جازل فقال ان ابن خطل
متعلق باستار الكعبة فقال اقلوه ظاهر الحديث يدل على ان الحرم لا يجبر من الحرم
والكلام عليه من وجوه الاول قوله دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر انما ايهم الفتح
ولم يبين اي فتح كان للعلم به ولشهرته والقرينة التي قارنته في الحديث بين اي
فتح كان وهو من الفصح في الكلام حذف الالفاظ للعلم بالمعنى فيه دليل لمرق
ذهب من الفقهاء ان مكة فتح عنوة لان المغفر من السلاح التي لا تفتح عند
الاحسن وايضا فلوكان دخولها صلى الله عليه وسلم لم يكن ابن خطل لم يهر منه ويستجير
بالحرم اذ ان الصلح بجير له ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليامر بقتله وهو قد صلحهم
وقد جاب بالنص ما يرد قول من ذهب لدخولها صلى وهو قوله عليه السلام اجلت
لي ساعة من نهار ولم تخل لاحد قبلي ولا لاحد بعدي وهذا نص في موضع الخلاف

الثاني

الثاني جواز لبس السلاح في حال الاحرام اذا كان ذلك لضرورة مثل الخوف من العرص
وما اشبهه لان النبي صلى الله عليه وسلم لبس السلاح في حال احرامه لضرورة القتال الثالث
لبسه عليه السلام السلاح فيه دليل على ان من بلغ في الحقيقة والتوحيد المنتهي انما الخطاب
له بما منتهى الحكمة لم ينزل لان النبي صلى الله عليه وسلم ارفع الناس منزلة في الحقيقة ومع انه
قد وعده الله بالنصرة والعصمة فقال تعالى والله يعصمك من الناس لكن مع هذا كله
لم يجعل عن امثال الحكمة في كل اجزا اعماله مثل ما نحن بسبيله من لبس السلاح وغيره
يوفي في الظاهر من طريق الحكمة المجهود وفي الباطن ما يجب من التوحيد برد الحول والقوة
له والخروج عن روية اماله الرابع ان الحدود لا تجوز الا باذن من الامام لان من ابصر
هذا الرجل متعلقا باستار الكعبة لم يقبله حتى اسأذن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولان
حضور الامام لا يجوز الحكم بغيره وان علم مقتضاه الخامس جواز النيابة في الاحكام
والحدود لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتله ولم يامر باحضاره بين يديه السادس
ان الرعية لا يجوز لهم ان يخفوا عن راعيهم شيئا من امورهم ولا يفعلون شيئا حتى يشير
به عليهم لان هذا الصابي رضي الله عنه لم يتكلم في شأن ابن خطل حين راه وما وسعه
الا ان يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فكذلك جميع الرعاة يجب عليهم ان لا يخفوا من امورهم
شيئا عن راعيهم اذا كان عدوا لان اخبارهم له بذلك عليه تترتب مصاحبه ومصالحهم
وقد قال عليه السلام النصيحة لله ولرسوله ولولاة المؤمنين ولخاصتهم وعامتهم
والاخبار بما لا يعلم من باب النصيحة ثم هذا الوجه يحتاج فيه الى بحث وهو
انه هل تنعدي عليه ام لا فعلى القول بانها غير متعديه فلا بحث وعلى القول بانها متعديه
وهو الاظهر لما بيناه في الاحاديث قبل لكثرة الفوائد في كلام الشارع عليه السلام
ولانه عليه السلام قد قال كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فيجب على كل من كان

مسترعياً ان يجبر راعيه باجزاء اموره حتى لا يكون منه فعل الا بامر راعيه ومشورته
 وكل احد بالنسبة الى حاله راعيه فالسيد في قومه راع عليهم والرجل في بيته
 كذلك ومن كان عرباً عن القبيلة والاهل فهو اقل وصنيفه من غيره لانه لم يبق
 عليه غير وصيفة الجوارح وهي مسترعية الى النظر فيها بالعقل هذا في حكم الظاهر
 وكذلك يجب ايضا في المعاني وهو حكم الباطن وهو ما يخطر من الخواطر النفسانية
 والشيطانية والهوائية فكلها مسترعية وراعها هو العقل فاذا خطر للهرج
 خاطر او وقع له واقع فليعرضه اولاً على العقل والعقل اذا كان ينظر بمقتضى
 الامر والحكمة فان كان فيه مصلحة اجازته والامنع وان كان المرء ممن امر بالتوفيق
 وكانت شهواته ومرضاته وخطراته في مرضات ربه فهذه قاعدته ابداً ومحذر
 من العفلة عنها لان بها قوام امره لانه اذا لم يكن على هذا الحال والاقد تستنفره
 النفس في مرة ما وهو لم يشعر ومثل هذا ما حكى عن يحيى ابن زكريا عليه السلام
 حين لقي ابيس العين فسأله هل قدر عليه قط ونال منه شياً فقال العين نعم
 ليلة احضرت بين يديك عشاءك فشهيتهك الطعام حتى ردت فيه على العادة
 فممت عن ورودك فقال يحيى ابن زكريا عليه السلام والله لا استبغ بعدها ابداً
 فاذا كان المرء يستعمل نظره ابداً على القاعدة التي قرنهاها كان اكله ونومه ويطمئنه
 مضبوطاً بلسان العلم وايضاً فانه بنفسه نظره الى تلك القاعدة كان له من الاجر
 ما لا يكون للصائم القايم الخافل عنها لانه لا يحمله على المحاسبة والمراقبة الا للوقوف
 من الله والاجلال له وقوة اليقين ولهم هذا المعنى كان بعض الفضلاء يقول يحتاج
 العاقل ان يكون محاسباً مراقباً ومعنى المحاسب هو الذي يحاسب نفسه فيما مضي
 من عمره فان كان بقي عليه شياً فليخلص نفسه مادام في هذه الدار والمراقبة هي

لهم

مهما خطر له خاطر عرضة على العقل ونظره بلسان العلم فما حسن منه ففعل وما
 قبح منه ترك فلم يفعل والا كان كالناجر ينفق ولا يعرف حتى يفلس وقد قال عليه
 السلام حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ولاجل ترك النظر الى هذه القاعدة او
 الجهل بها وقع كثير من الخلل والفساد عند بعض المدعين للطريق المتسبين اليه
 لانه يخطر لاحدهم التصرف في مرضات نفسه وما يشرب به عليه هواه وقد يسمع به
 تهويساً من الشيطان فيأخذ ذلك من حينه على الاطلاق من غير ان يخلص القاعدة
 التي قرنهاها فيفضل مع الضالين وهو يحسب انه تحسن صنعا فيقول قيل لي وقلت
 وخطري ووقع لي وهيهات هيهات ليس التعبد بالخواطر ولا بالشهوات وانما هو
 بالامتثال والامتثال لا يتصور وجوده الا مع العلم والعلم قد شأ عز وجل وسبقت
 ارادته انه لا يؤخذ الا بالتعلم لقوله عليه السلام انها العلم بالتعلم والمراد بهذا التعلم
 هو علم النقل وهو الامر والنهي لانه لا يؤخذ بصفا القلب ولا بغيره وان اخذ بصفا
 القلب فلا يجوز التعبد به حتى يكون نقلاً وانما يكون بصفا القلب العلم اللدني
 ومع ذلك فالعلم المنقول لا يثبت منه لان به يختبر صحة من سقمه عن ابن عمر
 قال ذهب قريش له فاخذوه العدو فظهر عليهم المسلمون فرد عليه في زمن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الحديث يدل على رد الفرس لابن عمر رضي الله عنه
 بعد ما ملكه العدو والكلام عليه من وجهين الاول قوله ذهب يرد عليه
 سوال وهو ان يقال لم قال ذهب ولم يات بغيرها من الصنيع والجواب عنه انه
 انما عدل عن ذكر غيرها اليها لانها جامعة لانواع طرق الذهاب لانك تقول ذهب
 مال فلان وقد يكون ذهابه بالسرقه او الانفاق او النسيان او الضرب الى غير ذلك
 من وجوه الازهار وذهب يدل على كل واحد منها على حدة سؤا فهذا من الفصح

ولا

في الكلام الثاني قوله عليه السلام فرود عليه فيه بحث وهو انه هل رد عليه من طريق احسان النبي صلى الله عليه وسلم اليه فهو كالنفل او رد عليه لان حصوله بيد المشركين لم ينزل ملكه عنه وكان رده من طريق الوجوب كمثل الوجوهين معا وقد اختلف العلماء هل المشركون يملكون اموال المؤمنين ام لا على قولين فذهب قوم الى الجواز مطلقا واحتجوا بقوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والاحتمال الذي في الحديث وهو كون الفرس رد على طريق النفل وذهب قوم الى المنع مطلقا وحجتهم الاحتمال الذي في الحديث وهو كون الفرس رد على طريق الملك وهو ان المشركين لم يملك ملك رقاب المسلمين فاموالهم كذلك وفرق قوم وكانه قول ثالث فقالوا لا يخلوا ان يدرب العدو بها ام لا فان ادرب ملك وان لم يدرب يملك وكان صاحب هذا القول يري انهم ما لم يدربوا فصاحب الشيء لم ينقطع رجاءه منه لانه قد تعود الكرة عليه فيؤخذ منه ويغتمون او يتربكون ما اخلوا وبضربون واما اذا ادربوا فقد انقطع الرجاء من العوده عليه وهذا استخسان قول ابن قزوين والاطهر والله اعلم ان العدو لا يملك بدليل الحديث والقياس اما الحديث فاحد الاحتمالين المذكورين في الحديث الذي نحن بسبيله ويؤرخه على الوجه الاخر ان العدو غنم مرة المدينة واخذ فيها ناقه الضبي صلى الله عليه وسلم المسماة بالعصبا واخذت امرأة من المسلمين في الاسر في جملة ذلك فلما جن عليها الليل قامت تريد الفرار بنفسها فارادت ان تترك ناقه تنجر عليها فانت ناخذ ناقه لتركبها فكل ناقه او دابة تقع يد عليها تنفر فتتركها وتذهب لغيرها حتى انت الى العصبا وكانت دلو لا فلم تنفر فركبتها وانت بها الى المدينة ونذرت في طريقها انها ان نجت عليها فهي تنجرها وتهدبها فلما انت الى المدينة راها الناس ففر فوها فانوا بها الى النبي

ص

صلى الله عليه وسلم فذكرت له القصة فقال صلى الله عليه وسلم لا تذر فيما لا تملك ووجه الحجية فيه انها لو اتت على ناقه كانت ملكا للمشركين قبل لم تؤخذ منها فلما ان كانت مما عثم من المسلمين قال صلى الله عليه وسلم لا تذر فيما لا تملك واخذت منها وهذا يبين ان الاحتمال الذي في الحديث وهو كون الفرس رد من طريق الملك والوجوب ان الوجوب هو المراد وهو الاظهر في الموضع وفي هذين دليل واضح لا يخفى فيه انهم لا يملكون واما القياس فقد تقدم لصاحب هذا الذهب وهو انهم لا يملكون الرقاب فالاموال كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجها الا للجهاد في سبيله وتصديق كلماته ان يدخل الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه ما ناك من اجرا وغنيمة ظاهر الحديث يدل على ان من خرج الى الجهاد بالنية المذكورة فيه فلما احد الوجوهين المذكورين فيه وهو ان يرجع بالاجر والغنيمة او يستشهد فيدخل الجنة ويكون فيها حرم برزقي لقوله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون والكلام عليه من وجوه الاول قوله تكفل الله معناه ضمن الله لان الضمان لان الضمان له في اللغة سبعة اسما ومن جعلتهم الكفيل والضمان من الله سبحانه ضمان افضال لضمان وجوب فان معناه تأكيد التصديق بحصول الاجر الذي تفضل به على الجاهد في سبيله لان الوجوب في حقه تعالى مستحيل الثاني قوله لمن جاهد في سبيله لا يخرجها الا للجهاد في سبيله وتصديق كلمات الجهاد في سبيل الله يحتمل وجوها واظهرها في الموضع قتال العدو الذي هو الكافر وكيفية النبي فيه هو ان يخرج للفرز ويريد به القتال في سبيل الله واعلا كلمته لا يريد بذلك غير الله ويحسب قتل نفسه ان قتل وكلما يلاقي من شدة الحروب

٧٤

الجهاد في الجور والظهور

وهولها في حق الله لا لظهور ولا لكسب دنيا ولا لغير ذلك والتصديق على ضربين
علي ضربين فمن عين وفرض كفايه وهو المذكور في القدر وتصديق بما جافيه من الاجور والاحسان
على مقتضى الايات في الوجهين الوجه الثالث هل يقصر هذه الاجور على الوجه الظاهر
وهو قتال العدو او تحمل على ما يقتضيه عموم الشهاد في طاعة الله وهو الاظهر
كما ذهب اليه بعض الصحابة حيث قال لانيه حين لقينه في طريق المسجد وقد اغبرت
قدماه فقال له اغبر الصلاة اخرجك فقال لا لم اخرج لغبرها فقال شهدت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اغبرت قدما رجل في سبيل الله الا حرمه الله
على النار فقال له الرجل ذلك خاص بالقتال فقال الصحابي افعال الخير كلها في سبيل
الله وقد قال عليه السلام في الخارج للمجد هو في ذمة الله ان مات داخل
الله الجنة وان رجع الى منزله كان كالمجاهد رجع بالاجر والقيمة وهذا نص في
المسئلة فيجب تعديده في جميع وجوه البر ويكون الاول منها اظهرها واعلاها
الوجه الرابع هل يتعدي الحديث للجهاد المعنوي ام لا اما ظاهر اللفظ فلا
يؤخذ منه التعدي لانه ذكر في الجهاد الحسي واما على القاعدة التي قرنها في
كلام الشارع عليه السلام انه محمول على كل الفوائد ان امكن فهو متعدي لا شك فيه
سيما في هذا الموضع الذي قد نص عليه السلام ان الجهاد المعنوي اكبر من الحسي
وهو قوله عليه السلام صبطن من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو جهاد
النفس فاذا كان حكم يناط بعله فحيث ما وجدت العلة انيط الحكم بها فالدخل
في الجهاد المعنوي يكون بتلك النيتين المذكورتين في الحديث وهما الجهاد في سبيل
الله والتصديق بكلماته ولا يعول على العيش بعدها الا ان قدر له بذلك لان
الراجع عن اتنا الطريق لم يتم له صفقة وتنام الصفقة هنا هو الموت

علي

على ما هو عليه من مجاهدة النفس في ابتغاء رضوان الله ولهذا المعنى ان جأ
لبعضهم ثلاثة نفر يطلبون منه التزبيد في السلوك فقال لاحدهم كمر تصبر
فعدله اياماً محصورة فقال الشيخ ما يجي منك شي ثم سأل الاخر فقال اطيق
الكر منه وعدله الايام فقال له الشيخ ما يجي منك شي ثم سأل الثالث فقال اصبر
حتى اموت فقال له ادخل وقد قال بعض الفضلاء من اهل هذا الشأن من
صدق وصدق قرب لا محاله وانما يقع الخلل في الجهادين معاً اذا كان الدخول
مخطاً بناوي او نفساني ومن دخل بهذا قصد في الحياة وهو يومئذ قليل
ان يقع لثل هذا النصر لانه اقل شي يركن العدو وتي مدبراً للطمع في الحياة
واما اذا كانت النية ما اثرنا اليه فاخلل لا يدخل هناك لان من دخل بنية
ان لا يعيش قل ان ينهزم لانه اذا عاين الموت لا يفر منها ويقول هي المطلوب
والتقصود واعظم ما في الجهادين من الوقايح الموت فاذا كانت اعظم الموقفات
هي مقصوده فكيف يبالي بما هو اقل منها ولهذا المعنى كان النبي صلى الله عليه وسلم
حين الجهاد يخاطب الناس ويذكرهم ويعلمهم بما لهم فيه من الاجر مثل قوله
عليه السلام اعلوا ان الجنة تحت ظلال السيوف وكفى في هذا دليلاً ان الله عز وجل
جعل الفرار منه من الكبائر فقال تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الامتنع فقال
او متحيز الي فينة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير وقد روي
ان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عند اللقاء
يسوون صفوفهم ويذكرون اصحابهم ويعطونهم حتى كان بعضهم ينظر
من هو اصحح في الكلام واعلا صوتاً في امره بالشيء بين الصفوف فيعظ الناس
ويذكرهم فيما جاف في الجهاد وكل هذا مندرج في ضمن قوله تعالى يا ايها النبي

حرص المؤمنين على القتال وما ذكرناه وما وردناه من جملة التخرين وكذلك
ينبغي في الجهاد الأكبر اذا كان المراد عالما بكيفيته وبما جافه فيها ونعمة وان
يكن عالما بذلك فليتخذ شيئا يستند اليه عارفا بذلك الشأن حتى يثبته له لسان
العلم في جهاده ولسان الطريق وما يشترط فيه ولاجل ترك النظر الى هذه القاعد
كانت المجاهدة اليوم عند جل الناس لانقيد شيئا لاجل انهم يدخلون في المجاهدات
جاهلين بها من الطريقين وان كان لاحد علم فيكون في الطرف الواحد ويترك
الآخره ومن حصل له العلم بالطريقين فهو المرجو له الخير وهو على طريق
الهدى والتوفيق فطوبى له ثم طوبى ومن رزق التوفيق ولم يكن له علم بهذين
الطريقين يحتاج ان يبدل نفسه فيهما لعله ان ينال منهما شيئا او من بركة
اهلها وقد قال بعض الشعراء انا حاول ملكا او اموت فاعذرا له
فاذا كان هذا في طلب ملك الدنيا فكيف في طلب الآخرة وقد قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لو كانت الدنيا من فضة والآخرة من خرف والدنيا قانية والآخرة
باقية لكان الواجب ان يرهق في القانية وان كانت من فضة ويرغب في الآخرة
وان كانت من خرف فكيف والامر بضد ذلك عن ابي موسى رضي الله عنه
قال ائيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الاشعرين نستحله فقال والله
لا احلمكم وما عندي ما احلمكم عليه الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز التحلل
من اليمين المنعقدة والكلام عليه من وجوه الاول قوله ائيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نفر من الاشعرين يرد عليه سوال الان الاول ان يقال لم قال
ائيت ولم يقل ائيتا وهم كانوا جماعة فعدل عن اللفظ الحقيقي الي غيره مع الاحتياج
الي الزيادة في اللفظ لانه لو قال ائيتا لم يحتج الي ذكر التفر فلما قال ائيت

احتاج ان يبين من اتي وهذا بنا في لغتهم وفصاحتهم لما فيه من الاختصار والابلاغ
الثاني ان يقال لم سمي النفر من اي قبيلة كانوا والجواب عن الاول من وجهين
الاول ان ابا موسى رضي الله عنه هو سيد الاشعرين ورب يسهم وهو صاحب
راهم ومدير امرهم لان قبائل العرب كانوا يفعلون شيئا حتى يسنادوا
سيد قبيلتهم فهو خبر انه كان السبب في مجي الاشعرين الي النبي صلى الله عليه وسلم
وبرايه ومشورته اذ اذ ان قال قائل لو كان كذلك لقال ائيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الاشعرين قبل له انما عدل عن تلك الصيغة لما نطق بهتوا اضعا
منه لاخوانه الاشعرين لانه لو قال ذلك لكان في اللفظ ما يدل على جبرهم في
المجي فلما ترك ذلك واتي بئى زال ذلك وبقي هو مع اخوانه في اللفظ كانه واحد
منهم الثاني من الجواب تختم ان يكون خص ذكر نفسه دون غيره تبركا
منه باسم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون اسمه يلى الاسم المبارك ومثل هذا كان
الصحابة رضي الله عنهم يفعلون كثيرا تبركا منهم بالاسم المرفع والجواب
عن السؤال الثاني انه انما ذكر الاشعرين لان جمعا اذا اتي للنبي صلى الله
عليه وسلم في هذا القدر وبراجعهم ويرجعون اليه بهذا القدر من المحاولة
التي ذكر في الحديث فلا يكون في الوقت المشهورا فكان ذكر القبيلة وتعيين
قرينة لقوة التصديق وهذا كان داب الصحابة رضي الله عنهم مثل عثمان
رضي الله عنه حين اخبر عن حديث الرضوء وقال فيه لولا ائيت في كتاب الله
ما حدثتكموه فاشار الي القرينة الدالة على التصديق مع انه واحد ممن يؤخذ
عنه الدين لقوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء بعدي ثم يرد
سوال ايضا على قوله نستحله وهو ان يقال لم قال نستحله ولم يذكر

احتاج

فيما ارادوا الحملان منه والجواب عنه انه انما سكت عن ذلك للعلم
به للقرابين التي قارنته في الحديث يعلم بها انه اراد الاستحصال في الجهاد
فحذف ذكر الجهاد ابلاغاً في الاختصار وهو من الفصح في الكلام الوجه الثاني
من البحث المتقدم قوله والله لا احل لكم وما عندي ما احل لكم عليه ظاهر اللفظ
يدل على جواز اليمين على ان لا يفعل الانسان فعلاً من افعال البر اذا لم يقدر
عليه لان حمل هولاء من افعال البر فحلف عليه السلام ان لا يحلهم لكونه لم يقدر
على ذلك وقد بين العلة بقوله لا احد ما احل لكم عليه هذا معارض لقوله
تعالى ولا تجعلوا الله عرضة ليمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
والجمع بين الآية والحديث ان اليمين هنا ليس المراد منه ظاهر لفظه لما قارنت
من القرابين يدل على بطلانه وذلك ما علم من حال النبي صلى الله عليه انه كان في
افعال البر يبذل المجهود فكيف يقع منه يمين على هذه الصفة القريبة
العظمى ان لا يفعلها ذلك محال في حقه عليه السلام وانما قال لهم عليه السلام
ليقطع مادة التشويش عنهم لتعلق خواطرم في الرجال لعله يعطيهم فيما بعد
وكان يمينه عليه السلام دفعا لهذا التشويش وراحة لتوسمهم عند قطع اليمان
وكما كان سببا لرفع تشويش فهو مستحب فان قال قائل فما فائدة قوله
لا احل لكم وما عندي ما احل لكم عليه واحد ما يعني عن الاخر قيل النبي صلى الله عليه
كان اذا جاء احد يطلب منه ان كاعده شي اعطاه وان لم يكن عنده شي تكلم
لاصحابه ان كان فيهم من يقدر له بشي يعطيه فاتي عليه السلام بتلك اللفظتين
ليقطع عنه مادة التشويش مرة واحدة حتى لا يبقى لهم تعلق خاطر باعطائه
ولا يجلامه لمن يعطيهم فقوله ما عندي ما احل لكم عليه اشارة لهم بان ليس

عنده

ما يحلهم عليه وقوله لا احل لكم اشارة بان لا ينسب لهم في ذلك لكن يرد
على هذا سوال وهو ان يقال لم قطع العادة التي كان يفعل لهما الاشرع
دون غيرهم وهو كونه اذا لم يكن عنده شي تعطى في اصحابه وتكلم لهم وللجواب
عنه انه قد يكون النبي صلى الله عليه ولم علم ان اصحابه ليس عندهم في الوقت
شي الا قدر ما يقوم بحركتهم ولا يفضل لهم على ذلك فضل حتى يعطوه غيرهم
وهم كانوا خارجين الى الجهاد فيحتاجون الى القوة والشدة فان شاركوا
غيرهم فيما عندهم قد يضعفون عن القتال بسبب ذلك سيما الصحابة
رضي الله عنهم الذين كانوا قوتهم الثمرة والتمران فاذا شاركوا غيرهم في هذا
التمر اليسير معلوم انهم لا يطيقون القتال لان اليسر لا يبدله من شي ما
يسد به رمقه وقد روي عن بعضهم ان كان قوتهم ثمره ففرق
التمر في احداهم ياخذ ثمره فقبل له اخذتها فغشي عليه فلم يبق حتى
اعطيته واكلها فقام فاذا كانوا على هذا الحال فالزائد عليهم ضررهم لا
مصلحة في خروجه معهم فترك عليه السلام الطلب لاصحابه لاجل هذا
المعنى والله اعلم الوجه الثالث من البحث المتقدم قوله واوتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنهب ابل فسال عنها النهب هو ما يوحذ من اموال
المشركين وهي الغنيمه التي يضرب عليها بالخيول والرجل فتوحذ اموالهم ونهب
من بين ايديهم وسواله عليه السلام على النفر الاشرع بين حين اناه النهب دليل
واضح على انه ما اراد بيمينه الا الوجه الذي ذكرناه وهو رفع التشويش
عنهم الوجه الرابع فامر لنا بخمس ذود غير الذري الذود عند العرب هو
الجل الواحد فهو اجر انه عليه السلام اعطاهم خمس اجره وتمر الذري

صفة الجمال وهو بياض يكون في اعلاصه وانا في بصفتهم لانها قريبة
تذهب التهمة في النسيان والغلط لان من يذكر هذا القدر من الخيرات
قد انقضت عنه التهمة في القصة بكل ممكن الوجه الخامس قوله فلما انطلقنا
قلنا ما صنعنا فيه دليل على ان المرء اذا حصل له مراده يسر بذلك في وقته حتى
قد ينسى ما كان قبله من شدة فرجه به لان مراده هو الا شعير بين كان ان لو
وجدوا اعانة لليهود في سبيل الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما ظفروا بذلك اشغلهم الفرح الذي دخل عليهم بالطاعة التي نالوها عن
ذكر يمين النبي صلى الله عليه وسلم فلما ان سكن ذلك عنهم قليلا ورجعوا الى انفسهم
فحينئذ التهبوا لذلك فرجعوا اذ ذاك وهذا امر قل ان يثبت عنده الا
القليل النادر ولا يحسن التثبت هناك الا لمن داوم على محاسبة نفسه
في كل انقاسه واستغراق في المراقبة حتى يذهل عن لذة الطاعة ولذيد النعيم
مع ان من وجد هذه اللذة بالطاعة حتى يذهل في الخبز عن اموره بما توالي
عليه من محبتها فهو مقام سني لكن ما اثرنا اليه ارفع واعلا الوجه السادس
قولهم لا يتبارك لنا هذه البركة التي خافوا من روالها احتملت من وجهين
الاول ان يكونوا ارادوا بزوالها انهم لا يبلغوا بها ما املوا الثاني
ان يكونوا ارادوا الا يبارك لهم في اثمان تلك الجمال ولا في رقابها لكونهم لهم
ياخذوها على الوجه المرعي لانه تعين عليهم فيه النصح للنبي صلى الله عليه وسلم
لقوله عليه السلام النصيحة لله ولرسوله وهم كانوا عالمين بيمين النبي صلى الله
عليه وسلم فتعين عليهم نصحه فخافوا من روال البركة لاجل ما تعين عليهم بسببه
فلم يفعلوه لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوقون اسيا حلالا محضاً

مخافة

مخافة وقوعهم في الحرام كما قال بعضهم كنا ندع سبعين بايام الحلال
مخافة ان تقع في الحرام لان الحرام يرتفع منه البركة ظاهراً وباطناً اما الباطن
فانه يحدث الظلمة في القلب والفساوه واما الظاهر فانه يحدث الكسل
عن العبادة والامتنان بحقها مع ان البركة تذهب منه محسوسه لانه اذا
كان الشيء حراماً ما يقوم باثنين يستعمله رجل واحد ولا يكفيه لزوال البركة
منه وذهابها وكذلك ايضا في الضد وهو الحلال لا بد من ظهور البركة فيه محسوساً
ومعنويته وبالمحسوسه يستدل على المعنوية في كلا الطرفين في الحلال والحرام
فاذا بورك في طعام وقام باثنين منه ما يقوم بالواحد علم ان البركة المعنوية
حاصلة فيه بالضم ولهذا المعنى لما ان وجد ذلك ابو بكر رضي الله في الصحفة
التي قدمها الى الاضياف فاكلوا منها وهي باقية على حالها لم تنقص ثم اكل هو
واهل بيته وهي باقية لم تنقص على حالها لم تنقص اثر بها النبي صلى الله عليه
لعلمه بتلك البركة المعنوية فيها بما شهد له ظاهراً فاستدل بالحسي على المعنوي
ولاجل هذا المعنى كان طعام اهل الخير والصلاح ابداً فيه من البركة ما ليس
في غيره لاجل انهم يعنون على الحلال اكثر من غيرهم فكانت البركة لديهم ظاهرة
وباطنة واستعانوا بذلك على العبادة والاستمرار عليها ونورت بواطنهم
وقل لتسبيهم في اسباب الدنيا للبركة الحسنة والمعنوية الموجودة في طعامهم
الوجه السابع من البحث المتقدم قوله فرجعنا اليه فقلنا انا سالتنا ان تجلنا
فحلفت ان لا تجلنا فنسيت فيه دليل على ان الشيء اذا كان فيه محتملات
واحد هابرا للذمة فالسنة فيه ان يوجد بما هو الا بر اللذمة لان عطية
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم الاجل محتمل وجهين احدهما ان يكون اعطاهم ذلك

مع عليه باليمين والثاني ان يكون اعطاهم ذلك ناسيا فان كان الاول فليس عليهم فيه شيء لانه عليه السلام هو المشرع وما يفعل الا ما هو الامر الذي يتدين به لانه منه يوحى الدين وتثلي في الاحكام وان كان الثاني فليس عليهم ايضا فيه شيء لقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان ولكن يتعين عليهم في ذلك التمسح لانهم سمعوه من حلف وهم لان ذاكرون لذلك وقادرون على زواله ان كان نسيانا فخافوا من احد المحتملات فاحذوا بالابراء للامة حتى ازالوا ما كان هناك من الشبهة وعلما وجه الصواب في المسئلة والنسب هذه ما اشترنا اليها وهي تركهم النصيحة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم الوجه الثامن قوله عليه السلام لست انا حملتكم ولكن الله حملكم فيه دليل على ان المرء ينظر في عمله الصالح بنظر الحقيقة والتوحيد فكما يصدر منه من انواع الخير يري ان الله هو الفاعل لذلك حقيقة ومن عليه وتفضل بان اظهر ذلك واجراه على لسانه وبده لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان اجري الله هذا الخير على يديه وهو حمل الاشعيرين الى العزو وتبراء من فعله ذلك ونسب حليم الى الله تعالى لان نفسه المكرمة وتبديره وكذلك ايضا يجب ان ينظر بالعكس عند ترك الاعمال او وقوع المخالفة وكل ما فيه نقص ينسب كل هذا وما اشبهه الى النفس وينظر اذ ذاك من طريق التكليف والامر لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان امتنع من حمل الاشعيرين نسبه اى الامتناع لنفسه المكرمة فقال والله لا احكمم ولم يقل الله منعكم من الحمل لانه ليس اعطاني ما احكمم عليه وهذا من التاديب مع الربوبية والتعق في ميدان الحقيقة والتوحيد مع النظر بالحكمة والتكليف فمن كانت قاعدته هذه فهو السعيد لان وجود هذه الحصلة علم على التوفيق يدل على ذلك قصة ادم

عليه السلام

عليه السلام لما ان يسر للسعادة نظر الى هذه القاعده فسلك هذا المنهاج فنسب الخطية التي وقعت منه لنفسه فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فتاب الله عليه وجعله من اصغايه ومن كانت قاعدته عكس ما قررناه او نظره في كل اموره بنظر التوحيد فذلك علم على خسرانه وشقاياه لان وجود هذه الحصلة يدل على ذلك يشهد لذلك قصة ابلليس اللعين لما ان يسر للبعد والشقا والطرد والمذلان حين امتنع من السجود لم يعترف بعد ذلك على نفسه بالخطا وانما نظر الى الحقيقة فقال لو شا ان نسجد لسجدت فكان ذلك سببا الى خذلانه الوجه التاسع قوله عليه السلام واني ان شا الله اذ حلف على يمين فاري غيرها الا انبت الذي هو خير وتخلتها فيه دليل على جواز التخلل من اليمين وقد تقدم وقد اختلف الفقهاء هل الكفارة تكون قبل الحنث عند العزم عليه او لا تكون الا بعد وقوعه على قولين وسبب الخلاف هذا الحديث وما جا في رواية اخرى انه عليه السلام قال ثم تخلت عن عيبي فاتي فيما نحن بسبيله بالواو وهي ليست تقطع الترتيب واتي في الحديث الاخر بتم التي تفيد ان الحنث قد وقع قبل لانها للمهلة والبرايخي واستثناوه عليه السلام هناك من جبه الناد مع الربوبية لان اليمين بغير استثنا قطع على القدر لا ينفذ ولهذا المعنى قال بعض الفضلاء لمن انه وقف على عرفة وتاب وحلف انه لا يقع في مخالفة ابدا فقال له بين ما صنعت ما وقعت فيه اشد مما بنت منه لانك ابنت على الله ان لا ينفذ قضاءه وقدره فكان استثنا النبي صلى الله عليه وسلم لاجل هذا المعنى ولاجل النظر الى ما اشترنا اليه ذهب ابن عباس رضي الله عنه

خير انك مع

رخصه

الى ان الاستثنا يجوز ولو بعد سنين فالاستثنا له سابق لانه نظر ان
اليمن بغير استثنا قطع على القدرة وذلك قطعه ادب واحترام بجانب
الربوبية وان كانت الايمان قد ايجت لنا في شريعتنا الا ان ذلك من باب
المن والتوسع وقد كان عيسى عليه السلام يقول لبي اسرائيل فانا اوصيكم ان لا
تحلفوا بالله لاصادقين ولا كاذبين فجعل ابن عباس رضي الله عنه الاستثنا
في هذا اليمن اذا وقع كالتوبة من الذنب والتوبة مرغبت فيها الى وقت التفرغ
فان كان استثنا المراد لاجل هذا المعنى وهو الرجوع عما وقع منه من سوء الادب
فاستثناوه سابق وهو يخرج عما عقد من اليمن وانما ذهب رضي الله عنه
الى هذا لاجل انه كان في خير القرون فقل ان يقع اليمن من احدهم وان وقعت
فيكون رجوعهم للاستثنا لاجل هذا المعنى لاجل شهوات انفسهم فلما
استقراء من احوال اهل زمانه وما هم عليه كانت فتيا به هذا لاجل هذا المعنى
انكر قوله من اني بعد من الفقهاء ولم يعلموا الوجه في الغالب لان الناس
قد تغيروا عما كانوا عليه فمن العلماء من فهم معناه ومنهم من لم يفهمه ومن
فهمه لم يقدر ان يبدي ذلك لاهل زمانه لان الغالب عليهم تفضيل شهواتهم
وتقدمها فقد يدعون انهم ارادوا الوجه الذي ذكرناه ولم يريدوا الاستهوان
انفسهم وانباع هواهم فكان ترك ذكر بيان مذهب سد الدرر بعة ولاجل
هذا يقال كابد في كل زمان من عالم بين الدين بحسب ما يحتاج اليه في الوقت
يويد هذا قوله عليه السلام كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلها ملك نبي
خلقه نبي لا نبي بعدي وان علماء امتي كانوا بنو اسرائيل ثم اختلف العلماء اختلافا
كثيرا متى ينفع الاستثنا كل منهم ذهب الي ما يريح له عليه الدليل ولكل واحد

منهم

منهم نظر صحيح ولو لا التطويل لا وضحا نصحيح مذاهيرهم وبيننا ما قال
قائل لو كان الوجه في الاستثنا ما ذكرتم لم يصدر اليمن من النبي صلى الله عليه
وسلم بغير استثنا لانه قد حلف ان لا يجلم ولم يستثن قتل له قد بينا الوجه
الذي لاجله حلف هناك فلو استثنا اذا كثر الزوال المقصود بما اراد
اليمن اليه وبقيت النفوس متسوفة متطلعة فان قال قائل لم قال
ذلك عن نفسه ولم يقل من حلف على يمن فيرى خيرا منها بات الذي هو خير
ويكفر عن يمينه قيل له انه لو عدل عن ذكر نفسه المكرمة الى ذكر غيره لكان
في المسئلة توقف من باب الوريح لانه قد يوجد ذلك منه على باب الرخصة
والتوسعة ويرى ان الاولي البقاء على اليمن من غير ايقاع الحدث فلما ان
اخبر بذلك عن نفسه المكرمة عليه ان الاولي ما فعل هو عليه السلام يبين
هذا ويوضحه قصة ام سلمة حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لن يصيروا
وانما اتبعوك وقد اورثناه في حديث الافك وبيننا هذا المعنى بنفسه والله
المستعان عن ابي ابي رضي الله عنه يقول اصابتنا جماعة ليالي
خير فلما كان يوم خيبر وقضنا في الحجر الاهلية فاتممتها الحديث ظاهر
الحديث يدل على تحريم اكل الحجر الاهلية والكلام عليه وجوه الاول قوله
اصابتنا جماعة ليالي خيبر هذه الليالي هل هي على العموم في جميع الليالي او
هو لفظ عام يراد به الخاص ويكون معناه في بعض ليالي خيبر محتمل الوجهين
معا واصافة الليالي الى خيبر محتمل وجهين الا صفة الى احدهما ان يكون يراد
حين المسير اليها الثاني ان يكون اراد حين مشيهم على حصونها فلي القول
بان الاضافة الى الليالي على العموم ومن الخروج من اول السفر فهو خروج

٩٦٣

لان احد الا يخرج بغير دليل شي من الزاد فان كان على معنى التخصيص احتمل
واما ان كان المراد المشي على حصونها فاحتمل الوجهين مع العموم والتخصيص
الوجه الثاني قوله فلما كان يوم خيبر يوم خيبر محتمل وجهين احدهما ان
يكون اراد يوم فتح خيبر الثاني ان يكون اراد يوم قدومهم على خيبر اما الاول
فمروج لانه لو كان المراد به الفتح لم يكونوا ينجروا الحجر الاهلية لان الفتح
اذا كان بالضرورة ان يكون الطعام كثير اليهم لان حصنا من الحصون يكون
معمورا لا يخلوا من الطعام البتة الوجه الثالث قوله وقصنا في الحجر الاهلية
الوقوع فيها غنيمتهم اياها بغير قصد لانك تقول فلان وقع في كذا اذا لم يقص
وانما وقع فيه بحكم الوفاق الوجه الرابع قوله فانخرناها خرم هذه الخرم
لا يخلوا ان يكونوا عالمين تخريبها اولم يكن لهم علم بذلك فان كانوا عالمين بالتخريم
فيكون دجيم لها من اجل الاضرار اليها وهي المخصصة التي اصابتهم ففعلهم
هذا اثماعا لا مراما قد اطل للمضطر اكل الميتة وذلك اذا مرت عليه ثلاثة
اوقات والحجر الاهلية مثل الميتة سوا كلالها معها التخرير لغير موجب
فعمتها الاباحة الموجب لانه ما لا يוכל اذا ذكي فهي ميتة فحكم الميتة
وان كانوا غير عالمين بالتخريم ففيه دليل لمن ذهب من العلماء ان الاصل
الاباحة حتى يرد النهي لان العلماء اختلفوا في هذا على قولين فمنهم من
ذهب الى ان الاصل المحظر حتى يتبين التحليل ومنهم من ذهب الى ان الاصل
الاباحة حتى يرد النهي فان الاصل المحذر مما استباحها الا لموجب وهو
العوز وان كان الاصل الاباحة فهم ما احدثوا شيئا وانما استحبوا
الاصل وقوله انخرناها احتمل وجهين احدهما ان يكون من ابنية المبالغة

المعنى

في

اي صار عواها بانفسهم ولا يتركوا لها غيرهم واحتمل ان يكون بمعنى تسببت
اي تسببوا في خرها بالامر ثم بقي على الفصل سوال وهو ان يقال لم انخرها
اولا عند وقوعهم في الحجر من غير ان يسنادوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
والجواب عنه من وجهين وهما ما تقدم هل الاصل الاباحة او المحظر فان
كان الاصل الاباحة فقد تقدم توجيهه ايضا الوجه الخامس من البحث
المتقدم قوله فلما غلت القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكفوا القدور ولا تطعموا من لحوم المحر شيئا اكفوا القدور بمعنى حولوها
عن النار ولا تطعموا من لحوم المحر شيئا اي لا تاكلوا منها شيئا وببرد
على هذا الفصل سوالان الاول ان يقال لم امر بالاكفاء عند عليان القدور
ولم يامر به قبل ذلك الثاني ان يقال لم ينهاهم عن اكلها وقد كانت لهم
مباحة لوجود الاضطرار والجواب عن الاول انه جاني رواية اخرى زيادة
تبين هذا المعنى قال فيه لاراي كثرة النيران سال عنها فقبل له انخرنا
المحر الاهلية فامرا ذاك وفي هذا دليل على كثرة مشاهدته صلى الله عليه
وسلم لسنان اصحابه وما يزيد عليهم وما ينقص والسوال عن جميع احوالهم
فعل هذا فيجب على كل من كان راجع على اي شي استرعى دوام النظر اليه
والالفتات لها يزيد لان الصحابة رضي الله عنهم لما ان امرهم النبي صلى الله عليه وسلم
بما امر امتثلوا الامر في الجين ولم يعترضوا ولم يجتروا فلما ان كان بعد
استئصالهم وحينئذ رجعوا الى البحث في التخرير هل هو لعلته او لغير علة
فاعطى اجتهد بعضهم انه بعد لغير علة واعطى اجتهد بعضهم انه لعلته
وذكرها الثاني المجتهدين اذا اختلفوا في الحكم وكان في زمانهم من هو

اعلم بالقضية منهم ياتون اليه ويسألونه عن قضيتهم لان الصحابة رضي الله عنهم
لما ان وقع الخلاف بينهم وقال كل واحد باجتهاده اتوا ابي سعيد بن جبير الذي
هو من كبار الصحابة وفضلهم وسالوه الثالث هل التحريم لعلة ام لا فان
قلنا ان التحريم بعد فلا بحث وان قلنا انه لعلة فهل هي معقولة المعنى ام لا فان
انها لعلة وهي معقولة المعنى بياض ذلك ان الله جل جلاله هو بالمؤمنين كما اخبر
في كتابه وكان بالمؤمنين رحما فهو عز وجل ينظر لهم ما هو الاصلح في حقهم
فيما هم به وما هو ضرر في حقهم فيضاهم عنه وينو ادم بذلك جاهلون فلو
قبل لهم افعلوا ولا تفعلوا ولا ينابذوك ثواب ولا عقاب لكان بعضهم
يفعلون شيئا يضر بها انفسهم فمن لطفه عز وجل جعل الثواب والعقاب
على ارتكاب المخالفة حتى يسلمون من بليتها ثم جاد وتفضل بالتوبة على من وقع
فيها اذ ارجح عنها كل هذا اللطف منه بالمؤمنين ورحمة وكل مخالفة بلاؤها
ظاهرا لا يخفي وانما يقع الكلام على ما نحن بسبيله وما كان من جنس تيسير اليه
ليتمتقظ الي هذه الحكمة العظمى واللطف الاكبر بياض ذلك ان الجار معروف بالبلاهة
وهي تتعدى لا تجله على ما عهد من قسوة القلب الذي تحدث به وهذا ضد
صفة المؤمن لان من صفة المؤمن ان يكون كيسا قطنا حذرا والبلاهة تذهب
بهذه الاوصاف ومن صفة ايضا اعني المؤمن ان يكون خائفا راجيا وقسوة
القلب تذهب بذلك فحرمة الشارع عليه السلام لاجل هذا المعنى لان الله جل جلاله
ارسله رحمة للعالمين ومما يقارب به في السبب الميتة ايضا لانها سم قاتل
فاذا اكلت عادت بالضرر فخر بها عز وجل لاجل هذا المعنى فاذا بقي الهرة ثلاثة
اوقات كثر سم بدنه فغلب على سم الميتة فلم يضره فاحلها عز وجل ليرزق المضره

منها

منها ولما كان الفرس ليس فيه مضرة غير انه اذا داوم على اكله احدث القساوة
في القلب كان اكله مكروها ثم بهذه النسبة جميع الاشيا الكراهية فيها والتحريم
بحسب ما كان فيها من الضرر ومن رزق النظر بالنور بجده محسوسا ومعنويا
ذكره العلماء والفضلاء وبالله التوفيق عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا لم يقابل اول النهار انتظر حتى تهب الارباح وتخضر الصلوات
ظاهر الحديث يدل على ان السنة في القتال عدوه النهار او عشية والكلام عليه
من وجوه الاول ان هذا القتال عدوة او عشية لعلة ام لا فان قلنا انه
لغير علة فلا بحث وبقي تعبدا وان قلنا انه لعلة فما هي العلة الظاهرة لعلة
والعلة فيه على ضربين محسوسة ومعنوية والمحسوسة على ضربين عامه وخاصه
فالعامه هي ما يكون في هذين الوقتين اعني اول النهار وعشيته من انه ياب
الارباح وقوي الابدان من عاقل وغير عاقل وسقا اذ اذا كلف في الوقتين
من بروده الهوي وجمام النفوس من الراحة المتقدمة فمتقدم راحة العدو
واستراحة القايله لان استراحة القايله من السنة لقوله عليه السلام
قيلوا فان الشياطين لا تقبل هذه هي العامه واما الخاصه التي هي للعاقل
دو وغیره فما في هذا الفعل من الاجر العظيم لنكايه العدو لان قوي الابدان العاقلة
وغير العاقلة من اعظم موادى النكايه للعدو واما المعنوية فما في الوقتين
من الزيادة في الايمان وقوة المدد المعنوي وهو في النصرة اقوي من الحس
فاما قوة الايمان فان هذين الوقتين اثر تعبد وطاعة لله والايمان يقوي
عند التعبد والطاعات كما يضعف عند المخالفة واعظم موجبات النصرة الايمان
لان الله تعالى يقول في كتابه وكان حقا علينا نصر المؤمنين فقوة الايمان اعظم

ط 27

في مواد النصر من الحسنات للوعد الجميل وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما بعث
سرية من الصرايا تجاه البشير بالنصر والفتح فقال اي وقت كانتا المقاتله فقالوا
غدوه فقال ومق كان النصر فقالوا عشية فبكي رضي الله عنه حتى بليت دمعه
لحيته فقالوا نبكي والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف قدام الايمان من غدوة
الى عشية الا من ابرأ حد تمويه انتم وانا فلم ينظر الي النصر الا بقوة الايمان
وآساقوة المدد المعنوي ايضا فهو من وجهين وقد نص عليه عليه السلام
في غير هذا الحديث فاحدهما الریح لانه عليه السلام قال نصرت بالصباح حتى لقد
ذهب بعض العلماء انه لم يكن قط نصر بغير ريح والصارح لینه شريعة وقد قيل
انها من الجنة وما كان من الجنة فهو للمؤمنين عونا وعلى الكافرين وبالآ واما
الوجه الاخر فهو الدعاء من المؤمنين لانه قد جاز زيادة في رواية غير الحديث الذي
نحن بسبيله ويدعو اليكم اخوانكم المؤمنون وقال عليه السلام في حديث ذكر
فيه فضيلة الدعاء الدعاء جند من جنود الله فيجب ان يعتم هذا الوقت الذي
يكون فيه المدد العظيم ويترتب على هذا من الفقه ان يدعو المرء بعد صلواته
وفي الاوقات التي يرجوا فيها القبول لآخوانه المؤمنين شرقا وغربا ليكثر لهم
المدد الذي يرجي به النصر وقد روي ان عبد الملك بن مروان خرج في بعض غزواته
فسأل عن بعض صالحين الوقت فطلب فوجد في مسجد متوجه يصل فقال اخرجوا
على بركة الله سبابتها في القبلة عندي خير من كذا وكذا فارس فلما بلغوا
الحصن الذي املوا انهدت شقة من سورته ففرح الجيش فقال ليس هذا منكم
وانما هو بركة تلك السبابة في القبلة الوجه الثاني من البحث المتقدم فيه
دليل على ان الحكم بالغالب في ارتباط العادات لانه قال انتظر حتى تهب الريح

وتحضر

وتحضر الصلوات وهذه النسخ قد تكون في ذلك الوقت وقد لا تكون لكن لما كان
الغالب عليها انها تأتي في ذلك الوقت وهو بعد الزوال حكم لها به وانتظرت اليه
الثالث ان النادر لا يعمل عليه لانه قد يوجد الريح في الايام في غير هذا الوقت فلم
ينطبق الحكم لندارته الرابع قول انتظر برديك سوالن الاول ان يقال لم
اتي بهذا اللفظ وعدل عن غيره من الالفاظ الثاني ان يقال لم قال انتظر ولم يقل
انتظروا ومعلوم ان الانتظار كما من الحديث كله والجواب عن الاول قوله انتظر
فيه اشعار بانهم اخذوا اهبة القتال واستعدوا ولم يغفلوا وهذا مثل قوله
عليه السلام لا يزال الصبر في صلاة مادام ينتظر الصلاة ومعلوم ان المراد من كان
متطهرا في المسجد ينتظر الصلاة واما من كان ينتظر الصلاة في بيته فلا يطلق
عليه باعتبار ما اراده الشارع ان ينتظر الصلاة وكذلك هنا سواء اتي بقوله
انتظر ليبين ما قررناه والجواب عن الثاني ان المقصود من الجماعة ريلهم
فاذا انتظر الرئيس انتظروا الكل فاتي بهذه الصيغة تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتادبامعه كما هو الواجب الثالث من البحث المتقدم هل يتعدى البحث
للقتال المعنوي ام لا الظاهر تعديه اذ ان حكم المعاني عنده عليه السلام تؤخذ
كما تؤخذ عن حكم الظاهر وقد تقدم من هذا ما فيه كفاية للحجة بالتعدي في
غير ما حديث وتعدية كمثل وجوه وتجمعها وجه واحد وهو ان اول النهار
في المحسوس هو اول بدى ظهور خلقه فكل ذلك الوقايح الحسنة والمعنوية
اعني من التصرف والخواطر غير المستقيمة يبادر عند ظهورها الي قتالها
ومقاتلتها من ازلتها لقوله عليه السلام في البار بين يدي المصل فليقاتله
فانما هو شيطان ومعناه فليدفعه ويزيله لان اول الوقت في وقوع

المخالفة او الغفلة الايمان فيها قوي من وقت التمكن فيهما ولما نسبة
 العشي في المعنوي فهو الذكر بعد الغفلة لان بالذکر يستحي الايمان وقد
 قال تعالى واذا رايت الذين نخوضون في اياتنا فاعر من عندهم حتى يخوضوا
 في حديث غيره وإما ينسب الشيطان فلا تقع بعد الذكر مع القوم
 الظالمين والفرق بين الظالمين ان الاول يكون بالدفع كما ذكرنا والثاني بالتوبة
 والاقلاع والتوبة هنا هي حقيقة النصر والذكر بعد الغفلة هي الزمخ المبره
 بالنصر المذكور واما الصلاة في المعنوي فهو ما تقدم من مقتضى رحمة المولي
 لا يثار ربح التذكار بعد الغفلة الموجب للتوبة وهي حقيقة النصر لان الصلاة
 من العبادات والصلوة من الله رحمة فمن سبقت له الرحمة ختم له بالنصر واما
 الانتظار في المعنوي فهو استصحاب دوام انكسار القلب من اجل الرب اما
 لوقوع غفلة اول وقوع مخالفة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخيارا عن ربه
 عز وجل يقول اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي لان انكسار القلب من
 اجل الرب من اجل الطاعات لانه لا يدخله رياء وهو ارجى الوسائل بمقتضى
 الوعد الجميل لان معنى قوله اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم اي مقعهم فاذا
 كان معهم فهو يلفظ بهم ويوقظهم من الغفلة ويخرجهم اسباب الخسر
 والتوبة وبين عليهم بالنصر والقيمة جعلنا الله من لطف به وادخله
 في حفظ عنايته عن اسمائت ابي بكر رضي الله عنها قالت قدمت على
 ابي وهو مشرك في عهد قريش الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز صلة الولد
 لامة الكافرة والكلام عليه من وجوه الاول هل الحديث مقصور على الصلاة
 للام لا غير او الصلة جائزة على العموم للمشركين كلهم ظاهر صيغة الحديث في

الام

الام لكن يوجد تعديده لغير الام من غير هذا الحديث وهو قوله عليه السلام
 في كل كبد حرا اجر الوجه الثاني قولها قدمت على ابي بر عليه سوالين
 احدهما ان يقال لم قال قدمت ولم نقل جات وما اشبهها من الصبح الثاني
 ان يقال لم قالت علي ولم نقل الي اذا نهم لا يخصصون الالفاظ بالذکر دون
 غيرها الا المعنى مفيد على ما نفور والجواب عن الاول انها لو اتت بغيرها من الصبح
 لا جمل اللفظ ان تزيد انها جات من سفر او غيره وقد مت ليس فيه احتمال
 غير القدوم من السفر لانك اذا قلت فلان قدم او فلان قدم علي فلان ولم تذكر
 من اي موضع كان قدومه علم انك اردت انه اتى من السفر ولو قلت فلان جا او
 فلان جا الي فلان لم يفهم عنك ما اردت لتجيبه هل من سفر او من غيره حتى يبينه
 فخصت الصفة دون غيرها للاحتمال والجواب عن السؤال
 الثاني ان القادم من السفر لابد ان يكون معه رجل فيحتاج ان يحطه فانت تقولها
 علي لانه طرف لتبين ان كان تزولها حين قدومها ولو اتت بغيرها من الصبح
 لم يتم مقامها في ذلك المعنى الوجه الثالث من البحث المتقدم قولها في عهد قريش
 ادعاه وارسول الله صلى الله عليه وسلم فيه دليل على ان المهادنة بين المسلمين والمشركين
 جائزة وهي جائزة بشرط ان لا يكون على المسلمين فيه حيف ولا يقطعون شيئا لهم
 لان النبي صلى الله عليه وسلم قد صالحهم بنص هذا الحديث ولم يصلحهم عليه السلام بشي
 قط على المسلمين فيه حيف ولا اعطاهم شي قط وقد قال عليه السلام الاسلام يعطوا
 ولا يعطى عليه فعلى هذا فاذا كثر اليهود بموضع لا يقدر علي قتاله بالخروج من
 الموضع اذ ذاك ولا سبيل الي الادمان اليهم في شي ما لا بالمال ولا بالجرم
 وقد قال تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده الوجه الرابع

قولها ومدتهم تعني مدة المهلته وانما اتت بذلك لتبين ان قدوم امها عليها لم يكن حين العهد وانما كان في اثنا مدته الوجه الخامس قولها مع ابها يريد عليه سوال وهو ان يقال ما فائدة ذكر هالاب والجواب انها انما قالت ذلك لتزيل ما يتخيل هناك من فقر امها وحاجتها لانها قالت في اخر الحديث وهي راغبة والرغبة تختم ان تكون من المحبة وتختل ان تكون طلبا للاحسان من اجل الفاقة وهذا الاحتمال الاخر يلحق به من النقص الموصوف به بالاخصي فانت بذكر ابها معها لتبين انها لم تطلب هذا الرغبة التي اثرنا اليها اخيرا وانما ارادت الاولى لان المرء اذا جاء مع من يكفله ليس بغير الوجه السادس قولها فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام على هذا الفصل من وجوه الاول التعليم والسوال قبل العمل لانها لم تصلها حتى استفتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالت وتعلمت وحينئذ علمت الثاني ان الامر اذا كان العمل به مستحبا ثم عارضته علة التوقف اذ ذاك حتى يتبين بلسان العلم هل يقع بها المنع او يبقى على بابه لان الصلة للوالدين تتردد بين الواجب والمندوب بحسب اختلاف الاحوال فلما ان عارض ذلك علة الكفر لم تقدم على العمل حتى تبين لها الخلل الامر على لسان العلم باستفتائها للنبي صلى الله عليه وسلم الثالث ان الاصل الدين وهو المعمول عليه مع الاقارب والاجانبا لانه يعلم بالضرورة ان الولد يجب والديه المحبة الكلية لكن لم تنظر لامها حين اقبلت عليها في شيء حتى سالت هل خلك لها سايع في الدين ام لا فقدت الدين على احب الاشياء اليها وهو المراد بقوله تعالى قد ان كان ابواكم وابناؤكم الابه فهو لا رضي الله عنهم من فهموا هذه الابه وعلوا بمقتضاها الرابع في

قالته مع

دليل

دليل لاهل الصفة في كونهم يوخرون الاعمال في بعض الاوقات حتى يصححوا اليه لانها لم تعمل بهذه القرينة لاجل ما عارضها حتى استفتت النبي صلى الله عليه وسلم لان تخلص النية بغير شبيه ولا ارتباب انباء القول صلى الله عليه وسلم خير العمل ما تقدمت اليه الخامس لقابله ان يقول لم قالت استفتيت ولم نقل سالت كما قيل عن غيرها في غير هذا الحديث والجواب عنه ان الاستفتاء اخص من السوال لانه لا يطلق مستفتيا الا على من له معرفة بالحكم وبقي عليه بعض اشكال في وارد ورد واشكال عرض ويطلق عليه سائلا اذا لم يكن له معرفة بالحكم وبقي وبقى عليه بعض اشكال ولا يطرف منه ولاجل هذا قال استفتيت نفسك وان افترقت ولا يسوغ ان يقال سل نفسك لان الاستفتاء تحقيق احد امرين ان يعلم ايها اصلح بكلمة فتك بجزئيات امرك من غيرك ولا يفهم ذلك من قولك سل نفسك الوجه السابع قولها يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها الرغبة قد تقدم الكلام على معناها وهي على ضربين وقد بيناها والصلة ايضا وهي على ضربين وهي ههنا من القسم المندوب الوجه الثامن قولها قال نعم صلى الله عليه وسلم ان يحكم باجتهاده وبما يري من رايه لان عليه السلام امرها بالصلة لانه من غير ان ينزل عليه وحى فيها اعني الوحي بالواسطة واما وحى الالهام فكل كلامه ونصرفه منه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى عن النبي ههنا رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله عز وجل الخلق كتبت في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رجعتي غلبت غضبي فانه الحديث يدل على ان رحمة الله لعباده اكثر من غضبه والكلام عليه من وجوه الاول قوله لما قضى الله الخلق كتبت في كتابه فهو عنده

فصني معنى خلق ومنه قوله تعالى فقضا من سبع سموات في يومين اي خلقهن الثاني
قوله كتب بمعنى اوجب ومنه قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة اي اوجبا وهذا
الوجوب من الله وجوب تفضل وامتنان لا وجوب حق عليه محتوم لان الوجوب في
حقه تعالى يستحيل الثالث قوله في كتابه هذا هو النبي تحيل على ظاهره ويجب
الايان به كآورد الخبر به وهو ان ثم كتبت محسوس في كتاب محسوس لكن بئى
احتمال في الكتاب هل فيه غير ما ذكر في الحديث ويكون ما ذكر من جملة الكتب الذي
فيه وليس فيه غير ما ذكر وهو ايجاب غلبة الرحمة على الغضب احتمل الوجهين معا
والقدرة صلحة لكلهما الرابع قوله صلى الله عليه وسلم انما اضاف عليه السلام
الكتاب الى الله لعدم المشاركون له من المخلوقات في حفظه هناك بخلاف ما شئت
الحكمة في غيره من الاماكن مثل السموات والارض على ايدى من شئت من خلقه بمقتضى
حكمة لم يصف ما في تلك المواضع اليه واطرافها اليهم بمقتضى الحكمة ولما ليس
هناك مشاركة في الحفظ بمقتضى الحكمة اعني هناك فوق العرش اضافة الى نفسه
ومثله قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له في دار الدنيا لكن
اجري الحكمة بان جعل له ثواب واجري الحكم على ايديهم فلم يصف ما في هذه الدار
الى نفسه ولما لم يجعلها في دار الآخرة خليفة في الملك ولا نائبا اضافة للملك
اليه فقال لله الواحد القهار الخامس قوله فوق العرش فيه دليل على ان فوق
العرش ما شاء الله بمقتضى حكمة من امره ونهيه مما يتسبب هذا وغيره وقد
يرد على هذا الفصل سوال وهو ان يقال لم كان الكتاب فوق العرش ولم يكن
في السموات والجواب عنده ان العرش قد شئت الحكمة بانه يبقى على حاله لا يتغير
ولا يتبدل بحسب الاخبار الواردة في ذلك والسموات والارض يتغير وتتبدل

فخص

فخص بان كان هناك لاجل هذا المعنى فان قال قائل لم لم يكن في الجنان اذ
ان الجنان لا تتغير ولا تتبدل قيل له ان جعل الجنان للجزا والنعيم والامر والنهي ليس
هناك وقد شئت الحكمة بان الاحكام والشرايع والامر والنهي يختص بالعرش ومنه
منبع ذلك كله وفي هذا دليل على ان الله عز وجل منزه عن الخلق على العرش لانه قد
شئت الحكمة ان يكون العرش طرفا لما شئت عز وجل من امره ونهيه وحكمته بمقتضى
هذا الحديث في قوله عن الكتاب فهو عنده فوق العرش وقد مر الكلام عليه فعلى
مقتضى هذا الحديث فيكون معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوي اي استوي
امرؤه ونهيه وما شئت من حكمته ومثله ايضا قوله تعالى وجارك والملاصفا
اي جالمرربك وهذا يستعمل في السنة العرب كثير وما يزيد هذا بيانا وايضا
بمعنى نفى الذات الجليلة عن الاستقرار والحلول قوله عليه السلام لا تفضلوني على
يونس بن ماتي والفضيلة قد وجدت بينهما في عالم المحس لانه عليه السلام رفع
حتى رقا السبع الطباق ويونس عليه السلام ابتلعه الحوت في فقر البحار والفضيلة
فالفضيلة موجودة مربية في هذا العالم الحسي ولم يكن عليه السلام لينفي شيئا
موجودا حسا ولا يقول الاحقا فلم يبق معنى لقوله عليه السلام لا تفضلوني على
يونس الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه فمجد عليه السلام فوق السبع طباق
ويونس عليه السلام في فقر البحار وهما بالنسبة الى القرب من الله سبحانه على حد
سواء ولو كان عز وجل مقيدا بالمكان او الزمان لكان النبي صلى الله عليه وسلم اقرب
اليه فثبت بهذا نفى الاستقرار والجمعة في حقه جل جلاله الوجه السادس
قوله ان رحمتي غلبت غضبي غلبت بمعنى اكثر اي بما حكمت بذلك لعبادي بان
اكثرت لهم النصيب من رحمتي على النصيب من غضبي لكن هذا يحتاج فيه الى كلام

وبيان لنا قد وجدنا مقتضى هذا الكتاب موجودا حسا في الدنيا لان الرحمة
قد تمت الخلق باجمعهم فيولد الكافر وابواه يشركان بالله ويعبدان الاوثان وهو
يكبر على الطغيان والضلال وهو عز وجل يغديه بالطافه وبيسر له ما يحتاج اليه
من ضروراته وكذلك غيره من العصاة هذا مناهدي لا يحتاج فيه الى بيان
والقليل النادر من مواعيل بصفة الغضب لكن الاخرة قد وردت الاخبار فيها بصد
هذا فمنها قوله عليه السلام يقول الله عز وجل لادم يوم القيامة اخرج بعث النار
من نبيك فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
فسيق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل واحد ومن ياجوج وماجوج الف فانكم فيمن تقدم من الامم كالشعره البيضاء
في جنب البحر الاسود الى غير ذلك من الاحاديث التي جاءت في هذا المعنى فكان الغضب
في الاخرة على مقتضى هذا الظاهر اكثر من الرحمة وذلك مخالف لنص الحديث والبراج
عن هذا الاشكال انه عليه السلام لم يقل لما قضى الله خلق بني ادم وانا قال الخلق
فعم ولم يخص وبنوا ادم في مخلوقات الله تعالى البعض من الكل وقد قال
عليه السلام ان في هذه الدار من مخلوقات الله تعالى الف عالم اربعة في البر وسماه
في البحر هذا ما هو في هذه الارض فكم في الارضين الاخر وكم في السموات من
الملائكة وكم تحت العرش كل هذه المخلوقات تخشى يوم القيامة حتى يقنع الله
من شاء من شاء كيف شاء ثم يقول تعالى لما عدا الثقلين والملائكة كونوا ترابا
فعد ذلك يقول الكافر باليتني كنت قرا بالان النجاس من عذاب الله رحمة وقد جات
الاخبار والآثار ان النار لا يدخلها غير الثقلين ولا يدخلها من الثقلين الا الكفار
منها والعصاة فالعصاة لا يدخلون ويخرجون منها بعد القصاص وبالشفاعة

وربهم

ويصرون الى النعيم الاكبر ولا يبقى فيها حظ الا الكفار فمن خلد فيها بالنسبة
الى المخلوقات ادى الى الاجزاء كانت الرحمة في تلك الدار اعم منها في هذه
الدار وقد قال عليه السلام ان الله تعالى جعل الرحمة في بابة جبرئيل فخرج منها
لهذه الدار واحدة بما ينزاح بنوا ادم حتى ترفع الفرس حافزا عن ولدها
خشية ان تصيبه وادخل الاخرة تسعة وتسعين فصيح كثيرتها بالنظر كما
ذكرنا وبالاخبار والله المستعان عن مالك بن صعصعة قال النبي
صلى الله عليه وسلم بينا انا عند البيت بمنس النائم واليقظان الحديث ظاهرا الحديث
يدل على الاسرار بذات محمد المباركة وفر من الصلاة بغير واسطة والكلام عليه من
وجوه الاول قوله عليه السلام بينا انا عند البيت بمنس النائم واليقظان فيه
دليل على جوار النوم في الحرم لكن هل ذلك جائز مطلقا او لا يكون الالعة الظاهر
انه لعله لانه يعارضه قوله عليه السلام انما المساجد لما بنيت له والعة في نومها
عليه السلام في الحرم ظاهرة من وجوه فيها ان البيت قل ان يخلوا من الطائف
به وقد يكون عليه السلام اني الى الحرم فوجد الناس بطوفون فقعدت ففرغ
الناس ثم يدخل في الطواف فغلبته عيناه ومنها ان يكون عليه السلام فقعدت شاهد
البيت لان مشاهدته من الرغب فيه والمندوب اليه ومنها ان يكون عليه السلام
قد طاف وعجبي من الطواف فقعد قليلا يستريح من التعب المتقدم ولكي يحجر
النفس الى عبادة اخري واذا كان النوم بهذه النية فهو طاعة والطاعات يسبغ
ايقانها في الحرم يشهد لما قلناه من ان النوم يكون طاعة اذا صحته تلك النية
قصة معاذ وابي موسى حيث سأل احدهما الاخر عن قراءة القران فقال المسؤل
اقراوه قايما وقاعدا ومنضجبا وافوقه نفويا ولا اناام وقال الاخر اما انا

20

فأقوم وأنام واحتسب نومي كما احتسب قومي فلم يسلم أحدهما للآخر
فترا فعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام للذي كان يفوقه تقويقا
هو أضع منه فبني الذي كان يحسب نومه كقيامته وهذا نص في ابن النعم
الأا كان بالنه التي ذكرناها فهو طاعة والطاعة سايفة هناك ومن هذا
الباب جور العلماء نوم المعتكف في التجر لان فيه عون على الطاعة ومنعوه
للغير ولم حجة فيما نحن بسبيله على ما ذهبوا اليه من ذلك الثاني فيه دليل على
تحريم النبي صلى الله عليه وسلم للصدق في المقال وانه لا يترك الحقيقة ويرجع إلى
المجاز الا لا يرد منه في الكلام لانه من كان بين التام واليقظان يتسرع ان
يطلق عليه في اللقبة نايما ويسرع ان يطلق عليه يقظان لكن ذلك على المجاز
ولو قال يقظانا كان نطق بالحقيقة او يقاربها لانه عليه السلام قلبه في
نومه كما هو في يقظته يشهد لذلك قوله عليه السلام تمام عني اي ولا ينام
قلبي فلم يبق نومه عليه السلام الا في الجوارح الظاهرة ثم الجوارح في هذه المرة
لم تكن النوم قد تسلط عليها فالظاهر كان كالمتيقظ والباطن متيقظ على كل
حاله لكن عدل عليه السلام عن ذكر اليقظة ليعين الامر على ما كان عليه وفعلى المجاز
الثالث قوله فذكر بين الرجلين يريد انه كان مضطجعا بين الرجلين وفي
هذا دليل على تواضعه عليه السلام وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو
ولكنه كان يضطج مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه الكرامة مزية
عليهم الرابع فيه دليل على جواز النوم جماعة في موضع واحد لكن يشترط في ذلك
ان يكون لكل واحد منهم ما يستريح به جسده عن صاحبه الخامس قوله عليه السلام
فانثت بطست من ذهب على حكمة وابمانا الطست هو انا يجعل في الغالب

من نخاس

من نخاس وهو مبسوط القاع معطوف الاطراف الى ظاهره يتخذة الناس لغفل
ايد يهمل في الغالب السادس فيه دليل على فضيلة هذا الا اذا انه اتى به للنبي
صلى الله عليه وسلم وخصص به دون غيره السابع لقابل ان يقول لم ياتي له
عليه السلام بالطست من ذهب والذهب في ثريعيته عليه السلام محرم والجواب
عنه ان تحريم الذهب انما هو من اجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الآخرة
فهو للوثنين خالصا لقوله عليه السلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة
ثم ان الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام وانما كان غيره هو
السابق له والمشاوول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان
الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفع المقام فانتفى التعارض
بدليل ما قرناؤه الثامن فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات
لامعاني لانه عليه السلام قال عن الطست انه اتى به حملوا حكمة وايماننا
ولا يقع الخطاب الاعلى ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى مثلا الانا
وانما يمثلا الانا بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام
بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم بان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين
الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان الخلق التي ليس للحواس
اليها ادراك ولا من النبوة بها اخبار ان الاخبار عن حقيقتها غير حقيقة
وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من اهل العقل الويدن بالتوفيق
حد يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا
وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه
الجواهر التي ذكر الشارع عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدره ان

يصل الي هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما ان يقال
ما قاله المتكلمون حتى لانه الصادر عن الجوهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة
هي ما ذكره عليه السلام في الحديث ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين واثار النبوه
ويجمع بينهما على الاسلوب الذي قرناه وما شبهه فقد نشر
لشخص ذلك ليتنبه لما عداه فمثل ذلك الورد كيف اخبر عليه السلام في الحديث
انه توفي به يوم القيامة كتبنا الملح فيخرج بين الجنة والنار بعد ما يعرف من لاهل
نلك الدارين فيعرفونه ومثل ذلك ايضا الاذكار والابلاوة لان ما ظهر منها هنا
معاني وتوجد يوم القيامة جواهر حسوسات لانها توزن في الميزان ولا يوزن
في الميزان الاجواهر التاسع فيه دليل لاهل الصوفه واصحاب المعاملات
والتحقيق لانهم يقولون انهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وایمانهم وایمان
اخوانهم باعين بصائرهم جوهرا محسوسا فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح
ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون
بانه لا يكون المحقق محققا حتى يكون يعاين باطن قلبه بعين بصيرته كما يعاين
كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان وكذلك ايضا يقولون في الحكمة
بانهم يعاينونها باعين بصائرهم ثنابيع من حوائب افيديتهم كما ثنابيع عيون
الماعلى اختلافها فبعضها ينبع نبعا يسيرا وبعضها ينبع نبعا كثيرا فمن قوي
منهم ايمانه وكثرت حكمته لا يطبق السكوت لا يثتم بذكر تلك الحكم كما يتنع صاحب
الغدا الحسي بالعدا وربما اذا استد عليهم الحال ومنعوا من الكلام كان ذلك سببا
لخفف انفسهم حتى لقد حكى عن بعضهم انه كان اذا جاءه الحال وهو في مجلس سجد
لا يطبق السكوت فيغلب عليه الحال فيحكيك فيتكلم فكله يشهد في خلك وامره

بالسكون

فلما ان ورد الحال بعد ذلك لم يطبق الكلام لاجل نهى الشيخ عنه فتح ذلك فبات
من جنه يويد ما قرناه عنهم اولا ويوضحه قوله عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كانها كوكب دري نقل صاحب التخصيل
في مختصره عن العلماء منهم قالوا ان الضمير عايد على المؤمن تقديره مثل نور المؤمن
كشكاه والمشكاه هي الحديدة التي في وسط القنديل الذي يوضع فيه القنديل
فقالوا المشكاه مثل صدر المؤمن والزجاجة قلبه والمصباح ايمانه ونقل ايضا
عن العلماء في معنى قوله تعالى يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ان الذين يعلمون
الناس السحر ببابل اذا اتاهم من يريد تعلم السحر يقولون له انما نحن فتنة فلا تكفر
فان ابي الا ان يتعلم قال له ائمت هذا الرماد قبل فيه فاذا بال في ذلك الرماد
خرج منه نور يسطع الى السماء وهو الايمان وخرج من الرماد دخان اسود
يدخل في اذنيه وهو الكفر فاذا اخبرها بما رآه علمه فهذه الاي ظواهرها وبعينها
مع نص الحديث الذي نحن بسبيله حجه لاهل التحقيق والمكاشفات فيما نقلناه عنهم
وقد حكى عن بعض الفضلاء منهم وهو شيخ الجنيد رحمه الله في حكاية يطول كتبها هنا
انه قدر عليه انه تنصّر ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام وحسن حاله اكثر مما كان او كما
فكان يقول انه راي اول اقبل كفه طابرا اخضر قد خرج من فمه ثمذ خرج منه
لم يلبثت الى الايمان ولم يات به وكان اذا ذكر بالاسلام ويوعظ يقول اعلم كل
ذلك ولم يجد سبيلا الى الرجوع فلما ان ملافاه الله بعفوه وافضاله فاذا بال طائر
الاخضر قد اتاه فدخل في حلقه فاذا هو قد رجع له الايمان وانشرح صدره بالحكمة
وانشع يويد ما قالوه وما شاهدوه قوله عليه السلام من اخلص به اربعين صباحا

ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وهم قد عاينوا ينابيع الحكمة كيف هي على ما نقلنا عنهم وعانوا حقيقة الإيمان كما وصفنا رزقنا الله من الهدى والتورما رزقهم والمحقنا في الدنيا والاخرة بهم بمناهة ولي كبير هذا ما تضمنه اعتقاد اهل التحقيق وتضمنه احوالهم واما ايماننا في الفقه فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه موافق لاهل الكلام لان اصحابه يتقنون عنه ان الايمان يزيد موافقة له لما ذكر الله في كتابه ويقولون بان النقص لا يمكن فيه لانه على زعمهم عرض والنقص في العرض ذهابه واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول بانه لا يزيد ولا ينقص لان اصحابه يتقنون عنه ان الايمان عنده يزيد وينقص وقد مثله بعض اصحابه بما العن يزيد مرة وينقص اخري ولم يُعَدَم المائت العين وهذا هو الحق الذي لا خفا فيه بدليل ما قرناه من الاي والحديث وما شاهد اهل التحقيق عيانا ولانه عليه السلام قد قال لا يرنى التراقي وهو موافق للحديث بكاله وجاء من طريق اخر قال فيه ان الايمان يخرج منه حين الفعل فيبقى على راسه كالظلة ولو كان عرضا لم يتاخر ان يقوم بنفسه حتى انه يبقى كالظلة على راسه هذا ما تضمنه البحث في حقيقة الايمان ما هو على طريقة اهل الفقه واهل التحقيق مع انه ليس احد الوجهين اعني ان يكون الايمان جوهر او عرضا بالنسبة الى القدرة من طريق الاستحليل ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم والسلف والصدرا الاول لم يتكلموا في هذا ولا في امثاله لان المقصود منا الذي لا جله انزلت علينا الكتب وارسلت لنا الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام انها هو التصديق الخالص والعمل الصالح والشغل بهذين الامرين اولى بل لا يجب التوا هو الواجب ويجب الاضراب عن الشغل بغيرها لان الاستغفال بغيرها شغل

عنه

وذلك سبب الى ترك ما اريد منا لكن لما شاغل قوم بالاحد في هذا واشباهه واطلقوا ان الامر كما ظهر لهم من علم العقل على زعمهم حتى صار الامر عندهم ان من لم يعتقد مثل اعتقادهم منسوب الى المذاهب الفاسدة فاحتجنا لاجل هذه العلة ان نبين مذهب اهل التحقيق والتوفيق ومذهب الصحابة والسلف رضي الله عنهم بنص الكتاب والسنة كما ذكرناه قبل لكي يتبين بذلك الحق من الباطل والضعيف من القوي فان اعترض من لتخصيص لفظ الحديث من طريق علوم العقل فقد سقط حجته فلا يعاب به لانه قد قدمنا في الاحاديث المتقدمة قول فقها الدين واما يمتد ان عموم القران لا يخص الا بالقران فاختلغوا اهل يخص عموم القران بالسنة المتواترة ام لا على قولين ولم يختلفوا ان القران لا يخص باخبار الاحاد وكذلك اتفقوا على ان عموم الحديث لا يخص الا بالحديث واختلغوا هل يخص باجماع جل الصحابة ام لا على قولين ولاجل ذلك اختلف مالك والشافعي رحمهما الله في عمل اهل المدينة اذا وجد الحديث بخلاف فقال مالك رحمه الله اهل المدينة اهل دار الهجرة ومجموع جل الصحابة العارفين باحكام الله وسنة نبيه عليه السلام فلم يتركوا العمل بالحديث الا وقد صح عندهم نسجه ولم يبلغنا نحن ذلك ولا في الشافعي رحمه الله ذلك واخذ بمقتضى الحديث واما تخصص لفظ الحديث بنظر غير الصحابة ورايه فلا يجوز بالاجماع لان الحكم لقول الشارع عليه السلام لاغيره لكن قد يسوغ الجمع بين ما ذهب اليه المتكلمون وبين ما ذهب اليه اهل التحقيق بمعنى لطيف وهو انه لما نظر اهل العقل الى الاي والاحاديث بنفس الدعوي وحصرها قدرة القادر بمقتضى دليل عقلم تجا لاهل هذه الدعوي في عين البصرة ضعف فلم يروا شيئا

فرجعوا الي مقتضى ما دل عليه عقلم فقالوا الايمان عرضٌ وعطي عليهم
اذ ذاك مفهوم ما احتوي عليه قوله عليه السلام ايمان المؤمن نور يتوقد
في صدره واما نظر اهل التحقيق خالص الصدق والتصديق وتغظيم
القدرة واجلال القادر رأوا النور فقالوا الايمان نور والتصديق عرض
فرادهم ايمانا وقالوا احسبنا الله ونعم الوكيل يوبد هذا وبوضوح اعني ما
ذكرناه من الجمع بين المذهبين كما حكى عن بعض الفضلاء من ائمة التحقيق
انه كسفت له عن نبي من انوار القدرة فنظر اليها عيانا فادركه الخجل العظيم
لما راي فاخذ في التذلل والاعتذار لكونه يرى ان ليس نفسه لذلك اهلا
فحوط بان قلبه عملت على الحق فارتبت الحقيقة وعملوا على التأويل فعملوا
بحسب ما عملوا وعند الله تجتمع الخصوم ولان الحقيقة في الامور كلها
لقول الشارع عليه السلام وقول غيره في ذلك مجاز وليس يمكن احد جميع
الامور مجرد العقل لا بالحاضرة منها ولا بالغايبه ومن ادعى ذلك فهو منه جهل
لانه لو كان ذلك كذلك لكان فيه مشاركة للربوبية وهو باطل لانه لا ينزف بالقبول
الاعلامها وبذلك تصح الوجدانية فقلد ايها السامع اي الطريق شئت فقد
اوضحت لك الطرق والله يرشدنا واياك لما يرضيه الناس لتقابل ان يقول
لم راي عليه السلام مزيد الايمان ولم ير الايمان الذي كان عنده او كان
الانبياء اقوي ايمانا من جميع المؤمنين والجواب عنه ان نفس روية الزيدية
من الحكمة وجوه فتمت روية حقيقة الايمان والحكمة جواهر حتى تحققت
علي ما هي عليه وهذه منزلة له عليه السلام خص بها ومنها ان المعانيه لذلك
بشارة برفع المنزلة ومنها ان بنفس الروية لذلك يزيد الايمان قوة حسا

ومعنى

ومعنى فاحكي هو وضعه في القلب والمعنى هو ما يحصل من قوة الايمان
بسبب تحقيق روية المريد ومنها انه عليه السلام لما ان كان في هذه الدار
كان اقوام ايمانا بحسب ما هو ايمان اهل الارض فلم يتخ لروية بقوه ما
عنده من التصديق ولما ان شأت القدره بالاسرابه الى العالم العلوي وهم اقوي
ايمانا من هذا العالم وهم مشاهدون لاسيما يشاهد ما اهل هذا العالم
فصل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم حتى حصل له الايمان بالتصديق والمشاهده وزيد
له فيه بالمس والمعنى حتى كان اعلا ذلك العالم ايمانا يشهد لذلك قوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى لقد راي من ايات ربه الكبرى ولم يوق الثبات مع
معانيه تلك الايات الكبار الا لما قوي عنده من الايمان والحكمة ما قوي عنده
فكان جديرا بما خص به من الثبات والمداحة واوجه كثيرة من هذه المعاني
تتعدد وفيما اشرفنا اليه كفاية العاشر فيه دليل على ان ما بعد الايمان
اجل من الحكمة ولو كذلك لما فرت معه ولهذا قال الله تعالى ومن زوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا الحادي عشر في معنى الايمان والحكمة اما الايمان فقد تقدم
الكلام عليه واما الحكمة فقد اختلفت العلماء فيها فقيل الحكمة هي وضع الشيء
في موضعه وقيل الحكمة هي الفهم في كتاب الله عز وجل والكلام معهم فيما قالوه
قد اشرفنا الى بعضه انفا والجواب عليها كالجواب على الايمان وقد اشرفنا لذلك
فاغنى عن اعادته الثاني عشر هل الايمان والحكمة مثلا زمان لا يوجد احدهما
حتى يوجد الاخر او كل واحد منهما مستقل بنفسه الظاهر ان كل واحد منهما
مستقل بنفسه لان الايمان ليس من شرطه ان نكون الحكمة معه بدليل قوله
عليه السلام من اخلص له اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

فقد شهد له عليه السلام بالايان والحكمة لم تكن عنده اذ ذاك لانه قال
من اخلص والاخلاص هو حقيقة الايمان فعلى هذا فكل واحد منهما مستقل
بتفسيه وجمعها هو الاعلى والارفع لكن بقي بحث وهو ان كان كانت الحكمة المراد
بها الوجه الاول الذي ذكرناه من الاخلاف فيما تقدم فقد توجد مع عدمه
وبهذا التوجيه يتقرر ما ذكرناه وهو ان كل واحد منهما مستقل بنفسه
لكن هذا استدلال مرجوح وليس بالقوي لانه اذا قلنا ان الحكمة هي وضع الشيء
في موضعه فالايان اولي ان يدل عليه الحكمة لانه هو الاولي والكفر من الحق
والحق ياتي الحكمة فعل هذا فهي مرتبطة بالايان لا بد منه عند وجودها
والافلاحة اذ ذاك وان قلنا ان الحكمة هي الفهم في كتاب الله تعالى
فهي مرتبطة بالايان على كل حال لا بد منه ام لا فعلى هذا فقد يوجد مو من
عري عن الحكمة وقد يوجد بهما معا وهو ان يوجد حكيم عري عن الايمان
الثالث عشر فيه دليل على ان الملائكة عليهم السلام تعرف بنبي ادم وتميز
كل واحد بعينه لان الملائكة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم واخذوه من بين اصحابه
وكذلك ايضا اخذوه من بين اخوانه وهو صبي صغير السن وكذلك الان فلور
لم يكن لهم ميز بالاشخاص لا اختلط عليهم وهذا دليل على عظم قدرة الله تعالى اذ
ان اصل العالم العلوي يميزون ويميزون اجزا هذا العالم الرابع عشر قوله
عليه السلام فسحق من النجر الى مرق البطن فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل
لا يعجزها يمكن ولا يتوقف لعدم شيء ولا لوجوده وليست مربوطه بالعادات
الا حيث نشأته القدرة لانه على ما يعرف ويعهد ان البشر مما شق بطنه كله
انزل واخرج ومات ولم يعيش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه

الحكمة

الحكمة حتى اخرج القلب ففصل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق
على بطنه واخرجت منه نزع الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح مات
ما ت صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين ولم يندمل ولم
يتالم بذلك ولم يموت لما ان اراد عز وجل ان لا يتوثر مما اجري به العادة ان يوتثر
بهما موت صاحبه اذ عند ما ابطل تلك العادة مع بقا جومها لان الشق قد وجد
على البطن والقلب وما يتولد من ذلك في جري العادة وغيرها من الخواص ان ثنا
عز وجل ان لا يروي الشارب بقلة الما فعل وان ثنا ان لا يحرق بالنار فعل كما اراد
العادة الجارية فيما نحن بسبيله وقد روي ابراهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه
وكانت عليه بردا وسلاما وكل الخواص بهذه المثابة ان ثنا عز وجل ابقاها الخاصة
وان ثنا سلبها مع بقا جومها الخامس عشر لقائل ان يقول لم شق البطن وحينئذ
ما يحملي والله عز وجل قادر ان يوجد له ذلك في بطنه من غير ان يفعل به ما فعل
والجواب عنه انه عليه السلام لما اعطى كثره الايمان والحكمة وقوي التصديق
اذ ذاك اعطى بروية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات
الجارية بالهلاك فحصلت له قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوه التصديق
وبالشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات وكل له بذلك ما اريد منه
من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولا جلا ما اعطى مما اثرنا
اليه كل عليه السلام في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلام حالاً وما لا فقي
العلوي كان عليه السلام كما اخبر عليه السلام ان جبريل عليه السلام لما ان وصل
معه الى مقامه قال له هات وربك هذا مقام لا انتقاه فزوج عليه السلام في
النور رجة ولم يتوان ولم يلتفت وكان هناك في الحضرة كما اخبر عز وجل عنه

العلم

وحيث

ما زاع البصر وما طغى واما حاله عليه السلام في هذا العالم اذا حى الوطيس في الحرب
ركض بغلته في بحر العدو وهم شاكون في سلاحهم ويقول انا ابن عبد المطلب انا ابني
لا كذب وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يقولون الشجاع منا الذي كان يستتر
يستتر به عند شدة الحرب السادس عشر فيه دليل لاهل الصفة في قولهم بان عمل
البتدي كسب وعمل المنتهي ترك لان النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره كان تخليه بالضم
والخط وهي زيادة له في السدة والقوة كما مر عليه السلام في حديث ابتدا الوحي وكان
تخليه هنا بالفضل وهو تنظيف للخل وكذلك حال البتدي والمنتهي عندهم فالبتدي
شأنه الكسب وهو لاخذ في الاعمال الصالحة وهي القوة والسدة والمنتهي شأنه
النظر في الباطن وما يتعلق به من الشوايب تركه حتى يتنطف الباطن من الكدورات
ولا يبقى فيه غير الله فان قال قائل فيلزم على هذا ان يكون في باطن النبي صلى الله عليه
شي من الكدورات حتى احتيج الى غسله وذلك باطل فقل له ذلك لا يلزم لان الفضل
ليس هو من باب ازالة الكدورات وانما هو تخيير ببع لامته فيما اشرفنا اليه واعظام
لشعائر الله لان ما يلقي في ذلك المحل الشريف من شعائر الله وقد قال تعالى ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوي القلوب السابع عشر قوله عليه السلام
فاتت بدابة ابيض دون البغل وفوق الحمار البراق فيه دليل على ان البراق افضل
دواب الارض واشرفها اذ انه خص بهذا المقام وهو سيره الى العالم العلوي
وركوب خير البشر عليه من هنا الى هناك الثامن عشر لقائل ان يقول لما تخص
عليه السلام بركوب البراق دون غيره من الدواب مثل الخيل والنوق وغيرهما
والجواب عنه انه انما خص عليه السلام بركوب البراق زيادة له في التشريف
والتعظيم لان غيره من الدواب يقدر غيره على ملكه والتمتع به والبراق لم يقدر
ان

ان احدا ملكه وتمتع به كما يتمتع بغيره من البهائم وهذا هو نفس التعظيم
والتشريف اذ ان القدرة قد احدثت ان كل ما عدم في الوجود وجد اذ
انه على خطره فان قيل فلو كان ذلك زيادة له في التشريف والتكريم لكان
ركوبه على دابته من دواب الجنة اذ هي افضل وابرك او لرفعه جبريل عليه
السلام على جناحه او احد من الملائكة او اعطى قوة حتى يصعد بنفسه ولا
يحتاج الى ركوب والجواب عنه ان هذا كله اشياء هي زيادة له عليه السلام
في التشريف والتعظيم ولو كان ركوبه عليه السلام على دابة من دواب الجنة
او لاحد من الملائكة او مني بنفسه لم يكن له فيه ما كان له في ركوب البراق والسير
به بيان ذلك انه لو صعد بنفسه لكان ماشيا على رجليه والراكب اعز من
الماشي فاعطى الركوب ليكون اعز له واشرف ولكن يعلم ان له عند الله مكانا حتى
انه ياتي وهو راكب فتكون دلالة بشارته بالخير والحظوة عند ربه لان الايمان
بالركوب من الله بشارته له برفع المنزلة والكرامة ومثل هذا في الدنيا والاخرة
موجود ففي الدنيا محسوسا وفي الاخرة بالاحبار منقولا اما في الدنيا فلان
الملك اذا بعث الى شخص بالخلع والركوب فيقدر الخلع وحسن الركوب يستدل
على منزلته عند الملك وفي الاخرة ما روي ان ليوم القيامة ياتي المومنون منهم ركب
من هو راكب فوق الخيل والدم ومنهم من هو راكب فوق الذهب وازمتهم بالركوب
الى غير ذلك مما جات الاخبار به كل انسان بحسب منزلته والملائكة تاتيهم
اقواجا بالبشارة وتقول لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون وانما لم يكن
ركوبه دابة من دواب الجنة او جناح ملك لانه لو ركب على ذلك لكان الظاهر
ان الركوب محل الراكب فلما ركب البراق الذي هو لحم ودم وهو مخلوق في الدنيا

وليس من عادة الطير ان في الهوي وانما هو من ذوات الاربع ارضي علم عند ذلك
ان الراكب هو الحامل لنفسه والحامل لركوبه اذ ان هذه العادة لا طاقة لها بالصعود
في الهوي اصلا فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم من البشر ومحال في حق البشر الصعود
في الهوي كما هو محال في حق الدواب قيل الجواب عنه ان البشر ليس هو الصاعد
بنفسه وانما هو الحامل والصاعد به قوة الايمان الذي من عليه به والنبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن ليسري به حتى ملئت بطنه الحكمة ايمانا وحكمة فلما ان امتلا
بالايمان والحكمة كان له من القوة ما يحمل نفسه وغيره فيقدر الايمان وقوته
يكون السلوك والترقي والهدى هذا من طريق مقتضى الحكمة والحقيقة وهي
القدرة وهي حاملة لكل كالعرش ومحملة لان جملة العرش حين امر وان يقوموا
بالعرش لم يطيقوا حتى قيل لهم قولوا الاحول ولا قوة الا بالله فلما ان قالوا قاموا
بالعرش فالتفتوا فاذا اقدمهم على غير شي فهم متمسكون بالعرش لا يفترون
من قولهم لاحول ولا قوة الا بالله خيفة لئلا يفلت احد منهم فلا يعرف ان الهوي
فهم حاملون للعرش والعرش حامل لهم والكل محمولون بالقدره وهم في
عظم خلقهم كما اخبر عن بعضهم حيث قال ^{عليه السلام} ان احدكم عن احد حمله العرش
ما بين شحمة اذني احد من مسيرة الطير مائة سنة وامرت ان احدكم عن احد
حمله العرش غلظ قرنه ما بين المشرق والمغرب ولكل واحد منهم ماجا في حديث آخر قرنان
مثل قرون الوعول فاذا كان كل واحد من هذين القرنين غلظه هكذا فانها يك
بالجسد الذي تكون فيه هذا الراس فسبحان من اظهر بديع حكمته بعظيم قدرته
الناسع عشر فيه دليل لاهل الصفة حيث يقولون فلان مقامه في سما الدنيا
وفلان مقامه في الثانية ثم كذلك الى ان يبلغوا الى قاب قوسين او ادنى ويعتوا بذلك

فانظر الى الحكمة
الله اعلم
بعضا ما في الهوي

ما زرقوا من قوة الايمان واليقين فكاشفوا باسرارهم ذلك العالم كل منهم بحسب
قوته في ايمانه وبقينه ولم فيما نحن بسبيله اذ دل دليل لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يسر به حتى ملاحكة وايمانا ثم لما ان من عليه بذلك سري به من سما الى سماء
الى قاب قوسين او ادنى وهم الوارثون له فلم في ذلك نسبة لكن بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم فرق وهو انه عليه السلام حصلت له الخصوصية لكونه اسري
بذاته المباركة وتكلم بلسان فمه وراي بعين راسه على ما قاله ابن عباس وسمع
الخطاب باذن راسه واذن قلبه وغيره من الوارثين له لم يصلوا الا بلسانهم
ولم يروا الا باعين قلوبهم ومجايبين هذا ويوضحه ما حكى عن بعض فضلائهم انه
لما من عليه بقوة الايمان واليقين واتبع سنة هذا السيد صاحب هذا
المقام العظيم في كل حركاته وسكناته وانقاسه سري بسره من سما الى سماء الى
قاب قوسين او ادنى ثم نوذي هتاسري بذات مجد السنية حيث سري بسرك
ولا جمل هذا كانوا ابداء ليس لهم شغل غير النظر في تقوية ايمانهم وبقينهم
لان به يسلكون وهو حاملهم وما يزيد هذا وضوحا وبينا قوله عليه السلام
ما فضلكم ابو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بشي وقر في صدره والشئ الذي وقر في
صدره هو قوة اليقين والايمان وقد صرح رضي الله عنه بذلك حيث قال
لو كشف العظام ازددت يقينا العشرون فيه دليل لاهل الصفة في قولهم لا
يكون تجلي الا بعد تجلي لانه لم يوضع الايمان والحكمة في البطن المباركة حتى شقت
وغسلت وحينئذ نلت فالشق والغسل هو التجلي وما ملئ به من الايمان والحكمة
هو التجلي فعلى قدر التجلي يكون التجلي ولهذا اشار بعضهم بقوله من سره ان لا
يري ما سره فلا يتخذ شيا يخاف له فقد الان ما سوي الله مفقود فمن اراد

الفوز بهذا التجلي فليعزم على قوة هذا التجلي حالاً ومالاً فمن لم يقدر على الكل فليعمل
 على البعض فان التجلي يكون بقدر التجلي والحذر الحذر من ان تهمل نفسك وترخي
 حظك بخيس فذلك هو الحرام الحادي والعشرون قوله عليه السلام ثم غسل البطن
 بما زعم ما المراد بالبطن هنا هل البطن نفسه او ما في البطن وهو القلب الظاهر
 ان المراد القلب لانه جاء في رواية اخرى ذكر القلب ولم يذكر البطن وقد يحتمل ان
 تجل على رواية ظاهرها ويقع الجمع بينهما بان يقال اخبر عليه السلام مرة بغسل
 البطن ولم يتعرض لذكر القلب واخبر مرة بغسل القلب ولم يتعرض لذكر البطن فيكون
 العمل قد حصل فيهما معاً بالغة في تنظيف المحل الثاني والعشرون لقائل ان
 يقول لم غسلت البطن وقد كانت طاهرة مطهرة وقابلة لما يلحق اليها من الخبث
 وقد غسلت اولاً وهو صغير السن واخرجت من قلبه بركة الشيطان فما فائدة
 هذا الغسل الثاني والجواب عنه ان هذا الغسل انما كان اعظماً وتأهباً
 لما يلحق هناك وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما وضع مثل الرضو للصلاة لمن كان
 متظففاً لان الرضو في حقه انما هو اعظام وتأهب للوقوف بين يدي الله
 تعالى ومناجاة وكذا في الزيادة على الواحدة او الاثنين اذا سبح بالاولي
 لان الاجزاء قد حصل وبقي ما بعد الاسباغ الى الثلاث اعظماً لما يقدم عليه
 وكذلك غسل البطن هنا وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوي
 القلوب فكان الغسل له عليه السلام من هذا القبيل واسارة لامتة بالفعل
 بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول واسارة لهم ايضا فيما تقدم ذكره من
 التجلي والتجلي فان قال قائل لو كان الامر في الزيادة على الاسباغ اعظماً
 للشعائر لكانت الزيادة على الثلاث اولي اذ انه بحسب الزيادة كان تعظيم
 الشعائر

الشعائر اكثر قيل له الامر كذلك لكن الله عز وجل بالمؤمنين رحيم فمن رحمته
 بهم ان مفعول الزيادة على الثلاثة تخفيفاً عليهم ولطفاً بهم الا يعلم من خلق وهو
 اللطيف الخبير الثالث والعشرون فيه دليل على فضيلة بئر زمزم على غيره من الياه
 اذ انه اختص بان غسل منه هذا المحل الجليل في هذا الموطن الرفيع الرابع والعشرون
 لقائل ان يقول لم يغسل بما الجنة الذي هو اطيب وابرك والجواب عنه انه لو
 غسل بما الجنة دون استقراره بالارض لم يبق لامنته اثر بركة فلما غسل بما
 زمزم وهو ما استقر من ما السما بالارض على ما قاله ابن عباس في تفسير قوله
 تعالى وانزلنا من السماء ماء فاسكاه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فقال كل
 ماء في الارض انما هو انما نزل من السماء من انا وقد جاء في الاثر ان ما من مطر ينزل
 الا وفيه مزاج من الجنة وتكون البركة فيه بقدر المزاج فعلى هذا فقد حصل ماء
 كل من الجنة او بعضه مع زيادة فوايد جملة منها ما ذكرناه من ابقا البركة
 للامة ومنها انه حفر مقبره بهذه الارض المباركة ومنها انه خص به الاصل
 المبارك وهو اسماعيل عليه السلام ومنها انه خص بما لم يخص غيره من الياه
 بان جعل فيه لها جرام اسمعيل غذا فكان يغنيها عن الطعام والشراب ومنها
 ان ظهوره كان بواسطة الامين جبريل عليه السلام فكان اصلاً مباركاً في مقر مبارك
 لسيد مبارك بواسطة فعل امين مبارك فاختص به هذا السيد المبارك وكان ذلك
 زيادة له في التشريف والتعظيم والله عز وجل يفضل ما شاء من مخلوقاته حيواناً
 كان او جماداً فجاء بالحكمة العجيبة في البهة الجليلة ملة ابيكارهم بالمقال
 وفي المآ ملة ابيكار اسمعيل بلسان الحال الخامس والعشرون قوله
 ملي حكمة وايماناً قد مر الكلام على معنى الحكمة والايمان وبقي الكلام هنا على الملو

ما هو البطن او القلب فعلى ظاهر هذه الرواية هو البطن وعلى ما جاء في رواية
غيرها هو القلب فاحتمل ان يكون جلياً معاً واخبر عليه السلام في هذه الرواية
بالبطن واخبر في الاخرى بالقلب واحتمل ان يكون لراد القلب وذكر البطن توسعة
لان العرب تسمى الشيء بما قاربه او بما كان فيه وقد قال تعالى فمن يرده الله ان يهديه
يسرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضلده يجعل صدره ضيقاً حراً ومعي الصد
في الآية القلب فسماه باسم ما هو فيه وهو الصدر السادس والعشرون
قوله فانطلقت مع جبريل حتى اتينا السما الدنيا الى قوله ولنعم المجي جاء فيه دليل
على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها يمكن لانه عليه السلام قال حتى اتينا السما فاقام
ذلك انهم كانوا يخشون في الهوي وقد جرت العادة بان البشر لا تمتص في الهوي
سهما وكان راكبا على جابه من دواب الارض لكن لما انشأت القدرة ذلك كان
فلما بسط عز وجل لهم الارض ومهدوا لهم يمشون عليها كذلك يمشون في الهوي
كل ذلك بيده لا ترتبط قدرته بعادة جارية حتى يظهر عند وجودها اثر في الوجود
ويعدم عند عدمها بل القدرة سالحة لان تبدى ما نشأت عند وجودها وعند
عدمها وانما العادة من الله الحكمة استاثر بها فان نشأتها وانما ازالها
وقد سئل عليه السلام حين اخبر عن الاستقيا المساكين الذين يمشون على
وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه السلام الذي امسأهم في
الدنيا على اقدامهم قادر ان يمسأهم يوم القيامة على وجوههم السابع
والعشرون فيه دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مستقلا بنفسه
في صعوده ولم يحتاج الى من يعينه لانه عليه السلام قال انطلقت مع جبريل
فاقاد ذلكا هما صعدا معا لا يحتاج احدهما للاخر ولو قال انطلق بي جبريل

لاقاد

لاقاد ذلكا جبريل عليه السلام كان حاملا له او معينا وهذا ادل دليل
على عظم قدرة الله عز وجل وانه لا يعجزها يمكن كما تقدم قبل وعلى كرامة النبي
صلى الله عليه وسلم وعلو منزلته لان الله عز وجل قد اجري العادة بان البشر لا
تصعد في الهوي واجري العادة للمليكة بالصعود والنزول بحسب ما نشأت
القدرة لانهم خلقوا من جوهر لطيف وان البشر في جوهر كثيف فابتغى النبي
الله عليه وسلم صفة البشرية واعطى حال العالم العلوي حتى صار مع جبريل عليه
السلام كما ذكرنا في ادعوى ذلك ما هو اعظم في العجزة وايبر وهو ركبته على واب
من دواب الارض الذي لا استطاعة لها بالصعود كل هذا اكراما له عليه السلام
وتعظيماً واطهاراً القدرة الله تعالى حتى رجوعه عليه السلام ما كان عنده علم
يقين من ان القدرة سالحة لكل شيء يقين في هذه الاحوال المذكورة فما طلب ابره
ابراهيم عليه السلام الانتقال من علم يقين الى عين يقين في قوله ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمس قلبي اعطى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
بغير طلب الثامن والعشرون فيه دليل على ان السموات ابوابا وعلي بابا
وخدايم وانه لا يصعد احد من الملائكة ولا من غيرهم ممن شا الله عز وجل حتى يستادعهم
في الفتح لانه عليه السلام اخبر انه حين اتوا الى السما قرع جبريل الباب فقيل من
هذا فاجاب باسمه واسم من معه وحينئذ فتح له وفايدة هذا الايمان بعظم قدره
ومنعها ما نشأت كيف نشأت التاسع والعشرون سواد الملائكة عليهم السلام
لجبريل عليه السلام بقولهم من معك احمل وجهين احدهما ان يكون عادة لهم لا يصعد
احدا ولا ينزل احدا حتى يسكوه هل هو وحده او مع غيره وان كان جبريل عليه السلام
هو الامين لكن اقتضت الحكمة انه لا ينفذ هو وغيره الا بعلمهم وسؤالهم تشييه الحكمة

واظهاراً للقدر الثاني ان يكون سوالهم لما رواه عن اقباله عليهم من زيادة الاثار
 وغيرها من الماثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه فكان لهم ذلك دليلاً على ان معه
 غيره فسأله عنده وهذا هو الاظهر بدليل قولهم من معك ولو كان غير زيادة راونها
 لكان الاستفهام بان يقولوا معك احد فلما جات الصيغة بقولهم من معك دل
 ذلك على انهم سألوا من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي معك فاجبرهم بما اردوا
 وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه **الثلاثون** قول جبريل عليه السلام حين
 سئل من معه فقال محمد فيه دليل على ان الاسماء ارفع من الكنى لانه اخبر باسمه ولم
 يخبر بكنيهه وهو عليه السلام مشهور في العالمين العلوي والسفلي فلو كانت
 الكنية ارفع من الاسم لاجبر بكنيته الواحد الواحد **الثلاثون** استفهام
 الملائكة بقولهم وقدا رسل اليه فيه دليل على ان اهل العالم العلوي يعرفون رسالته
 عليه السلام ومكانته لانهم يسألوا عن وقتها هل حل اعننا ولذلك اجابوا بقولهم
 مرحبا به ولنعم المرحي جاء وكلامهم بهذه الصيغة اذ ذلك دليل على ما ذكرناه من
 معرفتهم بجلال مكانته عليه السلام وتحقيق رسالته لان هذا اجل ما يكون
 من حسن الخطاب والترفيح على المعروفين من عادة العرب وقد قال بعض العلماء في معنى
 قوله تعالى لقد راى من آيات ربه الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت
 فاذا هو عروس المملكة الثاني **الثلاثون** قول الملائكة مرحبا به ولنعم المرحي جاء
 مرحبا اي صادقت رحبا وسعد ولنعم المرحي جاء احتمل وجهين احدهما ان يكون قالوا
 ذلك لما عاينوا من بركاته عليه السلام التي سبقته للسما مبشرة بقومته وهي الاثار
 وما اشبهها الثاني ان يكونوا قالوا ذلك لما عاينوا له من الخير العظيم المدخر له
 هناك لوقته هذا وقد حمل الوجهين معا الوجه الثالث **الثلاثون** قوله

عليه

عليه السلام فأتيت على ادم فسلمت عليه فيه دليل على ان السنة في السلام ان يبدأ
 به المار على القاعد لانه لما ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ما را على ادم عليه السلام
 ابتداءه بالسلام الرابع **الثلاثون** فيه دليل على انه لا يجوز في رد السلام غير الصيغة
 المتروكة لانه لم يقل له ادم عليه السلام مرحبا الا بعد رد السلام عليه على ما جاء في رواية
 اخري قال فيها فرد ثم قال مرحبا الخامس **الثلاثون** قول ادم عليه السلام مرحبا
 بكن ابن وبي هل هذا اللفظ من ادم عليه السلام فانفس النبي صلى الله عليه وسلم لان الغرض
 اشادته في غرضه بلقا الوجود فلو كان ذلك منه سرور بقره عينه به احتمل الوجهين معا
 اما في حق ادم عليه السلام فظاهر لان المراد ايدى فرح بزيارته ابنه عليه فان له ومنه
 في الحقيقة ولهذا قال تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال
 بعض المفسرين في معناه لا تدرون من يكون يوم القيامة اعلى درجة عند الله عز وجل
 فيشفع في صاحبه حتى يبلغه معه وهذه خصوصية بين الآباء والابناء لا توجد في غيرهم
 فترفع احدهما ترفع للاخر وقد حصل لادم من هذا او فرضيب لانه يكون يوم القيامة
 في احد ركابي النبي صلى الله عليه وسلم حين اعطاه لواء الحمد وابرهم عليه السلام يكون
 في الركاب الاخر فحصل لادم وابرهم عليهما السلام الذين هما الابوان خصوصية في
 او فرضط في هذه المنزلة ما لم يكن لغرضهم من الانبياء عليهم السلام واما في حق النبي صلى الله
 عليه وسلم فلان الابوة تقتضي الادلاء عليها فكان ذلك تائيدا للنبي صلى الله عليه وسلم
 السادس **الثلاثون** قوله عليه السلام فاتينا السما الثانية الي قوله فاتيت
 على عيسى ونجى فسلمت فقالا مرحبا بك من اخ وبي الكلام على الصعود الى السما الثانية
 واستفناحها وقول الملائكة مرحبا بك الكلام على السما الاولى وقد مر وبي الكلام هنا
 في قول عيسى ونجى له مرحبا بك من اخ وبي وانما قال له ذلك لان الانبياء عليهم السلام

كالاخوه كما اخبر عليه السلام حيث قال لا تفضلوا الانبياء بعضهم على بعض حتى
 جميع الانبياء اولاد علات واولاد علات في لغة العرب ان يكون الاب واحدا والامهات
 مختلفة فنسبة الاب هنا اعني بين الانبياء عليهم السلام هو اجتماعهم في درجة
 النبوة ونسبة الامهات بينهم هو اختلافهم في رُوح المنازل الوجه السابع
 والملائكة قول فائنا السابعة الثالثة الى قوله فائنا السابعة السادسة الكلام
 على ذلك كله كاللحم على السما الاولي والثانية وبقي هنا محتمل في قوله على السماء
 معناه الى السماء السادسة لانه معلوم انهم كانوا صاعدين اليها ولا يكون علي
 هنا على بابها الا ان لو كانا نازلين من السماء السابعة فلما ان كانا صاعدين كان
 علي بمعنى الى بالضرورة وهو سايع في السنة العرب ومستعمل عندهم كثيرا
 فعلي هذا يكون بمعنى قوله الرحمن على العرش استوي وقوله تعالى ثم استوي
 على العرش اي الى العرش استوي واستوي الى العرش فيكون مثل قوله تعالى ثم
 استوي الى السماء وهي رخان اي عمدا الى خلقها وكذلك هنا اي عمدا الى خلق العرش
 والذي عمدا لذلك هو امره عز وجل كما تقدم في الحديث قبل هذا ان امره عز وجل
 هناك بمقتضى حكمته وارا دته فيبطل بهذا احتجاج اهل البدع والعتاد اذ ما
 قرناه سايع في السنة العرب وهو في كلامهم كثير والقران بلغتهم ترك وانما ضل
 من ضل بسببه انه ياخذ الفاظ القران والحديث فيتاو لها بحسب لغته وفهمه
 فيضل بالضرورة وانما ينظر في القران بمقتضى لغة العرب التي بها نزل ولاجل هذا
 لم يستشكل قط احد من الصحابة شيئا من الفاظ القران ولا الحديث ولا وقع لهم
 كلام فيما وقع لمن بعدهم لعرفتهم بمعناه ومقتضاه فلا يحتاجون فيه الى بيان
 ولا الى سوال فلما ان انتقلوا الى رحمة ربهم طاهر من قلت معرفة لغتهم عند
 بعض

بعض الناس فلم يتكلموا بها فدخل عند ذلك الاشكال عند بعضهم وتوهوا
 الفساد لعدم المعرفة باللغة العربية فمن تاو القران والحديث بمقتضى لغتهم
 انتفت عنه تلك التوهات ورجع القران والحديث عنده كالسني الواحد بعضه
 يبين بعضا وقوله عليه السلام فائت موسى فسليت عليه فقال مرحبا بك من
 اخ وبيي الكلام عليه كاللحم على الانبياء قبله وقد مر الوجه الثامن والتلاتون
 قوله عليه السلام فلما جاوزت بكى فقبل ما ابكاك قال يارب هذا العلام
 الذي بعث بعدي يدخل الجنة من امته افضل ما يدخل من امي يسرد على هذا
 الفصل الثلاثة اصيلة الاول ان يقال لمر كان بكما موسى عليه السلام
 الثاني من هو الذي قال له ما ابكاك هل الملائكة او الحق عز وجل الثالث
 لم قال موسى عليه السلام هذا الغلام ولم يقل غير ذلك من الصنع والحجاب
 عن الاول ان الانبياء عليهم السلام قد جعل الله في قلوبهم الرافة والرحمة لامتهم
 وركبهم على ذلك وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن بكائه فقال هذه رحمة
 وانما يحرم الله من عباده الرحما والانبيا عليهم السلام قد اخذوا من رحمة
 الله عز وجل او فر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم
 فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللفظ بكى اذ ذاك رحمة منه لامت
 لان هذا وقت افضال وجود وكرم فوجي لعل ان يكون وقت القبول
 والافضال فيرحم الله امته ببركته هذه الساعة قال قابل كيف يكون
 هذا وامته لا تخلوا من قسمين قسم ما على الايمان وقسم ما على الكفر فالذي
 مات على الايمان فلا بد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة
 ابدا فبكاوه لاجل ما ذكره لا يسوع اذ ان الحكم فيهم قد مر ونقد قيل له

بعض

رد ذلك ان الله عز وجل قدره على قسامين بما نشأت حكمته فتقدر قدره وقدر
انه ينفذ على كل الاحوال وقدر قدره وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعة بسبب
دعاء او صدقة او غير ذلك ومثال ذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالثلاث دعوات
لامته وهي ان لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ولا يهلكهم بالبسطن فاصطبرها
ودعا بان لا يجعل باسم بينهم منعا فاستجاب له الاثنان ولم يستجب له
في الثالثة وقيل له هذا امر قد قدرته اي انقذته فكانت الاثنان من القدر
الذي قدره الله عز وجل وقدر ان لا ينفذ بسبب الدعاء وكانت الدعوة الثالثة
من القدر الذي قدره الله عز وجل فتقدر انقاذ على كل الاحوال لا يردده راحة
وسياتي لهذا الحديث في الكلام زيادة ايضاح في الكلام على الخبر الحديث
في من الصلاة خمسين ولاجل ما ركب موسى عليه السلام عليه من اللطف والرحمة
بالامة طمع لعل ان يكون ما اتفق لامته من القدر الذي قدره الله وقدر ان رفاهه
بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التطفيل والاحسان من الله
لانه وقت اسرى فيه بالحبيب يخلع عليه خلع القرب والفضل العميم قطع الكلام
لعل ان يلحق لامته نصيب من ذلك الخير العظيم وقد قال عليه السلام ان الله ينفحات
تعرض النفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى عليه السلام فكان
امر قد قدره والاسباب لا تؤثر الا بما ثبتت القدرة بانها فيه تؤثر وما كان
قضاء نافذا لا تزده الاسباب فانه حتم قد لزم كما قد تقدم في الدعوة الثالثة
من دعوات النبي صلى الله عليه وسلم لامته ومثل هذا ما حكى الله عز وجل في كتابه عن عيسى
عليه السلام حيث يقول يوم القيامة ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم وعيسى عليه السلام عالم بكفرهم اذا كفرهم جعلوه لله ولدا وجعلوا لله صاحبة

وعلم

وعلم بان الكفار لا يدخلهم في النجوة المتعزة لكن قال ذلك رجلا لعل ان يكون
فلك من القدر الذي قدره الله وقدر ان لا ينفذ فكان من القدر الذي قدره الله
وقدر انقاذ على كل حال وقال عز وجل عند خلقك هذا يوم ينفع الصادقين
صدقاتهم اي الامر كذلك لكن سقت ارادتي وحكي وقد فضلي بان لا ارجم اليوم
الا الصادقين دون غيرهم فكان بكاموسى عليه السلام من هذا القبيل ولوجه
اخر ايضا وهو البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم واذا حال السرور عليه يشهد
لذلك بكاءه حين ولي النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقيل ان يبعد عنه لكي يسمعه لانه
لو كان البكا خاصا بنوحي عليه السلام على الوجه المتقدم لم يكن يبكي حتى يبعد عنه
النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسمعه لان بكاه صلى الله عليه وسلم وهو يسمع منه شي ما من
التسوية عليه فلما ان كان المراد بذلك مقصده من البشارة له عليه السلام
بسبب البكا بكي والنبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه والبشارة التي يتضمنها البكا
هي قول موسى عليه السلام الذي هو اكبر الانبياء اثبا عا ان الذي يدخل الجنة
من امة محمد عليه السلام اكثر مما يدخلها من امة موسى صلى الله عليه وسلم فان قال
قائل لو كان بكاه لاجل هذا المعنى لصد منه حين قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
عليه قيل له انما لم يبك اذ ذاك لان البكا سبب للتقور والرحمة والقادر
السنة فيه ان يبتئ اليه ويكرم فعلا لولا سنة القدوم فلما ان انفصل مجلس
البشارة اعقبه ببكا البشارة والجواب عن السؤال الثاني وهو هل المتكلم
لموسى عليه السلام المخلوق او الخالق الظاهر ان ذلك من الله تعالى يدل على ذلك قوله
في الجواب ببارب والجواب عن الثالث ان العربيا نيا يطلقون على المرء غلاما
اذا كان سيديا فيهم فلاجل ما في هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من الالفاظ

بالأفضلية فذكره موسى عليه السلام ولم يذكر غيره تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وترفيحا للوجود التاسع والثلاثون قوله عليه السلام فانينا السما السابعة
الي قوله مهياك من انبياء الكلام عليه كالسلام على ادم عليه السلام وفي هذا
سؤال وهما ان يقال لكان هيكالا والانبيا عليهم السلام في السموات دون غيرهم
من الانبيا ولم كان كل واحد منهم في سما تخصه دون غيره ولم لم يكونوا بالعكس
ولم كان في السما الثانية الثمان وفي غير هلو احد والحوار عنه انه لا يخلو ان
يكون ذلك من الله تعهدا او لمعنى ظاهر ومعنى تعهدا انه لا يفهم البشارة حكمة واما
الفعل في نفسه فهو الحكمة لا بد منها في كل يوم من شيا اطلاقه عليها وان كان
ذكر لمعنى ظاهر وهي الحكمة المفهومة من ذلك الترتيب فما هي فنقول وجه الحكمة
فيه والله اعلم انه انما كان ادم عليه السلام في سما الدنيا لانه اول الانبيا واول الالكاف
وهو الاصل ومنه يفرع من بعده من الانبيا وغيرهم فكان اول في سما الدنيا لاجل
هذا المعنى ولاجل فانيس النبوة بالابوة والذكور في القرية واما عيسى عليه السلام
فانما كان في السما الثانية لانه اقرب الانبيا الي النبي صلى الله عليه وسلم ولا امتحت
شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة محمد عليه السلام ولانه ينزل في اخر الزمان
لامنة النبي صلى الله عليه وسلم بشريته وحكم بها وهذا قل عليه السلام انما اولي الناس
بعيسى فكان في السما الثانية لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه
هناك لانما في حالته وهما كالشيء الواحد فلاجل المترام احدهما بالآخر كانا هناك
معا وانما كان يوسف عليه السلام في السما الثالثة لانه على حسنة تدخل امته محمد صلى الله
عليه وسلم الجنة قاري له هناك لكن يتصور ذلك بشارة قوله عليه السلام فيسر بذلك
وانما كان ادريس عليه السلام في السما الرابعة فلان هناك توفي ولم تكن له تربية

في الارض على ما ذكرنا انما كان هرون عليه السلام في السما الخامسة فلانه ملازم
لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى
وانما لم يكن موسى عليه السلام في السما السادسة لان موسى منية وحرمة وهو كونه
الكليم واختص باسئال من لاهرون عليه السلام فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في
السما السادسة ولاجل المعنى الاول كان في السما الخامسة ولم يكن فيما دونها
او في الارض وانما كان موسى عليه السلام في السما السادسة لاجل ما اختص
به من الفضائل وانما كان ابراهيم عليه السلام في السما السابعة فلانه الخليل والاب
الاخير ولان النبي صلى الله عليه وسلم يصعد من هناك الى عالم اخر غير ما هو فيه لان
وهو اختراق الحجب فيحتاج اذ ذاك ان يتجدد له انس ايضا لان القرية زادت
اذ ذاك فكان ابراهيم عليه السلام هناك لاجل ما يجد عليه السلام من الانس به
وذلك ثلاثة معان لكونه الاب الاخير وكونه اب من طرفين بالنسب في الابوة
وبالانباغ في الملة كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم ولانه الخليل كما تقدم ولا احد
افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ما هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل
فوق الكل لاجل خلقته وفضلته وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به من العلم
يدل على ما قرنا الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واما السنة فقوله عليه السلام
انا سيد ولد ادم والاخير وقوله عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائه فحصل لهم
الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض
درجات بمقتضى الحكمة ترفيحا للرفوع دون نقص بالتركة الاربعون
روية عليه السلام لهؤلاء الانبيا عليهم السلام احوال وجوها الاول ان يكون

عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من
الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في
البصر والبصيرة بما ادرك ذلك يشهد لهذا الوجه قوله عليه السلام رايته
للجنة والنار في عرض هذا الحائط وهو محتمل لوجهين احدهما ان يكون عليه السلام
راهنا من ذلك الموضع كما يقال رايته الهلال من منزلي من الطاق والمراد من موضع
الطاق الوجه الثاني ان يكون مثله صورتهما في عرض الحائط والقدر
صالحة لكلتيهما الثاني ان يكون عاين ارواحهم هناك في صورهم الثالث
ان يكون الله عز وجل لما اراد باسراء نبيه عليه السلام رفعهم من قبورهم لتلك
المواضع اكراما للنبيه عليه السلام وتعظيما حتى يحصل له ما قد اشرنا اليه
من الاتسار والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن واظهارا له عليه السلام
للقدرة التي لا يعلبها شيء ولا تعجز عن شيء وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجح
لاحد ما على الاخر اذ ان القدرة صالحة لكلهم الواحد والاربعون
فيه دليل لاهل الصفة حيث يقولون بان الاعلى يكاشف من دونه في المقامات
ولا يكاشفونه في مقامه الخاص لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان كان اهل الانبياء عليهم
السلام مقامنا اطلع على مقاماتهم ولم يطلع احد منهم على مقامه الخاص الى حد
الثاني والاربعون قوله عليه السلام فرجع الى البيت المعمور معناه انه اري
له وقد احتمل ان يكون المراد الرفوع والروية مقالنا قد يكون بينه وبين البيت
عوالم حتى لا يتقدر على ادراكه فرفع له واهد في بصره وبصيرته حتى راه وقد احتمل
ان تكون تلك العوالم التي كانت بينه وبينه ازيلت حتى ادركه ببصره وقد
احتمل ان تكون تلك العوالم التي كانت بقي العوالم على حاله والبيت على حاله واهد

عنه

في بصره وبصيرته حتى ادركه وعائنه والقدرة صالحة لكل يشهد لذلك قوله
عليه السلام رفع لي بيت المقدس على ما سياتي والناويل فيه كالتاويل في البيت
المعمور الوجه الثالث والاربعون قوله عليه السلام قتلت جبريل فيه دليل على
ان اهل الفضل وان شأوا في السور والرفعة اذا راوا شيئا لا علم لهم به فلهم
ان يسألوا من يعلم ذلك وليس ذلك مما يخفى بمنصبهم لان النبي صلى الله عليه وسلم في الفضل
والسود حيث علم وفي هذا الحال قد كان ثنائي ارتفاعه حيث اخبر لكن لما ان
راى شيئا لا علم له به ووجد لمن يسال عنه سال الوجه الرابع والاربعون
قوله هذا البيت المعمور يصل فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا
اخر ما عليهم فيه دليل على عظم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها يمكن لان هذا البيت
المعمور يصل فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد
ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات ولا في
الارض موضع شبر وقيل بل قدر اربعة اصابع الا وملك واضع جبهته هناك
ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل بها فاذا كانت السموات والارض
والبحار هكذا فهو كالملايكة الذين يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القوه
التي لا يسبها شيء ولا تتوقف عن شيء الوجه الخامس والاربعون فيه دليل
على ان الملايكة اكثر المناجيات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم تصل في البيت
على ما تقدم ثم لا يعود اخر ما عليه مع ان الملايكة في السموات والارض والبحار على ما
تقدم ذكره فهم على هذا الظاهر اكثر المناجيات وقد روي ان الله ملكا له خلق
عظيم بطول وصفه يغتسل كل يوم ثم ينفض في ريشة فكل قطرة تقطر منه
مخلوق الله منها ملكا وقد روي ان ثمر ملايكة يسبحون الله عز وجل فيخلق الله عز وجل

بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملائكة التي للتعبد وما عدا الملائكة الموكلون
 بالنبات والارزاق والحفظه وقد روي ان الله تعالى خلق من المخلوقات
 الحيوانيات وغيرها ما عدى بني ادم الذي لم الحفظه الاومعه ملكان فاجدهما
 بهديا ليرزقه والاخر الي مصاحبه فكانوا اكثر المخلوقات بمقتضى هذه الطوام
 السادس والاربعون فيه دليل على ان الصلاة افضل العبادات اذا انها اشرك
 فيها اهل العالمين العلوي والسفلي اعني جميعا مكلون السابع والاربعون
 فيه دليل على استغنا الله تعالى عن خلقه وانه لا تنفع طاعة الطابع ولا تنفع
 مخالفة المخالف لانه عز وجل خلق هذا الخلق العظيم ووكل بعضهم بحفظ منافع
 بعض ووكل بعضهم بفعل اشياء وانفائها والكل ليس بيدهم شي ولا لهم على ما
 يفعلون قدرة بل قدرة الله عز وجل هي الحافظة لذلك والمصلحة له وانما ذلك
 من الله تعبد يتعبد من خلقه ما شا كيف شا بما شا ثم انه عز وجل خلق الخلق وقسم
 على اقسام فقوم خلقهم للسعادة لا غير واختصهم بعبادته وجعل العبادات لهم
 قوتنا وعيشنا ورسا عليهم واجراها لهم كمثل النفس لبني ادم وهم الملائكة وقوم
 خلقهم للشقا اعاذنا الله منه والطرد والبعد وجعلهم اهلا للشرا وسبابه
 وهم الشياطين وقوم خلقهم ورددهم بين هذين القسمين شقي وسعيد وجعل
 لهم الثواب على الطاعات وجعل لهم العقاب على المخالفات وهم بنوا ادم والجن
 ثم قسم بني ادم والجن على اقسام فمنهم القسمان المنقذمان وخلق منهم
 طائفة لم يعصوا فينتوب عليهم لقوله عليه السلام لو لم تذنبوا لاتي الله بقوم
 يذنبون فيغفر لهم وخلق منهم قوم يعصون فلا يغفر لهم ولا حيلة لهم في
 السعادة بعدها المقذور الذي سبق عليهم وخلق منهم قوتنا منهم نصيب

للغراب

للغراب ونصيب للوحدة ولو كان عز وجل تنفعه طاعة الطابع لخلقهم الكل الطاعة
 ولو كانت تنفعه معصية العاصي لم يكن يعفو عن عصاه ولعاقبه على كل حال
 ولاجل هذه المعاني التي اشترنا الي شي منها قال عليه السلام تفكر ساعة خير
 من عبادة سنة وفي رواية خير من عبادة الدهر لانه اذا تفكر المرء في شي من
 هذه القدرة العظيمة والحكمة الكبرى بان له الحق وانفج فادمن عند ذلك لله
 وسلم له في مقدوره وازداد بذلك محبة في التعبد لمن له هذا اليك العظيم اذ بالعبادة
 يتقرب اليه فانس عند ذلك بها واستوحش من صدها وانس بالخلوة عن الخلق
 لاجل فراغه للتعبد والنظر فيما اشترنا اليه واستوحش عند المخالطة لذهاب ذلك
 الوصف عنه ولهذا المعنى لما ان دخل على بعض الفضلاء من اهل الصفة فوجده
 وحده قيل له وحده قال رضي الله عنه الان انا وحدي يعني انه كان في
 خلوته مشغولا بها اشترنا اليه اما من تعبد او فكرة فانس بذلك مع ربه ثم لما ان
 جاهد ذلك عنه وهو متحد منهم الوحشة فكان وحده لاجل هذا المعنى
 ولهذا المعنى قال بعض الفضلاء او صبحك ان تدبم النظر في مراة الفكرة مع الخلوة
 فهناك يبين لك الحق والتفكر في معاني هذا الحديث يريد في الايمان اضعاف
 اضعافه اذ ازرق صاحبه التوفيق وانما نكلنا على هذا المعنى اشارة لئيبه
 الطالب والمريد لما عدى تلك المعاني التي اشترنا اليها لعله يكون له مثلها وسببا
 الي الارتفاع والفهم فيما عداها الوجه الثامن والاربعون قوله عليه السلام
 ورفعت لي سدره المنتهى الكلام عليه كاللحام على قوله ورفع الي البيت المعمور وقد
 مروا ناسميت بهذا الاسم لان اليها تنتهي الاعمال ومن هناك يتنز الام
 وتتلقى الاحكام وعند هانف الحنطة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى

لان اليها ينتهي ما يصعد من السفلى وما ينزل من العالم العلوي من الامر العلي
 التاسع والاربعون قوله عليه السلام فاذا بنيتها كانت قلالا هجر وورقها
 كانت اذان الفيل النبق هو الطم الذي يطعم هذه الشجرة وقدره قدر قلة هجر
 وقلة هجر اكبر واني اصل الارض من جنسها على ما كان اهل الحجاز يهودون وانما
 شبه عليه السلام بنيتها بالقلال وورقها باذان الفيل لانه ليس له في الدنيا ما يشبهها
 من جنسها فانها تبار الى ذلك ليعلم قدرها واما جنسها فلا يتوصل اليه الا من اطعمه الله
 عز وجل عليها او يراها في الآخرة ان شاء الله له ذلك الخمسون قوله عليه السلام في
 اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران طاهران هذا اللفظ يحتمل ان يكون علي
 الحقيقة فتكون هذه الانهار تنبع من اصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طمها نبق
 واصلها ينبغ منه الماء والقدرة صالحة لا تعجز عن هذا وان كان من باب تسمية
 الشيء بما قاربه فتكون الانهار تنبع من اصل الشجرة ثم يفي احتمالها اصل الشجرة
 معزوسة في شيء ام لا محتمل الوجهين معالان القدرة صالحة لظلمها فكما
 جعل عز وجل هنا الارض للشجر مقرا كذلك جعل الهوا للكل مقرا وكما رجع النبي
 صلى الله عليه وسلم يمشي في الهوا كما كان يمشي في الارض كما كان جبريل
 عليه السلام جالسا على كرسي بين السماء والارض والقدرة لا تعجز عن هذا كله
 ولان بالقدرة استقرت الارض بما فيها على الملأ على ما جاءت الاخبار فامساكها
 لمن يمشي عليها اعظم في القدرة من امساكها وحدها ومن امساك المخلوقات
 دونها وانما يتعاطف هذا لكون ان الله عز وجل اجري العادة بالمشي على الارض
 والاستقرار عليها ولم يجر ذلك في الهوا والقدرة ليست مرتبطة بالعادة الجارية
 ولو شاء عز وجل ليجل الامر بالعكس ليقول لو فعل ذلك لعظم ايضا في عين الناظرين
 انهم

وهذه من معانيها
 من الارض مع

من

من يمشي على الارض لاجل العادة الجارية وقد روي ان انهار الجنة تجري في
 غير احدود فهي تجري في مواضع معلومة لا تشعدها من غير شي يسكها ولا يردا
 فمن كانت هذه قدرته فكيف يقع الانكار ان يكون شجرة في الهوى مع عظم هذه
 القدرة وتحتمل ان تكون الشجرة معزوسة بارض وهو الاظهر بدليل قوله ونهران
 باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما اشبهه الا على ما يفهم والباطن لا بد له ان يكون
 سرهانه تحت شيء يسيره وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن ثم بقي الاحتمال في الارض
 اذا قلنا بها هل هي من تراب الجنة او هي نورية او غير ذلك محتمل لكل ذلك الواحد والخمسون
 قوله عليه السلام فسالت جبريل الكلام عليه كالكلام على سواه قبل ذلك الثاني والخمسون
 قوله اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران الفرات والنيل فيه دليل على ان الفرات
 والنيل ليسا من الجنة لانه عليه السلام اخبر ان جبريل اخبره ان هذه الانهار
 منبعها من سدرة المنتهى فتروح الباطنان الى الجنة والفرات والنيل
 ينزلان الى الدنيا وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انها يخرجان منها
 بعد نبعهما من الجنة الشجرة وهذا معارض لقوله عليه السلام اربعة انهار
 في الارض من الجنة فذكر الفرات والنيل ويزاد سبحون وجيحون والجمع بينهما
 والله اعلم انه قد يكون الفرات والنيل منبعها من سدرة المنتهى واذا نزل الى الدنيا
 يسلكان او لا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض وهذا ادل
 دليل على ان الاشياء لا تؤثر بذواتها وانما القدرة هي المؤثرة في خلقها اذ ان
 الاخبار قد وردت بان من شرب من ما الجنة لا يموت ولا يفتى وانه ليس له فضلة
 تخرج على ما يعهد في دار الدنيا وانما خروجه رشحان كرشح السمك على البدن
 فجعلت فيه هذه الخاصية العظيمة لئلا ان شئت الحكمة بتزوله الى هذه

الدار نزلت منه تلك الخصوصية وابق جوهره بحاله وكل الخواص مثله في هذا
المعنى ان شاعر وجل ابقى لها الخاصية وان شاعها مع بقا جوهرها ليس لذوان
الخواص تاثير بل الخاصية خلقه والجوهر خلقه بدليل ما نحن بسبيله الثالث
والخمسون فيه دليل على ان الباطن اجل من الظاهر لانه لما ان كانت الباطن
اجل جعلنا في دار البقا ولما ان كان الظاهر ان اقل اخرجنا الى هذه الدار ولهذا قال
عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وان كانا معا مكلفين
مقصودين لكن جل المقصود هو الباطن كما قال عليه السلام الحج عرفه يريد ان
معظم الحج عرفه ولاجل هذا فاول الصفة غيرهم لانهم علموا على صلاح الباطن
فصلح منهم الظاهر والباطن واهل الدنيا علموا في تعبدهم على صلاح الظاهر ولم
يلتفتوا الى الباطن ففسد منهم الظاهر والباطن الرابع والخمسون قوله عليه
السلام فرضت على حمسون صلاة يرد على هذا الفصل بحث دقيق وهو لم فرضت
الصلاة في هذا الوطن دون واسطة وغيرها من الفرائض لم يكن لها ذلك ومما
يندر في هذا البحث ايضا ان الشارع عليه السلام خص عليها ما لم يخص غيرها
من الفرائض وجعلها فرقا بين الايمان والكفر وقال فيها موضع الصلاة من الدين
موضع الراس من الجسد وقال فيها جعلت قرة عيني في الصلاة وقال فيها
ارحبا بها يا بلال الى غير ذلك من الاحاديث المحضنة عليها ولم يخص غيرها
فبقول والله المستعان انه ان كان ذلك تعبد فلا بحث وان كان الحكمة فعند ذلك
يحتاج الى البيان والاصل كما قد منا غير ما مرة ان كان متعبد به انا هو الحكمة ومما
يدل على ذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من المؤمنين وقوله عز وجل في صفة المؤمنين ويتفكرون في خلق السموات والارض

ربنا ما خلقت هذا باطلا فاذا كانت السموات والارض لم تخلق الا للحكمة فكذلك كلما
فيها من المخلوقات وما كلفوا فيها من التكليفات كل شيء من ذلك صادر عن حكمة
وليس منها عيبا لكن جهلنا الحكمة فيه لقلة الفهم قلنا عنه تعبد اي تعبدنا الله
بذلك فعلى هذا ففرض الصلاة هنا كغير واسطة وتخصيص الشارع عليه السلام
عليها بالاحاديث المذكورة لا بد لذلك كله من حكمة واذا كان ذلك لحكمة فيحتاج
ان يبحث فيه ويبينه بحسب ما يبراه من الفهم فنقول والله المستعان اما
قوله عليه السلام جعلت قرة عيني في الصلاة وقوله عليه السلام ارحبا بها يا بلال
فالعنى في ذلك ظاهر من وجوه الوجدان اول انه عليه السلام يتذكر بها تلك
المراجعات الجليلة وهي خمس مواطن كما ذكر في الحديث حين مراجعته عليه السلام
من اول الفرض الى حين استقراره بين يدي ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام
الثاني انه في تلك الليلة المباركة اعنى ليلة المعراج راي عليه السلام تعبد الملائكة
في العالم العلوي فمنهم قيام لا يلتفتون ومنهم ركع لا ينحرفون ومنهم سجود لا
يرفون على ما نقل عنه عليه السلام في الحديث الصحيح فاذا كان يوم القيامة قالوا
باجمعهم سبح قدوس ما عبدناك حق عبادتك فجمع الله عز وجل لنبيه عليه
السلام ولائته جميع تلك العبادات في ركعة واحدة في اقل زمان واقرب فعل
وهو قدر الطينان الاعضا على ما نقل عنه عليه السلام في حديث الاعرابي حين
قال اركع حي تطهين راعا ثم اسجد حي تطهين ساجدا ثم ارفع حي تعبدل
قائما الثالث انها فرضت او لا مشقة ثم خفت وابق الاجر على ما كان عليه
الرابع ان الله عز وجل جعل فيها جملة من المراتب السنية لنبيه عليه السلام
ولا مثله لانه عز وجل يقول على لسان نبيه عليه السلام قسبت الصلاة بيني وبين

عبدني نصفين فهي بالنظر الى هذا النص على قسمين وهي بالنظر الى البحث في الحديث
 على خمس مرات لان الشارع عليه السلام اخبر انه اذا قال العبد الحمد لله رب
 العالمين يقول الله محمدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله انبي علي عبد
 يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله محمدي يقول العبد اياك نعبد واياك
 نستعين فهذه الاية يبنى وبين عبدني ولعبدني ما سأل فيقول العبد اهدنا
 الصراط المستقيم صراط الذي انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهو لا عبدني
 ولعبدني ما سأل فهذه خمس مرات ثلاث منها لجانب اللولي جل جلاله وحقيقة النفع
 فيها للعبد اذ ان الله عز وجل غني عن عبادة الخلق اياه فهو عز وجل قد رفع عبده
 في ثلاث مقامات من الرتب السنية في هذه السورة لان لكل لفظ منها مقاماً خاص
 وقد ذكر عز وجل ذلك في كتابه حيث قال الحمدون وقال الذاكرون وقال الذين
 يصدقون يوم الدين وقد جعل الشارع عليه السلام لكل اسم وصفة مرتبة
 يحدتها فمن حلف باسم او صفة فعلية كفارة واحدة فان جمع في اليمين اسماً
 وصفية كانت عليه كفارات بعد الاسماء والصفات فجعل عز وجل لكل لفظ
 في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام مدحة ومنزلة فلما ان كانت الثلاثة
 الاول كلها ثناء على الله عز وجل جعلها الله تعالى قسماً واحداً فاضاها الي
 نفسه ولما ان كانت الاية الرابعة اقر الله عز وجل بالالهية وطلباً منه الاستعا
 قال هذا يبنى وبين عبدني ولما كان باقيا طلباً للعبد لا غير قال عز وجل لعبدني
 ما سأل فجعلها عز وجل اولاً على قسمين بقوله تعالى نصفها الي ونصفها لعبدني
 ثم جعلها عند البيان على ثلاثة مراتب خاص به وخاص بالعبد ومشارك بينه
 وبين العبد وهي بالتقسيم والنظر الى البحث خمس كما قدمنا وهذه الخمس

اعني جنس العدد كثير ما تردد في الصلاة على وجوه ومعان مختلفة فمنها
 ان افعالها خمس واقوالها خمس واحوالها خمس واسماؤها خمس ومراتبها
 خمس فاما الافعال ففي كل ركعة قيام وركوع وسجدة تان وجلس واما
 الاقوال على كل ركعة تكبيرة وقراءة وتحميد وتعظيم ودعاء واما الاحوال ففي
 كل ركعة تجل وتزفيع ومغفرة واجابه وقرب تدايني واما الاسماء فكما سألنا
 الشارع عليه السلام ظهراً وعصراً ومغرباً وعشياً وصباحاً واما المراتب ففرق
 وسنه واستجاب ونقل وترغيب لاما الافعال فظاهراً لا يحتاج الى بيانه
 واما الاقوال فالتكبير معلوم عند الاحرام وفي اركان الصلاة والقراءة
 مثل قوله امر القرآن وغيرها على ما ذكر في كتب الفقه والشعير خاص
 بالركوع لقوله عليه السلام واما الركوع فعظموافيه الرب ونهي عن القراءة فيه
 والدعاء والتسبيح مشروع في السجود لقوله عليه السلام حين انزل عليه سبح
 اسم ربك الاعلى فقال اجعلوها في سجودكم وقوله عليه السلام اكثروا فيه
 بالدعاء ففمن ان يستجاب لكم حقيق يعني في السجود واما الاحوال فاولها
 التجلي وهو عند استفتاح الصلاة مرة وفي كل ركعة مرة واما الاستقبال
 فمعلوم من الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى فايها تولوا فثم وجهه واما
 السنة فقوله عليه السلام اذا دخل العبد في الصلاة اقبل الله عليه بوجهه
 فان التفت عرض عنه وقوله عليه السلام اذا كان احدكم يصلي فلا يصنع قبل وجهه
 فان الله يبارك وتعالى قبل وجهه اذا صلى وفي رواية فانها تاجي ربه او ربه
 بينه وبين القبلة ولاجل هذا التجلي وهذه المناجاة وما اثرنا اليه في الصلاة
 من المقامات وما ياتي بعد حام العلماء رضي الله عنهم بصنع مختلفه لعله ان

اعني

يحصل للمصلي على اثرنا اليه شيء فمنها ما قاله الغزالي رضي الله عنه في
 القيام إلى الصلاة عند الاحرام بعد توفية تلك الشروط الخمس فيها فقال يسئل الحجة
 عن يمينه والناظر عن شماله والصراط بين قدميه والله عز وجل قبالة وجهه
 وقال غيره بل يحضر جميع العوالم في خاطره ثم يحضر نفسه انه بين يدي خالقها
 والآفاق ويل في هذا المعنى متعددة والموطن الثاني من التجلي الذي هو في كل
 ركعة هي القراءة لمن قراءة بصدق واخلاص لانها تجل بالصفة الجميلة والصفة
 لا تشارك للوصوف واما الترفيع ففي كل ركعة موطن منها الركوع اذا قصد
 به الخضوع لله تعالى كما شرع له لان في ضمن ذلك الترفيع لقوله عليه السلام
 من تواضع لله رفعه الله ومنها السجود لقوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد
 من الله اذا كان ساجدا وبطنه جايغا واما المغفرة ففي كل ركعة موطنان
 عند قوله امين بعد قوله ولا الضالين لقوله عليه السلام في ذلك اذا قال احدكم
 امين قالت الملائكة في السما امين فوافق احرامها الاخرى غفر له ما تقدم
 من ذنبه والموطن الثاني من المغفرة قوله ربنا ولك الحمد بعد قوله سمع الله لمن
 حمده لقوله عليه السلام فيه ايضا من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من
 ذنبه وقد مر الكلام على الواقعة ما هي هل هي في الاخلاص او في الزمان عند ذكر
 الحديث نفسه وهو قوله عليه السلام اذا قال اللهم سمع الله لمن حمده فقولوا
 اللهم ربنا ولك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
 واما الاجابة ففي كل ركعة موطنان عند قوله وايضا نستعين الى اخر السورة
 لقوله عز وجل ولعبدى ما سأل كما تقدم والموطن الثاني من السجود لقوله
 عليه السلام اكثر وافيه بالرضا فتم ان يستجاب لكم كما تقدم واما

القرب

واما القرب والتداني ففي كل ركعة موطن واحد عند قوله اياك نعبد واياك نستعين
 لقوله عز وجل فهذه بيني وبين عبدى فسوي عز وجل بينه وبين عبده دون
 ترفيع لذاته الجليله وهذا هو غاية التداني والقرب من طرفى المن والافضال ولا
 يتوهم متوهم متوهم ان ما ذكرناه هنا معارض لما قدمناه من قوله عليه السلام
 اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجدا وبطنه جايغا لان بينهما فرقا
 وهو انما اخبر به عليه السلام كما تقدم حال اوصاف العبودية لان العبد لا يتقدم
 على اكثر من هذا الحال وهو ان يجيع بطنه ويخرج وجهه في التراب تذلالا لولاه واما
 القرب والتداني فهو فيض الربوبية وفيض الربوبية ليست من كسب العبودية
 حتى يوصف العبد بها فتلك خاصة بكسب العبد يمدح عليها ويذم وهذا خاصة
 بفيض الربوبية لا مدحة للعبد فيها ولهذا المعنى اثرنا اليه اعنى في هذه الخمس مراتب
 الذي ذكرنا في امر القرآن وما تضمنت من درر العلوم الثاقبة قال علي رضي الله عنه
 لو شئت ان اوفر سبعين بعيرا من ام القرآن لفعلت واغترافها من السورة يظهر من
 هذه الخمسة كنوز التي اثرنا اليها بيان ذلك انه اذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج
 ان يبين معنى الحمد وما يتعلق والاسم الجليل الذي هو الله وما يليق به من التثنية ثم
 يحتاج الى بيان العالم وكيفيته على جميع انواعه واعداه وقد قال عليه الصلاة
 والسلام ان لله سبعة عشر الف عالم السموات السبع والارضون السبع وما فيهن
 عالم واحد وقد اخبر عليه السلام ان في هذه الارض الف عالم اربع مائة في البر وستائة
 في البحر فحتاج الى بيان ما اثرنا اليه كله اذ اللفظ نحوي ذلك كله فاذا قال الرحمن الرحيم
 يحتاج ايضا ان يبين هذين الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما مضاهما
 ثم يحتاج في ضمن هذا البيان الى بيان جميع الاسماء والصفات ثم يحتاج الى بيان الحكمة

في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين الجليلين دون غيرهما من الاسماء وشرك
طرفا من هذه الحكمة ان شاء الله تعالى فاذا قال ملك يوم الدين يحتاج الى بيان
ذلك اليوم وما فيه من الواطن والاهوال وكيف ذلك العالم وما يخص كل عالم
فيه وكيف مستقره فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين يحتاج الى
بيان العبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفتها وادابها على جميع انواعها
والعابد وصفته والاستعانة وادابها وكيفيتها واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم الى اخر السورة يحتاج الى بيان الهداية ما هي والصراط المستقيم
واضداده ما هي وبيان المضروب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا
النوع وبيان الرضى عنهم وصفاتهم وطريقهم فعلى ما ابدناه من هذه الوجوه
يكون ما قاله على رضى الله عنه او يزيد عليه وبما اشرنا اليه تبين معنى قوله
عليه السلام في التارك لام القرآن في صلته فهي خداج فهي خداج فهي خداج
اي غير تمام لان من فاتته تلك المراتب السنية التي اشرنا اليها فتحقق ان يكون
عمل غير تمام واما المراتب فهي على مذهب مالك رحمه الله ومن تبعه من العا
لخمس فرض وهي الخمس وستة وهي الوتر والعيديان والاستسقا وكسوف الشمس
وما اشبه ذلك وفضائل وهي قيام رمضان وخيبة المسجد وكسوف القمر وما اشبه
ذلك ومختلف فمه هل هو سنة او مستحب وهي ركعتا الفجر وما اشبهها ومنفق
عليه انها نافلة وهي ركعتا الضحى والركوع قبل صلاة الفجر ومن وبعدها وما اشبه
ذلك ثم نرجع الان الى بيان كون الشارع عليه السلام جعلها فرقا بين الاسلام والكفر
ومعنى ذلك ظاهر من وجوه الاول ان ذلك تنبيه للامة على تعظيم هذا الشعار
اكثر من غيره من الشعائر لان ما فرض في ذلك المحل الجليل بغير واسطه افضل مما فرض

في هذا المحل بواسطة الثاني انها صلة بين العبد وربيه لان اسمها مستق من الصلة
فمن كان لا يقبل هذه الصلة مع ما يعود عليه فيها من حسن العابد ولا يعظم منها
ما عظم الله عز وجل فجدد ان تجعل حدا بين الاسلام والكفر لانها اول فرض فرض
على من ادعى الاسلام فاذا لم يوف بما فرض عليه منها فهو ارتداد عما ادعى من الاسلام
والانقياد ولهذا المعنى قال عمر رضى الله عنه فمن ضيعها فهو لما سواها اضيع
يعنى للصلاة الثالث ان فيها من الترفيع للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني من ما ليس في
غيرها وامتد بند رجون معه في ذلك فاما الترفيع فلكونه عليه السلام خص بالارتقا
لذلك المنزلة العليا لفرض الصلاة عليه هناك بغير واسطه وذلك لم يفعل مع غيره
من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ثم ترد اداة عليه السلام حسبا بين ربه عز وجل
وبين موسى عليه السلام زيادة له عليه السلام في الترفيع كما تقدم واما الثاني فلما
فيها من شبه الحال وهو ما ذكرناه من الاحوال الخمس فالتجلى في الصلاة مقابلته التجلى
هناك والترفيع مقابلته الترفيع هناك في العالم العلوي وحرق الحجب وروية
الايات والاحبابه مقابلها الاجابة هناك وهي قضا الحاجة في الشفاعة والمغفرة
مقابلها العفو هناك عن خمس واربعين من الفرض الاول وهو الخمسون وابقا
اجر الخمسين في الخمس والقرب والتداني مقابلته هناك قاب قوسين او ادنى مع نفي
التكليف والتحديد ولهذا المعنى قال عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن
مقي يريد بذلك نفي التكليف والتحديد على ما قاله ابن الخطيب الرازي لانه قد وجد
الفضيلة بينهما بينهما في الحسن لان النبي صلى الله عليه وسلم يري به الى فوق السبع
طباق ويونس عليه السلام نزل به الى قعر البحار وقد قال عليه السلام انا سيد ولد
ادم يوم القيامة وقال عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص عليه السلام

بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه الفضيلة قد
وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يوسف بن
مسي الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد عليه السلام وان سري
به لفرق السبع الطباقي واخرق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به لفرق
البحار فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه على حد واحد والراد
بقوله عز وجل قاب قوسين او ادنى اي انه لو كان الله عز وجل مسافة يمتد اليه
فيها كان النبي صلى الله عليه وسلم منه بذلك القرب اشارة منه عز وجل الى قرب
نبيه عليه السلام وتشریفه اياه فتحصل من هذا ان ليلة الاسراء كانت خيرا
خاصا به عليه السلام وفرص الصلاة فيها عليه وعلى امته مشتركة بينه وبين
امته وذلك مثل ما كان للخليل عليه السلام حين ابتلي بدخ ابنة ليظهر الله عز وجل
بذلك رفع منزلته في تحقيق المحبة بالرضا والتسليم في ذلك الامر العظيم الذي لم
يفعل مع غيره ثم قدي بالذبح العظيم وجعله سنة له عليه السلام ولاسيما
النبي صلى الله عليه وسلم املة ابيكم ابراهيم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت بالذبح
وهو لكم سنة فكان للخليل عليه السلام في كل عيد يتجدد له اجر تلك المحنة
بامثال هذه المنة وجد ير لمن تشبه بمقام الخلة في امثال هذه السنة
ان يكون يسيره عليها الى الجنة وقد قال عليه السلام تنافسوا فيها فانها
مطاباكم الى الجنة فخص الخليل وحده بتلك المحنة لعظيم قدره في الخلة واشترك
هو وغيره في السنة التي هي شبه بتلك المحنة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم خص
بهذه الرفعة واشترك مع غيره من المومنين بالتسبب بها من رحمة ومثل ذلك
ايضا البيت المعمور في السما والكعبة في الارض والبيت المعمور خاص بالملائكة

وهم اهل العالم العلوي على ما تقدم في الحديث حيث قال يصلي فيه كل يوم سبعون
الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخر ما عليهم والكعبة مشتركة بين نبي ادم
والملائكة لانه يطوف بها كل سنة عدد معلوم من بني ادم والملائكة فيما نقص من
بني ادم من ذلك العدد امله الله عز وجل من الملائكة ومثل ذلك ايضا ما جاء عن الملائكة
حين قال لهم عز وجل اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة ان تجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فعضب الله عليهم
ثم تداركهم عز وجل بالعفو والافضال فاهمهم الى الطواف بالعرش فطافوا
اسبوعا وثابوا واستغفروا فتاب الله عليهم وعظم لهم ثم امرهم ان يبنوا في الارض
بيوتا لبني ادم فيطوفون به فانوب عليهم كما نبت عليكم واغفر لهم كما غفرت لكم
فما من خير في العالم العلوي ولا لسيد من السادة الخواص الا وقد جعل الله عز وجل
شبهها منه كهدى الامم ليحزل لهم النصيب من تلك النعمة فكان ذلك تصديقا لقوله
عز وجل وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لانه قد ذكر في
معنى هذا الموضع ان النبي صلى الله عليه وسلم اكثر بالدعاء لامة لما جبله الله عليه
من الشفقة والرحمة لهم فاجابه عز وجل بان قال يا محمد وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا وقد ذكر العلماء ان هذا النذر كان من الله عز وجل بجانب الطور قبل ان يخلق
الخلق بالفي عام فقال يا امة محمد ارحمكم قبل ان تسترحموني واغفر لكم قبل ان
تستغفروني واعطيكم قبل ان تسألوني فما ذكرناه من النعم المتقدمة وما اشبهها
تضمن ذلك كله هذا النذر اوزعنا الله شكري نحمده واتمها علينا في الدنيا والاخرة
بمنه فعلى ما قدمناه من النعم وما اشترانا اليه من تلك المراتب السنية فيجتمع في
الصلاة المفروضة في اليوم والليلة مع ركعتي الفجر والوتر من موطن المغفرة

والاجابة والترجيع والتجمل والقرب والتداني ما يتاموطن وتسعة واربعون
موطنا على التقسيم المتقدم فان كانت الصلاة في جماعة زادهم خمس موطن من ارفع
المراتب لقوله عليه السلام يضحك الله ثلاث وعدة فيهم القوم يصطفون للصلاة
والضحك من الله عز وجل كناية عن ترفع الجهد واعظام الاجر له لان قبيل الوتوع
والطرب وقد اكد عليه السلام هذا المعنى وبينه بقوله صلاة الجماعة تفضل صلاة
الفرد سبع وعشرين درجة ثم يرد الى هذه المواطن من موطن المغفرة والرحمة
في الطهارة للصلاة اربعة موطن في كل طهر احدها عند اسباغ الوضوء لقوله
عليه السلام اذا توضا العبد المؤمن تمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر
خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج
من تحت اشجار عينيه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من
اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه
الثاني قول المتوفى عند اسباغ وضوءه لا اله الا الله وحده لا شريك له
الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لقوله عليه السلام في قابل ذلك بعد الوضوء
له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء الثالث عند الخروج الى المسجد لقوله عليه السلام
فانه يكتب له باحدى خطوتي حسنة ونحوه بالاحري سية يعني في الخطا
الى المسجد الرابع عند الخروج من المسجد والرجوع الى البيت لانه في ذلك من الاجر
مثل ما كان اولا في الخروج وذلك اذا لم يرد به غير الصلاة ولم يشرك معها غيرها
لقوله عليه السلام لا يرد غيره يعني في الخروج الى المسجد فجميع ما ذكرناه من هذه
المواطن المباركة ما يتاموطن واربعة وسبعون موطنا فاذا زاد على ذلك من النوافل
مثل ركعتي الصبح فله في كل ركعة مثل ما ذكرنا من اعداد تلك المراتب السنوية في كل

ذكر

ركعة فزيادة صدقة بقدر اعصا جسده لقوله صلى الله عليه وسلم على كل عضو
صدقة قالوا فان لم نجد قال ركعتي الصبح تجزي عنه فان بلغها الى اثني عشر
ركعة بنى الله له قصرا في الجنة فان زاد على ذلك اربع ركعات قبل الظهر واربعا
بعدها واربعا قبل العصر واربعا قبل العشاء واربعا بعد ما كان له في كل ركعة
مثل ما تقدم من تلك المراتب الجليلة وزاد له على ذلك بركة دعاء النبي صلى الله عليه
له بالرحمة لانه عليه السلام قال رحم الله امرأ صلى اربعا قبل اربع واربعا
بعد اربع فان زاد على ذلك ركعتين بعد المغرب كان له في كل ركعة مثل ما تقدم ذكره
من المواطن العلية وزاد على ذلك بركة اتباع السنة فيها لانه عليه السلام
كان يداوم على فعلها ولتحريم الشارب عليه السلام ايضا بالقول عليها لانه عليه
السلام قال اسرعوا بها فانها ترفع مع الفريضة ولا يركد عليه السلام على شئ
ويحضر عليه بالقول والفعل الا لعظيم الاجر فيه وان زاد على ذلك صلاة الابرار
وهي بين المغرب والمشاكب في المسجد واحملها ولعله يزيد وجملتها اثني عشر
ركعة كان له في كل ركعة مثل ما تقدم من تلك المواطن الرفيعة وزاد على ذلك قصرا
في الجنة لقوله عليه السلام من صلى بين المغرب والعشاء اثني عشر ركعة بنا الله له
قصرا في الجنة فان زاد على ذلك سجدا بالليل كان له في كل ركعة مثل ما تقدم
من تلك المواطن الرفيعة وزاد له على ذلك اربع منازل ثلاثه في الحال وواحدة في
القبر فاما التي في الحال فاولها ما روي عنه عليه السلام انه قال يصعد الله ثلاث
وعده فمهم القايم بالليل الثاني والثالث ما روي عنه عليه السلام انه قال
قيام الليل يذهب الذنوب ويصح البدن فهذه هي الثلاثة الحالبة واما التي في
القبر فما روي عنه عليه السلام انه قال صلاة الليل تنور القبر فان هو بلغ بها

الي اثنتي عشرة ركعة زاد له ما تقدم قصر في الجنة لقوله عليه السلام من قام في الليل
بأثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصر في الجنة وزاد له على ذلك الوعد الجميل يتضمن
التزويل الذي لا تحصره العقول وهو قوله عز وجل في كتابه تجا في جنوبهم عن
المضاجع يدعون وهم خوفاً وطبعاً ومما رزقناهم ينفقون فلان تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرآءة عسى جزا بما كانوا يعملون فبلغ هذه المواطن في هذه النوافل المذكورة
سماية موطن وثلاثة واربعين موطناً وزيادة تسوير القبر وثلاثة قصور في
الجنة والوعد المذكور في التزويل فيجمع بين النوافل المذكورة والفرائض المتقدمة
الذكر من هذه المواطن الجليلة تسماية موطن وسبعة عشر موطناً مع زيادة
هذه القصور المذكورة وتسوير القبر والوعد الجميل فطوى ابن اثنى عشر باله
بتحصيها وكان من الواقيين فيها ولهذا المعنى قال عليه السلام كفى بالعبادة
شعلاً فان وقعت الغفلة عنها خسر تلك المواطن الجليلة وبالها من خسارة اعادنا
الله من تلك وكان من احد الاقسام الثلاثة المذكورين لان الصلوة قد قسمه الفقهاء الى
اربعة اقسام واف وساه وواجه وجاف فالواقي هو الذي وفي ما يريد منه
من الاقوال والاموال والاحوال على ما تقدم والساه هو الذي يعملها ويسهر عنها
لتعلق قلبه بغيرها والواجه هو الذي يلهو واعنيها بغيرها وهو مع ذلك يعلم انه فيها
ومثاله ما روي عن النبي صل الله عليه وسلم انه راي رجلاً يعبث في لحية وهو يصلي فقال
عليه السلام لو خشع قلبه خشعت جوارحه والجاهي هو الذي يخل باركانها ومثاله
ما روي عنه عليه السلام في حديث الاخر في المشهور الذي خل باركان الصلاة فقال
له عليه السلام ارجع فصل فانك لم تصل وقد حرض عز وجل على توفيتها والحافطة
عليها في كتابه اعني على توفيتها بما فرغ من فيها وسن وشرع فقال عز وجل حافظوا

علي

على الصلوات والصلاة الوسطى والحافطة عليها هي توفيتها بما شرع فيها
من الاحباب والعبادة والمضروب وغير ذلك ما ذكره وقد قال عليه السلام في الخبيث
لها ولينصنحها فيها مما انزنا اليه أسوء السوءة الذي يصرق صلاته وقال عليه
الصلاة والسلام في الالتفات فيها تلك حلبة يحلها الشيطان من صلاة احدكم
وهذا الالتفات على ضربين حمي ومعنوي فالمعني هو الالتفات الي النبي يسئل عن الصلاة
كما حكى عن بعض الصحابة حين كان يصل في حياضه فطاره ربي فطنق يتردد
يلتمس محراباً فاعجب ذلك فحمل يتبعه بصرة ساعة ثم رجع الى صلاته فاذا هو
لا يدري كم صلى فقال لقد اصابني في مالي هذا فاشتهت فجا الى رسول الله صل الله
عليه وسلم فذكر له الذي اصابه في حياضه من القننة وقال يا رسول الله هو صدقة
لله فضعه حيث شئت ومثل هذا حكى عن غيره ايضاً في زمان عثمان رضي الله عنه
فهو لا يعرفوا ما صنعوا فحبروا الضياع الذي طرا عليهم بان خرجوا عن حوايطهم
وجعلوا صدقة لله عز وجل واما اليوم فقد كثر الضياع بغير جبر الجهل بما
ضيق والمعنوي على ضربين ماض ومستقبل فالالتفات الى الماضي اعظم
خسارة من المستقبل لان بالالتفات اليه يقع خسارة الحال فيكون خسرانياً ثانياً ومع
ذلك فان الماضي لا يرجع والالتفات في المستقبل تصيب حائل يمكن وقد يكون وقد
لا يكون والاستغفال بالحال وترك الالتفات حساً ومعنى من كل الوجوه المتقدمة
يحصل منه ثلاثة فوائد وهي جبر الماضي واعظام الحاصل وصلاح في المستقبل اعاننا
الله على ذلك بمنه ثم نرجع الان لبيان حال شرطنا ان نذكره اخيراً من بيان الحكمة
في اختصاص الاسمين الجليلين من بين سائر الاسماء الجليلة في هذه السورة في هذا
الموضع الخصوص بهما وهما الرحمن الرحيم فنقول والله المستعان اختصاصاً

بذلك لوجوه الاول ان الحمد لله رب العالمين اذا فهم ما فكناه يقتضي الهيبة والاعظام
وملك يوم الدين يقتضي الخوف والارهاب والرحمن الرحيم احد الاسمين منها يقتضي الجاه
عند السؤال والاخر يقتضي الغضب ان ترك السؤال على ما ذكره العلماء فحصل من قول
بهذين الاسمين الجليلين المتضمنين للهيبة والاعظام والخوف والارهاب رفقا
منه عز وجل بعبيده واطفائهم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير لانه لو كان ذلك
الاسمين الجليلين الذين للهيبة والاعظام منصلين بذكر الاسمين الذين للخوف
والارهاب لكان التضعيف الحاصل سببا لاحد امرين متلفين اما تنفطر كبره من
شدة الخوف وقد روي ان كثيرا من الفضلاء ماتوا من عظم الخوف الذي توالي عليهم
واما ان يسبق الخوف لشي من القنط للتعظيم امر ما يدل عليه معنى ذنبك الاسمين
وذلك من اعظم الخطر لقوله عز وجل اجاز على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام
لو كنت معجلا عقوبة لعجلتها على القانتين من رحمتي الوجه الثاني ان المقصود
من العبد الخوف والرجاء معا لقوله عليه السلام لو وزن خوف الرحمن ورجاؤه
تساويا فاسان يوجان الخوف واسان يوجان الرجاء فحصل بمتضمنها حقيقة
ما اريد من كمال الايمان وهو تساوي وهو يتطابق الخوف والرجاء على ما تقدم فكان
الابتداء اولا بالتعظيم والاحترام الحق الربوبية الذي يقتضي التقدير ثم عقب
بالرحمن الذي يقتضي الرجاء ثم بالرحيم مبالغة في قوة الرجاء لظفا بالعبد لاستقبال
ما يرد عليه من الخوف بقتضي الاسم الاتي مع التذكار بيوم الدين الثالث ان
حقيقة وصول الرحمة للطالب انما يتحقق وصولها اليه بقوة من الراحم حتى يمنعه
اذا ما قبلها واذا ما بعدها فكان توسط الاسمين الجليلين تحقيقا في اقبال
الرحمة لطالبها لان رب العالمين لعظيم قدرته يمنعه كل ضرر في هذا العالم ومك

رحم

يوم الدين لعظيم سلطانه يمنعه كل ما في ذلك اليوم من الاذا فتتحقق بذلك
منع الاذا اولا واخر يشهد لذلك قوله تعالى فتوكل على العزيز الرحيم الرابع
انه لما ازيل ريد من الصدق حقيقة الاخلاص والصدق عند قولهم اياك نعبد واياك
نستعين جعل هذا الاسم الجليل اثر هذا الاسم العظيم لكي يحصل منهم عند النطق
باياك تعبد حقيقة الاخلاص لانه ياتي اثر الارهاب والارهاب مؤثر للخوف
والخوف موجب للصدق والاخلاص ولو كان اثر الرحمة لكان كثيرا من الناس لا
تحصل منهم الاخلاص في هذا الموضع لان الرحمة توجب الرجاء والطمانينة وقد يكون
معها الغفلة للقليل الحضور لانه لا يثبت عند الرحمة والنعمة الا النادر وقد قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ابتلينا بالسر فصرنا وابتلينا بالسرا فلم نصبر
لان الغالب من الناس اذا ابتلوا بالسر رجعوا الى الله تعالى بالصدق والاخلاص
والجاء الضراعة فان ابتلوا بالسرا قبل الواقف منهم على ما اريد منه من صدق
الجماع والاخلاص ومن وقف في ذلك المقام فهو الصديق الذي لا شك فيه
الخامس انه لما كان الاسمان الجليلان احدهما يقتضي الاجابة اذا سئل
والاخر يقتضي الغضب اذا لم يسأل وعلم عز وجل ان في عبده من الضعف
حيث ان يقع منهم الغفلة غالبا في هذا الموضع اما الخوف او لوعيد اولجا
اول تسليم اول غفلة جعل عز وجل الدعاء متلوا واقامه مقام الدعاء الحقيقي
ثم اجاب عز وجل عليه فقال ولعبدني ما سأل يبلا يفتوتهم هذا الخبر العظيم
ولبلا يتناولهم الغضب لعدم سوالهم فانظر الى هذا اللطف العظيم والنعمة
الشاملة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اهتم الدعاء فقد فتحت له ابواب
الرحمة فلم يكل الله عز وجل هذه الامة لنفسها في فتح هذا الخير العظيم بل

فتح لهم بفضل شريعته الملاوة شرع الشارع عليه السلام خيراً ثانياً بقوله
العبد بعد ختم السورة فزادهم دعاء حقيقياً وضمن لهم بالشرط الذي فيه الغزوة
لان كل مؤمن في اللغة داخ في شريعته هذا يحتاج ان تشير الي شي من فضائل هذه
السورة ولم تفضلت على غيرها من السور ولم سميت باسمها جمل وغيرها من السور
باسم واحد فنقول والله المستعان انما سميت باسمها جمل لان لها من
الخصايص والفضائل ما ليس لغيرها فكانت اسماؤها عديدة دون غيرها
لان كثرة الاسماء لله على فضل من النبي اما مطلقا وعلى جنسه ولذا كسمي النبي
صلى الله عليه وسلم خمسة اسما وقد قال بعض العلماء اذا تتبع القرآن وما جعل الله
تعالى له عليه السلام فيه من الاحسان نالغ نحو المائة اسم وغيره من الانبياء عليهم
السلام ليس له غير اسم واحد لانه عليه السلام صاحب اللوا والمقام المحمود فكانت
كثرة اسماؤه لاجل عظم قدره وكذلك ايضا كثرة اسماؤه عز وجل لانه ليس كمثل
شي فكانت كثره اسماؤه لا يشبهها شي لكثرتها وعظمتها يشهد لذلك ما روي
في الاثر من الدعاء حيث قال اللهم اني اسالك باسمك الاعظم ويكلا اسم سميت
به نفسك او انزلته في كتاب من كتبك او حكم من احكامك او علمته احدا
من خلقك او استاثرت به في مكنون غيبك فدل بهتمن هذا انه لما ان
كانت الذات الجليلة لا يلحقها الاوهام فكذلك كثرة اسماؤه تعالى لا تلحقها
الاوهام لا يتوهم متوهم ان هذا معارض لقوله عليه السلام لله تعالى تسعة
وتسعون اسما من احصاها دخل الجنة لان احصاها هذا العدد المعلوم جعل
سببا في دخول الجنة لانه ليس ثم من الاسماء غيرها فلا تغار من شمر
نرجع الي فكر اسماؤها وتبين معانيها فنقول قد سميت باسم القرآن

والفاتحة

والفاتحة والحمد والسبع الثاني والقران العظيم فاما تسميتها باسم القران
فلوجوه الاول ان لفظها على قسمين اقرار لله تعالى بالالهية ورحمة من الله لعبد
المومن واذا عظم العبد مولاه فهو رحمة من الله له لقوله عز وجل اذكروني اذ كرم
والذكر من الله تعالى لعبد رحمة كما قد تقدم وقد قال عز وجل على لسان نبيه
عليه السلام من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في
ملأ خير منهم فاذا نطق فيها باللفظ الذي يقتضي الالهية والعبادة فهو اقرار
بحق الله تعالى على عباده واذا وقع هذا الاقرار على حقيقته وجبت اذ ذاك الجنة
لصاحبه بمقتضى الوعد الجميل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال حق الله على عباده
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا
يعذب من لا يشرك به شيئا لكن بين حق العبودية وحق الربوبية فرق وهو ان
حق الربوبية واجب حتم قد الزم وحق العبودية حق تفضل لا وجوب وما في
السورة هو طلب الهداية الي الصراط المستقيم فدعا ثم حو الاجابة بمقتضى
الوعد الجميل لقوله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام ولعبي ما سال فكانت
خييرا كثيرا كلها والله عز وجل يقول في كتابه وتنزل من القرآن ما هو شفا ورحمة
للمومنين والرحمة قد تقدم بيانها والشفا قد ذكر في حديث وهو حين ارق بعض
الصحابه بها فسقى الرقي بها فلما ان اخبر الراقي النبي صلى الله عليه وسلم قال له النبي
صلى الله عليه وسلم من اخبرك بهذا انها الرقية وليس فيها ذكر للكفار ولا للمنافقين
ولا للوعيد ولا للعقاب لفظ فاستحقت هذا الاسم بمقتضى منطوقه الاخيلا
كلها والقران انما انزل رحمة للمومنين فاستحققت هذا الاسم بمقتضى ما تضمنت
من اشفاق اسم الرحمة لان الام توصف بالرحمة ولذلك اعطيت لها الحضانه ولم

نقط لابل الثاني انها تضمنت بضمونها جميع ما في القرآن العزيز من التمجيد والتكبير لان الحمد اعظم من الشكر على الصحيح من الافعال فاتي باللفظ العام الذي يدل على هذين الصيغتين حيث وجدنا ولفظ الله يتضمن كل ما في القرآن من اسما الترفيع والتعظيم لانه قبل انه اسم الله الاعظم ولفظ العالمين يتضمن كل ما في الكتاب من با في اسما به سبحانه ويدل على العوالم على اختلافها وخالفها والمنصرف فيها واظهار ما فيها من الحكمة والامثال وغير ذلك ولفظ الرحمن الرحيم يتضمن كل ما في الكتاب من المغفرة والرحمة والانعاش والعفو والافضال وما اشبه ذلك ولفظ ملك يوم الدين يتضمن كل ما في الكتاب من ذكر الآخرة وما فيها وتلك الاحوال والنعيم والعقاب ولفظ اياك نعبد يتضمن كل ما في الكتاب من انواع النعمات والاقراء لله عز وجل بالالهية والادعان لجلاله ولفظ اياك نستعين يتضمن كل ما في الكتاب من طلب الاستعانة وذكر الاضطرار والنجاة والمسكنة والافتقار وما اشبه ذلك ولفظ اهدنا الصراط المستقيم يتضمن كل ما في الكتاب من طلب الهداية الى سبيل الخير والارشاد اليها وما اشبه ذلك ولفظ صراط الذين انعمت عليهم يتضمن كل ما في الكتاب من ذكر الخصوص والرضي عنهم والعفو عنهم واهل السعادة وطريقهم وما لهم وما لهم وما اشبه ذلك ولفظ غير المغضوب عليهم ولا الضالين يتضمن كل ما في الكتاب من انواع الكفر والمخالفات وما لهم وما لهم وما اشبه ذلك فاستحقت ان تسمى اما لها بيناه في هذا الوجه وما قبله فكان لم السبي اصله الثالث انها تنوب في العبادة عن غيرها ولا ينوب غيرها عنها لقوله عليه السلام كل ركعة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج غير تمام فاستحقت ان تسمى بالام لانها تنوب في الصلاة عن غيرها ولا ينوب غيرها عنها فهي اعلا كما يقال امر الراسي اعلا الراسي الرابع انها انزلت اول اعلى بعض

الانبيا

الانبيا والرسول احدهما نوح عليه السلام والاخر في غالب الظن ادم عليه السلام ورفعت حتى انزلت على النبي صل الله عليه وسلم فاستحقت ان تسمى بالام لاجل نزولها اولاً كما سميت مكة أم القري لاجل انما خلقت اولاً ثم دحيت الارض من تحتها فاستحقت هذه ان تسمى بالام لاجل خلقها اولاً واستحقت هذه ان تسمى بالام لاجل نزولها اولاً واما تسميتها بالفاتحة فلوجه الاول ان بها استفتح الكتاب العزيز في التلاوة بمقتضى وضع المصحف الثاني ان بها استحقت تلك الخمسة كنز وقيل ما فيها من الخير على ما اشرنا اليه قبل الثالث انها فاتحة لظلم القلوب وشرح الصدور لما فيها من الحكم والعبر لمن اعتبرها وما يحصل بها من قوة الايمان عند تلاوتها مع تدبرها الرابع انها فتح من الله عز وجل على نبيه عليه السلام وعلي امته لقوله عليه السلام وهي السورة التي اعطيت اي فتح على بها الخامس ان بها استفتحت الصلاة لقوله عليه السلام كما بي كيف تقرأ اذا استفتحت الصلاة قال فقراء عليه الحمد لله رب العالمين حتى اثبت على اخرها واما تسميتها بالحمد فلوجه الاول ان اولها الحمد فسميت بها استفتحت به فاشبهت في هذا الاسم غيرها من السور كسبح وصر ورف وما اشبه ذلك الثاني ان كراية منها نعم على ما بيناه والنعمة توجب الشكر واعلا الشكر الحمد عا الصحيح فسميت حمد المقتضى الحمد عليها الثالث ان تلاوتها توجب الحمد الحمد مولاه لقوله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام حمدني عبدي الرابع ان العامل بمقتضاها يكون محمداً حاله في الحال والمآل واما تسميتها بالسبع المتاني فلوجه الاول انها سبع آيات وكل آية منها خير بذاته كما قد تقدم الكلام عليه لقوله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام حمدني عبدي واتني على عبدي ومجدني عبدي

ع لنور

وهذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال جوابا منه عز وجل لكلاية منها فكانت
خيبراً ثني سبع مرات اي أعيد خيراً على خير سبع مرات الثاني ان كلاية منها
مثناه لان العبد يثنى على المولى والمولى يثنى على العبد وهي سبع آيات ووقعت
الثمنية لتلك السبع آيات بين العبد ومولاه بمقتضى الصلاة الثالث انها سبع
مقسومة بين اثنين على مقتضى الحديث لقوله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام
قسمتها بيني وبين عبدي الرابع على ان بالها كان الخير له مثنى على طريقين
من طريق الثنا عليه ومن طريق الاحسان اليه فاما الثنا فلقوله عز وجل
حمدني عبدي الاخر الحديث واما الاحسان اليه فلان الله عز وجل اذا حمد عبده
على ثني اياه عليه فالثنا من الله تعالى دال على الاحسان فكان الخير فيها مثنى
بالقول والفعل الخامس ان قرأتها في الصلاة مثناه اي تغاد في كل ركعة
واما تسميتها بالقران العظيم فلوجوه الاول ان فيها التعظيم من
وجهين تعظيم للرب وتعظيم لمنزلة التوحيد فاما تعظيم الرب فلما فيها من الحمد
والثنا والتعظيم والتحميد اليه عز وجل وهو اهل لذلك واما تعظيم منزلة
العبد فلما نال بتلاوتها من كثرة الاجر ورفع المنزلة عند الرب عز وجل
الثاني انها دلت مع قلة آياتها على ما تقدم من تلك الكنوز ومعاني الكتاب العزيز
كله على ما تقدم بيانه الثالث ان الله عز وجل قد اعد لقارئها من الخير والنعمة
مالا يكيف بمنصن الحديث المتقدم لانه اذا كان الله عز وجل يثنى على عبده فاي
نعمة وخير اعظم من ذلك وقد نص عز وجل على ذلك على لسان نبيه عليه السلام
حين يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة هل رضيتم فيقولون باربنا وما لنا لا نرضى
وقد اعطينا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول عز وجل اعطيتم افضل من ذلك

فيقولون

فيقولون باربنا وما هو افضل من ذلك فيقول احد عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
بعده ابداً والله عز وجل اذا اتى على العبد فقد رضي عنه ولا افضل من ذلك
بمقتضى الحديث فاستحقت ان تكون عظيمه لاجل ذلك الرابع انه ليس في
القران سورة اقوى في الرجا منها بسبب ما تضمنه قوله عز وجل لعبدي ما
سال فمن اعطى الاعانة والهداية الى الصراط المستقيم باخبار الشارع عليه
السلام والخير لا يدخله نسخ فحقيق ان يكون عظيم الخامس ان ما فيها من الحمد
والصفات بتعظيم الله عز وجل وما فيها من طلب الهداية والاستعانة ومنه
الله بذلك على عبده دال على تعظيم الرب عز وجل فكان نصها تعظيماً بالنص
وباقها تعظيماً بالضمن لان من عطاوه هذا القدر مع استغنايه عن المعطى
له وعن غيره فاستحقت ذلك الاسم لاجل هذا المعنى ثم ترجع الان نبين
لمن هذا الخير كله من العبيد اعني ما تضمنته السورة من الخير العظيم الذي
اثرنا اليه وما تضمنه قوله عز وجل لعبدى ما سال هل هو على العموم
او على الخصوص فظاهر العموم ومعناه الخصوص يدل انه لو كان ما تقدم
لكل صل ما دخل احد من الصليين النار وقد صح انهم يدخلونها لقوله
عليه السلام من لم تنهه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا بعداً
ولقوله عليه السلام الصلاة الى الصلاة كفاية ما بينهما ما اجتنبت الجابر
ولقوله عليه السلام ان النار ناكل ابن ادم الاموضع السجود فدل مجموع
ذلك ان بعض الصليين يدخلون النار والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فدل ذلك
على ان اللفظ المتقدم والخير على الخصوص لا على العموم واذا كان على الخصوص
فحتاج ان نبين صفة هذا العبد الذي يطلق عليه اسم الخصوص فيقول

قد بينه عز وجل في كتابه حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فصاحب
هذه الصفات الخيرات المذكورة كلها وغيرها وعلامته اتباع الكتاب والسنة
لقوله عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين
هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذين يجدونه مكتوباً عندهم
في التوراة والانجيل باهرم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ونحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبايا ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به
وعزروه وبصره واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وضده
ليس له فيها نصيب لقوله عليه السلام لم يزد من الله الا بعداً وبقي الثالث
وهو المتوسط وهو الذي شاب عمله بدخل في عموم قوله عز وجل في كتابه خلطوا
علاصاً خائفاً وخسافاً ولهذا النصف كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم حين
طلبت منه الوصية فقال عليه السلام صلى صلاة مودع لان الخصوص المتقدمين
الذكر في كل حال هم حاضران تائبون والمخاطب هو الذي تخص على الحضور والافتقار
عما كان بسبيله والاقبال بطلينه على مولاة وقوة الرجاء في فضله لان الودع بدنه
مع اهله وكتيبته حيث هو متوجه فلذلك تبعه الشارع عليه السلام لعل ان يحصل
له هذه الصفة هنا فوافق قوله قول الملائكة في الصدف والاحلاص فينال
المغفرة بمقتضى الودع الجميل لقطه عليه السلام غفرله ما تقدم من ذنبه جعلنا
الله ممن من عليه بالمغفرة واسبابها والحفتا بالخواص من عباده بلا محنة فلاجل
ما احتوت عليه هذه العبادة مما اثرتنا اليه خصت بالفضل هناك والله اعلم ثم نرجع
الان الى استنباط الأحكام من لفظ الحديث على ما قررناه اولاً الوجه الخامس
والخمسون فيه دليل على فضل النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منزلته عند ربه اذا انه

من

فرضت عليه الصلاة في موضع لم يطاه ملج مقرب ولا بنى مهمل وقد جاني رواية
اخرى ان جبريل عليه السلام لما ان وصل الى مقامه الخاص قال له يا محمد هذا مقامى
لا اتعداه هانت وربك فرج عليه السلام في التوراة رجة واخرق من الحج ما ثنا الله
تعالى وانتهى حيث اريد منه وهذه منزلة لم تكن لغيره من المخلوقين السادس والخمسون
فيه دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان متيقظاً في ليلته تلك ولم يكن بين التايمر
واليقظان كما اخبر به اولاً لان الصلاة قد فرضت عليه هناك ولم يتعبد الله عز وجل
هذه الأمة بالمرأى ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم ممن يوحى اليه في النوم وانما قال
النبي صلى الله عليه وسلم اولاً انه كان بين التايمر واليقظان ليس بين الحالة التي كان عليه السلام
فيها حين انشئه الملائكة لا انه بقي كما ذكره في الاسري يشهد لذلك انكار المشركين عليه
صلى الله عليه وسلم وطلبهم منه صفة بيت المقدس حين اخبرهم بانه سار اليه ولو كان
اخبره عليه السلام بانه راي روي لم يقع منهم الانكار ولما اخبرهم به ولا كان
يكون له فيه معجزة اذان ساير الناس يكون نايها ببلده وسره بجول في بلاد اخر
فلما ان وقع من المشركين الانكار وطالبوه بالدليل على ما ادعاه اجابهم عليه
السلام بما سألوا عنه بغير زيادة ولا نقصان وقال للومنين انه رفع الي
بيت المقدس فكنت رسالوني عنه فانظر الى البيت واقول لهم لانه عليه السلام لم
يكن مضياً الى البيت لنظر جزئيات فيه وانما كان لوجه ما كما اخبر به ثم سأل
المشركون عن جزئيات لم يكن التفت اليها فرفع اليه حتى عاين كل ما سئل عنه
واجاب به ورفوع البيت اليه يحتمل وجوها وهي مثل الوجه التي تقدمت في البيت
المعمور السابع والخمسون فيه دليل على ان الله عز وجل اذا اراد ظهور الحق
جعل من خلفه من يعانده ويريد ايجامه حتى يكون ذلك سبباً لظهوره وايضاحه

لانه لما ان اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالاسرا صدقه المؤمنون ابتداء
من غير بحث ولا سوال كما قال ابو بكر رضي الله عنه حين قيل له ان صاحبك
ادعى انه عرج به البارحة الى مكان كذا وكذا فقال اوقالها فقالوا نعم
فقال الامر كذلك فلو بقي الامر كذلك لكان الشك يدخل مع بعض المتأخرين
من المؤمنين الذين ليست لهم قوة تلك القوة في الايمان فلما ان اراد عز وجل
اظهار ذلك حتى لم يبق فيه توهم ولا احتمال جعل الاعدا سببا للبيان
والايقاح لان بسؤالهم حصل العلم القطعي انما راي عليه السلام في اليقظة
لا في المنام لانهم سألوا عن جزئيات في بيت المقدس كانوا يعلمونها وهم
يعلمونها انه لم يدخل بيت المقدس فلما ان اعلمهم بها تحققوا انه سري
به الى بيت المقدس فتصحح البعض حال على تصحيح الكل وهو باق في الاسر حتى كان
ذلك سببا لتقوية ايمان المؤمنين ولمن حتم الله عز وجل له بالسعادة من المشركين
فبان له الحق بتلك الاية فترجع عن شركه واسلم ومن هذا القبيل ايضا طلبهم
منه عليه السلام انشقاق القمر ومثل ذلك طلب فرعون من موسى الاية وكذلك جميع
الانبياء عليهم السلام مع انهم هذه عادة اجراها الله ابدا لهم يظهر الحق على ايديهم
ويوضحه بسبب عدايتهم وهذا فيما ظهر من حكم العادة الجارية من الله عز وجل
مع انه عز وجل قادر على اظهار الحق وبيانه من غير منازع فيه ولا متوقف فيه
التام والخمسون ان قل لم سري به عليه السلام من بيت المقدس ولم يسر
به من مكة التي هي اشرف البقع بمقتضى الاحاديث والجواب عنه ان قلنا ان
ذلك من الله لحكمة استأثر بها فيجب الايمان به كما ورد الخبر به من غير تعليل وان
قلنا ان الحكمة في ذلك معقولة فحينئذ يحتاج الى ابدائها فتقول هي والله اعلم

لما ذكرناه

لما ذكرناه انما هو ان يكون ذلك الا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو عرج
به عليه السلام من مكة لكان الكفار ينكرون ما يدعيه ولا يجد بما يستدل عليهم
وتلحق بسبب ذلك لمن ضعف ايمانه الشك فلما ان سري به عليه السلام لذلك
الموضع وساله الاعدا المنكرون عن جزئيات فيه كانوا يعلمونها وهو عليه السلام
لم يدخله قط حتى يعلم جزئيات فيه ثم اخبرهم عليه السلام في الحال بكل ما سألوا عنه
فكان ذلك اكبر اية على تصديقه عليه السلام فيما ادعاه بخلاف ان لو كان الاسري
به عليه السلام من موضعه الذي كان فيه لان البشر ليس له معرفة بالعالم العلوي حتى
يعلم ما فيه فيسأل عنه ولو جده فان ايضا وهو ان بيت المقدس هو القبلة الاولى
وهو من احد المواضع التي يعمل البطي اليه فاجمع له الاسرا من القبلتين ولجئتم
له فيه الفضيلتان التاسع والخمسون قوله عليه السلام فاقلت حتى حيث موسى
الي اخر الحديث فيه وجوه الاول فيه دليل على ان علم التجربة علم زايد على العلوم ولا يقدر
على تحصيله بكثرة العلوم ولا يكسب لايها اعني بالتجربة لان النبي صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس وافضلهم سيما الان الذي هو قريب عهد بالكلام مع ربه عز وجل ووارث
من موضع لم يطاه ملك مقرب ولا نبي مرسل ثم مع هذا الفضل العظيم قال له موسى عليه
السلام انا اعلم بالناس منك ثم اعطاه العلة التي لا جملها كان اعلم منه بقوله عالجت
بني اسرائيل اشد المعالجة فاجبره انه اعلم منه في هذا العلم الخاص الذي لا يوجد ولا
يدرك الا بالمباشرة وهي التجربة الثاني فيه دليل على جواز الحكم بما جرى الله عز وجل
بحكمته من ارتباط العوايد لان موسى عليه السلام حكم على هذه الامة بانها لا تطيق
وذلك بسبب ما خبر به وهو انه عالج بني اسرائيل ومن تقدم اقوي واجلد ممن باق بعد
كما اخبر عز وجل بقوله كانوا اشد منهم قرة واثاروا الارض وعمرها اكثر مما عمرها

فراي موسى عليه السلام ان ما لا يحمله القوي فمن باب اولي ان لا يحمله الضعيف بعد
فحكيم بآثار الحكمة في ارتباط العادة مع ان القدرة صالحة لان يحتمل الضعيف ما لا يحمله
القوي الثالث فيه دليل على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه اذ ان
موسى عليه السلام في الانبياء عليهم السلام على ما يعلم من الفضل وعلو المقام وكلامه هنا
خدمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولائته الرابع فيه دليل على ان بكاموسى عليه السلام
اولا حين صعود النبي صلى الله عليه وسلم لمرئيك الالوه الذي ابدىناه لا لغيره لانه لو كان
لغير ذلك لبيكي حين رجوع النبي صلى الله عليه وسلم اليه اولسكت ولكنه قام في الخدمة والتبعية
للنبي صلى الله عليه وسلم ولائته فلما ان كان بكاوه اولالوجه الذي ذكرناه ولم يصادف ما
اشترنا اليه وانما كانت هذه النعمة من النعمات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبامته
بمقتضى الحكمة والارادة تعرض ايضا لهذه الامه بطلب التخفيف فصادف اعتراضه
النعمه في موضعها اذ انها خاصة بهذه الامه وتكلم هو عليه السلام في حقها فاستعفف
فيما اراد فحفف عز وجل اذ ذاك ورد الخمسين الى خمس وزاد بالفضل فجعل الحسنه
عشر في الثواب عليها فازال عز وجل عن الامه فرض تلك الصلوات وابق لهم ثوابها
تفضلا منه عز وجل واحسانا الخامس فيه دليل على ان حق الربوبية ان تعبد فلا
تجعل لانه عز وجل فرض اولالخمسين صلاة والخمسون ان لو كانت لا تستغرت زمن الليل
والنهار فكان الفرض اولالجملة مما يجب من حق الربوبية ثم ردها عز وجل بلطفه وحكمته
الى ما يقتضيه ضعف حال البشريه السادس فيه دليل على رفع قدر النبي صلى الله عليه وسلم
عند ربه عز وجل اذ انه لو شاعر وجل ان يخفف او كما خفف في الخمس مرات لفعل ولكن
لما ان كان الخطاب والراجحة يزداد بها النبي صلى الله عليه وسلم فافعل عز وجل ذلك بمقتضى
حكيمته شره بالنبيه صلى الله عليه وسلم وتزويجا لان تزداد العبودية الى المولى وعطف

الموالي

الموالي عليها بقضا حاجتها دال على ترفيعها لديها لانه لو طلب عليه السلام اولافى
التخفيف جدا جدا لاسعف فيه واجيب وانما طلب نفس التخفيف مجالا فاسعف
في طلبه ففي كل مرة قضيت له حاجه فنكر ارقضا الحاجات دال على رفع المنزلة ودال
ايضا على فضل الربوبية لا يشبهها فضل احد لان منزله فضل من المخلوقين قد يسام
عند تكرار السؤال واجل العبادات كثرة السؤال الى الله عز وجل وقد نص الشارع
عليه السلام على ذلك حيث قال ان الله يحب المحسنين في الدعاء وقد تقدم الكلام في معنى
اسمه عز وجل بالرحمن الرحيم وذلك لا يلبس الا بحاله تعالى فاعطى عز وجل لنبيه عليه السلام
في هذا المقام الذي هو اجل المقامات لجل العبادات وهو تكرار السؤال السابع فيه
دليل على ان من طلب من الله تعالى حاجه فقضيت له فلا يستحي من طلب غير ما لان
النبي صلى الله عليه وسلم تكرر خمس مرات يسأل في كل مرة قضيت له حاجه بنفسها كما تقدم
ولان المحل قابل لقضا الكل وتكراره في طلب حوائجه قربة الى الله تعالى وتعبه كما ذكرناه
انفا وفي هذا دليل لاهل الصفة حيث يقولون ان النعمة الكبرى في نفس السؤال ومن
لم يبرع عندهم النعمة الا في قضا الحاجة وذلك اعني البصيرة لان النعمة العظمى في الجا العبودية
الى المولى وعطف المولى عليها فقضا الحاجة عندهم تابعة لهذه النعمة الثامن فيه
دليل على ان المرشد لوجه من وجوه المصلحة لا يلزمه فيه التحديد لان موسى
عليه السلام لما ان ارشد النبي صلى الله عليه وسلم لطلب التخفيف لم يجد له في ذلك شيئا ومنه
قوله عليه السلام ان الصنبت لا ارض قطع ولا طهر ابقى فاشار الى الاخذ بالتخفيف
ولم يجد فيه شيئا لاختلاف احوال الناس في ذلك ولو اشار عليه السلام الى حد في التخفيف
لكان في حق بعض الناس غير تخفيف بالنسبة الى حالهم فعم ولم يجد الناس
فيه دليل على انه اذا تغارصت حقان حق لله تعالى وحق المخلوق فالسنة فيه ان تقدم

حق الله تعالى ويترك غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم في الخسرات غلب
عليه ما طبع عليه من الرأفة والرحمة بالله فلم يترك يتردد في طلب التحقير لهم
فلما عرض له في السادسة اعظام اليهودية والانقياد لها صدر منها قال خيت
وترك حق الغير وهو طلب زيادة التحقير لما عارضه هناك كما تقدم ولا
يعرض على هذا الوجه الذي قدمناه وهو كثرة الالحاح في السؤال لان كثرة الالحاح
فيه قرينة مع بقا اوصاف البشرية والنظر الى الاحتياج وكثرة الافعال
من الله تعالى والاحسان وعدم السامه هناك للفضل العظيم وهذا هو
حال البسط فتان صاحب السؤال والطلب فان وقع الالتفات الى العظمة
والجلال لم يبق اذ ذاك الاحمال التسلية والهيبه والحيا كما ورد على النبي صلى
الله عليه وسلم في المقام السادس ولهذا المعنى كان عليه السلام اذا راي صحابه ويدخل
وتخرج فاذا امطرت سري عينه فقل له في ذلك فقال قوم راوا صحابه فظنوا انه مطر
فكان بلا وكيف يخاف عليه السلام من نزول البلا وقد اخبر انه امان لا صحابه ما
بقي بينهم فقال عليه السلام انا امان لا صحابي ما دمت فيهم واصحابي امان لا معي
فلم يبق ان يكون خوفه عليه السلام الامن الصفة الدائمة بالذات الجليلة لان من
اسماه عز وجل المنتقم والجار فكان عليه السلام اذا راي اثر ما انتقم به من غيرهم
تفكر في تلك الصفة فخافها لذاتها الجليلة فهذا مقامه عليه السلام ومقام الخواص
النابعين له وفيه وجه اخر وهو الذي يعم الخواص وغيرهم ان ذلك على وجه التعليم
ان تعظم آيات الله ويفزع عند ظهورها فان الله تعالى يقول وما نرسل بالآيات الا
تخزيها فعلى هذا فالناس اذا اعلى فممن اصحاب احوال وغيرهم فاصحاب احوال
مخاطبون في كل حال بما يرد عليهم وبما يليق بحالهم الذي اقيموا فيه في وقتهم ذلك

بصيرهم

كا

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم في احواله المباركة كما تقدم ومن كان عريا عن الاحوال
فحكه ما ذكرناه انفا وهو دوام السؤال والالحاح ولاجل هذا يقول اهل
الصفة من حاله العظيم والاجلال فتشانه التسليم والاطراق ومن حاله المحبة
والشوق فتشانه السرور والالتفات وكل هذه المقامات لها علامات لا يعرفها
الا ربابها وكلها ما خودة من هذا الاثر الجليل على ما قررناه العاشرة
فيه دليل على ان من ترك حق الغير واثرت حق الله تعالى انه يعود عليه وعلى الغير
خير مما ترك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع له حال الحيا والخسبة فلم يطلب
الزبد في التحقير ابداً من ذلك تضعيف الحسنات بعثر امثالها والهداية
الى الاستعانة بالله عز وجل في نفس هذه العبادة لانه عز وجل جعل من مشروعيته
في كل ركة فاتحة الكتاب وفيها من الخير والفضل والارحسان ما قد اشرفنا اليه
او يزيد عليه الحادي عشر فيه دليل على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعلو قدره
اذ انه عليه السلام ما دام يطلب التحقير اسعف وتجب فلما ان وقع منه
التسليم امضى الله عز وجل بفضته فصادق اختياره عليه السلام ان اراد الله
انفاذه وامضاه وقد نص عز وجل على ذلك في كتابه حيث قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله فكل ما يامر به عليه السلام او ينهى فانها هو عن الله تعالى صادر
كان ذلك بواسطة او بغير واسطة قال الله تعالى في حق وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى الثاني عشر فيه دليل على ان قدر الله تعالى على فهمين
كما قد مناه فالقدر الذي قدره وقد ان لا ينفذ بسبب واسطة او دعما مثل
ما هو فرضه هنا للخمسين صلاة لانه عز وجل لما امر بالخمسين او لا وسبق
ارادته ان لا ينفذ ذلك جعل حكمته موسى عليه السلام سببا لرفع ذلك والقدر

الذي قدره عز وجل وقدر انفاذه ولا يرد راد فرضه للمخس صلوات
 لانه عز وجل لما ان امر بها وسبقت ارادته بامضائها لم ينفع كلام موسى
 عليه السلام اذ ذاك اذ ان ذلك كان من القدر المحتوم ولهذا المعنى اخذ
 الفضلا من اهل الصفة في المسارعة الى افعال البر على كل الاحوال مع ادعائهم
 واستسلامهم لربهم عز وجل رجاء منهم لعل ان تكون تلك الاعمال سببا لرفع ما
 كان نازلًا بهم من القدر الذي يرجع بالسبب واستسلموا وادعوا للقسم الاخر
 الذي ليس لهم فيه حيلة الا الرضى والتسليم وهو القدر المحتوم وقد نص القرآن
 والحديث على ما قررناه واستنبطناه اما الكتاب فقوله عز وجل فلو لا اذ جاءهم باسنا
 نضربوا ولكن قست قلوبهم فاصبر عز وجل انهم لو نضروا اليه واضطروا والرفع
 البلاغ الذي كان قدر عليهم وقدر رفع عز وجل فلك من صدر منه ما نضر عليه
 في هذه الاية وهم قوم يؤمنون عليه السلام فانهم لما ان اتاهم العذاب وايقنوا بالهلاك
 جوا الي ربهم عز وجل بصدق واخلاص فدعوه واضطروا اليه فكشف الله عز
 وجل عنهم بسبب اضطرارهم ما كان نازلًا بهم من المقدور واما الحديث
 فقوله عليه السلام الصدقة تزيد في العمر وهذا يفسر ما روي ان الله عز وجل لما
 ان خلق الخلق جعل عمرهم على قسمين ان كان على ايامه كذا وان كان عاصيا فعمه كذا
 فاذا باءد المرء الى الاعمال الصالحة بورك في عمره وزيد فيه وكان اطول العمرين
 فان كان العمر الذي قدر الله تعالى به ان كان من اهل المعاصي زادت الصدقة ونفل
 الخيرات وفق لذلك وقد عاين هذا كثير من الفضلاء بطول تتبع حكاياتهم
 في ذلك وان لم يفعل شيئا من ذلك كان عمره اقلها ولهذا المعنى كان بعض الفضلاء
 يقول اذا نزلت بي نازلة قالتهت فيها للدعا فلا ابالي بها فانما هي رحمة

البارئ

الثالث عشر لقيل ان يقول لم لم يصدر الكلام من ابراهيم عليه السلام
 وهو اقرب من ثلاثة اوجه ظلمته ولا يوتى ولقرب موضعه والجواب عليه ان مقام
 الخلة انما هو الرضا والتسليم والكلام في هذا الشأن بنا في ذلك المقام وموسى عليه السلام
 هو الكلم اعظم الادلال والابسط فكلما هنا بالنسبة الى حال اقربه الرابع
 عشر فيه دليل لاهل الصفة حيث يقولون حسنات الابرار سيئات البرقين
 لان ابراهيم لم يكلم في هذا الشأن بسبب ان مقامه اعلى من الكلام فلو تكلم لكان ذلك
 سبباً بالنسبة الى مقامه الخاص وموسى عليه السلام كان كلامه مما يتقرب به
 بالنسبة الى مقامه الخاص به كل منهم له مقام خص به لا يتفاده وما يشهد هذا
 من حالهم اعني اهل الصفة ما حكى عن بعض فضلائهم انه اصاب الناس فخط
 واشتد الامر عليهم ففزع الى الله تعالى وابتهل في تفرج الكربة فلم يزد الامر
 الا شدة فلما ان راي ارسل الى اخ له يساله الاعانة في الدعا للمسلمين فقال
 الرسول اليه للرسول قل له لو علمت انه يخرج مني نفس لغير الله لقتلت نفسي
 فكان الدعا في حق هذا مما يتقرب به بنسبة مقامه وكان في حق الاخر خطبة
 بنسبة مقامه ولهذا المعنى يقول المتحققون منهم الصوفي اذا تهاهي لم
 يبقى فيه غير قلب ورب وبصاه ان الصوفي اذا تهاهي ادعن لها يصدر عليه
 من المقدور واستسلم اليه راضيا بذلك من غير اعتراض وذهبت عنه الفكرة
 في الدنيا وهومها والفكرة في الآخرة ونعيمها وعذابها بسبب الرضى والتسليم
 وبقي بين يدي ربه مستسلما كالميت بين يديه كيف شاء هو حال
 المتحققين منهم بعد توفية الاجتهاد في كل انفسهم وخواطرهم في كل انواع
 الاجتهاد التعبدات الخامس عشر فيه دليل لاهل الصفة حيث يقولون

يدعى الغافل

بان الحال حاصل لا محمول لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان ورد عليه حال الاشفاق
على امته بادر الى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك ثم لما ان ورد عليه
حال الحيا من العجز وجل لم يلفت لامته اذ ذاك ولا طلب تخفيفا السادس
عشر فيه دليل على ان الله عز وجل اذا اراد سعادة عبده جعل اختياره
في رضاه ربه لانه لما ان كان النبي صلى الله عليه وسلم بتلك المنزلة العليا التي اشرنا
اليها جعل عز وجل اختياره وايمانه لما اراد الله سبحانه انفاذه وامضاه وهو
فرض الحسن صلوات وذلك تكريم له عليه السلام وترفيه لانه لو رجع عليه السلام
بطلب التخفيف فلم يخف به كما اخف اولئك لكان اختياره مخالفا للمقدور
فلما ان اخار واسعف في اختياره كان ذلك دليلا على ما استدل لنا عليه وعلى علو
منزلة عليه السلام اذ انه ما دام عليه السلام يطلب التخفيف اسعف فلما ان
رضي اسعف في رضاه فحق كل حال من طلب ومن عدم طلب كان اختياره عليه
السلام موافقا للمقدور اعاد الله علينا بركته وجعلنا من خرامته بمنه
لا رب سواه ولا نرجوا الا اياه اللهم واجعل ما نعت به علينا في هذا الحديث
الحليل مما اظهرته علي يدي محمد نبيك الكريم من باهر عظيم قدرتك وما ابديته
لنا من انوار سرحكته فيما نهدت به عبادك المؤمنين نوراني قلوبنا
وتقوية في ايماننا وملجأ في يقيننا وتركية في اعمالنا وبلغنا به الرزقي
وحسن الهاب انك انت الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلق احدكم في بطن امه
الحديث ظاهر الحديث يدل على حكيم احدهما اظهار قدرة الله في جميع خلق بني ادم
في بطن امهاتهم على نحو ما ذكر في الحديث والاخر سبق القدرة في الخلق بها

ثبات

ثبات واظهار ذلك عند الموت والكلام عليه من وجوه منها ان قدرة القادر
لا يوجبها شيء من الاشياء الا تشيئه يوحى ذلك من قوله ان احدكم يجمع خلقه
وليزجحل لذلك علة الجماع لان المرء يجمع اهله مرارا ولا يكون بينهما مولود
الا حتى تشا قدرة القادر ومعنى الجمع هنا هو استقرار المآ الذي هو من اجتماع
مآ الرجل وما المرأة في الرحم لانه لما كان في ابقائه حسن فيه بمقتضى الحكمة سماه
جمعا لان الشيء الكئيف اذا بقي وطال زمانه كان اصلح فيه وكذلك لما خلق الله
الارض والسماء خلق الارض والسماء ثم عمد الى السماء وترك الارض بغرفتين لانها كئيفة
وابقا الكئيف بمقتضى الحكمة حسن فيه وزيادة معنوية فلما خلق جل جلاله
السماء ففتحها من حينها وقدر فيها امورها لان السماء من العالم اللطيف والشيء اللطيف
لا يحل البقا ثم عاد الى الارض وفتحها لها حسنة الصنعة فيها بابقاها ختم
في ذلك اليومين بيان ذلك من كتاب عز وجل وهو الذي خلق الارض في يومين ثم
استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض استياطوعا او كرها قلنا انينا
طابعين ففصا من سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وقال
في آية اخرى ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطس ليلها واخرج ضحاها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماها ومرعاها وذكر في الآية الاولى
ان خلق الارض كان قبل السماء وذكر في الآية الاخرى ان خلق الارض كان بعد السماء
ويجتمع بالمعنى الذي ذكرناه لان الارضين محكمين لا نبي في احدهما وظاهرهما يقتضي
التعارض وليس كذلك فانا اذا قلنا انه جل جلاله خلق الارض والسماء ثم عمد الى السماء
صدقا ثم عاد الى الارض ففتحها لان الفتق خلق اخر صدقا وحا الاضار حقا
وظهرت الفائدة ولو شاررنا ان يقول لكل كونوا في لحظة واحدة لكانوا ولكن

لم تثن الحكمة ذلك لا لعجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما ذلك لينظروا من سر الحكمة
 ما ابدناه ومن عظيم القدرة ما قررنا وكذلك فعل بادم عليه السلام الحكمة حين
 خلقه عجن التراب باليا وبقي حتى تنثن ثم صور وبقي جسدا بالارواح ماشا الله تعالى
 ثم نفخ فيه الروح فعاد خلقا اخر فبارك الله احسن الخالقين ثم يكون علقه مثل
 ذلك اى اربعين يوما وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى كيف يبقى ما اربعين
 يوما ثم في ساعة واحدة يصير علقه ثم يبقى علقه اربعين يوما ايضا لا يتغير
 ثم من حينه يعود مضغعا والمضغعة قطعة لحم تضعع واشارة اخرى ان الاشيا
 الرطبة اذا ابقيت تغيرت وهذا لما يبقى ذلك العذر من الرمان ثم يزداد صلابة
 بعد صلابة ضد ما جرت به العوايد فدل بهذا ان التأثير في الاشيا بالقدرة لا
 بغيرها مثال ذلك ما اخبر عز وجل في كتابه العزيز حين قال له انظر الى طعامك
 وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير لان الطعام والشراب جرت العادة انه اذا بقي
 يسيرا من الزمان يلحقه التغيير والفساد وهذا عصير عنبه وفاكهته باقية
 مائة عام ولم تتغير عن حالها والعظام الذي فيها اليبوسة والصلابة فثبت
 وتغيرت فلما تبين له ما اشير به اليه قال اعلم ان الله على كل شئ قدير ثم
 بعث ملكا ويومر بابع كلمات ويقال له اكتب علمه ورزقه واجله وشقي اوسعيد
 هنا بحث هذا الاربع كلمات شئ اخر خلاف الاربعة المذكورة بعد احتمل الوجهين
 والاطم والله اعلم انها مفسرة لذلك المجل بدليل ان الحديث جا اخبار عن علم الغيب
 كي يعلموا الامر على ما هو عليه ويعتبروا فلو كانت تلك الاربع كلمات خلاف الاربعة
 المذكورة بعد لكان عليه السلام يخبر من اى نوع هي هل هي مما لا يعلم او هي مما يعلم
 او يذكرها في موضع اخر كما فعل عليه السلام في نفس التصوير لانه سكت عنه هنا

وذكر

وذكره في موضع اخر وقد تقدم الكلام عليه بما فيه كفاية ثم ينفخ فيه الروح
 هنا بحث هل قوله علمه السلام ينفخ فيه الروح هل هو على ظاهر اللفظ ان الروح لا تكون
 الا بعد النفخ فيكون النفخ سببا له كما كان العا سببا للنفخة او يكون معنى النفخ
 الجعل احتمل الوجهين معا والظاهر انه يكون بالنفخ وان النفخ سببا له كما ان الماء
 سببا للنفخة بدليل قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
 الارض الامن ثنا الله ثم نفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون فجا رجوع الارواح
 الى الاجساد اخرا بالنفخ كما كان اوليا بالنفخ وكما ان المني كان سببا اوليا ينزل
 مطرا مثل مني الرجال اربعين يوما نثبت به احساد العالم لتصويره وبعده يكون
 نفخ الارواح كما بدأنا اول حتى يعيده وعدا علينا وبما ذكر عن عيسى عليه السلام
 على احد الوجوه انه كان من نفخ جبريل عليه السلام في جيب امه وفي هذا دليل على
 نفود الحكم بحسب ما اقتضته المشية لا يتبدل فيه ليشر صاحب الخير الذي
 من به عليه فلعله تعالى يدبمه له وليصنع صاحب الشر لعل الكرم المنان
 يحوله عنه وهذه قطعت رقاب الرجال مع ما هم عليه من حسن الحال من الله
 علينا بحسن الخاتمة بفضله فان الرجل منكم ليعمل حتى لم يبقى بينه وبين
 الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل اهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه
 وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة وهنا بحث
 هل هذه الاعمال المذكورة على حقيقتها الظاهر اعني ان الحسن منها مقبولا
 ثم لا يتفجع اوليس وكونه ايضا ذكر الطرفين اصحاب الجنة واصحاب النار ولم
 يذكر المخلطين في عمل الخير والسو وذكر ايضا الذين تتبدل عليهم اعمالهم
 من الخير الى ضده وعكسه ولم يذكر الذين يدومون على الحالة الواحدة من الخير

وضده فاجواب عن الاول احتمال الوجهين معا فعل الوجه الواحد الدليل من
الكتاب العزيز وهو قوله تعالى لئن اشركت ليجبطن علك قدل على ان العجل كان
مقبولا ثم لما جاز الشرك ازاله ولم ينفع به والوجه الاخر عليه الدليل من قول
عمر رضي الله عنه حين قال له ابنه عبد الله هنيئا لك يا ابي تصدقت اليوم بدينار
فقال له يا بني والله لو علمت ان الله قبل مني حسنة واحدة ما كان عندي بشي
احب الي من الموت قدل بهذا انه لا يقبل العمل الا من سبق له السعادة اما
كلية واما بعصية ويقع الجمع بين هذين الوجهين بان نقول تكلم عمر رضي
الله عنه على حقيقة الامر وجاءت الآية على ظاهر الحكمة لان العامل في هذه الدار
للخير قدر اياته فعلا ما امر به وقد وعد على ذلك الفعل بالخير فيحكم له بظاهر
الامر حتما فاذا جاءت العاقبة بضده فلنا حبط ذلك الخير الذي كان ومثل
ذلك ثمر الثمرة يكون في روية العين حسن وفي الغيب جايحة لاعلم لنا بها
فاذا انت على تلك الثمرة ذهب ذلك الخير الذي كان ظهر بها فاجها هذا كلام
الشارع صلى الله عليه وسلم على مقتضى الحكمة واما كونه عليه السلام ذكر الطرفين
ولم يذكر المختلط العمل لان هذا هو موضع التحريف الذي هو تبدل الحال
الى حال اخر لان المختلط قد بان بنفسه فلا يحتاج الى ذكره وكذلك تركه
عليه السلام ذكر الدين بدومون على الحال الواحدة وفيما نحن بسبيل دليل
على ظهور الاشياء على حقايقها اما الدليل على ظهورها لكونه لا يخرج من هذه الدار
حتى يشهد له علمه من اي الدارين هو واما اخفاوه فهو كون العمل من الخير او
من الشر دايما ولا ينقطع لصاحبه بمقتضاه حتى الى حين الموت وهو وقت
يسر حقا يظهر الحقيقة عنده كما اخبر قدر دراع فكل عامل سبق له بهنا له

قرار

قرار لجهله بحاله ونحت ايضا على قوله عليه السلام حتى يبقى له ذراع هل هي
كتابة عن المساحة في تلك الدار او كناية عن قرب الاجل احتمال الوجهين معا والاطهر
انها كناية عن قرب الاجل بدليل قول عليه السلام في غير هذا الحديث ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يفرغ يعني ببلوغ الروح الى اللقوم وهو الذي يبقى له ويخرج من
الجسد قدر الشبر وفيه هذا الحديث هو الخوف من هذا الامر الخطير والاستعداد
له واطالة الرغبة الى هذا المولى العظيم لعله ان يعطف على هذا العبد المسكين
جعلنا الله ممن يعطف عليه واجل خلاصنا انه ولي حميد قوله عليه السلام
ان الملائكة تنزل في العنان الحديث ظاهر الحديث يدل على خمسة احكام نزول الملائكة
في السحاب ومحدثهم عاقص في السماء من الامر واستراق الشياطين السمع بما يتكلم
به الملائكة في السما والفا الشياطين الى الكهان ما سمعت وكذب الشياطين بما لا تنص
والقا كذبهم الى الكهان ايضا والكلام عليه من وجوه منها ما معني قضى في السما
وكيف الكيفية في ذلك اما في الحديث فليس فيه دليل وقد جادل في حديث اخر
وهو ان الحق تعالى اذا تكلم بكلامه القديم الازلي الذي هو صفة ذاته الجليلة تعقب
الملائكة بلحنها ونحرون سجدا من الهيبة فاذا قضى الحكم رفعت الملائكة رؤسها
وقالوا ما اذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فخير اهل السما السابعة
الذين دونهم والذين دونهم للذين دونهم كذلك حتى الى سما الدنيا ويبقون يتحدثون
به وفي هذا من الفقه ان كلام العبيد بما تكلم به المولى جل جلاله عباده وان كان
المتكلم بذلك الامر ليس هو المخاطب به وفيه ان اهل العالم العلوي يعرفون جزئيات
هذا العالم الارضي لانهم اذا تكلموا بالامور الذي تحدث فيه فقد عرفوا جزئياته
وفيه دليل على تيسير فهم كلام مولانا سبحانه على الملائكة وانهم يفهموه بلفظنا

2

على اختلافها يوجد ذلك من ان الشياطين اذا سمعتهم والقته الى الكهان والقته الكهان
الى الناس وهم على لغتهم كل قوم بلغتهم على ما تقدم من مرور الازمنة وبذلك فهموه
وفيه دليل على ما ذكرنا اولاً من ان كلام الله سبحانه ليس بلغتنا مثل حقا كما هو بغير
حرف ولا صوت وان الكيفية في تفسير ذلك مجهولة لاعلم لاحد بها الا الحكيم القوي
وفيه دليل على فضيلة العالم العلوي على هذا العالم يوجد ذلك من كونهم الذين ينقلون
امرؤالا اولاً وفيه دليل على انفصال السحاب من السماء يوجد ذلك من قوله عليه السلام
ينزل لان التزول لا يكون الا من شيء متصل عن شيء وفيه دليل على كذب الكهان وان كان
يلبغى ان يصدقوا يوجد ذلك من انهم يكذبون ما يشاؤون ويصدقون في واحدة فالحكم
للغالب وهذا محض لما قال اولاً العنان ثم قال وهي السحاب فاجواب انه يقال
لكل شيء اغترض بين شيئين عن فلما اغترضت السحاب بين السماء والارض قال للعنان
فلما كان هذا اللفظ يدل على اشياء كثيرة خصصه بقوله عليه السلام وهو السحاب رفعا
للاباس وهذا من تصحيح الكلام **قوله** قضى في السماء اي انه قد ذكروا اهل السما
انه اتفق ذلك الامر فلما لم يكن فيه رجوع اخبر عنه بانه قد كان وقضى ولو جه اخر
وهو ان العرب تخبر بصيغة الماضي وتعني به المستقبل والمستقبل وتعني به الماضي
وفيه دليل اقتدار الشياطين على الكذب يوجد ذلك من قوله عليه السلام يكذبون معها
من عند انفسهم ما به كذبه ولا تكون تلك الكذبات الا مما يشاكل ذلك الامر حتى يكون
خروج ذلك الحق الذي سمعه سببا الى تصديق كذبهم لانه اذا كان الكذب الذي
كذبوه على خلاف ذلك الحق بالجملة لا يكون عليه دليل قوي في تصديقهم عند كتمانهم
وفيه دليل على ان الخير لا يوجد الا من اهل ولا يكون خيرا الا اذا كان على هذا الوجه
والافهوضرر كله يوجد ذلك من ان الامر الذي تكلمت به الهلايكه خير كله فلما

عليه

سمعت

سمعت الشياطين والقته الى الكهان وزادوا معه الكذب عاد ضرا لانه لا يجوز
تصديق الكهان واذا اخبروا بذلك الحق فمن صدق ذلك الحق عمل محرما فعاد عليه
منه ضرر مقطوع به ولو اخذه من اهل له لكان خيرا حقا ومما يشبه ذلك العلوم
الشرعية اذا اخذت من اهل البدع والاهوا عادت ضرا لانه لا يخلوا ان يدسوا
فيها او في بعضها من ذلك السم شيئا ما فعاد من اجل ذلك العلم الذي يوجد منه الجهل
خير منه لانه اسلم وقد قال **صلى الله عليه وسلم** ان من العلم لجهلا وكذلك كان السلف
لا يخذون العلوم الا عن من فيه الدين والفصل وقد حدثني بعض شيوخنا انه كان
في زمانه سيد عالم وكان في وقته بدعي فجاوب ما ذلك البدعي رغب من ذلك السيد
ان يقرأ عليه آية من كتاب الله تعالى فامتنع من ذلك ولم يفعل فقيل له في ذلك فقال لم يأت
هو بتلك الآية الا وقد دبر في مكيدته ليس طلبه ذلك تعليما فلا افعل فاحاط لذنبه
وذلك الاولي والاحسن **قوله** لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَأْتِيكَ
الْوَحْيُ الْحَدِيثُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِفَتَيْنِ
أَثَلَتْ لَهَا وَهِيَ الْمَذْكُورَتَانِ فِي الْحَدِيثِ وَالْكَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِ مِنْهَا جَوَازُ
السُّؤَالِ عَمَّا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِيمَانِ وَإِنْ كُنَّا غَيْرَ مُكَلِّفِينَ بِذَلِكَ يَوْجُزُ ذَلِكَ مِنْ سُوَالِ السُّؤَالِ
لِسَيِّدِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَيْفِيَّةِ حُجِّي الْوَحْيِ إِلَيْهِ فَجَاوَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَقُلْ
لَهُ فِي ذَلِكَ عَتْبًا وَخُنْ لَمْ يَتَّعِدْ بِعَلْمِ ذَلِكَ لَكِنْ لَمَّا هُوَ مِمَّا يَقْوَى بِهِ الْإِيمَانُ جَازَ السُّؤَالُ
عَنْهُ لَكِنْ هُنَا شَرْطٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ السُّؤَالُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْإِبْعَدُ تَوْفِيَةً مَا كَلَفْنَا بِهِ يَوْجُزُ
ذَلِكَ مِنْ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا فِي تَوْفِيَةِ ذَلِكَ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ
وَالْإِيمَانُ مِنْ بَابِ الْفُضُولِ وَالْحَقُّ إِذَا تَرَكْنَا مَا أَمْرُ بِهِ وَاسْتَنْعَلَ بِمَا لَا يَطْلُبُ مِنْهُ
فَذَلِكَ مَمْنُوعٌ وَقَدْ جَاءَ تَخَصُّصُ فَسَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّازِعَاتِ فَضَرَبَهُ

رصد

بالدرة وقال لعمالك والنازعات وامره ان يسئعل بما امر به وهذا منه رضي الله
تنبها الي ما اشرفنا اليه وفيه دليل على ما اعطى الله عز وجل للمليكة من القدرة على
التطور في صورهم يتطورون كيف شاؤوا يوخذ ذلك من قوله عليه السلام يا بني
الملك احيانا مثل صلصلة الجرس اي مثل صوت الناقوس وهو ما يضربوه الروم عند
صلواتهم وجاء في طريق اخر على الصفا التي هي الحجارة يعني ان كلامه مثل صلصلة الجرس
اي الناقوس اذا ضرب على الحجارة وهو على صورته لم يتغير عنها ومرة اخرى ياتي ذلك الملك
ويتمثل على صورة رجل قبل كان يتمثل على صورة دحية الكلبي وكان اجل العرب بعد سيدنا
صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ما فضل به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من القوة في باطنه
لكونه عليه السلام ياتيه الوحي على هذه السدة والقوة فيثبت حتى يعي ما قيل له وفيه
دليل على عظيم قدرة الله تعالى يوخذ ذلك من كون الملك ياتي في مثل صلصلة الجرس
ويخلق سيدنا من ذلك السدة العظيمة حتى انه كان روي انه ياتيه في اليوم الشديد
البرد فينضم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ومع ذلك الذي يكون جبينه لا يسمع
من ذلك شيئا وفيه دليل على جواز ان يكون الرسول مما يشبه حال المرسل ويجوز ان
يكون مما يشبه حال المرسل اليه يوخذ ذلك من كون الملك ياتي احيانا في مثل صلصلة
الجرس وهذه حالة اعظام وارعاب تناسب حالة المرسل وان كان لا يشبه ولا
مثال لكن نسبة ما من الاعظام والارهاب ليكون اثر ما من صفة المرسل على رسوله
وقد قال العلماء ينظر قدر عقل الملك في رسوله الذي يبعث وبيانه لان الحكم
العارف لا يبعث الا من يكون فيه اهلية بحسب الشيء المتوجه فيه والمرة الاخرى ياتي
في مثل المرسل اليه وهو حين يتمثل الملك رجلا فيخاطب سيدنا صلى الله عليه وسلم
ويجعله فحصل له نسبة ما من نسبة الخلق ولذلك قال عليه السلام في الاولى وهو

اشرف

اشرفه علي فاخبر بما يقاسي فيه من السدة فدل ان الوجه الاخر لا سدة فيه ولا ينقله
لكن هنا بحث لطيف وهو ان في الوجهين علي الملك المرسل اثر ما من صفة المرسل جل
جلاله فالمرء الواحدة اثر ما من الاعظام والارهاب والثاني اثر ما من اللطف والرحمة
والايناس وفي هذا من الحكمة لما جاءت النبوة بوصفين وهما الاثثار ومقابلته التخييف
بصفة الاعظام والاحلال والبخارة ومقابلتها التعطف بصفة الرحمة والايناس فجات
الواسطة على مقتضى هذين الوصفين لتقوي تانك الصفتين عند سيدنا صلى الله عليه وسلم
ومما يقوي ما اشرفنا اليه لما كان شهر رمضان شهر خير ورحمة كان جبريل عليه السلام
ياتي سيدنا صلى الله عليه وسلم كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن كما جاء الحديث بعد
فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغها جبريل اجود بالخير من الزبح المرسله فلم يات
في شهر الخير الا صفة الايناس والخير والرحمة وتكرير القرآن لانه لا شيء اكرم رحمة من تدريس
القرآن اذ لكل حرف لمن يعلم بهما رفع وبما نصب سبعاية حسنة فبانت حكمة الحكيم
فيما تعبد به هذه الأمة وفضله العميم عليها جعلنا الله من خيرها بسنة في الدارين
وهذا فيه دليل لقول من قال انما الصوفي حنظل بين دنين من ابها شرب سكر
وطرب فان شرب من حنظل التخييف سكر خوفا وتمايل حزنا وان شرب من حنظل الرجاسكر
فرجا وتمايل سرورا وطربا فان مزجها خرج من مقام الحال الى حد التمييز والتكليف
قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس وكان اجود ما يكون في
رمضان الحديث ظاهر الحديث السادة لسيدنا صلى الله عليه وسلم بالتقديم في الخير ونحو
وزيادة عليه السلام في الخير في رمضان حين يدارسه جبريل عليه السلام القرآن والكلام
عليه من وجوه منها ان فيه دليل على تعظيم شهر رمضان يوخذ ذلك من كثرة نزول
جبريل عليه السلام فيه لتدريس القرآن ليس الا الذي هو اكرم الرحمت واعم البركات

2

التي خصت بها هذه الأمة وفيه دليل على ان تعظيم الازمنة التي عظمها الله تعالى
او الامكنة انما يكون تعظيمها لزيادة العبادة فيها بوجدتك من فعل جبريل عليه السلام
مع النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان في كل ليلة يدارسه القرآن وما ذاك الا ليهبته الأمة
على كبريئة التعظيم له وقد قال صلى الله عليه وسلم من قامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه وقال فان شتمك او سبك فقل اني صائم وقال الله عز وجل في حق الاشهر الحرم
تعظيمها لها منها اربعة حرم فلا تظلموا فيها من انفسكم وعدم الظلم ينضم الى الاحسان وهو
زيادة العبادة وفيه دليل على ان تلاوة القرآن توجب زيادة الخير لان الفعل هو مشورة
التلاوة فاذا تلى ولم يفعل كان كشيء بلا اثر ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
نهدا اذا امر بآية رحمة سال واذا امر بآية عذاب استخار واذا امر بآية تنزيه سبح وعظم
حتى يحصل له حال ما هو فاكره لان هذه اوصاف العبودية وكذلك ينبغي في حديثه صلى الله
عليه وسلم لانه عليه السلام قال تركت فيكم المقلين كتاب الله وعترتي اهل بيته وعشرة
اهل بيته هم الذين يروون عنه ما قال لقوله تعالى واذكرون مراتلي في بيوتكن من ايات
الله والحكمة وفيه دليل على تذكاري الفاضل في الخير وان كان هو يعلمه بوجدتك من
تدريس جبريل عليه السلام الى سيدنا صلى الله عليه وسلم القرآن كل ليلة من رمضان وسيدنا
صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ذلك وهو حافظ للقرآن وذلك هو الذي نفع فيه الموعظة
والتذكاري لان الله جل جلاله يقول وما يذكر الا من ينيب وقال عز وجل في صدق واذا
فيل له اني الله اخذته العزة بالاثم وفيه دليل على ان اعظم الموعظة والتذكاري كلام
الله تعالى ولو كان شي غير ما رفع لفعله جبريل مع سيدنا صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على
ان ليل رمضان افضل من نهاره بوجدتك من ان جبريل عليه السلام لم يكن ياتي برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا بالليل وفي محبة ليل الاشارة الى ان التلاوة المقصود منها

الحضور

الحضور والفهم لان الليل فيه اشياء تعين على ذلك منها التفرغ من جميع الاشغال ولذلك قال
مولانا سجان ان نائسة الليل هي اشد وطا واقوم قبلا وفيه ان التفرغ قد ذهب عنها
مجاهدة الصوم وما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وان كان سيدنا صلى الله عليه وسلم
حاضر في كل وقت لكن هذا تشريعا للعلمه ومن اجل هذا النوع كره ما كرهه الفراهة على
القبور لانه نحن مكلفون بان نتفكر فيما قبل لهم وماذا القوا ونحن مكلفون بالتدبير
في القرآن والجمع بينهما في الزمان الفرد محال قال الامر الى اسقاط احد الامرين وفيه
دليل على جواز ضرب المثال لفهم عن التكلم ما قصد به بوجدتك من انه لما قال الصحابي
عن سيدنا صلى الله عليه وسلم انه كان اجود الناس فماذا بقى له ان يعبره عن كيفية زيادته
في افعال الخير فصر بالترخ لان الترخ اذا جرى دايم لا ينقطع وعبره عن خير سيدنا
صلى الله عليه وسلم انه اكثر من الترخ لان الترخ قد يسكن وقت ما والمرسل منها دايم لا ينقطع
مداره رساله وكان خير سيدنا صلى الله عليه وسلم في رمضان ديمة لا ينقطع وما يقوي
ذلك انه كان عليه السلام في العشر الاخر من رمضان يشد البزير ويقول لاهله
اطوو الفراش وهذا عند الزمان الذي يلحق الناس الضعف فيه وهو اخر الشهر
فكان هو عليه السلام يزيد في التجدد حتى يترك النوم مرة واحدة ولا ذاك الا
لقوة الباعث على الخير حتى يخرج عن اوصاف البشرية وفي هذا دليل لاهل السلوك
الذين يقولون بالهم تنال المقامات لا بالابدان وفيه من الفقد انه من اراد زيادة
الخير ينظر في الاسباب المقوية للعزيزيم ياتيه العون ولا ياخذ الامور من خارج
وينظر الى الاجنح ليس الا فانه ان فعل لحمة القنور والعجز الذي هو وصف البشرية
ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله طوبى لمن جعل همة همة واحدا وهو المخرج
لانه اذا جعل الهمة همة واحدا وهو المخرج من الهمة عن اوصاف البشرية وطلبها

لخصوصها وحقت عليه العبادة وجاءه العون من حيث لا يحتسب وفيه دليل على فضل
 الصحابة رضوان عليهم وكثرة ثنائهم يؤخذ ذلك من قول الراوي من الزنج المرسله لان
 الزنج المرسله هو زنج الخيزلان الله عز وجل يقول وارسلنا الرياح لواقح وقال عز وجل
 وهو الذي يرسل الرياح نسرا بين يدي رحمتنا وقال عز وجل في قوم عاد الزنج العقيم
 وقال زنج صرصر فنعثها بالصفة المهلكة فحيث ما وجدت ذكر الرياح محله او كره
 تجدها منعوته بالارسال ليس الا في خير والصند تجدها مفردة معروفة بما يدل على
 المخوفات كما ذكرناه انما ويترب على ذلك من الفقه ان لا يكون ما يمثل به الخيزر الا ما
 يكون جعلها على خير او سببا فيه وكذلك على الصند ولا يعكس الامر في ذلك والله الموفق
 للصواب بمنه وكرمه قوله عليه السلام اذا دعى الرجل امراته الى فراشه
 فابت الحديث ظاهر الحديث يدل على ان المرأة اذا لم تجب زوجها اذا دعاها الى فراشه
 وغضب عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح والكلام عليه من وجوه منها هل قوله
 الى فراشه هل هو على ظاهره او من الكفاية عن الجماع الظاهر انه كفاية عن الجماع بقوي
 ذلك قوله عليه السلام في حديث اخر الولد للغرائس اي للذي يكون مظنة في الغرائس
 وفيه دليل على ان المستحسن في الشرع الكفايات عن الاشياء المستحبة وهذا فيه
 موجود كثير وهل هذا في الليل لا غير او يكون ذلك سواء مني ما دعا الى حاجته المعلو
 منها في الليل والنهار فمنعته كان الامر على حد واحد في اللعنة لها ظاهر الحديث يدل
 على ان اللعنة مختصة بامتناعها ليلا وذلك والله اعلم لنا كذلك الشأن في الليل
 وفوة الباعث عليه وبالنهار قد تجب عليها مساعدته ولا يجوز لها امتناعها
 منه الا انه لا يتأكد الامر حتى يلغنها الملائكة ولو كان ذلك كان الشارع عليه
 السلام يقول ذلك في النهار ايضا وهل الملائكة التي تلغنها هم الحفظة او غيرهم احتمال

عمران بن

عمران بن عبد ليل على قبولهما الملائكة من غير كان او شر ولو لا ذلك ما
 خوف سبحانه على الله عليه وسلم به وفيه بالضم الارشاد الى معاينة الزوج
 زوجها في نوحاته وقد جاء هذا نصا منه عليه السلام وهو قوله عليه السلام
 جهاد المرأة حسن التبعل وفيه دليل على ان قوة شهوة الجماع اقوي
 مما هو على النساء يؤخذ ذلك من الشارع عليه السلام لمن على مساعدة الرجل
 على ذلك وتو لا ذلك لكان الامر المعكرو وفيه دليل على ان اقوي التبولغيات
 على الرجل في دينه داعية النكاح ولاجل ذلك حضر الشارع عليه السلام النساء
 على معاودة الرجال في ذلك وقال عليه السلام من استطاع الباه فليتزوج
 ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ولم يقل ذلك للنساء وهل من
 شرط غضبه ان يكون دائما الليل كله او بنفس النصب وجبت اللعنة احتمال
 لان العرب قد تسمى الكلي بالبعض والبعض بالكل فاحتمل قوله بات اي بات
 ليلته كلها واحتمل ان يكون بات اي عند اخذه في البيت وهو ذلك الزمان
 اليسير وهو الاظهر والله اعلم لان النوم بابقى معه غضب ولا غيره هو هنا
 بحيث لم يعلق لعنة الملائكة لها بالوصفين وهما امتناعها وغضبه والى باب
 والله اعلم قد يكون دعاه لها من وجوه منها التطيب لقلبها لا رغبة
 فيها وقد يكون في حتمها لان يري منها ما يدل على رغبتها في ذلك الشأن او لخط
 نفسه وليس له ذلك الباعث القوي وقد يكون لذلك الباعث القوي وذلك
 هو الذي يوجب للغضب فمن اجل الاحتمال نعتت صلى الله عليه وسلم بالغضب
 فتحجاج المرأة على هذا ان تعرف الوقت الذي يكون فيه الغضب من زوجها
 فتساعده وان جهلت فالمساعدة لها اولي وهذا كله مع عدم الاعتداد

فان كانت هناك اعذار فاصحاب الاعذار لهم حكم خاص الا انه يشترط ان يكون العذر شرعيا ولا يفسد بغيره وفيه دليل على ترك الشهيات وان لم يكن فيها حد من الحد وذلك لان الخطر فيها كبير يوجد فذلك من كون هذا الوضع لاحد فيه والامر فيه اخطر لان لعنة الملائكة ما تعرف ان تبلغ تبلغ بها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما نهيتكم فلا تقربوا وفيه دليل لاهل الصوفى ان ترك ما عندك الي ما عندك فسد والطريق الى حفظ النفوس مرة واحدة لانهم راوا اكثر المهلكات منها ومنها السارية لطيفة كما ان مولاك لا يترك لك حقا من حقوقك الا جعل لك من يقوم به وان لم تطلبه فمن البروة ان توفي انت حقوقه وهو قد طلبها منك انظر من غصبة واحدة منك على عدم مساعدتك على شهوة من شهواتك جعل عز وجل الملائكة الكرام الليل كله نلعن ما عمل من شهواتك تلك لا رعى الله من لا يراعى الاحسان ولا يعرف قدر الاهتمام لها اهمتك وحقوقك وهو الغنى عنك اضعت حمة وانت المحتاج اليه ما اقيم الجماع كثرة الاجتياح لكن الجهل عما قول صلى الله عليه وسلم اذا ما نتها حدك فانه يعرض عليه مقعده بالفراة والعشي الحديث ظاهر الحديث الاخبار بانه من مات منا يعرض عليه مقعده اي موضعه بالفراة والعشي من الجنة او النار والكلام عليه من وجوه منها هل منكم من جنس بني ادم كلهم المؤمن وغيره وهل منكم من المؤمن احتمل الوجهين معا لكن الاظهر انه للجنس جميعا بدليل قول الله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وفيه بحث كيف قال عليه السلام غدوة وعشيا وليس في الاخرة ليل ولا نهار والجواب والله اعلم قدر ما بين الفراة والعشي في هذه الدار كما قال تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال العلماء قدر ما

بين الفراة والعشي في دار الدنيا وببحث ايها ما معنى يعرضون هل هو بمعنى الدخول او بمعنى الرويه احتمل الوجهين معا لانهم يقولون عرضت العود على النار اري اذ حلت فيها ويقولون عرضت الشيء على الرجل اي اريه اياه صفة قولهم عرض القوم على السلطان اي ابصرهم وعرف بهم لكن الاظهر انه من اريت بدليل قوله عليه السلام في حديث احزان البيت ادامات فتمت له كوة الى الجنة وكوة الى النار فان كان موثقا قيل له من هذا عافاك الله يعنون النار وهذا وعد كيا ولي الله يعنون الجنة ثم تسد عنه الكوة التي الى النار وتبقى التي الى الجنة وان كان غير موثق فبالضد وهذا ايضا بحث على ذلك العرض من الذي يعرض عليه فعلى قول من يقول ان الروح والنفس شي واحد يكون على الارواح وعلى قول من يقول ان الروح خلاف النفس فيكون على الارواح او على النفوس او على الاجساد او على المجموع احتمل لكن الاظهر انه على الارواح وان الابدان لا تعذب مع ارواحها مجتمعة بعد سوال القبر الى يوم القيامة بدليل ما جاء في الفرعون وهو ان ارواحهم في اجواف طيور سود تعرض على النار غدوة وعشيا وقد ذكر بعض الناس الذين يقولون ان النفس شي وان الروح شي ثان ان النفس هي التي تبقى في القبر مع الجسد وانها من العالم الذي لا يقنى وانها هي التي تنعم في القبر او تتعذب وان الروح يلحقه مما هي فيه نسبة ما هو في موضعه من عليين او من سجين وانه لا يكون عذابها معا الا في يوم القيامة او نعيمها ايضا والقدرة سالحة وفيه بحث اخر اذا قلنا هو للجنس المؤمن وغيره هل هو على العموم او ليس الظاهر انه ليس على العموم بدليل قوله تعالى في الشهاد احياءهم يرزقون ويقول سيدنا صلى الله عليه وسلم فيهم ان ارواحهم في

رئيس

خواصل طيور خضر تاكل من شجر الجنة وترب من انهارها فمن هو دائم في الجنة
فكيف يعرض عليها الجنة وعشيد فيكون عابدا فيما عدا الشها ويرد عليها صانوه
عليه السلام نسمة الومين طائر ابيض يعلق بشجر الجنة حتى يرد ها الله عز وجل الى
اجسادها يوم القيامة فمن يكون في شجر الجنة كيف يعرض على مقعده بالعداة
والعشي والجواب قد يمكن الجمع بينهما بوجه منسها انه قد اخبر صلى الله عليه
عن الشهد انهم سبعة ما عدي القتل في سبيل الله ووصف عليه السلام الذين قتلوا
في سبيل الله بان ارواحهم في اجواف طيور خضر وقد يكون باقي الشهد السبعة
ارواحهم تعلق في شجر الجنة ويكون الفرق بينهم وبين الذين قتلوا في الجهاد الاكل
والشرب لا غير والفرق بينهم وبين غيرهم من الومنين دوام العمام في الجنة وغيرهم
من الومنين يعرضون عليها غدوة وعشيد لان هذا الاخبار كلها صحاح وهي
اخبار والاخبار لا يدخلها نسخ واحتمل وجها اخر وهو ان الارواح تعلق في
شجر الجنة وان النفوس هي التي تعرض على مقعد ها غدوة وعشيد واحتمل انها تعلق
الارواح بشجر الجنة وليس يكون لها تصرف في الجنة الا غدوة وعشيد تنظر لما نزلها
ونزلها فيزادوا بذلك سرورا والقدرة صالحة ويبقى البحث في المختلط
المسكين كيف حاله والله اعلم انه يكون له نصيب من هذا وقد تقدم الكلام عليه في
حديث عذاب القبر بما فيه كفايه فاغنى عن اعادته هنا وفيه دليل على عظم قدرة
الله تعالى يوخذ ذلك من هذا الاخبار بهذا النبا العظيم وكيف هذا التصرف العجيب
ويترتب عليه من الفقه الايمان به والتفكر فيما نحن اليه صابرون والاهبة لذلك
قال صلى الله عليه وسلم كني بالموت واعطى لانه اذا فكر في الموت وفيما بعده من الانبا وشبهها
حصل له فيه من الوعظ ما فيه كفايه لمن له عقل او التي السمع وهو شهيد ومما سبه

هي التي

ما نحن بسبيله انه رغب بعض الاحوان من اخ له في الله مستنقل بعبادة مولا هان
يكون هو الذي يقوم له بمعيته فانعم له في ذلك فانا به بقدح سويق فلما اناه غدوة
لياخذ القدح وجده كما كان فخاف انه انتمه من طريق الكسب فجعل يبين له وجه
كسبه فقال له والله يا اخي ما مردك بالي ولكن كلما احدث القدح لا ترب تذكرت
قوله تعالى تجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه
عذاب غليظ فام اقدرا ان تتره حتى اصبت على حالي فانظر رضي الله عنا لهم كيف حالهم
وفكرتهم هولا الذين فهموا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وليس غيرهم ممن ادعى
الفهم فهم يامن مات لسر كل من قاد الجهاد يسوسها ولا كل من اجري تقاله مجري
كلا بل هي دعا وحق عليه لاله من الله علينا بما به من على اهل الخصوص والتوفيق
بفضله قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية راس احدكم
الحديث ظاهر الحديث الاخبار بان الشيطان يعقد على قافية راس النائم اذا نام ثلاث
عقد وانه لا يجلها الا تلك الشعابير المذكورة في الحديث والكلام عليه من وجوه منها
هل ذلك العقد هو في القافية نفسها او في شيء اخر يجعله الشيطان على القافية وهل
ذلك لكل نائم كان من اهل الخصوص او غيرهم او هل ذلك العقد يتجدد في كل نوم
ينامه بالليل وانه اذا استيقظ وذكر وتوضا وصلى ثم نام عاد الشيطان يعقد
ثانية او ثالثة كل ما عاد الى النوم عاد هو الى العقد او انه اذا فعل تلك الطاعات
ثم نام بعد ها لا يعود الشيطان اليه وهل ذلك لكل مصل على اي حال كان او ذلك لمن
قبلت صلواته وكان من اهل التوفيق فالجواب عن الاول هل العقد في القافية نفسها
ومعنى القافية هنا هي اخر الراس مما يلي الظهر وهو في شيء اخر الظاهر انه في شيء اخر
بدليل قوله علي ولو كان فيها نفسها لكان فيها وراة ذلك بيانا بقوله مصنف مكان كل

ط

عقدة عليك ليل طويل لان هذه صفة ما تفعله السحرة اذا سحروا شخصا انما يفعلون
الذين يفعلون من السحر في شئ بايديهم ويربطون فيه العقد ويسمون ما يشاؤون من انواع
سحرم واحتمال اخر لان من النائم من ليس له شعر فيما يربطون هو الغالب
من النائم والجواب عن الثاني وهو ذلك على عمومه في اهل التخصص وغيرهم
اللفظ يعطي العموم لكن يخصه الاي والحديث اما الاي فقوله تعالى ان مجادي
ليس اعظمهم سلطان واما الحديث فمثل قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند النوم
سورة من القرآن كانت له حرزا من الشيطان حتى يصبح ومن قرأ ايه الكرسي عند
مسايه كانت له حرزا من الشيطان ومن قال كل ما امسى لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كانت له حرزا من الشيطان ليلته والاحاديث
في ذلك كثير فهذا يخص عموم اللفظ وجا الحديث بخبر ابا ينفعل بن نسي التمرز
من الشيطان اول ليله ولم يكن من الخصوص الذين لم يجعل للشيطان عليهم سلطان
كما اخر صلى الله عليه وسلم انه ياكل معنا وان من شئ لا ياكل معه وكذلك الشرب وكذلك
الجماع وكذلك دخول المنزل فهو صلى الله عليه وسلم قد نبت على مكابره كلها وجميع وجوه
تسليطه علينا وبين المخرج منها والتحرز منها ايضا فجزاه الله عنا خيرا واما
بوضح ما قلناه ان بعض العباد جا يدخل مسجدا في البرية وكان من اعطي شيئا من
الكاشفات فرأي شيطانين على باب المسجد واحدهما يقول للاخر ادخل اغو ذلك
المصلي فقال له لا اقدر ذلك النائم تحركني بنفسه فتعجب العابد كيف يخاف الشيطان
من النائم ولا يخاف من المصلي فلما دخل النائم ابراهيم بن ادم فانه هل يربط الشيطان
على مثل ذلك السيد شيئا وهو لا يقدر ان يقرب اليه وكما قال سيدنا صلى الله عليه وسلم
والله يا عمر ما سلكت فجا الاسك الشيطان فجا غيره فاذا كان لا يقدر ان يخطري

طريق

طريقه فكيف يعقد على قافيته هذا محال والجواب عن الثالث وهو هل يتعد
العقد على ما نام وان كان قد فعل ما ذكر ام لا ظاهر الحديث يقتضي انه اذا فعل ذلك
لا يعود العقد اليه بوضد ذلك من قوله عليه السلام اصبح طيب النفس والجواب
عن الرابع وهو هل ذلك لكل متصل كان حاله كيف ما كان لفظ الحديث يعطي الاحتمال
لكن يخصص المعنى الواحد قوله عليه السلام من لم تنتهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم
تزده من الله الا بعدا فمن هو بعيد من الله اعادنا الله من ذلك بجاه سيدنا محمد صلى
عليه وسلم كيف لا يعقد الشيطان عليه ويلعب به كيف شابل هو في ذاته شيطان خفا
قال جل جلاله شياطين الانس والجن كيف حال من بات اكل الحرام طالما للناس
مد منا خرا كيف لا يربط الشيطان على هذا ومتى تصبح نفس هذا طيبة هذا محال
بل هذا حيث النفس في كل حال اعادنا الله ولا يقع على مثل هذا متصل شرعا
لان سيدنا صلى الله عليه وسلم قد قال للذي لم يتم الركوع والسجود ارجع فصل
فانكلم فصل فلم يثبت له صلاة اصلا وهو لم يكن في طينة السجود بن الذين قال
عليه السلام فيهم لم تزد من الله الا بعدا ومن اجل الجهل بحقيقة هذه الاحاديث
اخذها بعض الناس على صورتها ظاهريا وعملوا عليها وهم قد ضيعوا الاصول وظنوا
انهم قد حصل لهم المقصود وبهيات صباهات ما اكثر الجهل والعمى ولذلك قال صاحب
الانوار ردوا الاصول فروعا والفروع اصولا وفقه هذا الحديث واسباهه
ان جميع الخيرات الواردة في الكتاب والسنة لاهل التوفيق وذلك ان صحة البدن
البنشري هي بالحمية والدوا واجمع اطباوه ان الحمية للبدن انفع من الدوا وكذلك
الدين حمية ودوا والحمية فيه انفع من الدوا ولا ينفع الدوا الا بالحمية او باكثرها
والحمية في الدين هي الوقوف مع الامر والنهي افعلا كذا لا تفعل كذا كما يقول الطبيب الذي

لابدان كل كذا الا ناكل كذا وذو الدين مثل هذا الحديث واشباهه من قوله صلى
الله عليه وسلم من فعل كذا كان له كذا من انواع التعبدات والخيرات اذا فعلها بعد
الحجة وهي اتباع الامر والنهي جاء ما قيل له وزيادة واذا فعل ما دون الحجة
المذكورة طلب ذلك الامر فلم يجده قال له لسان الحال قل هو من عند انفسكم لانه ترك
الامر واخذ الفرم وهذه طريقة غير ناصحة لكن لا نقول لمن صبح بالحجة لا تأخذ
الدر ولا تأخذ الدر وانجره الى استعمال الحجة فيحصل القصد كالذي يكون ماله
غير طيب نقول له صدقت لا تقبل لان سيدنا صلى الله عليه وسلم قد قال لا يقبل
الله صدقة من غلول ولا نقول له لا تصدق لعله يتدرج بالخير الذي هو الصدقة
وان كانت غير مقبولة الى التوبة والاطلاع وفيه دليل على ان بصحة الدين بجمع البدن
ويشرح الصدر ويؤخذ ذلك من قوله عليه السلام في الذي يقوم ويذكر الله ويتوب
ويصل انه يصبح شيطا طيب النفس ولا يكون شيطا طيبا النفس الا مع صحة
البدن وقد جاء ذلك نصا من صلى الله عليه وسلم في قيام الليل فانه عليه السلام قال
انه ينهي الذنوب ويصح البدن وفيه دليل على ان الذنوب تضر البدن ويؤخذ ذلك
من قوله عليه السلام والا اصبح خبيث النفس والغالب من خبثه النفس لا يكون الا مع
تالم في البدن ومجد ذلك مشاهدا في اهل البطالة والمعاصي انهم يصبحون غير
طيبين في ابدانهم حتى يطلع النهار وياخذون الاثربة والمعاجين ويعالجون
ما بهم من الكسل في ابدانهم هذا معاهد منهم وفيه دليل على عظم تسلط الشيطان
على بني ادم وما جعل الله عز وجل له على ذلك من القدرة يؤخذ ذلك من كونه يعقد
في شي ويؤثر ذلك للعقد في بني ادم وما جعل الله عز وجل في الشئ الذي يقصده منهم
وفيه دليل على حرمة اهل التوفيق كيف لا يضرهم معه شي لان اس ولا من غيرهم

الخ

يؤخذ ذلك من حل العقد ووجود النشط وفي اليوم بعده زيادة في الخير فبحان
من جعل الخير في التوفيق ويسره على امله جعلنا الله منهم بمنه قوله
صلى الله عليه وسلم اما ان احدكم اذا ابى امله قال بسم الله الحديث ظاهر
الحديث يدل على ان من سمي الله عز وجل عند اثباته امله وذكر ذلك الدعاء فيه
فانه اذا قضى بينهما بمولود لا يضره الشيطان والكلام عليه من وجوه منها
ما معنى لم يضره هل مطلقا طول حياته او عند الولادة لان كل مولود يولد يطقن
الشيطان في خاصته فمن ذلك هو صراح المولود عند وقوعه في بطن امه هكذا
اخبر صلى الله عليه وسلم الاعمى عليه السلام فانه لم يقربه الشيطان واسيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم فعند ولادته وقع عليه السلام معتمدا على يديه رافعا طرفه
الى السماء وتلقته الملائكة ورحمت الشياطين بالسهب من السماء وطفت نار فارس
وارتج ابوان كسري وظهر له عليه السلام نور سد الفضا وظاهر الحديث يعطى العروم
وانه لا يضره طول حياته ويكون معنى لا يضره لا يقدر عليه باغواء ويكون ممن قال
الله عز وجل فيهم ان عبادي ليس كعلمهم سلطان فانظر الى هذا الخير العظيم ما اعظمه
وذلك بتقليل من الفعل لكن مع ذلك ما اقل فاعله فما ينتفع البيان اذا وقع الخمران وهنا
بحث وهو متى تكون التسمية قد ذكر بعض المباركين انها تكون عند الايلاج
وقد جاء من طريق اخر ان يسمى خاصه وان تكون للحماية للمولود مثل ما ذكر في هذا
الحديث وفيه دليل على ان النجح الاسباب في دفع المضار في الاربعين ذكر اسم الله تعالى
اما في هذه الدار فيما نحن بسبيله وما اشبهه ذلك من الايات والاحاديث مثل قوله
صلى الله عليه وسلم ما عمل ادعي من عمل ائجاله من عذاب الله من ذكر الله والاي والادعي في ذلك
كثير ومما يناسب هذا ما ذكر عن بعض المباركين وكان شيخا ضعيفا هو يوم ما في اسفاره

5

وخرج عليه لص له ابهة وشجاعة وكان معروفاً بذلك وبلغت الجوع وحده ويثال
منهم ولم يقدر قط احد ان ينال منه فلما قرب من الشيخ صرعه الشيخ واراد ان يجهر
عليه فبناشده الله تعالى ورغبه في الآخرة فاقاله فلما تباعد منه عظم الامر عليه كون
ذلك شيخنا ضيقا وغلبه ولم يغلبه احد قبله فتعرض له ثانية ففعل به كما تقدم ثم ثالثة
كذلك فساله بمالك هذه القدرة وانا فلان كما تعرفي واثرت علي ما انت عليه من
الكبر والضعف فقال له ذلك المبارك اني ما قابلت احدا قط الا يبسم الله الرحمن الرحيم
وكل من عارضني فعلت به مثل ما فعلت بك فحينئذ تركه ولم يطع فيه وعلم ان هذا
ليس في قوة البشر به الا ان هنا نكتة صوفية لما كان الجماع اكبر شهوات النفس
واثر هذا المبارك ذكر اسم الله تعالى على حظ نفسه واثرت له هذه الفريدة العظيمة
هذا في لحظة من الزمان فكيف من اثر ذكره عز وجل يا ايها فكيف يكون حاله ولذلك
جاء في التوراة قل لاهل محبي يكثرون من ذكرى فانه لهم في الدنيا تس وفي الآخرة
جزاء وقال عز وجل في كتابه العزيز الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تحصل الطمينة
والخير الا بذكره جل جلاله وقد جاء في بعض الآثار لو ان رجلا ن علي طريق احد ما
ينفق المال والاخر يديم الذكر لكان الذي يديم الذكر ارفع واكثر اجرا وفيه
ان من ادب الشريعة حسن الكفاية كما تقدم في الحديث قبل يوحى ذلك من قوله صلى الله
عليه وسلم اتي اهله فكنى بالانثيان من الجماع وفيه دليل على حسن بلاغته صلى الله عليه وسلم
يوحى ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وسكت عن حالها
كيف يكون لانه اذا كان من اجل فعل الاب ذلك الخير وصلت العناية الى المولود
فمن بابا حري القابل وصاحبه كما قال عليه السلام في قاري القرآن ان والاه
يتوجان يوم القيامة ناجان من ذهب بضيان لاهل عالم ذلك الدار كما تضي الشمس

في

في بيوت اهل الدنيا فاذا كان يفصل يو اليه من اجله ذلك الخير فكيف يكون حاله
هو فسكت عليه السلام في الموضوعين عن حال الفاعلين لدلالة الكلام على حسن حالها
وفيه دليل على ان الولد يلحق في الدين بابيه يوحى ذلك من قوله عليه السلام لما انزل حرم
اذا اتي اهلهم ولم يفرق بين الاصل ان تكون مسلمة او يهودية او نصرانية لان هو لا
ما ابيح لنا نكاحهم فلما ان كان الولد ملحوقا بالاب في دينه كان عمله يؤثر فيه
وفيه دليل على ان اسم الولد يطلق لغة على الذكر والانثى يوحى ذلك من قوله عليه
السلام رزقا ولدا وفيه دليل على ان منفعة الابوين في المولود على حد سواء يوحى
ذلك من قوله عليه السلام رزقا وفيه دليل على ان اضافة المولود الى الوالد من الفضل
لا باستحقاق يوحى ذلك من قوله عليه السلام رزقا ولم يقل كسبا ولا فعلا كما قال
عز وجل في كتابه العزيز انما نزلناهم ما تمنون انتم تخلفونه ام نحن الخالقون انزلناهم
ما نخرقون انتم تزرعونهم ام نحن الزارعون فانظر الى هذه القدرة العظيمة والفضل
والفضل العجم فكيف اباح عز وجل لنا التمتع بشهوة الجماع وتفضل علينا بالولد
ثم اضافة البنات واثنا بنا على ذلك وجعل لنا فيهم المنفعة في الدارين ثم بين لنا ان
الذي اضافة البنات من التسبب في الولد واثنا بنا عليه انه في الحقيقة ليس من كسبنا
وانه منة ومنحة منه لنا لتقدروا قدر النعمة وتلقوها بالشكر فتكثر الفايده
وتحذر في الطرف الاخر وهو ان نبيلا اليهم فتكون النعمة تشغل عن المنعم مثل
قوله يا ايها الذين امنوا لا تلهمكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون فمن فهم المقصود اشغل بالمنعم عن المنعم فحصل له رضى المنعم
وكثرة النعم كما قال جل جلاله اعلموا ان داود شكرا وقليل من عبادي
الشكور لكن خفة العقل اوجبت حب النعم والغفلة عن المنعم وحبك النبي يعيهم

وفيه دليل على انه اذا صلح الاصل صلح الفرع بوحد ذلك من قوله عليه السلام اما
ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله فانه لما كان يقتضى الحكمة على ما اخبر به الصادق
صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث ان العظم والعصب الذي هو اصل هذه الجنة
هو من ما الرجل وان اللحم والشعر من ما المرأة فلما صلح للرجال الرجل الذي من ياه
يكون اصل هذه البنية لم يكتفى الى حال المرأة لانها في حكم التبع وفيه دليل يقتضى
اللغة وهو انه اذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب في الخطاب وفي الاخبار المذكر وان
قل بوحد ذلك من انه لما كان الولد من ما الرجل والمرأة غلب عليه السلام التذكير
على النائيث واعطى الحكم للرجل فانه اذا فضل هو ما امر به من التسمية حسن حاله وحال
الولد ولم يكن للمرأة ذكر وفيه دليل على انه اذا صلح الراعي صلحت الرعية بوحد
ذلك من ان الرجل هو الراعي على اهله وولده كما تقدم في الاحاديث قبل فلما صلح حاله
بامتثال امر به من التسمية صلح حال المرأة والولد بعد ومن هنا فاق اهل
التوفيق غيرهم لانهم نظروا الى الاصول فصالحوها فصلحت لهم الفروع والاصول
والاصل عندهم هو حقيقة الايمان والمعرفة بالمعبود على ما هو عليه من الجلال
والكمال فمن تحقق بهذين الامرين حتى رجعا ل حال انا هو التوفيق فيما سوى ذلك
بغير اختياره ولذلك لما تحقق الامام علي رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين كل
من دعاه الله اليه كما احب فاجعلني كما تحب فانظر الى هذا الكلام العجيب
من هذا الحديث لان العبد انما يجب ان يكون مولاة غنيا كريمة راجيا قويا محسنا
عفوا غفورا ومولا ناجل جلاله جمع هذه الاوصاف وزيادة من اوصاف الكمال
ما لا يحصى فهو كما يجب وهو القادر والعبد الضعيف العاجز يرغب منه ان يجعله
كما يجب من الله علينا بذلك بفضلته قوله صلى الله عليه وسلم اذا طلع حاجب

الشمس

الشمس فدعوا الصلاة الحديث ظاهر الحديث يدل على النهي عن الصلاة عند ظهور
حاجب الشمس حتى تنور وعند غروب حاجبها ايضا والكلام عليه من وجوه
منها هل هذا النهي على عمومه في المكتوبة وغيرها او في النافلة لا غير وهل ذلك في
النافلة مطلقا ما كان ملومور به ومرغب فيه او ما كان منها تنقل دون امر به
او ترغيب فيه مثال المأمور به عند دخول المسجد وما اشبهه والمرغيب
فيه مثل الجنازة على احد الاقارب وسجود التلاوة وما اشبه ذلك وهل اذا بدت
كلها تجوز الصلاة او حتى ترتفع فالجواب عن الاول وهو قولنا هل ذلك في المكتوبة
وغيرها اما المكتوبة فلا تخلوا ان تكون منسوبة او يتم عنها او غير ذلك فان كان
تركها عن نوم او نسيان فيصيب متى ما ذكر في ذلك الوقت المنه عن غيره لقوله
صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فذلك وقت لها
واما ان كان تاخيرها لعذر شرعي مثل الحايض تطهر والغلام محتلم فذلك وقت
لها في حقها وما اشبهها من اهل الاعذار الشرعية وان كان تاخيرها لذلك
الوقت مع الذكر والقدرة فقد اختلف العلماء فيه فمنهم من قال انه مؤخر واقدي
في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم من ادرك ركعة من العصر قبل غروب الشمس فقد ادرك
العصر واما ان كانت الصبح فقد خرج الوقت وهو انتم بلا خلاف ومنهم من
قال انه في صلاة العصر انتم لقوله صلى الله عليه وسلم يجلس احدكم حتى اذا صغرت
الشمس وكانت بين قرني الشيطان او على قرن الشيطان قام فنقر اربعا لا
يذكر الله فيها الا قليلا فنلك صلاة المنافقين فنلك صلاة المنافقين فنلك صلاة المنافقين
وهو مشهور مذهب مالك واما ابتداء نافلة من غير ان يعارض هذا الحديث
امر كما تقدم او ندب بلا خلاف اعرف به واما من كان يعارضه ندب او ترغيب

عما ذكرنا فاختلف العلماء في ذلك على قولين فمنهم من اجاز وهو مذهب الشافعي رحمه الله
ومن تبعه ومنهم من منع وهو مذهب مالك رحمه الله ومن تبعه الا في صلاة الجنائز
في مذهب مالك قولين من اجل الخلاف هل هي على الوجوب ام لا وكذلك في الصلاة في مذهب
مالك قولين ايضا واما الجواب على جوازها اذا بدى الفرض كله فالظاهر من الحديث
الجواز واحتمل عدمه وقد جازى سنن ابي داود حتى ترتفع قد روي وقد جازى اثر
اخر قد روي عن ابن عباس وعلي ارضاها قدر الرمح هو العمل عند الفم لان هذا الحديث
جاء محتملا ولا نص بتحديد الوقت فيكون الذي جازى تحديدا للوقت مبينا لهذا
على عادتنا في الحديث في ذلك وقوله عليه السلام ولا تحسوا بصلاتكم معنا
تحررنا ونقصوا طلوع الشمس ولا غروبها وقوله عليه السلام فانها تطلع
بين قريتي شيطان او شيطانين الشك هنا من الراوي وفيه دليل على فضلهم
وتحررهم في النقل كما تقدم في غير ما موضع وهذا محتمل في قوله بين قريتي شيطان
هل هذا على ظاهره او على معنى اخر وان كان على ظاهره كيف يكون الكيفية
والشمس انما هي في السما الرابعه والشياطين ممنوعون من سما الدنيا فكيف بالاربعه
فالجواب والله اعلم ان قلنا انه على ظاهره فقد جازى صورة الكيفية في ذلك وهو
انه ينتصب لها كذلك وعند الغروب وكل شئ ينتصب للشمس في ذلك الوقت
بعم ظله على الارض ثم يغوي الكفار الذين يعبدون الشمس فسجدون لها فيكونون
قد سجدوا لظل قمره وهو يقتنع من بني ادم بما امكنه من اي وجه قدر ويغوي
المؤمنين المصلين حتى يخروا بصلاتهم ذلك الوقت فيحصل لهم في عبادتهم مشاركة
وقد قالت عائشة رضي الله عنها في قول مولانا جل جلاله اصاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا والله ما تركوها ولكن احزوها عن وقتها المنان ونسبة

مكون

مكيدته فما كما فعل محمدي حين حملت فخرفها ما في بطنها ثم قال لها سميه عبد
الحارث لان اسمه الحارث ورحاها بكل خير اذا سمته ذلك كائن لله عز وجل
عز وجل في كتابه على ذلك حيث قال فلما اتقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاها صالحا لاجلاله ثم كافيا اتاها فتعالى الله عما
يشركون واحتمل ان يكون على معنى ثان وهو انه لما كان هذا وقت تعبد الكفار
وجميع تعبدات الكفار انما هي من الشيطان فكان هذا الوقت مما يعبد فيه الشيطان
وقد تهبنا ان ننسبه باهل الكتاب الذين هم ارب للمحق فكيف بغيرهم الذين هم
ابعد منه واحتمل الوجهين معا وفيه دليل على تحقيق الاخلاص في العبادة
يؤخذ ذلك من النهي عن هذه الالاقات من اجل هذه السببية الخفيفة التي لا يظن
فكيف بغير ذلك وفيه دليل على كثرة ما خص الله به هذه الامة من الخير بهذا النبي
الكريم صلى الله عليه وسلم الذي قد نبهنا على جميع مكايده ودوننا بتل هذا الحديث
والاحاديث التي تقدمت والتي بعد حتى لم يبق له مكيدة الا نبهنا عليها
وبين المخرج منها والتحرر منها صلى الله عليه وسلم وفيه وفيما تقدم من الاحاديث
دليل على كثرة اشتغال هذا العدو بنا وانه لا يغفل ويترتب على ذلك من
الفقه التيقظ لذلك والاشتغال بغيره والاحذ فيما يفيظه من الاقوال والافعال
ويقطع ظهره اعاننا الله على ذلك منه وفيه دليل على عظيم لطف الله بهذه الامة
الذي يجعل لها المخرج من ذلك كله بايسر الامور واقربها وهو ذكره عز وجل
والتعلق به يؤخذ ذلك من قوله تعالى ولما ينز عنك الشيطان نزع فاستغذ
بالله انه هو السميع العليم ففي نفس الاستغاظة به عز وجل ذهبت حيل العدو
كلها يالها من نعمة لكن قل فاعلم لان صاحب الجهل محروم لانه يتبع عدوه دون

حجة ولا يبرهان ثم يوحى يوم القيامة بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلو موني ولو مولا انفسكم فمن الحق مصاحبة العدو ومعادات
الحبيب جعلنا الله من عادي عدوه وصحب حبيبه بمنه قوله صلى الله
عليه وسلم يا اي السيطان احدثكم فيقول من خلق كذا الحديث ظاهر الحديث الاخبار
باستدراج الشيطان بكلامه بالحق والاكوي يصل به الى الفناء الباطل لينفع بالاصفا
اليه الخلل في الايمان وهو اكبر مقصوده والكلام عليه من وجوه منها ما ذكرنا في الحديث
قيل من كثرة حمله علينا واستغاله بنا ومخها ايضا كره بصيرة سيدنا صلى الله
عليه وسلم الينا ونسبته عليه السلام على عداوته ومكايده ومنها تعليمه صلى الله عليه
الناس كيف الخرج منها ومنها عظيم لطف الله تعالى الذي جعل لنا المخرج من
هذا الامر العظيم بايسر شيء وهو الاستفاضة به عز وجل يؤخذ ذلك من قوله عليه
السلام حتى يقول من خلق ريب فاذا بلغه فليستعد بالله اي اذا استعدتم بالله فلا
تواخذوا ابتلاء للخطرة ولا تنزعكم ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم
انا نجد في نفوسنا ما يتعاطم احدنا ان تتكلم به فقال عليه السلام اوجدتموه قالوا
نعم قال ذلك صريح الايمان اي انكم تعاطتم فكيف جوده والكلام به ذلك صريح الايمان
لا وجود ذلك النبي وهو ما يشبه هذا المعنى الذي نحن بسبيله وفيه دليل
على ان اغوا الشيطان لا يكون الا مع الغفلة يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام فليتنبه
لان لو كان منتهيا متيقظا ما اصفى الي قول عدوه حتى استدرجه الي محض الباطل
ولذلك يذكر عن عيسى عليه السلام انه لقيه العجيز فقال له قل لا اله الا الله فقال
له عيسى عليه السلام كلمة حق ولكن لا اقولها بل امرك هكذا يكون التحرر من العدو
لانه اذا ثبتت العداوة فلا يطعم منه في خيرا صلا وان كان ظاهرا ما يقوله خير فانه

في

في الضمن شر وكذا يك ينبغي ان يخبر من ائباعه فاهم منه ومثله وفيه دليل على ان
الايمان الكامل لا يكون الا مع التيقظ يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام فليتنبه
فلو كان كامل الايمان كان متنبها وقد نص عليه السلام على هذا حيث قال المؤمن
كيس جدر فطن وفيه دليل على ان التيقظ علامة للخير وانه لا يكون الا فيمن
اراد الله تعالى به الخير يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام فليستعد بالله وليتنبه
وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون
فصل عن رجل ذلك من صفه التقيين والمتقون هم اهل الخير والسعادة في الدارين
وقد قال غفلت ومن غفلني اتيت ليت شعري هل لي من غفلتي يتقظ غفلت وقاع
عبري وكيف وقد على ما الضعف يبر القوي وبها يد السبب شد حفيظ ولا
حيلة لي سوى ما ارجوا من فضل مولاي له الفضل والحكم والحفظ قوله
صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا الحديث ظاهر الحديث
الاخبار بان اكثر اهل الجنة الفقراء وان اكثر اهل النار الغنى والكلام عليه من وجوه
منها الكلام على هولا الفقرا وهل هم كل من عديم لامال له او هو بشرط وايدي ذلك
ومنها الكلام في النساء ايضا هل ذلك لعله تعقل او اي نساء كن ومنها هل رويت
عليه السلام في الدارين حقيقة او هو من قبيل التمثيل فاما الجواب عن الفقرا
هل ذلك على كل من كان من عمل يما من المال فليس الحديث على عمومه بدليل ما جاعله
صلى الله عليه وسلم في حق وصف الفقرا الذين لهم الزينة على الاغنيا في قوله عليه السلام
ان الفقرا يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسينة عام من اعوام الدنيا
فقام اليه فقير فقال يا رسول الله انا منهم قال له الك ثوبان اذا غسلت الواحد
لبست الاخر قال نعم قال لست منهم فقام ثان فقال يا رسول الله انا منهم وليس

٢٤٣

كمن تقدم اي ليس له الاثوب واحد فقال له الكفرا وعشا قال نعم قال لست
 منهم فقام ثالث فقال انما منهم وليس كمن تقدم فقال له الكفرا في البدن قال نعم
 قال لست منهم فقام رابع فقال انما منهم وليس كمن تقدم فقال انصبغ وخصي وانت
 راض عن الله راض قال نعم قال انت منهم وقد قال صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب
 به العبد الصلاة فان قبلت منه نظر في باقي عمله وان لم يقبل منه اتى في النار
 فاذا كان الفقير تارك الصلاة فكيف يدخل الجنة حتى يكونوا من اكثر اهلها
 فدله هذه الاحاديث ان الحديث ليس على عمومه في جميع الفقرا وانما يكون معناه
 ان اللومين الذين باتون بما امروا اكثرهم فقرا وكذلك جاء ان اول انبأ الرسل
 عليهم السلام هم الفقرا لان لاغنيا قد ينضمون من الفلاح كثرة حطهم الدنيا والاستغال
 بها وان دخلوا في الاسلام قل ما يخلصون انفسهم من كثرة ما يترتب عليهم من الخوف
 والفقرا هم اقل مونة وورق اهدرة والوظائف عليهم قليلة فيحق لهم ان يكونوا
 اكثر اهل الجنة وقد روي عن الحسن البصري انه وقع نار في البصرة فاحد مصحفا
 له وخرج وقال لهم يا اهل البصرة قلوا الخوفون مالي في بلدكم غير هذا يعني مصنف
 وقد اخذته ليشير لهم الى هذا المعنى لانه لقله دنياه نجاة من نار البصرة بنفسه وبكل
 ماله فكذا في الدار الآخرة وانتم يا اصحاب الاثقال والحلم كما وحلت من انفسكم
 ولا تفذرون على التخلص من نار البصرة فكيف بكم في الدار الآخرة وقد قالت
 عائشة رضي الله عنها لعبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 انك تدخل الجنة حيا وكان عبد الرحمن رضي الله عنه حيث كان من الفضل الا انه
 كان اغني اهل عصره فكثرة المال توجب كثرة الحساب وكثرة الحساب تبطل
 بصاحبه عن الجنة وان كان يتخلص فلما سمع ذلك منها وكان انتم ثمانون بعيرا

من

من الشام بالمتاع وهي والعتان الذين كانوا اتوا بها وما كان عليها الكلاه فقال
 رضي الله عنه هي في سبيل الله بكل ما عليها والذين اتوا بها لعل ادخلها ما شئنا وفيه
 دليل على ان اكثر الصالحين هم فقرا بوحد ذلك من قوله عليه السلام اكثر اهل الجنة
 الفقرا وفيه دليل على ان الغالب على الاعتناء عدم التوفيق بوحد ذلك من كونهم
 قليلون في الجنة وفيه دليل للزاهدين الذين رقصوا الدنيا وقالوا حرامها عذاب
 وحلاها حساب فلا راحة فيها لصاحبها بوحد ذلك من ان اكثر اهل الجنة الفقرا
 واما الجواب عن النساء وكونهم اكثر اهل النار فقد بين صلى الله عليه وسلم انه ذلك
 في غير هذا الحديث بقوله عليه السلام ينكرون المعروف ويكفون العشير لو احسنت الي
 احد من الادم كله شر اذ منك شيئا قالت ما رايت منك خيرا قط وفيه دليل
 على ان الاعمال توجب الجنة او النار لانه عليه السلام هل كثرة دخول الجنة بالفقرا
 والنار بكفر العشير وقد قال عز وجل يا كاسيتم وبما اسلفتم والاي والاحاديث
 في ذلك كثيرة وفيه بالضمن التخرين على حسن العمل والهي عن سيئه واما قولنا هل راها
 حسا او تخيلا احتمل الوجهين معا والقدرة صلحة لها وفيه دليل لاهل السنة
 الذين يقولون بان الجنة والنار مخلوقتان حسا موجودتان بوحد ذلك من جعله صلى
 الله عليه وسلم لكل واحد منهما افلا من بني ادم محسوسون ولا يستقرون
 الا في محسوس ايضا وفيه دليل على ان الخير والصلاح في الرجال اكثر منه في النساء
 بوحد ذلك من ان اكثر اهل النار النساء وهذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم
 تسلية للفقرا حتى يطيب لهم حالهم فانه اذا كانت تلك الدار المباركة هم اكثر
 اهلها ارتاحت نفوسهم لذلك فما ارفق صلى الله عليه وسلم بامتة واكثر ايتاسه لهم
 فجزاه الله عنا خير جزائه قوله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة

س ٢٥

الحديث ظاهر الحديث الاخبار بحسن اول زمرة يدخلون الجنة ومالهم من النطافه
وحسن ازواجهم والزمرة الجماعه والكلام عليه من وجوه منها لم يشبه عليه
السلام صورهم بصورة القمر ليلة البدر وذلك لانه ليس بشي في هذه الدار اجمال
منه فشبهم به وفيه محتمل قال عليه السلام صورتهم ولم يقل وجوههم والجواب
ان عليه السلام ما اراد من تحثيل صورهم بصورة البدر انهم مثله ليس الا وانما القمر
هو نور وليلة البدر كل نوره فيكون معنى التشبيه انهم نور يهون في اثم ما يكون
من النور بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا سواره
لطمس ضوء الشمس كما يطمس الشمس ضوء النجوم وقال عليه السلام لو ان
امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاصات الدنيا وما فيها وليلات
ما بينهنما تحا ولتصيبها يعني خمار ما خير من الدنيا وما فيها فاذا كان سواره
يطمس ضوء الشمس فكيف يكون وجهه مثل البدر هذا مستحيل فبان مما اثرنا
اليه انه عليه السلام ما اراد الاتمام نورهم بحسب نور تلك الدار فلذلك شبه عليه
السلام بالصورة ولم يذكر الوجه ولا شي من الحواس كما مثل هو لانا جل جلاله فترسم
فقال بطاينها من استبرق الذي هو اعلى ما في هذه الدار وسكت عن الوجوه
لانه ليس في هذه الدار شي يشبهها وفيه دليل على ان حسن الخلقه من جملة النعم
يؤخذ ذلك من كونه عليه السلام ذكر في معرض المن عليهم في تفضيل اهل الله على
غيرهم بقوله عليه السلام صورتهم صورة القمر ليلة البدر وفيه ايضا ما يقوي
ما قلناه لانه اذا كانت زوجاته يري من احدهما مخ الساق منها الذي هو داخل
الظلم من وراء الجلد من الحسن فكيف يكون وجهها فمري الساق منها اجمل من
القمر هنا فكيف الوجه وهناك لم قال عليه السلام زوجتان وقد قال عليه

السلام

السلام ان اقل اهل الجنة منزله يكون له اثنان وسبعون زوجة وثمانون الف
خادم فاذا كان اقلهم منزلة باثنين وسبعين فكيف باعلامه والجواب
والله اعلم ان حسن هاتين الزوجتين هو اعلى حسن الزوجات هناك ومن اجل
ذلك فضلوا هؤلاء بان اعطوا منهن اثنتين ويكون ذلك مثل شراب اهل الجنة
المقرب بين يثربون من بين التسنيم ويخرج به شراب الفخر كما اخبر الحق جل جلاله
بقوله تعالى ومن اجده من تسنيم عينا يسرب بها الثقريون حتى يكون لهم التفضيل
في كل شي في الجمال والازواج والشراب وكذلك الفواكه كما اخبر تعالى بقوله وفاكهة
ما يتخرون وقال تعالى في اصحاب اليمين وفاكهة كثيرة ففي مثل هذا قلنا في
المتنافسون ومما يشبه ما نحن بسبيله ما ذكر عن بعض المتعبدين انه
راه بعض اخوانه قد اجهد نفسه في العبادة فاخذ يدنيه الى الرفق قليلا فقال
له لا اقدر لاني رايت فيما يري النائم حورية من حور العين لها حسن وجمال فقلت
لها من انت فقالت لك واني احبك واخاف ان تقترني بالعبادة فانك فعاهدتني
على اني لا افتر حتى يجمع الله بيننا فلا يمكن نكث العهود وقوله عليه السلام لا
يصفون فيها ولا يتمخطون ولا يتعوطون اعلام منه عليه السلام بتزبيد تلك الدار
عن الفضلات المستقدرة وعن الخجاسات بخلاف هذه الدار وفي ذلك دليل على
عظم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون اهل تلك الدار ليس لهم غايط ولا بول
ولا فضله مستقدرة مع كثرة اكلهم لانه قد اخبر صلى الله عليه وسلم انه يوتي للمؤمن
بعديه في ما يديه يكون الف زبديه من الفضة في كل زبديه لون لا يشبه غيره باكل
من اخرها مثل ما ياكل من اولها وهذا اذا اكل زياده يسيره تحت تحت معدنة
وكثرت فضلاته فهذا ادل دليل على عظم قدره وان الاشياهي بمقتضى ارادته

لابعاده ولا بلاديم وقوله صلى الله عليه وسلم ان بيتهم فيها الذهب فيه
اخبار بجواز التمتع هناك بالذهب وهو ما يحرم وقوله ان بيتهم يعني علي
اختلافها هي من الذهب وقد قال عليه السلام في حق الكفار هو لهم في هذه
الدار وهو لنا في الاخرة يعني اواني الذهب وفي اخباره عليه السلام بهذا دليل
على سعة رحمة الله تعالى ومنايه من جميع خلقه بوجوه ذلك من كونه عز وجل قد
اعطى الكفار هنا ان يستمتعوا باواني الذهب والفضة حتى لا يجرموا منه
بالكيفية وكذلك جعل عز وجل لهم حظا من النعم في هذه الدار وفيه ايضا
دليل لاهل السنة الذين يقولون ان اسم الله عز وجل كلها حق ولا بد ان يظهر
من كل اسم اثر في العباد يدل عليه ان من اسما به عز وجل الرحمن فاعطى من مدلول
هذا الاسم نسبة للكفار في هذه الدار ومن اسما به عز وجل الشتم وما
المؤمنون من مدلول هذا الاسم ما يلحقهم في هذه الدار من التثويشات كل
بحسب ما نشأ الله تعالى وما قسم وقوله عليه السلام وامشاطهم من
الذهب والفضة فذكره عليه السلام عن امشاطهم انها هناك من الذهب والفضة
دل على منع اتخاذها هنا وان لا يجوز وهناك ما حاجتهم لاتخاذ الامشاط
وهم ليس معهم قدر ولا هوام ولا شي يود بهم فالجواب انها لو اتخذت على
جهة الشتم والتزفة لانيها ما يزيد بها الحسن وان لم يكن هناك قدر ولا هوام
يودي وفيه دليل على كمال نعيم تلك الدار وقوله عليه السلام ومجاورهم
الآلوه فيه دليل على فضل هذا العود اذ منه مجاور اهل الجنة وهذا ايضا مثل
ما تقدم في الامشاط لان اتخاذهم المجاور لغير ضرورة بل هي من جملة الترفه
وقوله عليه السلام ورشحهم المسك الكلام عليه مثل الكلام على صورتهم

صوره

صورة البدر لانه اجل المشهورات في هذه الدار ومجاورين ذلك ما ذكرناه
قبل من قوله عليه السلام واللات ما بينهما رصافان هذا من المسك لكن
يكون نسبة المثال ان عرفهم من اجل طيب تلك الدار كما ان المسك هنا من اجل
الطيب في هذه الدار وقوله عليه السلام ولا بنا غضن بينهم الى اخر الحديث
فيه من الفقه ان من اكل النعم تصاحب العيال لانه من جملة سرور النفس
ولذلك كان بعض السادة اذا راى تغيرا في خلق اهلكه قال زلة وقعت مني
فيرجع فينظر محابي النفس حتى يجد تلك الغفلة التي وقعت منه لانه لا يكون
مع الرضا والاستقامة تسوييس وفيه دليل على توافقي شهادتهم بوجوه ذلك
من قوله عليه السلام قلوبهم قلب واحد وفيه دليل على ان سبب الافتراق في
هذه الدار ما في القلوب من التباغض والدغائن فلما ظهرت هناك القلوب
كما خبر جل جلاله في كتابه بقوله وترعنا ما في صدورهم من غل جالود والسرور
الثام وفيه دليل على ان رجال تلك الدار على جالدين تسبيح لله تعالى مرة وتتم
اخرى بوجوه ذلك من كونه عليه السلام اخبر عن تسبيحهم في الزمان بقدر ما
اخباره في كتابه عن قدره في اكلهم بقوله عز وجل ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وقد جاءهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس لصلح لهم
نعيم دايم مختلف الوجوه جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على محمد الكريم
قوله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة الحديث ظاهر الحديث الاخبار
بحسن ثم الجنة اذ ان الراكب يسير في ظل الشجرة الواحد قمايه عام لا ينقطع
لان ما كبر ظل الشجرة عظم حسنها والكلام عليه من وجوه منها ما فايدة
الاخبار بهذا وما يرتب عليه من الفقه اما فايدة الاخبار فيه وجوه بعضها

ر

الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى لان خلقه عن وجل لتلك الشجرة على ذلك القدر
 بلا منة لجهة احد دال على القدرة العظيمة التي ليس كمثلها شيء وفيه دليل
 على اطلاع صلى الله عليه وسلم على امور الآخرة وهي تقوية في الدلالة على رفع منزلة
 عليه السلام عند ملك العارفين وفيه تسوية السامع اذا كان من اهل التصديق
 والترتيب له في العلم عليها ويترتب عليه من القوة الايمان وهو اعلا
 المراتب فانه اذا صدق الصادق صلى الله عليه وسلم فيما يباخبر عظم قدر القادر
 في قلبه وذلك قوة في الايمان ولا تبلغ جعل لانه زيادة ذرة في الايمان خير
 من عمل الدهر لان المولى جل جلاله قد مدحهم بذلك حيث قال يؤمنون بالغيب
 وهنا بحث لم ذكر عليه السلام الشجرة نكرة ولم يعرفها بان يقول هي من
 كذا وكذا والجواب عن ذلك لما كان المقصود ما ذكرنا اولاً من الفائدة
 على اختلافها كان من الحكمة تكثيرها اثر في السان بدليل ان شهوات الناس
 في الثمار للجنة مختلفة مثال ذلك قد يكون بعض الناس يحب شجر التين
 ولا يحب شجر الجوز وبالعكس فقد كان يحصل لبعض الناس زهادة في تلك
 الشجرة فكان التكثير اولى وفيه دلالة على ما من الله عز وجل به على
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من تمام المعرفة بالاشياء وحسن ارشاده لامته وحسن
 مسألتهم في شأنهم كله وفيه دليل على ان مني الراكب في الغالب اكثر من غيره
 ولذلك مثل به عليه السلام وهنا بحث ايضا ان قال الراكب نكرة ولم يبين
 اي الراكب وما هو الركوب لان الركوبات تختلف منها في الاجناس مثل الخيل
 والحمر والابل وكل جيس منها يختلف في السرعة والابطا اختلافا كثيرا والجواب
 هنا كالجواب على الشجرة سوا وقد يحمل وجهها اخر وهو ان يؤخذ بالوسط من

ذلك

من ذلك حتى يكون فيه طريق لمعرفة قدرها وهنا تشبيه وهو ان هذه الشجرة
 وعظمها لان ما يكون ظلها ذلك القدر يكون ارتفاعها اكثر من ذلك وجان
 المومن اذا استهين من جنازة ما هو في اعلى الشجرة انه يتداني له حتى
 ياخذ به بيده والمومن على اي حاله كان عند استنهايه ذلك من قيام او قعود
 واضطجاع فسبحان من هذه قدرته وابعاع حكمته جعلنا الله من جملة من
 سألها بلا منة انه ولي حميد قوله صلى الله عليه وسلم الحكما من فوجهم
 الحديث ظاهر الحديث الاخبار بان الهوى من جهنم والامر بالبراد ما عا بالما والكلام
 عليه من وجوه منها هل هذا على العموم في الجملة كلها لانها منها ما هي باردة ومنها
 ما هي حارة ~~فمنها ما هي باردة~~ ومنها ما هي باردة ومنها ما هي باردة
 الصيغة بالعادة وهو ضد الحر او يكون معناه ان يلونها فيكون هذا على جهة
 التداوي ومنها كيف يكون الابراد بالما هل من خارج او من الباطن لو مجموعها
 والجواب عن الاول وهو هل هذا على العموم في الجملة او في السخنة منها
 فالجواب ان هذا الاخبار منه عليه السلام هو على طريق الشفقة منه
 والرحمة من الله تعالى فينبغي ان يؤخذ على اثر المحتملات لانه ابلغ في الفائدة والبر
 يدل عليه حقيقة اللفظ والوجه الاخر وان كان محتملا فليس بالقوي لانه يحتاج
 الى تقدير ضمير في الكلام وحمل الكلام على ظاهره اولى من ادخال ضمير فيه سيما
 اذا لم يكن هناك معارضة فكيف اذا كانت الفائدة اكثر وما يصدق هذا الوجه
 قوله عليه السلام انها من فوجهم وقد جاز في الحديث ان النار اشتكت
 الى ربها فقالت يارب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين في كل عام نفس في
 الشتاء ونفس في الصيف فما كان من شدة الحر فتمها وما كان من شدة البرد فتمها

٢٤٤

فعل هذا المجمع الحيات على اختلافها هنا من جهنم فينبغي تبريدها بالمالا لكن لمن
يكون له تصديق بالحديث كما قال مولانا جل جلاله في الفصل فيه شفا للناس فكان
ابن عباس رضي الله عنه اذا ارمدت عيناه يكتحل به ويمتلوا الآية فيبرأ وكان
ابن عمر رضي الله عنهما اذا طلع له نبت يطلبه به ويمتلوا الآية فيبرأ فجا بعض
المناخريين واستعمل على تلك النية فحصل له فيه شفا في كل شيء والحديث
الماثور الذي جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك
فقال له عليه السلام استقه عسلا ثم اناه الثالثة او الرابعة كذلك ثم شفي به فقال
عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك ومثل قوله عليه السلام في الحنة السوداء
شفا من كل داء الا السام الباب في هذا كله واحد فاهل التوضيح والتحقق
اخذوها كلها على العموم فوجدوها كذلك والاحبار عنهم في ذلك كثير وما يقوي
طريقهم المباركة قوله جل جلاله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فينبغي ان نبقى الرحمة
على عمومها لانها من ارحم الراحمين الضعفا المساكين وهو عز وجل يعلم ضعفهم واحتياجهم
واما الخراب على ابرد وما في احتمال الوجهين على انفرادها واحتمل مجموعها
وهو الاظهر للعلة التي قدمنا ما انفالانه من باب الرحمة فينبغي اخذ اتم الوجوه
وهو جمع الوجهين معا فيحصل له التبريد على بابه والشفا بمقتضى ما اصلناه
اولا وهو الحق الذي لا ينبغي ان يشك وامس كيف يكون الابراد بها هل من
خارج او ضده او المجموع فقد جات الصفة عنه صلى الله عليه وسلم وهي حين حمر
في مرضه الذي توفي فيه فيه صلى الله عليه وسلم فقال اخذوا لي ما من سبع قرب
لم تخل بجد واسكبه علي فدل بقوله عليه السلام علي ان التبريد الذي هو
التداوي هو هذه صفة لان مناع الباطن صاحب اجابا لعا دة يفعل في الغالب

منهم

منهم ولا يقدر روين على الصبر عنه وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى
بوخذ ذلك من قوله عليه السلام انها من نور جهنم وقد اخرج الى هذه الدارين
ما ذكر في الحديث الذي استشهدنا به من الحر الشديد والبرد الشديد وقد جاء
ان الحمى حظ كل صوم من النار ويظهر ذلك الحكمة على مقتضى هذا الحديث الذي
ذكرناه انها على المؤمن نخلة القسم اذ هي حظه من النار وانها للكافر تعجل نبيه
مما عد له هناك وفي قوله عليه السلام ابردوها بالمال دليل على ان الحكمة
تقتضي مداواة الشيء بصدده ما يكون حرا يكون مداواة بالبارد والبارد بالبحر
ووافق في ذلك قول الحكام في التجربة سوا بسوا وهناك وهو ان الصادق
صلى الله عليه وسلم قد اخبرنا ان الخما من نور جهنم والحكام يقولون انها صادرة عن
اخلاط في البدن فهل يكون هذا من قبيل التعارض او يمكن الجمع بينهما الذي يظهر
والله اعلم ان الجمع يمكن بينهما بوجه وذلك ان الحكام تكلموا على ما رواه بالخبرة
مع مرور الارمنة وهي مقتضى الحكمة واخبر الصادق صلى الله عليه وسلم بما هو الحق
بحسب القدرة فتكون تلك الحمى التي من نور جهنم اذا ارسلت على من شاء الله تعالى
تسد مزاجه وتخرت تلك الاخلاط التي ابصرها الحكما فا خبر وان تلك هي الحمى
وسموا اسماء عديدة مثل البطنة والحارة والربع والغب وغير ذلك من اسمائها
بحسب ما هو منصوص في كتبهم وجاء هذا مثل فعلهم مع العليل تراهم كثيرا
ما يسالوه هل يطيب له الطعام ام لا فاذا ذكر لهم انه يطيب له الطعام فرحوا بذلك
وبشروه بنمك الصحة وان المرص قد ذهب وجاء من الصادق صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه وتعالى وكل بالطعام ملكا وبالشراب ملكا فاذا شات القدرة
مرض العبد امر الله تعالى ملك الطعام وملك الشراب ان يرا عن العبد طيب الشراب

وطيب الطعام فيكون عند ذلك بقدره الله تعالى مر من العبد فاذا اراد الله سبحانه ابراه امر دينك الملكين ان يردا عليه طيب الطعام والشراب فيكون عند ذلك بفضل الله تعالى وقدرته عافية المريض فلما راى اطبا ذلك العلامة بدوام التجربة دالة على عافية المريض نسبوها الى فتح طيبهم وتاثيراد وبيتهم ففرحوا بذلك فسبحان من عظم قدرته بديع حكيم جعلنا الله ممن عافاه في الدنيا والاخرة بنه قوله صلى الله عليه وسلم ناركم جزو من سبعين جزا الهدية ظاهر الحديث يدل على الاخبار بطيب قوة حرجهم وان هذه النار جزو من سبعين جزوا منها والكلام عليه من وجوه منها الكلام في معنى قوله عليه السلام انها جزء منها هل يعني ان جميع نار الدنيا من اولها الى اخرها هي جزو منها او الجز الذي اخرج للدنيا منها او نفس الحرارة التي هي من اجها التي خلقت عليها والجواب والله اعلم بالصواب اما صبغة اللفظ فتحتمل الثلاثة وجوه على حد سواء واما اذا نظرنا من طريق القايده فيبطل الاثنان ويصح الوجه الواحد لانه اذا قلنا ان جميع نار الدنيا من اولها الى اخرها فهذا لا يجعله الا الله ولا لنا طريق اليه فكيف يجعل لنا مثال ما لا يعرفه هذا لا يقتضيه الحكيم ولا ما يعرف من فصاحة العرب وكذا ذلك الكلام على الوجه الاخر الذي هو مقدار الجزء الذي اخرج للدنيا منها فما بقي يصح الا قدر الحرارة التي ركب فيها فان هذا المقدار نعرف بتحقيق النظر والاخبار فعلى هذا يكون التمثيل بها فايده وقد جاعله عليه السلام ان قال لو ان اهل النار وجدوا مثل ناركم هذه لقالوا فيها وقد جان هذه النار تنفيذ بالله تعالى ان تعاد الى تلك النار وفيه دليل على ان من حسن الكلام ان يقدم المعلوم في التمثيل والاخبار على المجهول بوحد ذلك من قوله ناركم فقدما

في الذكر على الاخرى ليعرف قدر عظمها وفيه من الحمد انه تسبق القايده للذهن به وفيه دليل على عظم قدرة الله تعالى بوحد ذلك من كون هذه نار وتلك نار الصفة واحدة وبيتهما من التماثل في الحرارة هذا التماثل العظيم وفيه دليل على ترك التلفظ بالكلام الذي في القايده اذا كان هناك ما يدل عليه بوحد ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم ان كانت لكافية ولم يذكرها فيما ذكروا العلم به وهو العذاب وما سخن به من انواع العذاب منها لان النار لم تخلقت وفيه دليل على مراجعة المفضل للفاضل بوحد ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم ان كانت لكافية وهذا بحث قد تقدم في غير ما موضع من الكتاب ان الصحابة رضي الله عنهم لا يتكلمون الا بما فيه فايده فكيف كان كلامهم هنا في شيء قد فرغ من خلقه بمقتضى حكمة الحكيم فيشبه هذا تخصيل حاصل فالجواب عن ذلك ان هو كالمسألة ليس قولهم هنا هذا على طريق العبث كما سبق لفهم من لا يتقدر قدرهم واما الجواب بهم بهذه الصبغة وجوه من القوايد فمنها طبع الله صلى الله عليه وسلم بجوابهم على ذلك في حقهم وحتى اخوانهم بامر خاص من التحقير بوحد ذلك فعلم معه صلى الله عليه وسلم في غير ما موضع فيما لسمه هذا منها حين اجزهم كيف يقال يوم القيامة لادم عليه السلام اخرج من ذرنيك بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقال له تسعماية وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فبكك الصحابة رضي الله عنهم عند ذلك وايقنت بالهلاك فقال لهم عليه السلام من يلجوج وما جوج تسعماية وتسعة وتسعون الى النار وواحد منكم الى الجنة فعند ذلك زال عنهم ما كانوا صابهم من الرعب وكذلك حين نلى عليه السلام قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقالوا اما اطول من يوم فاخبرهم



عليه السلام انه تخفف عن المؤمن حتى يكون عنده مثل ما بين صلاتين مكتوبتين
 في هذه الدار فزال عنهم ما كانوا وجدوا في هذا الجواب على عادتهم المباركة
 المفيدة وفيه ايضا ان عليه السلام افادهم فائدة بقوله فضلت عليها بستحة
 وستين جزوا كلهن مثل حرها فافاد جوابه صلى الله عليه وسلم ان هذه النار
 ليست من تلك ردا على من زعم انها منها وزال الاحتمال الذي ذكرناه اولاً في
 عموم اللفظ فليس ما يكون نصاً كالذي يكون محتملاً فظهر بعض ما قصدوا
 من الفوائد وحالهم المبارك وفيه دليل على اضافة الشيء لمن يتصرف فيه وان كان
 لا يملكه يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ناركم فاضافها اليهم وهي ليست ملكهم
 لان من جوهرها لا يمكن ملكه الا الذي خلقه غيرنا انما ملك الشيء نقد ها
 فيه وهو لا يدوم لانه ساعة وعادة وماذا وما يؤيد ذلك قوله تعالى انوارهم
 النار التي تورون انتم انتم انتم نورا من نارهم فذلك النور هو الذي يخرج
 من الزند عند القدح به من يملكها او كيف يقدر احد على حبسها وفيه من
 الفائدة ان حرارة تلك النار كلها على حد واحد ويعارضنا في هذا الوجه
 ما جاء فيها سبع طباق وان ما اسفل منها اعظم من الذي يعلوه ونفصل عنه
 بان نقول ما بين تلك الدرجات من عظيم الامر انما هو من اجل امر اخر منها منها
 سورة المحل وله مثال هنا مثل لو ان شخصاً يقدر ناراً على سطح بيت واخر يقدر مثله
 في بيت واخر يقدر مثله في مظهر تحت البيت فنار الثلاثة في نفسها على حد سواء
 والذي اوقدها في السطح ما منعه من اداها الا ما هناك من الهوى والذي في
 البيت وجد من حرها ما لم يجد الذي في السطح لانحصاره في البيت وقلة الهوى فيه
 والذي اوقدها في المظورة اشدهم لانه انعكس عليه دخانها ولم يخرج عنه من

جمع

جميع حرها شيء فالمحل هو الذي زاد في التعجب لسو المحل وتم ايضا زيادة اخرى
 كما اخبر عنهم انه يرسل عليهم التعابين والفقاع وقد جاءه يوضع على كل مفصل
 من مفصل من قدر عليه بها سبعة انواع من العذاب فهذا وما اشبهه ليس هو
 من نفس حرارتها بل معنى زايد فيحسب زيادة تلك الامور يكون سو حال الشخص
 فيها ويترتب على الاخبار به من الفايده وجوه منها الخوف منها ليكون ردعاً
 عن موجبه لمن له عقل والعل بالاسيا المنجية منها والا اذا سمع مثل هذه الاخبار
 لا يرتجح سامعها عن موجبه فلا يخلوا من احد امرين ان لا يصدق او يصدق فان
 صدق ولم يرتجح دخل تحت قوله تعالى فما اصبرهم على النار فقال اهل العلم ما
 اصبرهم على فعل الافعال التي يعلمون انها توجب لهم النار فجا التعجب على بابها اما اذا
 الله من ذلك بمنه وان لم يصدق جأ ما هو اعظم وهو الكفر لانه عز وجل قد قال
 اقتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فليمتنبه السامع ويترارك نفسه
 سيما هو في زمان المهلة انقظنا الله من سنة العقلة بمنه قوله
 صلى الله عليه وسلم نجاً بالرجل يوم ^{القيامة} يخلق في النار الحديث ظاهر الحديث
 الاخبار بسوء حال هذا الرجل الذي يدخل النار فيدور فيها كما يدور الحمار
 برحاه بعد ما تندلق اقبابه وهي ما دارا بمعابه والكلام عليه من وجوه منها
 ما فيه من الدليل على عظيم قدرة الله يوخذ ذلك من كون ما على امعابه من اللحم والجلد
 قد ذهب وهي باقية على حالها ومنها البحث على قوله عليه السلام كما يدور
 الحمار برحاه هل ذلك بسابق بسوءه او بغير سابق بسوءه احمال الوجهين نقلاً
 لكن لفظ الحديث يعطى انه سوق عنيف وحالة سبية يوخذ ذلك من تحمله
 بالحمار والمعالم من الحمار انه لا يكون منه الدوران برحاه الا بالسوق والضرب

233

ومن اجل ذلك شبهه عليه السلام بالحمار ولم يشبهه بغيره من الدواب التي تراعى
وقد تدور وحدها مثل البعير وغيره وليس في الدواب ابلد من الحمار وفيه
تشبيه على ان صاحب الخالفة يوصف بالبلادة وان كان عند نفسه نبيها لانه
عليه السلام قد شبهه بالبلد البهائم وما يتوى ما قلناه قوله عليه السلام الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواه او حتى على الله الاماني
لانه في الغالب لا يكون العجز الامع بالبلادة فاذا اجتمعا هاسبا سبب الحرمان وفيه
دليل على ان دخول النار لمن قدر عليه بها لا يكون الا يوم القيامة يوخذ فلان قوله
عليه السلام يوم القيمة وفيه دليل على تصرف اهل النار فيها واجتماع بعضهم مع
بعض يوخذ ذلك من قوله عليه السلام فتجتمع اهل النار عليه ويجارضنا
بلجان اهل النار يعذب الشخص منهم ولا احد حتى يقن انه لا يعذب في النار غيره
وجتمع المحدثان بان نقول النار هنا سبع طبقات ولكل طبقة منها امر يختص
باهلها فيكون ما اخبر به عليه السلام في هذا الحديث هي نار المؤمنين التي هي اخيرا
بدليل قوله عليه السلام فيقولون له كنتا ناسرا بل المعروف وثمنا عن المنكر
وهذا لا يكون الا صفة المؤمنين ويكون ذلك الخبر الثاني عن الكفار من تشاء الله منهم
وفيهم دليل على ابقا البير والمعرفة لاهل النار مع ما هم بينهم الامر العظيم يوخذ
ذلك من اخباره عليه السلام كيف تخبروه بما كان يامرهم به من المعروف ونهاهم
عنه من المنكر وهو مجاوبهم عليه وفيه دليل على ان دخول اهل النار هو بعنف
دون اختيارهم يوخذ ذلك من قوله عليه السلام يجا بالرجل يوم القيامة فيلقى في
النار ولولا ما هو كذلك لقال يدخل النار وفيه دليل على ان اعظم الاعمال الامر
بالعرف والنهي عن المنكر يوخذ ذلك من تعجب اهل النار من دخول هذا الشخص

النار

النار وهم يعرفونه انه كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لان اهل النار قد
عابوا الحساب وثواب الاعمال واي عمل انفع لصاحبه فلو اماروا قدّر
رفعة منزلة صاحب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف هي ما تعجبوا من دخول
هذا النار وهو على ما كانوا يعلمون من اهل ذلك الخير وصحح هولهم محتم بان
افصح نفسه بما كانت سريره حتى تبقى القاعدة على ما هي عليه من الحق لان تلك
الدار لا يحس فيها الزور ولا يصح وهنا بحث هل كان دخوله النار بتلك الحال
من اجل ما كان يظهر شيئا وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفعل صده او
ذلك لما اكتسب من الاثام او للجموع ظاهرا لانه لهما معا ولا يقع في النفس
ما يقوله بعض الجهال انه لا ينهي عن منكر حتى يكون هو لا يفعله ولا يامر بمعروف
حتى يكون هو ممن يفعله والا لا يفعل فهذا جهل وعي نعم ذلك هو صفة الكمال
وانما هو مكلف بالوجهين معا وهو ان يامر بالمعروف ويفعله فاذا ترك الامر به
لكونه لم يوفق الى فعله يكون عذابه على ذنبيه وان امر به ولم يفعله يكون عذابه
على ذنب واحد وكذلك في النهي عن المنكر هو ايضا ما سوران ينهي عنه وان لا
يفعله هو في نفسه فاذا لم ينه عن المنكر وفعله هو عذبه على ذنبيه وادانته
عنه وفعله هو عذبه على ذنب واحد والعذاب وبالله العياذ على ذنب واحد
اقل مما هو على ذنبيه ومن هنا وقع ناس كثير في تضيق الامور والنواهي
يقولون لا تنهي حتى تنتهي نحن فيوجون على انفسهم عذاب ذنبيه ومثله
في الامر بالمعروف وهو غلط عظيم اللهم الا ان يكون مثل هذا المذكور الذي كان
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه اجمع على نفسه ذنبيه وراى لهما الريا
لكونه اخفى وقوعه في المنكر وعدم فعل المعروف يوخذ ذلك بتطاهره وانه

كان يفعل به يؤخذ ذلك من تعجب اهل النار منه لما كان يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهو يظهر انه مثل ما يقول لهم فلو علموا منه انه كان حاله بخلاف ما كان يامرهم به ما كانوا يتعجبون من دخوله النار وفيه على ان الاي خلط عمله حسناً وسيئاً انه لا بد له من دخول النار بمقتضى العقل يؤخذ ذلك من كون هذا كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا من اكبر اعمال الخير كما نقرر قبل لكن لما فعل هو مع ذلك الشر ولم يفعل الخير دخل النار وفيه دليل على ان من كان له عمل خير وعمل شر فانه يقدم له اولاً الاخذ بعمل الشر وحيفه يتفضل عليه ما وعد من الخير يؤخذ ذلك من كون هذا الشخص قد اجتمع له عمل خير وشره فقدم له المجازات على الشر والحكمة في ذلك والله اعلم انه لما كانت الجنة دار رحمة وانه من دخلها لا يرى فيها سوء بعد تقدم الذي له العمل المختلط دار العقاب ويخرج منها بعد الى دار الرضا ولا يمكن العكس بمقتضى الحكمة الربانية وفيه دليل على جياتهم في النار وهم فيها يقظانون يؤخذ ذلك من كونهم يتكلمون ويحتمون ويغارضنا الحديث الذي ذكر فيه انهم يموتون فيها حتى قال بعض العلماء بظاهره وزعم ان الروميين في النار موتي ولا يحسون من عذابها شيئاً وهذا الحديث رد على ما زعم واجمع بين هذين الحديثين كما تقدم القياس لانه مواطن وكذلك وكذلك النار اهلها فيها على احوال يتلونون تارة على نوع وتارة على اخرى وقد يكون له وجه اخر وهو ان يكون تلك الامور التي اخبر بها في الاحاديث وهي مختلفة انها كل حاله منها لقوم مختصين بها يشهد لهذا المعنى بعض الحديث الذي نحن بسبيله لانه عليه السلام اخبر ان ذلك الشخص مشغول بدورانه ليس يتفك عنه وما هو فيه من ذلك الحال وان غيره قد اتاه يساله عن حاله كائناً قد اجتمعا عليه وكذلك ما تعددت الاحوال على هذا الاسلوب لان الاحاديث كلها صحاح

في يوم ع

الذي

التي جاءت في هذا الشأن وهي كلها اخبار والخبر لا يدخله نسخ فلم يبق الا الجمع بطريق التناول نحو ما تقدم ويكون فائدة هذا الحديث التنبه على توفيقه ما يجب على الشخص من الواجبات في نفسه وغيره لانها هي الطريقة المخلصه من الله بها علينا بفعله قوله صلى الله عليه وسلم اذا استنجح او كان جنب الليل فكفوا صبيانكم الحديث ظاهر الحديث يدل على خمسة احكام منها الاخبار بانفسار الشياطين اول الليل وكثرتهم في ذلك الوقت والامر بكيف الصبيان ذلك الوقت عن التصرف والامر بعلق الباب وذكر الله اذ ذاك والامر بتوكية السقا وذكر الله اذ ذاك والامر باطفا السراج وذكر الله اذ ذاك والامر بتغطية الاثا وذكر الله اذ ذاك وان لم تجد ما تغطيه فعر من عليه شيئاً والكلام عليه من وجوه منها اهل هذه الايام كلها على الوجوب والندب وما الحكمة في ذلك وهل انتشار الشياطين في تلك الساعة لحكمة نفهم اوليس لنا سبيل الى ذلك وهل ما سمي فيها من منع الصبيان عنهم ايضا له اولى هل ذلك خاص بالصبيان او هل يتعدى الي غيرهم وما الحكمة بذكر الله تعالى عند تلك الافعال وما يترب عليه من الحكم هل يتعدى الي غير ذلك اوليس ايضا قوله اذا استنجح او كان جنب الليل فهذا شك من الراوي وفيه دليل على تحريمهم رضي الله عنهم في النقل كما ذكرنا قبل واما قولنا هل الامر على الوجوب او الندب فاللفظ محتمل لكن الاظهر فيه الندب لانه ليس من طريق التعبدات وانما هو من طريق الارشاد الى ما فيه الخير والسبب فيه وهو دفع الضر لانه اذا استقرت بها واحدة واحدة بان لك ذلك فحتمها غلق الباب لان فيه تحصيل من الصدق الذي يريد ضره في مال او بدن وتوكية السقا وهو من باب الحوطه على المال لانه اذا لم توك السقا قد يتعلق فيه حيوان فان هوام

٢٥٦

الأرض تنتشر بالليل أكثر مما بالنهار وقد يسقط السقا فينشق ويذهب الماء
منه فيكون كدمضرتان ذهاب الماء وقد تحتاجه للطهارة وغيرها من ضرورات
البشر فلا تجده فيلحقك الضرر في نفسك أو دينك وحسرة الهال وهو السقا
وهو عليه السلام بالمومنين رحيم فيرشدهم إلى كل ما فيه صلاح في دين أو دنيا
أو آخره وأطفا للصباح من جهة الاحتياط على المال والنفس وقد نيه عليه
السلام في حديث آخر حيث قال ان الفويسقة تستعل البيت على اهله نارا
وهي الفارة فانها تأتي المصباح وتأخذ طرف الفتول وتذهب تجره وهو
موقود فيحترق متاع البيت وما فيه وقد يكون نوم اهله تقبلا فيحترقون
بالتار ويترتب على هذا من الفقه انه لا يجوز لاحد ان ينام ويترك مصباحه
موقودا فان تركه وطأ عليه منه ضرر قد يتعلق الائم عليه لانه خالف وتسبب
فيما كان به ضرره اللهم الا ان كان له عذر من مرض او ما يشبهه فصاحب
العذر معذور واما تغطية الانا فهو من باب توفية الضرر لانه قد جا
ان ليلة في السنة ينزل بلا من السما فكل انا وجده مكسوا فاحل فيه وتلك
الليلة مجهولة وايضا قد يأتي من الحيوان الذي فيه السم والضرر فيسرب
من ذلك الماء ويقع من سمه في الانا ويقع هو بنفسه فيلحق لساربه بسبب ذلك الماء
ضرر في نفسه وقوله عليه السلام ولو تعرض عليه شيئا هنا بحث
كيف يقوم مثلا عودا وخطب اذا عرضته على الانا مقام تغطيته كله لان شيئا
يضع على الفليل والكثير فتكون هذه الاشارة هنا تبين فائدة قوله واذكر
اسم الله فان المانع للضرر كله والجالب للخير كله هو ذكر اسم الله تعالى وامر
عليه السلام باظهار الحكمة في عمل الاسباب من خلق الباب وتوكية السقا وغيرها

وجعل

وجعل من شرطها ذكر الله تعالى عند الفعل لانه سبحانه هو الواقي لانه من وجب قوله
في محكم التنزيل قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن وذكر الله تعالى هو المحظ
الاعظم والمجا الأكبر فلما لم يجد للحكمة سبيلا وهنا تغطية الانا بقية القدرة
ظاهرة فقال عليه السلام ولو تعرض من عليه شيئا وتذكر اسم الله فان اسم الله هو
الواقي ولم يعد عليه السلام ذكر اسم الله عند قوله ولو تعرض من عليه شيئا لانه عطفه
على قوله واطف مصباحك واذكر اسم الله وما عطف على الشيء فهو مثله ولذلك
سكت عن اختصاره وبلاغة وقد قال بعض هل التوفيق المصدقين بالكتاب
والسنة انه كان له انا ولم يكن له ما يعطيه فيعرض عليه عودا ووجد وقوع
على الانا من الحيوان مثلا ذات السم ميتا فاحتبس على العود ولم يكن ذلك العود
من حيث ان يحبس ذلك الحيوان فهنا ظهر انه ما حبس ذلك الحيوان الا ما اثرنا اليه
من بركة اسم الله تعالى لا غير واما قولنا ما الحكمة في ذلك فلما كان الليل
وقت نوم وهو الموت الاضمر امر ان يفعل الامور التي يصلح فيه حاله وحال اهله
وماله في حال نومه وغيبته لانه في النهار منيقظ نبهان واهله كذلك وكل احد
يدفع عن نفسه بوضع الحيلة فلم يكد عليه في هذه الاشياء ويترتب من النظر التوفيق
اذا كان يوم ان ينظر فيما يصلح به حاله وحال من له كما تقدم في هذا الموت
اليسير فمن باب احري في الموت الذي لا رجوع فيه الي هذا العالم الدنيا ويالمومن
كيس فطن فان عقلت تنبعت وان تنبعت وعملت افلحت واما قولنا
هل ذلك الحكمة تعرف ام لا فان قلنا نعرف بالنص عليها فلم يات في ذلك شي وان
قلنا بالاستقراء من النظر في حكمة الحكيم وكيف رتب هذا الوجود وجدنا ذلك
اثر من الحكمة ظاهرا وذلك لوجهين من الحكمة احدهما ان الله سبحانه قد جعل

حضور الشيطان ووساوسه اغما يكون مع الغفلة كما ان حضور الملائكة وكثيرتهم
انما يكون مع العبادة والحضور والتشغال بما يرضى الله فلما كان اول الليل اغفل
على الناس فيه الغفلة والنوم وكذلك جميع الليل هذا الغالب فيه لكن اوله في ذلك اكثر
لان الناس قد فرغوا اذ ذاك من نسباتهم وكدهم فيها ولذلك في الصلاة التي بين
العشائين من كثرة الاجر ما فيها وسميت صلاة الاوابين لكونه وقت غفلة فلما
اشتغل هذا بالعبادة في ذلك الوقت فطم اجره ووجه امر وهو لما اراد الحق سبحانه
بمقتضى حكمه خلق الثقيلين وهما الجن والانس وجعل ليل ونهارا فخص الانس
بكثرة الانتشار بالنهار وخص الجن بكثرة الانتشار بالليل ليكون لكل فريق وقت
يستريح فيه كل بحسب حال حكمته حكيم وهذا اشارة وهي انما تحسن بشدة
الامور الا عند اولها من خير او ضده فلما كان الليل وقت غفله ونوم وزيادة
انتشار الشياطين عليه الذين هم عون على فك تجد النفوس تلك الوحشة عند اول
والكثر ما يجد ذلك المرضي لانه اذا قرب الليل يزداد عليهم المرض والهم ولما كان
الصبح اول النهار الذي هو السعي ويكثر في ذلك الوقت الملائكة لان المفظة
يجمعون في ذلك الوقت حفظة الليل والنهار تجد النفوس اذ ذاك نشاطا
وانشرا كما واكثر ما يجد ذلك المرضي في الغالب منهم تدبير من مدبر حكيم واما
قولنا هل ما امر به من الحرز على الصبيان من الانتشار ذلك الوقت لما كان الصبيان
ذوي عقول ضعيفة ليست تحت التخيلاء ومن الشياطين من يتشكل في صورة
منزعة فقد برأها الصبيان مع ضعف عقولهم يخاف عليهم من اجل ان يقع في
عقولهم وابدانهم حلال وفي هذا دليل للقول بسد الدرعية وفيه دليل على ان ينظر
لكل انسان بحسب حاله يؤخذ ذلك من انه لما كانت عقول الصبيان كما ذكرنا وهم

لا يعقلون في الغالب الوصية امرها اوليا وهم ان يمنعوهم من التصرف وفيه رد على اهل
الطب الذين يقولون ان جسدا لا يدخل في جسد وان ما يظهر من صاحب الجنون انما
هو خلط تحرك عليه وفيه دليل على نصحه لامتة صلى الله عليه ولم يؤخذ ذلك من كون
عليه السلام لم يفعل عن حق صبي ولا كبير ولا مال ولا شيء من الاستيا الا بنه صلى الله عليه
على المصلحة فيه كما امر العقلاء ان يحبسوا النفس من اجل ضعفها عن كثير من تصرفاتها
وانشد ما امر في ذلك عند اول الغفلة او الشهوة لان كليهما ظلمة تغلب على الباطن
ولهذا قال صلى الله عليه ولم الصبر عند الصدمة الاولى ولذلك قال عفاك
عند اول الامور تجربته فان نجح سعيه والا فانت سفينة **واما** قولنا
هل يتعدى الى غير الصبيان فان حكمنا بتلك العلة التي ذكرنا فمن وجدناها
فيه عد بنا له الحكم وقد رايت بعض المباركين كان لا يحتمل ان يقعد وحده
لانه كان يذكر اذا يكون وحده يترايا له الجن وما كان يحتمل رؤيتهم فلا تراها ابدا
وحده ولو يكون معه صغير **واما** قولنا ما الحكمة في الامر بذكر الله تعالى عند
فعل تلك الافعال المأمور بها فقد ذكرناه عند قوله عليه السلام ولو تعرض عليه
شيئا لكن بقي هنا فيه تحت وهو انه لا يخاطب بحال التحقيق الا لاهله والغير
يحلون على مقتضى الحكمة وان اهل التحقيق هم اقوى الناس ابنا يؤخذ ذلك
من قوله عليه السلام واذا كرا سم ربك فلو كانت النقطة بذاتها هي السورة
لم يكن عليه السلام يامر بزيادة ذكر الله تعالى وفيه دليل على بركة هذا الاسم
الجليل الذي جعل ذكره لكل طالب خير بنا له ولدفع كل شر فيه يدفعه وفيه
اشارة الى ان لا يدخل اهل الحكمة بشي من الحقيفة وان لم يعرفوها وتمزج لهم بشي
من الحكمة من اجل ان لا يفوتهم بركتها وبهذا اشار التنزيل بقوله تعالى اوابتم ما تحزنون

انتم تزرعونهم ام نحن الزارعون من اجل ان يعملوا الحكمة ويتفكروا في حقيقة الامر
 ما هي ومثله ما فعل سيدنا صلى الله عليه وسلم حين قال لهم في تكبير النخل ما اراه
 ينفع شيئا وتركوا التذكير فلما جات السنة غير طيبة قالوا له انت امرتنا بان لا نذكر
 فابقام علي مقتضى الحكمة بان قال لهم انتم اعرف بما مورد نياكم وما اخبرتمكم به عن الله
 فصدقوني فيه لانه كان اول الاسلام والغالب من الناس لا سيما اهل المدينة الذين كانوا
 كما ورد عليهم والايامن في اكثرهم قليل فكان معنى قوله عليه السلام لا اراه ينفع
 او يخذ شيئا في حقيقة الامر كما في زعمكم لان التذكير للنخل سبب من الاسباب والله
 عز وجل يخلق عنده اوبه ما شان ثا والالا فائدة له وكم سنة يذكرونها وتفسد
 ولا يجي منها شي ولا يقولون شي ويقولون قدر الله لانهم قد علموا الحكمة الجارية عندهم
 فلم يبقوا يشكوا على القدر وسلموا الامر لصاحبه فلما كانت هذه السنة من
 السنين التي قدر الله عز وجل ان يفسد فيها النخل ولم يعملوا عاداتهم من حكمة التذكير
 نسوا ذلك لكونهم تركوا تلك العادة فاعترضوا عليه صلى الله عليه وسلم فعدوهم لكونهم
 لم يفهموا عنده واضرب لهم من الاخذ بالحقيقة شفقة على ايمانهم وردد لهم الى اثر
 الحكمة فلما كانت تلك السنة تجي طيبة ما بقي احد منهم يلتفت بحكمة التذكير فكان
 يقول الامر يلهم الي تصيب اثر حكمة الحكيم والشرعية ما جات الابا جمع بين اثر الحكمة
 والقدرة وهي الحقيقة كما بيناه في غير ما موضح من الكتاب وفيها اشارة صوفية
 لان اهل الصوفة يقولون ان سفينة الوجود وسفينه نوح عليه السلام كان
 اجزاؤها وارساؤها كما اخبر الحق سبحانه في كتابه بقوله بسم الله مجراها ومرساها
 وقد ارشدت الشريعة السموية ان يكون جميع خير كك وسكونك بذكر الله وتفصح
 بلسان الله فيها عند نومك تقول بسم الله وعند يقظتك كذلك وعند اكلك وشربك

وخرجوا

وخرجك من منزلك ودخولك فيه ولباس ثوبك وتجر يده كذلك وعند استفتاح
 كلامك بذكر الله وعند تكاحك وعند سفرك وعند اياك الى اهلك وعند قعودك
 وقيامك كذلك فان كنت في حالك محمدا ارسيت سفينةك على جودي السلامة
 وان تخلفت عنه لم يكن لك عاصم من امر الله وغرقت في طوفان الهاكك ولم تشعر
 انك هالك فتبقيظ من سكرة هواك تجد روحك في قارورة شهواتك غارق
 في فضلة معاصيك ذكر ان ابن نوح عليه السلام حين تخلف عن ركوب السفينة
 اخذ قارورة زجاج قد رما نخله وصعد على الجبل فلما بلغه الماء دخل فيها واغلقها
 على نفسه فارسل الله عليه ادرار البول حتى مات غرقا فيه فاكسرها نجر
 غرسة التوبة ونادى بلسان حالك انقذني يا منقذ الغرقا فاني ذاهب لعل حين
 صوت اضطرارك يشفع فيك ام من بحب المضطر اذا دعاه قوله
 صلى الله عليه وسلم **اولا يدخل رمضان** ففتحت ابواب السما الحديث ظاهر
 الحديث الاخبار بهذه الثلاثة الاحكام وهي فتح ابواب السما وخلق ابواب النار
 وتسلسل الشياطين والكلام عليه من وجوه منها الولى على فضل هذا الشهر
 يوحى ذلك من كون خص هذه الاشياء على غيره وقد جات زيادة في حديث اخر
 وزخرف الجنان وفيه دليل على ان ذلك العالم له بقدره الله تاثير في هذا العالم
 يوحى ذلك من قوله عليه السلام **وعلفت ابواب جهنم** وهنا بحث لم قال جهنم
 ولم يقل غيرها من سما النار فان النار لها سبعة اسماء اولها جهنم فالجواب عن ذلك
 لما كانت هذه خاصة للمؤمنين من جميع بيوت النيران خصت بالخلق والكف
 عن المؤمنين لانهم الذين خصوا بصوم هذا الشهر دون غيرهم وفيه دليل على
 عظيم القدرة ايضا يوحى ذلك من اخباره عليه السلام ان السما لها ابواب تفتح

259

وتصلح وفيه دليل على ان كثرة فتح ابواب السما دالة على خير اهل الارض
وقد اخبر عن رجل جادل على ذلك في كتابه حيث قال لا تفتح لهم ابواب السما فلا
تفتح ابواب السما الا لمن يرم ويدخل الجنة ومن غلقت دونه فلا يرحم ولا يدخل
الجنة وهذا بحث هل ذلك لكل الصائمين او ذلك خصوص ظاهر اللفظ يقتضي
العموم والاحبار تخصصه منها قوله صلى الله عليه وسلم رب صائم ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش فمن ليس له من صومه الا هذا الشقا ولا يقبل منه كيف تفتح
له ابواب السما وفيه دليل على ان انبات النبي بقضه يؤخذ ذلك من قوله
بعد ذكره فتح ابواب السما التي هي دالة على فتح ابواب الجنان ثم قال غلقت
ابواب جهنم فكما ان من فتح له ابواب جهنم كذلك غلقت عنه ابواب السما وهذا
بحث في قوله عليه السلام غلقت ابواب جهنم هل ذلك حسا او معني حسا
غلقت في ذاتها ومعني اي منع ببركة الصوم من الطريق التي تؤلفها الى جهنم او
لمجموعها وهو الاظهر بدليل قوله انه قد جا بما لك غلقت ابواب جهنم
فهذا حسا وقد جاني الصوم انه وجا اي انه يمنع من الفاحشه وهو الذي قد
قال جل جلاله واستعينوا بالصبر والصلاة فذكر العطا ان الصبر هو الصوم لانه
عون على العبادة فصح ما قلناه ان مجموعها هو الظاهر وقوله عليه السلام
وسلسلت الشياطين هل هو على عمومها ام ليس ما اللفظ فعام وقد جانا خصوصا
في حديث اخر وهو قوله المرده هل هذا على كل الناس عموما وليس الظاهر العموم
وليس كذلك بدليل قول مولانا شياطين الانس والجن فمن هو شيطان في نفسه كيف
يمنع من شيطان ولذلك قال دخل رمضان من كان مثلاما من نقي على مكسه او ظالم
نقي على ظله لم يدخل في هولا بل هو من جملة الشياطين اليس قد قال صلى الله عليه وسلم

فان

فان شتمك او سبك فقل اي صائم فمن لم يحترم لا يحترم فمن اجل اطلاق الناص
او بعضهم هذه الاحاديث على عمومها وقع الاعتراض عند بعضهم ولكن ينبغي ان
يقم الشخص لسان العلم على نفسه حتى يعرف من اي القوم هو وفيه دليل على
شيطان ملازم لا يزول لانه لا يسلسل وفيه دليل على ان الشياطين لهم ابدان
مخسوسة يؤخذ ذلك من قوله وسلسلت فان السلسلة لا تكون الا في جسم جوه
كيف وفيه دليل على ان الاعمال هي التي ترتفع صاحبها او تضعه يؤخذ ذلك من كون
اهل الصوم يعني بهم هذا الاعضا العظم وقد جانا من اكثر الصوم ضيقت
عليه النار اي انه لا يدخلها وقد قال ان اردت عزاء يا نفسي بالنفاق اعز وال
فايقن بحقيقة ذلك وكذلك كان اهل المعاملات الحميدة حالهم في الدارين حميدة
قوله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهل الحديث ظاهر الحديث
الاحبار بان المر اذا اتى اهل وقال جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني
فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلب عليه والكلام عليه من وجوه منها
انه قد جانا في الحديث قبله بزيادة التسمية وقوله اللهم وهذا ليس فيه التسمية
مذكوره وقوله اللهم فاحتمل ان سكت عن التسمية لكونها قد تقرر العزيزها مطلقا
ومقيدا واحتمل ان جانا هذا بلا تسمية ولا قول اللهم تخفيف له هسة بعض الناس
عند ذلك الحال لعلة الشهوة عليهم فيكون ذلك الحديث اكل في الفعل ويكون
هذا الجزئي ولا اقل من ذلك وفيه دليل على ان من حسن ادب الشريعة الكافية عن
الاشيا المتفاحشه وان كانت مما ابحت يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام اني لانه
كن عن ذلك الامر بالانسان وهذا بحث لم قال احدكم ولم يقل احدكم ولم يقل احدكم
احتمل وجهين احدهما ان كان الكلام في موطن لم يكن فيه رجل وكان السامع صبيلا لم

يبلغ العلم فإني بلفظ الغيبة يعني به جنس الرجال واحتمل ان اتي بالغيبة يعني
 من ياتي بعد ذلك الزمان الذي هو فيه لانه قد علم من الصحابة لديهم وفضلهم
 انهم قد اخذوا بالحديث الذي قبل وهو ذكر اسم الله تعالى وقول اللهم ويكون
 هذا الحديث لمن بعدهم لغبنة الشهوة عليهم وضعف الايمان واحتمل ان اتي
 بلفظ الغيبة يريد الحاضر والعرب تفعل ذلك تاتي بلفظ الغيبة تريد به
 المحضور وبالخصور تريد به الغيبة وقيد دليل على ان لفظ ولد يقع على الذكر
 والانثى فان بينهما ولد واتي قوله جنبني الشيطان معناه انه لا ينكح معه فانه
 قد جان المراد انكح ولم يذكر الله عند ذلك ان الشيطان ينكح معه كما انه اذا
 اكل وشرب ولم يسم الله اكل الشيطان معه وشرب واما قوله ما رزقتني فيه
 دليل على ان الاولاد من جملة ما ينعم الله به على بني ادم لانه عليه السلام جعله
 من جملة ما يرزقون بقوله رزقتني وفيه دليل على ان الاب والام في الابن على حد
 سواء في النعمة يوحد ذلك من قوله عليه السلام فان كان بينهما واللفظ النسوي
 بينهما فلا تفضيل لاحد منهما على صاحبه وفيه دليل على ان حقيقة تأثير الاسباب
 انما هو نسبة القدرة لا بدوانها يوحد ذلك من قوله عليه السلام فان كان بينهما
 ولد وقد لا يكون والسبب واقع الذي هو النكاح فلم السبب يؤثر الاعتدال رادة
 القدرة والام يكن شيا وهذا للحق في عالم الحس لان انري المرئ يجمع اهله مازلا
 ولا يرزقون مولودا والغير قد يكون ذلك الفعل مرة واحدة ويوجد معه الولد فحقيقته
 التأثير هو بالقدرة وهذا حكم متعمد في الاشياء كلها لا يقصر على هذا الموضع وحده
 فالاسباب اثر الحكمة والتاثير بها الحقيقية القدرة فاخفا القدرة في اثر الحكمة من
 عظيم القدرة ليضل من يشا ويهدي من يشا حكمة بالغة فما تعنى القدرة وصاحب

لقد

لم قال بينهما ولم يقل لهما او غير ذلك ففيه وجوه منها ان يكون المعنى بينهما ما
 يخرج منهما من المائتين فانه قد جا ان العظام والعصب هو من ما الرجل وان اللحم
 والشعر والجلد من ما المرأة وفيه وجه اخر وهو نسيبه لطيف وهو ان حقيقة الخلق
 الذي فيه له ثوبع خلقه من كبد وقلب ومصران وجوارح علي ما هي عليه هذه الصورة
 الادمية من الترتيب البديع ليس ذلك من الما الذي خرج ابن النسبة الذي بينهما وانما
 هو بقدره القادر الذي جعل من تلك النقطة اليسيرة انواعا مختلفة كما قال تعالى
 في ثمرة التمره انظره الى ثمرة اذا اثمر وينعه معناه حين يشهي طيبه ابن النسبة
 التي بين عود الثمرة من الخلاوة التي في ثمرها او للمحوضة او الحجر او الصخرة او
 السواد او الخضرة او غير ذلك من الالوان العود كل واحد واحد والطعم والتمر
 مختلف ان في تلك الايات امور يعقلون ويحتمل اشارة اخرى وهي اشارة الى الروح
 والحياة الذين هما حقيقة الانسان ان ذلك ليس منهما لان من طرفين اصل ولا فرع
 وانما هو مما جعلته القدرة فيما خلق مما كان بينهما ولذلك قال تعالى ولقد خلقنا
 الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
 فخلقنا العلقه مضعة فخلقنا المضعة عظما فكسونا العظام لجائم انسانه خلقا
 اخر يعني عند نفخ الروح جا خلقا اخر ليس هو من جملة تلك التطويرات التي كان بعينها
 اضلا لبعض بل هذا خلق اخر بقدرة قادر ليس مثله شي ويؤيده قوله تعالى ويبلونك
 عن الروح قل الروح من امر ربي اي هو من امر الله لا متولدة عن شئ وان كانت الاشياء
 كلها المتولدة عن غير الله تولدت كما تقدم كما تقدم البحث قبل لكن هذا هنا
 بالقدرة ليس مصاحب لها في اثر حكمة بل هي قدرتها الصلة ولا يحيط بعلمها الا صاحبها
 جل جلاله واحتمل ان تكون هنا الاشارة الى خلق النفس على قول من يقول ان النفس شي

والروح شي اخر لانه ذكر العلماء القائلون بهذا ان النفس خلق مجسد مثل
خلق بني ادم لها يدان ورجلان وعينان وجوارح مثل بني ادم سوا بسوا وانها
من العالم اللطيف وانها تتركب في جسد بني ادم فتكون جسدا لطيفا ليست على
جسد كئيف وهي الفخارة التي خلقت من ذلك الماء المهين وهي اعني النفس التي اعطيت
الهير والفهم وهي التي تتنعم وتنالم وتفرح وتخزن الى غير ذلك مما يشبه هذا المعاني
وانما الروح حياة الجسد ليس الا ولا تفهم ولا تتنعم ولا تفرح ولا تخزن اما النفس
فانها من العالم الذي لا يفني وانها تبقى في الفروع الجسد وقد يفني الجسد الا عجب الذنب
وهي لا تفني ولم يذكر احد انها متولدة عن الماء المذكور ولا عن ما تولد عنه وانما هي
بقدره الله تعالى كما ذكر من العالم الروحاني فسبحان من هذه بعض اثار قدرته التي
حازت فيها العقول واحتمل مجموع ما ذكر وفي هذه العبارة اكد دليل على ما حصى
به سدنا صلى الله عليه وسلم من الفضل والاعجاز في كلمة لكونه ابي بلطفه تحوي على
جميع ما ذكرناه وريادة على ذلك اذا نتبع فيها النظر وفيه دليل اعني في هذه اللفظة
وما تحوي ان العلم الذي هو الفهم حديثه صلى الله عليه وسلم وما فيه من الفوائد انه من جملة
مواهب الله تعالى لمن شاء لا يوحى ذلك بالكسب يشهد لذلك قوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال العلماء انه الفهم في كتاب الله وكذلك حديثه
صلى الله عليه وسلم لانه كله من الله وعن الله اما بالواسطة او بالالهام وقد تقدم الكلام
على هذا في اول الكتاب وقوله عليه السلام لم يجره الشيطان ولم يسلط عليه هل
هاتان اللفظتان لمعنى واحد او هما المعنيين احتمل الذي استقرى من الشريعة انهما
لمعنيين احدهما انه قد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه ما من مولود من بني ادم
حين يقع من بطن امه الا طعن الشيطان في خاصته فذلك هو الضرر المشار اليه والله

اعلم

اعلم واما التسليط فهو ما ذكره في كتابه حيث يقول واجلب عليهم خيلك
ورجلك وما جعل له عز وجل من التسويل والاعوا لبني ادم لقول من من ابد بهم
ومن خلفهم وعن ايماهم وعن ثما يلهم فهذا معنى الاشارة الى قوله ولم يسلط
عليه ان لم يكن يقدر على ضرره عند الولادة بان يطعن في خاصته ولا يقدر على ضرره
بالاعوا والتسويل كما ذكرنا ويكون ممن يدخل تحت قوله تعالى ان عبادي ليس كعليهم
سلطان وفيه دليل للاخذ بسد الدريعة يوحى ذلك من قوله وجنب الشيطان ما
رزقني احتياطا ان يكون لهم ولد وقد لا يكون فما بقي القول يكون الاحتياطا من
اجل الولد فهذا لسد الدريعة وفيه دليل على ان الحكم في الشرع يعطى الغالب يوحى
ذلك من امره صلى الله عليه وسلم بهذا عموما ومن الناس من يكون عقيما لا يلد فلما كان
هذا في القليل لم يلتفت اليه وفيه من الفقه ان الاصل اذا كان طيبا جا الفرع
طيبا يوحى ذلك من انه اذا كان الاب طيبا بانباعه السنة وفعل في هذا الموضع ما
احكته السنة وامثال الامر بان ذكر عند جامع امله ما ذكر في الحديث الذي
نحن بسبيله جا الفرع وهو الابن من اهل الخصوص كما ابدناه انفا وفيه دليل على
ان الخير كله انما هو في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يوحى ذلك من انه من لم
يعرف الكتاب والسنة لم يعرف مثل هذا الخير وما فيه وكان نكاحه بهيما شهوة
سرف وكذلك في جميع اموره وفيه من الفقه ان فضيلة العمل خير فضيلة العلم لانه
عليه السلام قال اذا اتى اهلك قال ولم يقل من علم رزقنا الله فهم كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم والعمل بذلك بمنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا نودي
بالصلاة ادبر الشيطان وله ضراط الحديث ظاهر الحديث الاخبار بهروب الشيطان
من الصلاة بالصلاة وله ضراط وهروب ايضا كذلك من التثويب بها وهو اقامتها

265

لكن بغير ضابط واقباله بعد ورجوعه الى المصلح حتى يوسوسه والكلام عليهم في
منها ما الحكمة في هروبه عند الاذان والاقامة وعدم هروبه عند الدخول في الصلاة
والنيلس بها وهي لا بد اعظم من الاذان والاقامة فان الصلاة فزمن بالاجماع ولما
الاقامة فليست بزمن بلا خلاف والاذان فيها هو فرض وفيه ما هو سنة وفيه ما
هو مستحب على ما نبينه من الكتاب ان شاء الله تعالى ورجوعه الى المصلح هل ذلك على
عمومه لكل مصل او ليس وما الحكمة في ضراطه عند الاذان وهل تركه ذكر ذلك في الاقامة
لانه لا يكون منه ذلك عند الهروب منها او سكنت عنه لما تقدم ذكره عند الاذان
قبل فاما الجواب على ما الحكمة في كونه يهرب من الذنبا والاقامة ولا يهرب من
الصلاة التي هي ارفع وذلك ان فرضية الاذان وقابلية الاخبار بدخول وقت الصلاة
بذكر تلك الالفاظ المأمور بها ولذلك تجوز على طهارة وعلى طهارة فلما وفيها
ما امرنا به لم يطق الشيطان نخل ذلك فان توفية الامر على ما امر به يقطع ظميره
والصلاة من مشروعيته التوجه والاحلاص والحضور كما قال صلى الله عليه وسلم
فيها ان الله لا يقبل عمل امرء حتى يكون قلبه مع جوارحه وقال عليه السلام في
الاذان له من الاجر بقدر صوته على ما بيناه في موضعه قبل وقال في الصلاة يكتب
له نصفها ربعها الى عشرها وقال اذا لم يوت بها على وجهها تطوي مثل الثوب
الخالق ويضرب بها وجه صاحبها ونقول له ضيعتني ضيعك الله فلعدم توفية
الشروط التي طلبت منا في الصلاة وجد الشيطان طريقا الى الدخول لصاحبها فلو وفي
ما نطلب منه فيها ما قرب به الشيطان وكذلك سائر الاعمال من وفيها دخل في حرب
المفجحين الذين لم يكن الشيطان عليهم سلطان لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان واما قولنا هل ذلك على العموم او ليس فظاهر الحديث محتمل وما قدمناه من

قول

قوله جل جلاله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان نخصص ذلك وهو الحق فانه من
لم يكن له عليه سلطان كيف يقربه في صلاة او غيرها وهذا حال واما ما الحكمة
في ضراطه احتمال والله اعلم وجوبا منها انه لا يحمله حتى يتحمل قواه فترخي حواسه
ومفاصله فيخرج منه الريح بغير اختياره كما حكى عن فرعون انه لما ارى الاية
في عصاة موسى عليه السلام حين رجعت حبه انه وكى هاربا وبطنه قد انطلق وغايته
يسيل لا يقدر ان يحكم ذلك من نفسه وكثيرا ما يوجد ذلك من الفراعين وقد يكون
من سوء طبيعه ان يقابل الشيء بضده كونه يسمع الاذان الذي هو دليل على الصلاة
وهي مبنية على الطهارة لقوله صلى الله عليه وسلم الوضوء شرط الايمان فيكثر هون
الضد وهو نقص الطهارة وقد يكون لوجه اخر وهو ان يشغل سمعه عن الاذان
بذلك الفعل الذميمة كما اخبرنا عن رجل في كتابه عن الكفار كانوا اذا سمعوا
تلاوة القران يصفقون بايديهم واشدا فمهم وهو قول تعالى وما كان صلاتهم
عند البيت الامكا وتصدية واحتمل مجموعها واما قولنا ولما لم يذكر
ذلك الفعل عند الاقامة هل لعدم وقوعه في ذلك الوقت او اختصره لكونه صلى الله
عليه وسلم ذكره مع الاذان احتمال الوجهين والله اعلم لكن الاظهر انه بغير ضراط لوجه
وهو ان الاذان اكثر الفاظ من الاقامة لانه مثني كلة وبعضه من بع والاقامة منقولة
وبعضها مثني فلزيادة تكرار الالفاظ المباركة يكون منه زيادة في مخالفة وايضا
فايزة الاذان اكثر فانه اعلام بالوقت ويسمعه من هو حاضر ومن هو بالبعد وهو
له اصوت وهو يدعو الناس كلهم الى الطاعة والاقامة انما هي للحاضر بن ان
يتأهبوا للدخول في الصلاة ولا يتعدى الي غيرهم فكانت عليه اخف فان كانت
الطاعة اكبر كان عليه الامر اشد فيوجد ذلك ما اخبر عنه الصادق صلى الله عليه وسلم

انه لعنه الله لم يرا احقر منه ولا اذل منه في يوم عرفه نحو التراب على راسه وذلك
لما في تلك الطاعة في تلك الوقت من الترفع والخير بلحقه بتلك النسبة ذلك التحقير
والهوان وقوله عليه السلام حتى يخطر بين الانسان وقلبه اي انه يشغل قلبه
وان مدار الانسان على قلبه فاذا اشغل قلبه بالوسواس فكان حاله بينه وبين قلبه
لان القلب لا يبراد لذاته الصنوبرية وانما يبراد لحضوره عند فعله ما تعبد به
ليوفيه بما عليه في ذلك وفيه دليل على ملازمة لبي ادم حتى يعلم كلما يتصرف فيه ويجري
عليه يوحى ذلك من قوله اذكر كذا لانه لا يدركه الا الى شئ قد وقع ونسبه الاذي
وهو البعد واللعين قد كان عرفه ولا يكون ذلك الا لمن هو معك ملازم لك وفيه دليل
على عظيم قدرة الله تعالى الذي هذا خلق فقد ران يصل الى قلوبنا ونحن لا نعلم به وفي
هذا دليل على ان المولى سبحانه لا يترك العقل ولا يتجزى ولا يشبهه شئ يوحى
ذلك من ان هذا خلق من خلقه مدرك ويراه يصل الى قلوبنا ونحن بعقولنا معنا
وادراكنا من جميع حواسنا ولا نعلم به ونجد اثر وصوله ولا نحس بذاته ولا نشعر
بها فكيف يطع احد ان يعرف او يصل الى من هذا بعض مخلوقاته وبالقطع ان
الصنعة لا تشبه صانعها هذا من اعظم الغلط وفيه دليل على ان ميل النفس
بالسرعة الى ما تفرح بما لا تعرفه يوحى ذلك من قوله اذكر كذا فلو علمها بذلك
كان يقول يقول لها الاتعلم ما يكون في كذا الامر لا يعلمه فقد لا يحصل لها منها ذلك المليل
الكل الذي يذمها عن الصلاة فليرفقه بها اخذها من الوجه الذي هو اقرب لغايتها
وقد روي عن بعض اهل الفقه وكان ممن ينتفع به الناس في دنياهم واخرتهم
بما من الله عليه به من العلم والنباهة تلفت لبعض التجارسة دراهم لا بدري
ابن رافعها فخرن لذلك فقيل له ليس لك الا ذلك السيد فلما جاءه واخبره بحاله امره

ذكر

ذلك السيد بان يصل ركعتين ولا يحدث نفسه فيها بشئ ويأتيه ونخبره بحاله
ان هو فقام ذلك الناجر الى ناحية في المسجد واحرم ودخل في تلك الصلاة
الركعتين فراه الشيخ في الركعة الثانية قد خفتها فقال لاخوانه قد نذكر ما له
ابن هو فلما سلم واتي الشيخ قال له الشيخ تذكرت ما لك ان هو قال له نعم يا سيدي
فقال له من فخذ مالك واشكر الله فقال له اصحابه لم امرته بتلك الصلاة واي
نسبة بين الصلاة والقضية فقال لهم ان الشيطان انساه ان وضع ماله لكي
تخرجه ولو وقت ما من الزمان من اجل العداوة الاصلية فامرته بالركعتين ولا
تحدث فيها نفسه لانه قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لا يحدث فيهما
نفسه دخل الجنة فلما تلبس بالصلاة عازما ان لا يحدث فيهما نفسه راي العدو
ان يذكره بحاله ولا يخلية يتم عملا يدخل به الجنة فمن اجل ذلك امرته بالصلاة وقوله
عليه السلام لا يدري اثنان صلى ام اربعا فاذ لم يدرا اثنان صلى ام اربعا سجد
سجدة السهو ظاهرا واللفظ يعطى ان سجد في السهو تجزيه عن تمام الصلاة وان
كان ما صلاة ثلاثا وليس كذلك لان قد جاز ذلك مفسرا في حديث اخر وهو
قوله صلى الله عليه وسلم اذا سجد احدكم في صلاة فليبين على اليقين ثم يسجد
سجدة السهو واليقين هو الاقل وقد تعلق بعض اهل الظاهر بظاهر هذا
الحديث وما قدمناه عليه الجمهور وهو الحق الذي يعطيه الفقه لانه اذا
جات الزيادة من العدل قبلت ومع ذلك على هذا الذي عليه الجمهور استمر عمل
الحلقا والعلماء الى هلم جرا وهذا بحث في قوله ثلاثا ام اربعا هل هو مقصور
على هذا الوضع او هو على طريقتين ضرب المثل او تروى الخاطر بين الاقل والاكتر
كان العدد ما ذكرنا او قل من ذلك الذي عليه الجمهور انه على وجهه السئل اذا

هل هو خاص بالرجال اولى فليس هو خاص بالرجال دون النساء دليل ان
 النساء شقائقي الرجال في جميع التقديرات لكن سالت عن الرجال لكون الرجال
 اكثر قوة في الدين في الغالب فيكون من باب الاخبار بالاجل على الاذن فاذا كان
 ذلك في الرجال فمن باب اجري في النساء واما الجواب عن قوله جليلة ولم يذكر خلافا
 من الالفاظ فان المختلس هو الذي ياخذ الشيء وهو يري بلا قوة ولا حيلة والسارق
 ياخذ في خفية والظالم ياخذ بقوة فلما كان الشيطان يشغل هذا عن صلاته بان
 يلتفت الي غيرها وعقله معه بلا حجة اقام له على ذلك اشبه المختلس الذي ياخذ الشيء
 بلا حيلة والناس بصرونه ولذا ليقول يوم القيامة كما اخبر الله سبحانه في كتابه
 العزيز وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
 انفسكم وفيه دليل على التقدير عن المعاني بمثل ما يعبر عن المحسوسات بوخذ ذلك من
 قوله عليه السلام مختلسها والشيطان لم ياخذ شيئا محسوسا من صلاة المصلي
 وانما اخذ منها نقص معنى من معانيها في زمان ما وهو عدم حضوره حين النفاث
 وفيه دليل على ان من حصل له شيء من الاشياء حسا كان او معنى بحيلة غير حقيقة
 انه يصدق عليه اسم مختلس بوخذ ذلك من كون الشيطان احنال على المصلي
 حتى وقع له الخلل في صلاته وهو مقصود العرو فمنها سيدنا صلى الله عليه وسلم
 مختلسا وهما نسيه لم جعل في السهو في الركعات جبر كما تقدم في الحديث
 قبل ولم يحل لهذا الالتفات جبر فالجواب والله اعلم لما كان شكه في عدد
 الركعات سميانا من اجل ما احنال عليه الشيطان بتذكرة له ما قد كان جبرا
 من الامور والله سبحانه قد تفضل علينا بان لا نواخذ بالنسيان جعل لنا البديل
 فما وقع من الخلل ولما كان هذا الالتفات بالقصد من المصلي وعقله معه لم

اذا تردد الفاطر بين الاقل والاكثر فيكون عمله على اقل العدد من كما وفيه دليل
 على انه لا يحزن العدو والزيادة الطاعة بوخذ ذلك من ان الشيطان لما جال المصلي
 ان يفسد عليه صلاته بتشكيكه في عدد ركعاتها احكمت السنة بفضل الله الامر بزيادة
 ركعتين احتياطا ثم زيادة اخرى وهي بجدي السهو لينقلب العدو مهزوما خائبا
 مما امله وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث حيث قال فانها ترغيب
 للشيطان يعني السجدتين اللتين للشهو وفيه دليل لاهل الصوفية لانهم اخذوا
 بدوام الاستتعال وعدم الالتفات الي حديث النفس وغيره لان هذا المصلي ما
 طر عليه النسيان الا من اجل النفاث الي حديث العدو بما ذكره وميله اليه وقد ذكر
 عن بعضهم انه كان في اول رياضته اذا مر به خاطر خلاف الرباني ضرب نفسه بعضي
 او يقضب قلبها كان يكسر على نفسه في اليوم الواحد الخزيمة والخزمتين من
 القضبان حتى استقام له خاطر بدوام الاقبال على مولاه من الله بذلك علينا بمنه
 وقد قال اذا كنت ملتفتا الي سواه فحجابك ذلك عن ان تراه ولن تحظى بحضرة
 قدسه حتى لا ترى الا اياه فيا معرضا ومولاه بدعوه في صلاة وصوم و حج وعمره
 لعلك في احداها تراه ولم تلتفت الي ما هناك يا فتاه وطفت عند تجليه بسور
 فهمك انك في الغوالب تراه ثم قولها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن التفات الرجل في الصلاة للحديث ظاهر الحديث الاخبار بان التفات الرجل في صلاة
 نقص منها ياخذ الشيطان له منها والكلام عليه من وجوه منها هل هذا خاص
 بالرجال او ذلك سوا الرجال والنساء ولم قال تختلسه الشيطان ولم يعبر بغيره
 او يخصه او غير ذلك مما يشبه هذه الالفاظ وهل يعني بالالتفات هنا الحسي
 ليس الاو الحسي والمعنوي معا وايهما كان فهو جليلة فالجواب عن الاول

62

هل

بجعل له بدل منه فظنوا تحريضا على التزام الادب في العبادة وما يشبه ذلك
 قوله صلى الله عليه وسلم اسر السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق
 صلاته يا رسول الله قال لا يتم ركوعها ولا سجودها واما قولنا هل اراد بالانقاف
 الحسي والمعنوي او مجزوما فظاهر الحديث يعطى انه الحسي واذا كان الحسي فالمعنوي
 معه لازم بقى الكلام على المعنوي فاذا نظرنا الى قوله عليه السلام في حديث
 غيره ان الله لا يقبل صلاة لم يرج حتى يكون قلبه مع جوارحه فيكون الانقافات
 المعنوي بمثل الحسي ونعني بالمعنوي ما يكون في القلب من الانقافات الى غير ما هو بسبيل
 وقد قال بهذا جماعة من العلماء لانهم يقولون ان دوام الحضور في الصلاة فرض واجب
 وهو عدم الانقافات والجهور على ان دوام ذلك شرط كامل وانما الفرض فيه في اهل
 العمل واخره وفيه دليل على ان كل ما يكون من الخلل في الصلاة من تسويل الشيطان
 يؤخذ ذلك من الحديث الذي قبل هنا مع هذا اذا جمع اليه لانه في الذي قبل اشغله
 بالحديث حتى انساه وهناك يعم من له الحديث وكان اصل التأكيد تخفيه حتى اخبر
 بها الصادق صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فكما تجدد في الصلاة من خلل تعلم انه من العدو
 علينا سببه اول نعلمه وفيه دليل على ما من الله به على سيدنا صلى الله عليه وسلم
 من كثرة اطلاعه على غوامض كثيرة من الغيوب ولو لا ذلك ما كان يخبر عن مثل هذا
 واعباد من امثاله وفيه دليل على كثرة لطف الله تعالى بنا بوحد ذلك من ارسال
 هذا السيد صلى الله عليه وسلم رسولنا حتى يخبرنا بهذه الفوائد كلها لان نعرف
 كيف نتحرز من عدونا وكيف الخلاص من مكائده جعلنا الله ممن خلصه منها
 بفضل لا وبسواه قوله صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة من الله
 تعالى الحديث ظاهر الحديث يدل على كين احدهما الاعلام بان الرويا الصالحة من الله

تعالى

تعالى والاخر الاخبار بان الحكم من الشيطان والاخر الاخبار بتعليم الخرج منها
 والكلام عليه من وجوه منها ما معنى من الله ومنها ما معنى الصالح ومنها ما معنى الحكم
 ومنها الكلام على كيفية الاستعاذة منها ومنها ما الحكم في البساق عن اليسار فاما
 الجواب عن قوله عليه السلام من الله اي هو حق لا شك فيها لانه كلما هو من عند الله
 لا شك فيه انه حق ولذلك قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف
 كثيرا واما قوله عليه السلام صالحة وكلما فيها خير في صالح كما قال شعيب عليه
 السلام لموسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي لا تزي مني الا شيئا
 تسر به وفيه صلاح لك واما قوله الحكم فالعلم ما فيه تهويل للنفس وتخويف
 وهو على قسمين ما فيه تخويف وتهويل على النفس وليس يدل بوضعه على شي يضر
 ومنه ما يدل على شي يضر ومن اجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم ليفرق بين ما يكون
 يدل على ضرر وبين ما لا يدل على ضرر ولذلك قالوا للعزيز اصفاة احلام وما نحن
 بنا وويل الاحلام بعالمين ويلزم على هذا من الفقه ان يكون الذي يري الرويا عارفا
 بالتعبير والافد تكون الرويا في نفس مهولة وهي تدل على خير مثال ذلك ان يري
 شخص يضر باخر بالسوط ويوجهه ضربا فان الضارب يولي المضروب معروفا
 على قدر ضربه من شدة اولين وقد تكون بالعكس معناه تكون حسنة في نفسا وهي تدل
 على ضد ذلك مثال ان يري شخص يعمل لسخر عرسا او وليمة ويطعمه حلوة وطعاما
 طيبا بلحم سمين فان المظم الطعام العرس يفعل بالذي اطعمه او فرحه سراكيرا
 بقدر حسن الحلوة وطيب اللحم ما كثر الحسن في تلك كثر الفرح في السر الذي بناه
 وما اراد الشارع صلى الله عليه وسلم بالحسن وضده الا المعنى التي تتضمنه نفس
 الواقع في النوم بوضعه ففقه من لا يعرف في التعبير شيئا ان يتعوز مما لا يعرف

لها معنى من اجل ان يكون مما تدل على فكره فان كانت تدل عليه فيندفع عنه ذلك
التكروه باتباع الامر وهذا من باب سد الدريعه لان الاحتياط كله من هذا الباب
وهو الأول ولا يجوز له ان يعجز الرويا بغير علم لانها من النبوة وما كان من النبوة
فلا يجوز الهزو به لان الحكم بغير علم هزؤٌ وتجري على الايجوز ولذلك كان سيدنا
صلى الله عليه وسلم كل يوم اذا صلى الصبح يدور وجهه الى الصحابة رضي الله عنهم ويقول
هل راي احد منكم الليلة روي فمن راي منهم شيئا ذكره وفسرها لهم لتعلمهم علم التفسير
وكما قال يوسف عليه السلام ذلكا مما علمني ربي يعني به علم تفسير الرويا وقد يكون
من الرويا التي تؤلم النفس وهي لما هي حتى فقد قال العلماء ان اذا كانت حقا وانتمثل
الراي ما امره النبي صلى الله عليه وسلم فانها لا تنضره ويصرف الله عنه ببركة السنة تلك
الامور المشوشة لانه صلى الله عليه وسلم ما بعث الارحمة وهو عليه السلام يعلم ان في الحلم
وهو كليا فيه تهويل وتشويش على النفس ما هو حق فجلها عليه السلام كلها محلا واحدا
وجعلها من الشيطان لكونها هذا هو الغالب فيها والسريعة اذا انا ملتها انها اطلقت
الاحكام على الطالب في جميع الامور رحمة من الله وتوسعة على عباده فحصل المخرج من
الكل واحدا وهو الاستعاذة بالله وهناك بحث لطيف ايضا وهو كونه صلى الله عليه وسلم
جعل حجة اعني الحلم من الشيطان لان اصل كل ما يصيب المرء من البلاء والمحن
في الغالب انما هو مما احتوي به الشخص على نفسه فان الله عز وجل يقول وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ولو يواخذ الله الناس ببنائهم
كسبوا ما تركوا على ظهورهم من دابة واصل المخالفات انما هي من وساوس الشيطان
وتسويله لان الله عز وجل يقول الشيطان يبعدكم الفسق وبما ترككم بالفحشاء
والله يعزكم مغفرة منه وفضلا فقام ذكر الله في هذا الموضع مقام التوبة

والاضطرار

والاضطرار فالتوبة تجب ما قبلها والاضطرار مستجاب او يقتضي الوعد الجليل وهو
قوله تعالى امن بحبيب المضطر اذا دعاه ويعكف السورحة من الله تعالى وسنة
لبن قبلها قبلها فلذلك قال عليه السلام لا تنضره واما الجواب على ما الحكمة في
ان يسبق عن يساره فلان فيه خزي للشيطان لان جانب الشمال هو مفعه ووجهه
اخر لان ريق المؤمن شفا وفيه ايضا احراق الشيطان لانه لا يحمله فيكون يساق
يتولد عنه تالم الشيطان وطرد من اجل ان لا يعود الى تخوفه ثانية وقد يكون
للجموع وزباده والله اعلم وفي قوله عليه السلام ولينغوذ بالله من ستر ما دليل
على ما قد بينته من ان المقصود من الرويا ما تدل عليه لانفس الرويا وهناك بحث
هل هذا على عمومها او ليس الظاهر يعطي العموم والبحث يعطي التخصيص لانه اذا كان
الراي شيطان في نفسه كيف يفرضه الشيطان ومما يويد ما اثرنا اليه قوله منكم
يعني من هو على طريقكم الذي يقتضيه حقيقة الايمان فلو كان عليه السلام عنى بقوله
منكم جنس بني ادم لكان الكفار والمنافقون يدخلون الجنة تحت هذا ولا قابل به
فما بقي الا التخصيص بان يعنى المؤمنين الذين هم مؤمنون ولذلك قال عليه السلام
في حديث اخر الرويا الصالحة من ليلها الرجل الصالح او ترى له ولا يعترض علينا
ببعض مراءها بعض الكفار ورويت عنهم وخرجت حقا والاتفه اعني
ان نقول ذلك نادر والتادر لاحكامه وفيها وجه اخر وهو انه اذا تاملت
تلك الراي التي رويت عن بعض الكفار انما الفائدة فيها للمؤمنين مثل روي العزيز
انما كانت سببا لان يتولى يوسف ملك العزيز والظهور لسيدنا عليه السلام
وكذلك تجد كل واحدة الخير فيها للمؤمنين وفيه دليل على عظم قدرة الله تعالى
بوخذ ذلك من كون الراي يبري فيها ثنائيل واشكال تدل على اشيا وتخرج في

عالم الحسن كذلك وقد قال اهل العلم بهذا الشأن لانه لا يقع لاحد شي في هذا العالم الا
وقد رآه في النوم عقله من عقله او جهله من جهله ولذلك قال اذا تأملت كل ما تراه
دل على انه حق وانك في الدنيا لا تراه وقوله تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له الحديث بكامله ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما الاخبار بان من قالها
مائة مرة كان له هذا الاجر العظيم وهو ثواب عتق عشرين رقاب ومائة حسنة زائدة
على ذلك وصحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك والحكم الاخر
الاخبار بان ذكر ارفع الاعمال ولا شيء من الاعمال ارفع منه الا الزيادة على ذلك العدد
والكلام عليه من وجوه منها ما الحكمة بان جعل هذا الثواب محدوداً بهذا العدد هل
يمكن له فهم او هو مما لا يفهم له معنى ومنها الكلام على قوله حتى يسي ما هو حد النسي
هنا ومنها فضل هذا العمل على الاعمال من حججه وسهاده وصوم ومدقة وغير ذلك
من افعال الخير وهل من قال بعض العدد مثل النصف او اقل او اكثر هل يكون
له من الثواب بتلك النسبة ام ليس فاما الجواب على ما الحكمة بان جعل الاجر
العظيم منوطاً بهذا العدد المسمى وهي المائة مرة فان قلنا تعبدنا فلا بحث
وان قلنا له وجه من الحكمة فما هو فنقول والله اعلم لما اخبرنا الصادق صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل جعل الرحمة مائة جزء فخرج منها الى الدنيا واحدة
واحدة بفضل التسعة والنسعين للمؤمنين في الآخرة واعظم ما بلغت تلك الرحمة
بالمؤمنين في تلك الدار النجاة من النار ودخول الجنة والنعيم بها وبها فيها
فانه من عوفي من النار ادخل الجنة لا محالة لقوله صلى الله عليه وسلم ليس بعد الدنيا
من دار الا الجنة او النار وافهم ما من عليه في هذه الدار ان يحوفوا من الشيطان

لهم

لانهم اذا عرفوا من الشيطان فقد دخلوا في ضمن قوله تعالى ان عبادي ليسوا
عليهم سلطان فجعلهم من اهل الخصوص وهم ارفع الناس وقد اخبر الصادق
صلى الله عليه وسلم ان الحسنة بعشر امثالها فاذا قالها مائة مرة حوت كانت له بالف
حسنة فبكل مائة التي لم يبلغ اجزا الرحمة المتقدم ذكرها وحمله بالفضل ما تضمنته
تلك الاجزا على ما تقدم البحث وهو النجاة من النار من اذمها ودخول الجنة كما قدمنا وذلك
اعلاما انتهت بالمؤمنين جميع تلك الاجزا التي قسمت عليها الرحمة وعبر عليه السلام
عن ذلك بعتق الرقبه لانه صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه من اعتق رقبة اعنته الله بها من
النار بكل عضو منها عضواً من معتقها وزاده من فضله نحو المائة سيئة وزيادة مائة
حسنة وعصمه يومه ذلك من الشيطان لانه عز وجل يقول وهو اصدق الطالين
ويزيدهم من فضله بعدما اجبر بالتضعيف في الاجور اخبر انه يزيدهم بحسب
فضله والكلمة من فضله من الله علينا به بفضلها واما ما حد المسأ هنا فهو محتمل
انه يريد به اخر وقت المساء وهو مغيب الشمس واحتمل ان يريد به اول وقت المساء
وهو زوال الشمس لان العرب تسمي من زوال الشمس الى غروبها مساً وقد يسمى الكل
بالعصر والبعض بالكل لكن قد جاني حديث اخر ما يدل انه الى اخر المساء وهو
غروب الشمس لانه عليه السلام قال فيه وان قالها في ليلة لم يضره الشيطان حتى يصبح
وبالاجماع من اهل اللغة لا يقال اصبح الا حتى يطلع الفجر فكما يكون في الليل الى اخره
فكذلك يكون في اليوم الى اخره وهو غروب الشمس ويعطى ذلك ايضاً قوة
الكلام لانه جامل طريق المن والافضالك وما هو على محتمل هذا الوجه لا يكون
الا على اكل ما يطلق عليه اللقط ولوجه اخر وهو اذا كان الحد من جنس المحدود
دخل فيما حد كما تقول بعث الثوب من الطرف الى الطرف فالطرفان دخلا في البيع

واما قولنا لم فضل صاحب هذا العمل على اصحاب ما عداه من اعمال البر من
صوم وصلاة وجمع وغير ذلك من افعال البر لانه صلى الله عليه وسلم قد نبي بقوله لم
يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك يعني اكثر من الهامة مرة عددا
ففيه الفضيلة عما سواه اثبت الفضيلة له فالجواب عنه بعد بحثنا هل هذا
الفضل ينفي الفضيلة عما سواه هل هو على العموم يدخل تحته الفرائض والسنن والنوافل
او هو عام بمعنى الخصوص فيكون في النوافل لا غير فاللفظ محتمل لكن قواعد الترتيب
تخصه منها قول صلى الله عليه وسلم كفاية عن مولانا سبحانه لن يتقرب الي
المتقربون باحب من ادنا ما افترضت عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه وقول صلى الله عليه وسلم في الصلاة من جابها لم يضيع من حقها شيئا كان
له عند الله عهدا ان يدخله الجنة وجعلها فرقا بين الكفر والايمان والابى والاحاديث
في ذلك كثيره والاجماع منقاد على ان لا ينفي من افعال البر افضل من الفرائض فتخصي
عموم اللفظ بما ذكرناه وبقي هذا خاص بانه افضل السند ويات والان بقي الجف
في ما العلة في تفضيله على جميع المذوبات من انواع افعال البر فقوله والله للوف
لما كان اعلى الواجبات واكد ما قول لا اله الا الله والاقرار له سبحانه بالوحدانية
ونفي الضد والند والشريك والصاحبه وجميع النقايس ووصفه بجميع اوصاف
الكمال والجلال على ما يليق بجلاله تبارك وتعالى علوا كبيرا واجات جميع المفروضات
كلها تابعة لها بعد ولذ لك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله معناه على الحد الذي طلب منهم فيها كما تقدم وصفه فلما كانت المفروض
لم يات احد بافضل منها كذلك في السند ويات ليات احد بافضل منها لانها
بهذه الصيغة المذكورة في الحديث تضمنت ما شرنا اليه من اوصاف الكمال

بجلا

بجلاله سبحانه وتعالى وتكرار هامة مرة تاكيد على تاكيد وتأكيده
وصف الجلال زيادة جلال وان كان جلاله سبحانه لا نهاية له لكن هذا
بحسب ما نرجه من جهة الخطاب بيننا ولذلك نعبدنا فبان ما قاله الصادق
صلى الله عليه وسلم انه لا يات احد بافضل مما جاء به الا من جاوز زيادة على العدد
المذكور فانه زيادة في التاكيد وما هو زيادة في التاكيد فهو زيادة في الترفع
يكما تقدم واما قولنا من قال بعض العدد هل يكون له نسبة ذلك
من الاجر المذكور فاعلم ان الاجور في الاعمال والعقاب على الذنوب لا يوجد
ذلك بالعقل ولا بالتقدير لانه ليس لعلة عقلية ولا عليه كما قد مضى اول
الكتاب فكما ليس لعلة فلا يدخله تقدير فلا يحكم عليه بالقياس وانما هو
متوقف على الشارع صلى الله عليه وسلم فعند تحديده هو عليه السلام ذلك الوقت
تنظر هل يفهم الحكمة فيه ام لا فان فهمنا ما يدل على شكرنا الله على ذلك
والاقلنا تعبدا لا بعقل له معني وهذا وقت العقول وحارت الازهان
وذلت الرقاب وان كان قد جازي الاحاديث من قالها اقل من هذا العدد فله اجر اقل
من هذا فبها قوله صلى الله عليه وسلم من قالها مرة واحدة كان له اجر عتق رقبة وكتبت
له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وكانت له حرزا من الشيطان حتى يمسي
فصح باختلاف هذه الاحاديث التي ذكرنا ان ذلك لا يوجد بالتقدير ولا بالعقل
لانه قد جعل في الواحدة عتق رقبة واحدة وفي الهامة عتق عشر رقاب فلان نسبة
لها من جهة العقل ولا من جهة القياس بل هو فضل عز وجل يؤتيه من يشاء كيف يشاء
جل جلاله وفيه دليل على تفضيل اهل الصوفة بوحدة ذلك من جعل هذا الاجر
العظيم لمن قال هذا القول مائة مرة فكيف بمن هو يومه كله هكذا لا يفتر الا عند

أولى فرضه أو ضرورة البشرية فان طريقهم مبني على دوام الذكر والضور فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهم في ذلك مستبصرون لسيدنا صلى الله عليه وسلم لانه جآفي وصف حاله عليه السلام انه كان طويل الصمت كثير الذكر قليل اللفظ وعلى هذا بنوا فهم طريقهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ما عمل آدمي من عمل ابغى له من عذاب الله من ذكر الله وهذا الذكر الذي يبلغ به العبد هذا الحال انما هو مع آداء الفرض لان ما نحن بسبيله هو كله من باب المندوب وجميع المندوب كل لا يقوم بفريضة واحدة فكيف بها متعددة ولذلك لم يأخذ القوم في مثل هذه المندوبات حتى أحلوا فروضهم التي هي الاصل في الدين وجنيد اخذوا فيما ذكرنا وعاد بعض الناس لسمعهم مثل هذا الحديث وشبهه أكثر وأمن المندوبات وضيعوا كثير من الواجبات كما قال صاحب الانوار رددوا الاصول فروعا والفروع اصولا معناه انهم حافظوا على المندوبات كما حافظ اهل التوفيق على الواجبات وزهدوا في الواجبات وتعلقوا في ذلك برجا فضل الله وقد قال جل جلاله ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك برحون رحمة الله وقال عز وجل نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فتسأله جل جلاله التوفيق الي آداء الفريضة والاجتهاد في اعمال ما تدبنا اليه وقبول ذلك والسعادة به بمنه لا رب سواه قوله اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اقول والله لا صوم من النهار الحديث ظاهر الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بان افضل صوم التطوع ان يصام يوما ويفطر يوما وقد اخبر في حديث اخر انه كان صوم داود عليه السلام والكلام عليه من وجوه منها انه لا يجوز الحكم الاعمال الامر الذي لا يحتمل التأويل يوحى ذلك من انه لما اخبر

عبد

عليه السلام بما قاله عبد الله انه يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش لم يضره عليه السلام بعد م طاقته على ذلك ولا بما هو الافضل في الصوم الا حتى استفسره بان قال له انت الذي تقول والله لا صوم من النهار ولا قوم من الليل ما عشت فلما اعترف له عبد الله بذلك حينئذ اخبره بما هو الافضل وفيه دليل على ان من السنة جواز ايصال اخبار الرعية الي راعيها يوحى ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم اخبر بمقالة عبد الله فلو لا ما ذلك عندهم معلوم ما قيل له صلى الله عليه وسلم ذلك ويترتب عليه من الفقه ان يستعمل ذلك في كل من له رعاية على احد صغيرا كان او كبيرا وفيه دليل على جواز اليمين على ما يريد المرء ان يفعل من المندوبات يوحى ذلك من قول عبد الله والله لا صوم من النهار فلما بلغ ذلك سيدنا صلى الله عليه وسلم لم يعنفه على ذلك وسكت عن كونه خلف وسكت عليه السلام وعدم تعنيفه دال على جوازه وفيه دليل على جواز التذكير بين الاخوان بانواع العبادات وان يبدي الشخص لهم ما وقع عنده على فعله من اي انواع العبادات شا يوحى ذلك من ذكر عبد الله ذلك حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبره ولم يقل له في ذلك شيئا فدل على جوازه وفيه من الفائدة ان ذكر ما عزم المرء عليه من افعال البر بين اخوانه هو من باب التذكير بالخير والتعاون عليه لان عند ذكره العزم على ذلك قد تنبعت نفوس الغير الي مثل ذلك او الي ما ينزب منه فيكون يدخل تحت قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الا انه بشرط ان يكون الاخوان يعلم منهم ذلك لان الصحابة رضي الله عنهم ذلك كان شأنهم اجمعين وفيه دليل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وعدم تعلقهم في الكلام وقصدهم الفائدة لا غير يوحى ذلك من انه لما سأل سيدنا صلى الله عليه وسلم عبد الله بان قال له انت الذي تقول لم يردده في الجواب على ان قال

له قد قلته بلا زيادة من اعتذار ولا تعلق وقوله صلى الله عليه وسلم انما لا يستطيع ذلك صانحت هل هذا خاص بعبد الله لما يعلم صلى الله عليه وسلم من حاله او هذا لجنس البشر به احتمال الوجهين معا والاعظم والله اعلم انه لجنس البشر لقوله عليه السلام في حديث غيره ان المنبت لا يقطع ولا ظهر ابني ولقوله عليه السلام عن معاذ بن جبل لصاحبه هو افقه منك وقد تقدم ذكره وغير ما موضع من الكتاب وفيه دليل على الامر بما فيه راحة القوس اذا كان عونا على الطاعة يوحى ذلك من قوله عليه السلام افطروم فابها عون على القيام وعلى الصيام وفيه دليل على ان صوم يوم تطوعا بعشرة ايام يوحى ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم صم من الشهر ثلاثة ايام فان الحسنه بعشر امثالها وذلك مثل صيام الدهر وفيه دليل على ضرب المثل بهمكن لا يقع ليعلم بذلك المثل فايدة ما ياخذ ذلك من قوله عليه السلام وذلك مثل صيام الدهر ومن المعلوم قطعا ان من الدهر ما لا يجوز صومه مثل ايام الاعياد وايام التشرىق ومنه ما لا يصام تطوعا اصلا وهو رمضان وما يتربى من طريق النذر والكفارات الواجبات شرعا هي مثل الفرض لا يمكن صومها تطوعا اصلا وقد اطلق عليه السلام على جميع الدهر في المثال فيكون التقدير فيه ان تأنا صومه او ما عدى ما فرض صومه فلا بد فيه من ضمير محض صومه وفيه دليل على ان السنة في الراعي ان يجعل رعيته على الارفق في الامور يوحى ذلك من ان سيدنا صلى الله عليه وسلم لم يامر به او لا بالاقل من الصوم لان الذي امر به هو الارفق ويقدر عليه القوي والضعيف وفيه دليل جواز مراجعة المسترعي راعيه بطلب الزيادة في المجاهدة واذا علم من نفسه ان فيه اهلية لذلك يوحى ذلك من قول عبد الله اني اطيع افضل من ذلك الا انه يجب ان يكون بادب كما فعل هذا السيد لانه لم يرد ان يخبر عن نفسه انه يطيق

افضل

افضل من ذلك ولم يقل اني افعل اكثر مما قلت وانما اخبر بما يطيقه وفيه يظهر بما اذا يومر ويترتب عليه من الفقه ان يكون ذلك في ما يبر الامور بخبر راعيه بما هو الاصل له بحسب حاله حتى يري بما اذا يامر راعيه وفيه دليل على ان الدين مطلوب بفرضه ويندبه يوحى ذلك من ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر عبد الله بالصوم من كل شهر ثلاثة اشهر ودرجه الى الشطر فكيف بذلك دليل على طلبه وفيه دليل على المنع من الثغالي في الدين يوحى ذلك من منعه صلى الله عليه وسلم ما زاد على الافضل وهو صوم شطر الدهر بقوله لا افضل من ذلك فاجاز له ما كان اقل من الشطر لكونه ادعى الاهلية في ذلك ولما بلغ الافضل وادعى ان فيه الاهلية للزيادة على ذلك منعه بقوله لا افضل من ذلك لان معناه الردع فان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا اذا سمعوا منه صلى الله عليه وسلم لا افضل يزيدون على ذلك شيئا فانما كان قصدهم الافضل في الاعمال فقام قوله عليه السلام لا افضل مقام المنع من ذلك وفيه دليل على انه اذا تعدت القاعدة الشرعية علمت الاحتياج الى تكرارها يوحى ذلك من انما اجر النبي صلى الله عليه وسلم بحلف عبد الله انه يقوم الليل ويصوم النهار اخره صلى الله عليه وسلم بفعل الافضل وهو صم ما حلف عليه ولم يقل له كفره عن كمينك لان هذه القاعدة عندهم قد ثبتت فلم يجز يذكروه ذلك وفيه دليل على ان الفضيلة في الاعمال بحسب ما جعله الشرع لا بحسب العقل يوحى ذلك من قول عبد الله لما قال له صلى الله عليه وسلم صم يوما واو اطر يوما قال له اني اطيع افضل من ذلك لما تقدم له ان الزيادة على الثلاثة افضل فراهي ان الزيادة على الشطر افضل فاخبر الشارع عليه السلام بان تلك الزيادة تقص لا زيادة فيها بقوله عليه السلام لا افضل من ذلك فذهب هنا ما قام به عبد الله وفيه دليل على ان اعظم الاجر في العبادات

ليس هو بكثرة التعب بل هو بما تسانده الارادة الربانية يوخذ ذلك من كون عبد الله
ظن ان زيادة المجاهدة وهي زيادة الصوم على شطر الزمان افضل فمضغ ذلك
صلى الله عليه ولم بقوله لا افضل من ذلك وفيه دليل ان الحكم لا يستصحب الحال
حتى يردنا من الشرع يوخذ ذلك من ان عبد الله راي الزيادة على الثلاثة افضل
استصحب ذلك الحكم حتى جاوز شطر الزمان فمضغ الشارع عليه السلام ذلك ونسج
بقوله لا افضل من ذلك وفيه دليل لمن يقول ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد
عليه نسخ يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم وذلك صيام داود عليه السلام وفيه دليل
على فضل السنة وانسائها حتى يدخل فيه القوي والضعيف يوخذ ذلك من تدريج
سيدنا صلى الله عليه وسلم صوم التطوع من العشر في الزمان الذي هو ثلاثة ايام
في الشهر الى النصف منه وهو صوم يوم وافطار يوم وما بين هذين الحديثين
بوسعة كبرى يسع فيها جميع الناس على اختلاف احوالهم وفيه دليل على التسوية
بين ايام الشهر بلا فضيلة بينها يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ثلاثة ايام في كل
شهر بغير تعيين وجعل الاجر فيها سوا وفيه دليل على ان تفريقا اعني ايام
الصوم من كل شهر او تتابعها في الاجر سوا يوخذ ذلك من قوله ثلاثة ايام من كل
شهر ولم يذكر فيها تتابع ولا تفريقا فدل ان الامر في ذلك سيات قول
صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله تعالى صيام داود عليه السلام
الحديث ظاهر الحديث يدل على حكيم احدهما الاخبار بان احب الصيام الى الله صيام
داود عليه السلام والاخر الاخبار بان احب الصلاة الى الله صلاة داود ايضا وتبين
صفتها والكلام عليه من وجوه منها ما معنى قوله احب وما معنى الحكمة في ذلك
حتى ان هذه الصفة احب ومنها تعارض فعله صلى الله عليه وسلم في صومه صلى الله

عليه وسلم غير هذه الصفة لانه صح عنه انه كان يصوم حتى يقال انه لا يفطر
ويفطر حتى يقال انه لا يصوم وما استكمل شهرا فقط الا رمضان وتداجماه
عليه السلام انه من ادام الصوم ضيقت عليه النار وكيف الجمع بين هذه الاحاديث
وهل يكون ذلك تعارض ام لا فاما قولنا ما معنى قوله عليه السلام احب الصيام
الى الله فقد تقدم الكلام على هذه اللفظة في غير ما حديث وهي كناية عن فضيلة
العمل وكثرة الثواب عليه فان الحب الذي هو الولوع بالشي في حق الله سبحانه
مستحيل فان هذا من صفات المحرمات والحق سبحانه عنها منزله وانما يعنى
بالحب ما يصدر عن الكرام اذا احبوا الشيء واجتهدوا من كثرة احسانهم وافضالهم
على فاعله فمن هنا يكون يكون السببه لا غير وفيه تحقيق لما قدمناه في الحديث
قبل من ان الاجور على الاعمال ليست موقوفة على كثرة التعب والمشاق وانما هي
بحسب ما تفضل به المولى سبحانه واما ما فهم ما معنى الحكمة في تفضل هذه
على غيرها وان كثرت التعب فقد نص الكتاب على معنى العلة في ذلك وهو قوله
عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدنهم سبلنا فيهم هاتين الايتين علمنا ما الحكمة في ذلك وهي ان
الحكمة الربانية قد احكمت انه لا بد لكل دعوي من حقيقة بينها فلو كان الدين
والقرين من الله سبحانه بجزد الدعوي ادعوه الناس كلهم فلما جعلت المجاهدات
في العبادات جاءت مبينة لحقيقة تلك الدعوى فمن جاهد وصبر كان ذلك تحقفا
لما ادعاه وحصل له الفوز العظيم والاجر الكبير يدل على ذلك قوله تعالى التمر
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فاقصت صفة الرحمة
المرقى بفصله بعبيده بقوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم فما كان من المجاهدات

عليه

فوق ما يطيقه وضع خلق البشريه منعه عز وجل بعدم الثواب الجزيل عليه
وجعل المجاهدة التي تحملها البشرية بوضع خلقها ولا كبير مستقة عليها
افضلها لانه عز وجل غني عنهم فيما تعبد بهم به فيما كلفهم به لا يقدر ما تفهم
لهم الدعوي بالانقياد لما امروا به ولذلك قال تعالى وانها لكبره الاعمل
الخاصعين وقد قال جل جلاله لا يكلف الله نفسا الا وسعها رحمة منه عز وجل
بعباده الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وما كيف للجمع بين تلك الاحاديث
وهل هو تعارض من ام لا اما الذي جاءه صلى الله عليه وسلم انه كان يصوم حتى يقال
انه لا يفطر ويفطر حتى يقال انه لا يصوم فطامه التعارض واذا حقت النظر
فيه فليس تعارض بل فعلة عليه السلام اشارة الى التوسعة وابقا الفضيلة علي
الحمد الذي اخبر عن صوم داود عليه السلام ويكون معنى صومه عليه السلام انه كان
يصوم حتى يقال انه لا يفطر ويفطر حتى يقال انه لا يصوم فاوصل الصوم بعضه ببعض
واوصل الاكل بعضه ببعض ويكون بحفظ عدد الايام في الصوم والاكل اذ يكون
سوا بسوا ولذلك نعتت عابثة رضي الله عنها الاكل والصوم بنعت واحد وهو
قولها حتى نقول انه لا يصوم وحتى نقول انه لا يفطر فيكون صومه عليه السلام يشطر
الدهر واكله شطر الدهر فكان عليه السلام براءعي في ذلك فقه الحال الي ايها وجد النشاط
اوراه ان حج فعلة على السلام مع فعل داود عليه السلام سوا في مشاطرة
الدهر في الصوم وزاد هو صلى الله عليه وسلم فوايد منها التوسعة على الله لان كثير من
الناس لا يمكن لهم صوم يوم وفطر اخر فمنهم من عدم القدرة ومنهم من ضرورته
لا يتأتى معها ذلك فان الضرورات كثيرة واحوال الناس مختلفة فكان يقوت لبعض
الناس الذين لهم هبة الدين تلك الفضيلة ومنها اغتنام نسط النفس في العمل وهو

فقد

فقه الحال لانه اذا راي الشخص من نفسه نسطا في العبادة يحتاج الى ان يعينه
او خلوا من شغل فيغتنمه ايضا او عونا ما على تلك العبادة من وجه مكا
فيغتنمه ايضا او صحة في البدن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اغتتم حسنا قبل
خمس فرائعك قبل شغلك وصحة قبل سقمك وحياتك قبل موتك وشبابك
قبل هرمك وجدتك قبل فقرك ومنها ان يلجئ في ذلك اصحاب الاعذار
بغيرهم حتى لا تفوتهم تلك الفضيلة مثال ذلك الحايض لو كان هو صلى الله عليه وسلم
يصوم مثل داود عليه السلام ما قدرت حايض من لها همة في الدين تبلغ ذلك ابدا
وعلى ما اسرنا اليه من فعله صلى الله عليه وسلم تقدر على ذلك فان ايام حيفها شطر
الدهر خمسة عشر يوما في الشهر فتكون تصوم ايام طهرها وهو نصف الدهر
وتفطر ايام حيفها وهو شطر الدهر ايضا وفيه فوايد اكثر من هذا لمن تأمله لانه
عليه السلام جا بالنيسر في الامور كلها فالحديثان مقترقان في الظاهر
بمجتبهان في المعنى فلا تعارض بينهما واما قوله عليه السلام من ادام الصوم
ضيق عليه النار احتمل ان يكون معناه من ادامه على الوجه الافضل حتى توفي في ذلك
فيكون معناه المحافظة على دوام تلك العبادة حتى يموت وهو على ذلك الحال فذلك
الشخص الذي تضيق عليه النار الى انه لا يدخلها واحتمل ان يكون من ادام الصوم على
ظاهرة ويكون ثوابه ان تضيق عليه النار ولا يلزم من كونه تضيق عليه النار
ان يكون هو افضل من الذي يصوم يوما ويفطر يوما بل يكون الذي يصوم يوما ويفطر
يوما ارفع منه واعظم اجرا لانه قد وصفه بصفة لم يصف بها هذا وهو قوله
احب بصيغته لفظ الباطنة ويكون مثل هذا كما قال عليه السلام يدخلون الجنة
من امي سبعون حجرا الفبا بغير حساب وهم الذين لا يتطيبون ولا يسترفون

وعلى رءسهم ينوكلون وهذا هو ثوابهم وقد يكون من يستتر في ويتطرب منزلة
اعلى منهم مثل الشهداء قد جا انهم يشفقون وكذلك جاني العاقلين انهم
يشفقون ومن منزلة ان يشفع في غيره اعلى ولا بد من يدخل الجنة بغير حساب
فان خيرهم مقصور على نفسه والآخر خيرهم متعد فذلك على منزلة وقد
جا ان من هذه الامة من يشفع في مثل ربيعة ومصر وهذا ولا بد اعلى الناس درجة
بعد الانبياء عليهم السلام وهي الحقيقة فلا تعارض ايضا وانما ذكرنا هذين
الحدِيثين لانه وقع لجملة من اهل العلم او من ينسب اليه اشكال فاردنا
ازالة ذلك وفيما بيناه كفاية في ازالته بفضل الله وفيه دليل على حسن
الدعوة الي الخير بوحدة ذلك من اخباره صلى الله عليه وسلم خبير الوجه في الصوم
وفي الصلاة بالليل ولم يقل لهم بعزيمة افعلوا كذا ساقه في طريق الاخبار
عن من تقدم من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فجا ان شأده عليه السلام
في هذا الحديث فذكر احوال من تقدم من الانبياء عليهم السلام مثل القصص في القرآن
وقد قال علماءنا فيها ان كانت القصة تدل على عمل خير فقد طلب منك
بالضمين وان كانت تدل على ترك فعل شر فقد طلب منك تركه بالضمين ايضا ولذلك
قالت عائشة رضي الله عنها في صفته عليه السلام كان خلقه القرآن اي انه كان يعيش
في جميع شأنه كله على ما دل عليه القرآن وعلى أسلوبه وفيه دليل على ان كل ما تقدم
من الشرايع الصوم والصلاة مشروعا في نفسه وفيه دليل على ان النبي من تقدم من
الانبياء عليهم السلام بوحدة ذلك من قوله عليه السلام واحب الصلاة الي الله وبين انها
الصفة التي كان يفعلها داود عليه السلام وكذلك الصوم ويقصده قوله تعالى
حين ذكر جمعا من الانبياء ثم قال فبهذا هم اقصد اي طريقهم اتبع وهذا

مخبر

بحث لمرات هذه الصلاة التوضيها ان ينام نصف الليل ثم يقوم ثلثه
ثم ينام سديسه هي افضل من غيرها فنقول والله الموفق لما كان المطلوب
من العبادة الحضور فيها ومن المستحب فيها الاشتغال بها عند غفلة الناس وفي
الارضية التي اتخذها الناس للإحاطة فالباقي كان قيامه بعد نصف الليل الاول
فذلك الوقت اشده ما يكون الناس فيه من الغفلة والنوم غالبا فكان التلبس
بالعبادة في ذلك الوقت مما يستحب لانه ايضا الوقت الذي يتجلى الحق فيه بفضل
ويقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاعف له هل من تائب فأتوب
عليه لان العلماء قد اختلفوا متى يكون ذلك هل هو الثلث الوسط من الليل او في
الثلث الاخر منه فانه ان القيام بعد نصف الليل الاول فقد اخذ من ثلث الليل
المتوسط نصف واحد من الثلث الاخر نصفه فحصل له الفضل في الزمان بلا
حلاق فكانت صلاته احب ويترتب على هذا من الفقه انه اذا كان عمل الشخص
بلاخلاف بين العلماء فلا خلاف انه افضل من غيره الذي فيه الخلاف ونومه
السدس الاخر لانه يزول عنه تعب العبادة ويخف النفس وينشط لصلاة الصبح
فان الحضور في الصلاة لا يكون غالبا الامع نشط النفس وعدم تعبها ولذلك
كان سيدنا صلوات الله عليه وسلم يقول في اذان بلال وكان اذانه قبل الفجر بمقدار
سدس الليل ان اذان بلال يوقظ التائم وينوم القايم لان من كان في نفسه
مثل داود عليه السلام فذلك وقت نومه ومن غلبه النوم او كان له عذر او عجز
فلم يبق له لنا خير التهجيد وقت فذلك وقت قيامه لورده والافاته فضل
قيام الليل وقد قال وردك فحافظ عليه ولا تكسل وفضل قيام الليل
فلا تجهل ونما استغفارا سبحاره فاعسل وسمخ ذنوب قد انفلت محمل وناد

بالهادي من يثرب وقل فليس المصطفى سواك مفضل قوله قلت يا رسول
الله اي مسجد وضع او لا للحديث ظاهر الحديث الاخبار الثلاثة احكام الواحد
منها الاخبار بان المسجد الحرام اول مسجد وضع للصلاة والثاني الاخبار بان المسجد
الاقصى وضع بعده وبينهما اربعون والثالث الاخبار بجعل الارض لنا مسجدا
وطهورا وحيثما ادركتنا الصلاة نصلي والكلام عليه من وجوه منها الدليل
على فضل سيدنا صلى الله عليه وسلم واسمه على من تقدم يوخذ ذلك من تفسير العبادة
عليهم بان جعل لهم الارض مسجدا وطهورا ولم يكن من تقدم ومنها ما معنى مسجد
وما معنى طهورا فقد جاء في حديث اخر منصوصا عليه وهو قوله عليه السلام وتراها
طهورا وهو الذي من به علينا من ابدال الوضوء بالتميم بجميع انواع الارض عند عدم
الماء والعجز عن استعماله واما ما معنى مسجد اي موضع ايقام الصلاة لان كل
موضع يصل فيه فهو مسجد اي موضع للسجود وكانت الامم قبل لا يفعلون ايقاع
الصلاة الا في المواضع التي بنيت لها وفيه دليل على ان تخصيص الاشياء
ليست بالاستحقاق وانما هي بحسب ما نشأت حكمة الحكيم يوخذ ذلك من ان
الصلاة قبل هذه الامة لم يكونوا يوقعونها الا في مواضع مخصوصه وجعلت
جميع الارض لهذه الامة محلا لفعالها فيه وفيه دليل على ان حسن النية في السؤال
يعقب زيادة خير على ما قصده يوخذ ذلك من كون هذا الصحابي رضي الله عنه
لماسال سيدنا صلى الله عليه وسلم ان يخبره عن اول مسجد وضع او لا فلما يعلم من حسن
مقاصد الصحابة رضي الله عنهم وتعظيمهم لشعائر الله فانه لم يكن سوالهم عن ذلك
الا ليحترمه اكثر من غيره فجابوه سيدنا صلى الله عليه وسلم بما سال وزاده
بان اخبره بهذا الخبر العظيم وهو جعل الارض لنا مسجدا وطهورا وفيه دليل

ظ

على ان يجابوبها اكثر مما سئل عنه يوخذ ذلك من كون السائل يسأل عن اي المسجد
وضع او لا فجابوه صلى الله عليه وسلم على ذلك وزاده الاخبار بجعل الارض مسجدا وطهورا
وفيه دليل على ان من فصيح الكلام الاختصار في الالفاظ بشرط ان لا يخل بالمعنى
يوخذ ذلك من قوله عليه السلام حيث ما ادركتكم الصلاة فصلوا والمقصود حيث ما
ادركتكم وقت الصلاة فان الصلاة فعل للمصلي فكيف يدركه فعله هذا مستحيل
فلما لم يكن هذا الامر يمكن فيه الياس اختصره ولعله ايضا بان الخطاب فهم عنه
وان كان يزيد به بيانا وفيه دليل على المحافظة على اوقات الصلوات يوخذ ذلك من
قوله عليه السلام ثم حيث ما ادركتكم الصلاة فصلوا اي لا تؤخرها فيدل هذا
بضمه على المحافظة على الصلاة ويدل ايضا على التخصيص على المعرفة باوقات الصلوات
لان من اللازم ان لا يعلم وقتها الا حيث يكون له بذلك علم وفيه دليل على ما خصه الله
تعالى به من الصراحة يوخذ ذلك من كون لقطة منه عليه السلام تحتوي على احكام عديدة
مثل ما نحن بسبيله من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهدي
الا ثلاثة الحديث ظاهر الحديث الاخبار بظلم اوليك الثلاثة في المهدي فمن تقدم
من الامم والكلام عليه من وجوه منها ان فيه دليل على ان افضل العبادات بر
الوالدين يوخذ ذلك من كون جزيج ما شغله عن اجابة امه الاشغله بالعبادة
ومع ذلك عوقب بذلك الهوان وفيه دليل على اجابة دعا الوالدين يوخذ ذلك
من ابتلايه بما دعيت عليه امه لما لم يجب دعاها وفيه دليل على ان صاحب النعمة
ان زلت قدمه يرفق به ولا يكون عقابه مثل غيره يوخذ ذلك من كون ام جزيج
لم يتطلق على لسانها في الدعا بالعقاب الابروية وجوه المومسات ولو لا
اللفظ به لنطق في الدعا بوقوع الفاحشه او سلب الايمان او الضرب او القتل

ط 2

وفيه دليل على ان صاحب الصدق في معاملته مع الله ان ابتلي بيلطف به ويحمل عاقبته
خيبراً يوحى ذلك من كون المولود نطق ببرائه وفيه دليل على اجابة مولانا سبحانه
المضطر اذا دعاه يوحى ذلك من انه لما اضطر جرح اليه عز وجل في تبريته مارجي
فانطق الله عز وجل له المولود بما يدل على ذلك وفيه دليل ان صاحب الصدق مع الله
لا تنزه الفتن وان جرت عليه لا تزبد الا ترقيعاً وخيراً يوحى ذلك من انه لما تعرضت
تلك المرأة الى جرح والنساء الكبر الفتن على الرجال وقد قال صلى الله عليه وسلم ما تركت
بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء عظم منها ثم ادعت عليه حتى هدمت صورته
لم يضره ذلك وجعل الله له خيراً مخرج حتى رغبوا ان يبنوا صورته من ذهب وما
ذاك الا لما كبر قدره عندهم وفيه دليل على ان النساء في بني اسرائيل كن يصدقن
فيما يدعيهن على الرجال من الوطى ويلحق به الولد بغير بينة ولو لا ذلك ما كان يحتاج
الى تبريته بكلام الطفل فانه لو كان في شربعتنا حدثت له ثمانين حد الفرية
ولم تصدق عليه وقد جاء عن بني اسرائيل ان ذلك كان شأنهم حتى ان الباغية منهم
اذا حملت ادعت به على من شئت من تعرف ويلحق به الولد ونقول له يا فلان كان
بيني وبينك كذا وكذا في اليوم الفلاني ومنك هذا المولود فيقبل قولها ويلحقه
بنفسه وفيه دليل على ان صاحب الصدق مع مولاه عند الضرورة يطلب النصح
من مولاه بخرق العادة بصدق وادلال على فضله عز وجل وان الله سبحانه يفعل
معك ذلك يوحى ذلك من ان جرح بعد الركعتين للصبي يساله من ابوه فانطق
الله له المولود لكونه قصده موقفاً بقوة الرجاء في فضله عز وجل وقد اوحى الله
تعالى في الزبور لداود عليه السلام قل لبني اسرائيل من ذا الذي سألني فلم اعطه
وفيه دليل على ان صاحب الصدق مع الله تعالى عند النوازل لا يجزع ولا يفزع بل

يقوى

يقوى يقينه ببقته بمولاه يوحى ذلك من كون جرح لما فعل به ما فعل لم يهول
قولهم ولا يعلم وقرع باب مولاه وهو جرح فيونك فخر قوة رجاءه في كشف ما
به ابتلاه فاصبر له بلطفه بنطق الطفل بكشف عمته انا عند ظن عبدي بي فليظن
بي خيراً ولذلك قال موي عليه السلام حين قال له قومه انا لمدركون قال
كلا ان موي زني سيهد من قوة رجاءه في مولاه ففلق له من حينه البحر تصديقاً
لردعواه لانه جل ثناؤه وتقدست اسماؤه يقول ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي كافيه ومن اصدق من الله حديثاً وفيه دليل على ان حقيقة النصر في جميع الامور
انما هي بفضل الله لا تتوقف على سبب حكمة ولا غير ما فتارة تكون مغطاة باثر الحكمة
وتارة تكون بيد القدرة بارزة لا مغطاة بحكمة كمثل ما نحن بسبيله في قصة عيسى
عليه السلام ومن ذكر معه في الحديث فجا النصر لام عيسى عليه السلام ولجرح بابراز
قدرة القادر لا غير وفيه دليل على ان خرق العادة تكون للانبياء عليهم السلام
ولغيرهم وقد تقدم الكلام على الفرق بينهم في ذلك يوحى ذلك مما جرى لعيسى عليه
السلام من خرق العادة وهو من الانبياء والرسل وخرق العادة التي جرت لجرح
وجرت للمرأة التي ليست من الانبياء ولا من العباد صفة واحدة وفيه دليل
على ان من ادب السنة الكريمة عن الامور المتفاحشة يوحى ذلك من قوله صلى الله
عليه وسلم اتته امرأة فكلمته فابي والمعنى طلبت منه ايقاع الفاحشة فكفى
صلى الله عليه وسلم عن ذلك بكلمته وفيه دليل على ان من ادب السنة اطهار اهل الخير
وان كانوا قد ماتوا والستر على اهل المخالفات يوحى ذلك من كونه صلى الله
عليه وسلم سمي العابد باسمه لنتنهم فضيلته ولم يذكر اسم المرأة سترها
عليه السلام صلى الله عليه وسلم بصدق مقالته لان من مقالته عليه السلام المر من حجب

لاخيه المؤمن ما يجب لنفسه وكل منا يريد ان تستر عليه زلاته ويجب ان يكون
قدوة لاهل الخير وقد نصر الكتاب على ذلك بقوله عز وجل واجعلوا الصالحين اماما
ولا يكون اماما بقرته في الخير حتى يكون مشهورا به فكذا فعل صلى الله عليه وسلم
اشهر صاحب الخير وستره على صاحب الشر وكذا في قوله راعيا ولم يسمه باسمه من
اجل الستر عليه ويترتب على ذلك من الفقه انه اذا علمت من احد فعل شر ان تخبر
عن ذلك الفعل ولا تسمي صاحبه وان ذلك ليس بجيبه وقد ذكر ذلك بعض العلماء الا ان
يكون صاحب بدعة فيتعين عليك شهرته لان ذلك من باب النصح للمسلمين وفيه
دليل على ان صاحب المعاصي لا حرته له بوخذ ذلك من انه لما نسبت المرأة الفاحشة
الى جرت لم يتولى عندهم حرمة وهد مواصوم عنه وسبوه وفيه دليل على ان المؤمن
عند المحن الصلاة جنته بوخذ ذلك من انه لما فعلوا به ما فعلوا لم يجابوهم وتوصوا
واقبل يصلي فالهم لطريق الخلاص وقد قيل ان الصلاة كهف المؤمن وفيه دليل
على ان ابنا الدنيا وقوفهم مع الخيال الظاهر وان اصحاب الاطلاع وقوفهم مع
تحقيق الباطن بوخذ ذلك من ان ام الصبي التي كانت ترضعه لما رأت صاحب
الشارة تحت ابنتها ان يكون مثله ولما من على الطفل بعرقه الباطن استعاد
منه كما اخبر سبحانه عن قارون لما خرج في زينته قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن
امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وفيه دليل على ان نفوس اهل الدنيا
تعاقب سوء الحال فيها وان اهل الاطلاع والتحقيق يبالوا بذلك اذا كانت السيرة
حسنة بوخذ ذلك من كون ام الولود لها رات سو حال الامة استعادت بالله
من ان يكون لولدها مثل حالها ولما اعطى الصبي الاطلاع على حسن حال

تخفى

تخفى ان يكون مثلها وكذا قصة يوسف عليه السلام مع اخيه لما اجتمع معه فقال
له اجلس معك ولا افذر ان افارقك فقال له لا يمكن ذلك حتى نصبر بان نقر على نفسك
في الظاهر باسم السرقة فهان عليه فيج ما نسب اليه في الظاهر بحسن ما امله في الباطن
فجعل الصانع في حمله وكان من شأنهم ما قصه الله عز وجل في التنزيل وقد قيل
وحبك خلعت عذاري فلا اله الا ما ارتكبت فيه من الاخطار وفيه دليل على ان
البرية طبعت على اتيار الاولاد بالخير على نفوسها بوخذ ذلك من ان المرأة ما طلبت
الخير الا لابنتها ولا طلبت دفع الشر لاصدقها ولم تبال بنفسها وفيه دليل على ان من
السنة التشبه باهل الخير بوخذ ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم لما اخبر عن جوع
المولود يرضع تدي امه اخذ صلى الله عليه وسلم يرضعها تشبها به لانه من اهل الخير
بدليل ان الله عز وجل قد اطعمه مع صغرسنه على حقيقة غيب ذنوبك الشخصين
وانطقه به واخار لنفسه ما هو الاقرب الى الله تعالى فتشبهه هو صلى الله عليه وسلم
بذلك الطفل لكون حالته تدل على انه من اهل الخير ارشادا لنا على ذلك وقد قيل ان
التشبه بالكرام فلاح وفيه دليل على فضل اهل الصوفية بوخذ ذلك من كونهم
اثر واجاب الحق ولم يبالوا بطوام الامور وما ذاقوا في ذات الله وهم مسرورون
بذلك كما اخبر مولانا سبحانه عن امرأة فرعون وقد قال طريق الخير فانك
وتشبه باهلها ولا تغدر عن ذلك فتفلك طريق خير كله والتشبه بالكرام فلاح كله
قول صلى الله عليه وسلم ان رجلا حضره الموت فلما يس من الحياة الحديث
ظالم الحديث يدل على ان الخشية من موجبات المغفرة والكلام عليه من وجوه منها ان
كيف فعل هذا بنفسه ما فعل ويظن ان ذلك منح له من الله عز وجل فان كان هذا
الشخص غير مؤمن فليس تتناوله الرحمة وقد نالها وان كان مؤمنا فكيف يجتمع

265

هذا الذي فعل مع الايمان وقد جاء في رواية اخرى لئن قدر الله علي فليعدني عذاباً شديداً
فلجواب عن ذلك اما ان يكون غير مومن فليس لان الحديث يدل على ايمانه لان
قد اتفق بالحساب وان السيئات يعاقب عليها وهذا علامة الوهن واما كونه فعلا ذلك
بنفسه فاعله كان في شريعتهم جائزاً ومثله لمن اراد التوبة مثل ما فعل بنو اسرائيل
الذين لم تقبل توبتهم حتى قتلوا انفسهم واحتمل ان يكون ذلك جهلا منه ببعض الصفات
وقد قال بعض العلماء ان الجهل ببعض الصفات لا يخرج صاحب ذلك من الايمان
وقد يكون ذلك عن حال خوف غلب عليه حتى اخرج عن حال التمييز وهو اظلم حاله والله
اعلم لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سماه سيدنا صلى الله عليه وسلم الفاروق الذي
فرق الله به بين الحق والباطل من اجل ان يوم اسلمه اظلم الله الاسلام وعبد الله
جهواً كان اذا ورد عليه الخوف ياتي باب حديقة في جوف الليل ويقول ناسدتك
الله انا من عند نبي النبي صلى الله عليه وسلم في المناقضة فيقول حديقة والله ما انت منهم
فيقول له انك عندي لصادق ولكن عملي يشبه عملهم فيرجع الي بيته فيبكي على نفسه
حتى يصبح وربما التزم من ذلك الفراش حتى يعود اصحابه وهو من شهد له
سيدنا صلى الله عليه وسلم بالجنة لكن عند الخوف وقوته كان لا يلتزم بشي من ذلك
وخاف على نفسه اشد الاشياء وهو النفاق واهم الحديث يصدق ذلك لكونه حين
سأله جل جلاله لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب فصدق الله مقالته وغفر له
وفيه دليل لاهل الاحوال الذين يقولون الحال حامل لا محمول لان صاحبه لا يبقى
له معد اختيار ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو وزن رجال المومن وخوفه لاستويا
فمن اجد وجوهه ان بايها انصف المومن بلغ مثل ما بلغ به صاحب القسم
الاخر وقد قيل لبعض الفقهاء في بعض احواله ان جيتنا بالخوف امناك وان جيتنا

بالرجا

بالرجا بلغناك وفيه دليل على عظم قدرة الله تعالى بوحد ذلك الامر واظن انه
قد جاء من طريق اخر ان جمعه كان في مثل الخ الطرف فسبحان من لا تعجز قدرته
عن شي اراده وفيه دليل على جواز تسمية النبي باقرب منه بوحد ذلك من قوله
حضره الموت ولم يعنى بذلك الاقرب ذلك بالعلامات الدالة عليه لان عند حضوره
الذي هو وقوعه لا يمكن ذلك الوقت وصية ولا غير ذلك وقوله يوم ارحا
اي كثير الزبح وقوله في اليم اي في البحر وقد جاء من طريق اخر نصفه في البحر
ونصفه في البر وفيه دليل على فضل هذه الامة بوحد ذلك من كونها اطلقت على
على اخبار من قبلها مثل هذا وامثاله ولم يطلع احد على اخبارها لانها اخر الامم
ومن فوائد ما يترتب على الاخبار بهذا الحديث ان يعلم قدر ما من الله علينا به
انه ممن من الله به على هذه الامة قبول التوبة في مثل هذا الوقت الذي فعل
هذا الشخص هذا الامر العظيم عن نفسه من تلك الوصية لقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر عن اي تبلغ الروح الى الملقوم وهو عند
معاينة ملك الموت من الله علينا بشكرها من نعمة ومن علينا بقبول التوبة
قبل الغزوة بفضلها وقد قال داوي براهيم التوبة جرح ذنبك
فيريها اسرع من طرفة العين واحتمل في جمع اسبابها فاعل ليس الامور بفضلها
يبينها قوله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبيا
الحديث ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احداها الاخبار بكثرة انبيا بنو اسرائيل
كلها هلك بنو خلفه نبي والثاني الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا ولا نبي بعده
والثالث الاخبار بكثرة الخلفاء والامر بحفظ بيعة الاول والوقفا بحقوقهم وترك
الحقوق الذي عليهم لله حتى يسالهم عنها والكلام عليه من وجوه منها ما معنى

2

تسوسهم واي شئ هو المقصود من الاخبار بان بني اسرائيل كانت الانبياء تسوسهم
فاما ما معني تسوسهم اي تهديهم الى طريق النجاة وتلطف بهم في الجمل عليها
كما يسوس الرايض الدابة ويحلها على الطريق الحسنه ويعلمها الخلق الجميلة
واما الحكمة في الاخبار بهذا فهي اشارة الى انكم بعدي ليس لكم من يسوس بكم
فلا تغفلوا عن سياسة انفسكم وحافظوا على ما هديتم اليه وقد جاء هذا المعنى
بيننا في احاديث كثيرة فمنها قوله عليه السلام تزكيت فيكم الثقلين ان فعلوا
ما تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي اهل بيتي معناه ان هذين مقام الانبياء بين
اسرائيل وقوله عليه السلام في حديث اخر علما امتي كانوا بني اسرائيل معتادة
ان علما هذه الامة تسوسهم وترشدهم الى طريق الحق كما كانت انبياء بني اسرائيل
من هذا الوجه يكون الشبه بينهم لان احدا من بني ادم تكون درجته مثل درجة
بني من الانبياء عليهم السلام هذا ما لا يقوله احد لان الانبياء عليهم السلام بالاجماع
انهم ارفع الناس درجة واعلام منزلة وفيه دليل حسن طريقه الانبياء
عليهم السلام اذ جيلوا الكل على حسن اللطف بقومهم يوحى ذلك من قوله
عليه السلام عن بني اسرائيل ان جميع انبياءهم كانوا يسوسونهم والسياسة
لا يمكن توفيقها الا من طبع على احسن الخلق وفيه دليل على قطع الوحي من الارض
وتكذيب من ادعى بعد ذلك شيئا بعد وفاته عليه السلام يوحى ذلك من قوله
عليه السلام لا نبى بعدي وفيه دليل على فضل علما امه محمد صلى الله عليه وسلم
يوحى ذلك من الحديث الذي استدل لنا به وهو قوله عليه السلام علما امتي
كانوا بني اسرائيل فالدليل منه على فضل علما امته عليه السلام ان جعلهم في
الهدى والسياسة لامة كانوا بني اسرائيل لبني اسرائيل وفيه دليل على

تقديم

تقديم احد الحقين اذ يتعرضوا بوحى ذلك من قوله عليه السلام اعطوهم حقوقهم
فان الله سألهم عما استرعاهم معناه لا تمنعواهم انتم حقوقهم لكونهم ينعونكم
حقوقكم فاعطوهم ما لهم من الحقوق وانزعوا عنهم حقوقكم فان الله ينصفكم منهم
لما تعارض حق الملك وحق المسترعى كان حق الملك اكدا لانه يرتب عليه خير
من بعد قدم على حق المسترعى لان الخير فيه مقصور عليه وهو لا يفوته اما ان ياخذ
في هذه الدار واما ان ياخذ في الدار الاخره فقدم الامم وهذه قاعدة
مطروحة اذ انقاد من امر ان قدم ايها النفع وفيه دليل على ان الله سبحانه لا ينادر
من حقوق عباده صغيرة ولا كبيرة يوحى ذلك من قوله عليه السلام فان الله سألهم
عما استرعاهم يدخل تحت ذلك الرق والجمل وما يقوي ذلك قوله عز وجل وان
كان مثقال حبة من خردل اثقابها وكفى بنا حاسبين اي لا تغادر درة ولا
اقرب ولا اكثر منها وفيه دليل على ان كل من له حق يوفي له يوم القيامة وان لم يكن
هو يعلمه لان كثير من الناس لا يعلم قدر الحق الذي له على الخليفة فاذا كان
الله تعالى يحاسبه عما استرعاه فلا شك انه يوفي لصاحب الحق حقه وان لم
يعلم صاحب الحق به وفيه دليل على عظم قدرة الله تعالى وانه سبحانه ليس يحتمل
شي يوحى ذلك من اخباره عليه السلام بانه عز وجل يسأل جميع الخلق عن كل ما
استرعاهم عليه واحدا واحدا كما علم على كل خليفة من العالمين وتداخل الحقوق
بعضها على بعض فيما اخذوا فيه هذا في الخلق ليس الا وفيما بين الناس ويكون
الفرغ من هذا الحساب العظيم وهذه المناقشة العظيمة في قدر ما تفعل صلاح
واحدة من المفروضات وقد جاء قدر ركني الفجر ولذلك كان سيدنا صلى الله عليه
تحفظها رجاء في تخفيف الحساب على امته على الله هذا لا تقدره العقول

ولا تحيط بها الا وهام ولا يمكن ان يكون هذا من صنعة من مجرد او كيف فان هذا
لا يدخل تحت هذه الحدود ولا تحت حد محدود تعالى علواً عظيماً وفيه دليل
لاهل الصوفيا الذين يرون تنبؤية فيهم ولا يعجزون عالم اعلمهم بانه من اول
لا يتبادر من حقهم شيئا فروحوا نفوسهم من اجل التصديق بهذا الخبر ومثله
فاستراجوا وفتحوا اذا علمت انك كاذب فلا اياي ما ضيعت من امري وفيه
دليل على تقديم امر الدين على غيره يوجد ذلك من تقدم حق الراعي على حق الرعية
لان حق الراعي به صلاح الدين لانه قال صلى الله عليه وسلم ينتزع الله بالسلطان
بما لا ينتزع بالقران وفيه دليل على ان تاخير الحق لا ينقصه يوجد ذلك من قوله
عليه السلام فان الله ساء يلهم عما استوعام فالناخير لم يبطلها اذا كان السابلا
معه وفيه اشارة من طريق القوم الذين يقولون محل الاذي وادخال السرور
يوجد ذلك من قول عليه السلام اعطوهم حقوقهم ولا سرور ولا اعظم من اعطاء
الحقوق لاهلها وحمل الاذي فلا حمل اذى اسد على النفس من ان يكون كالحق
وعليه حق فتعطي ما عليه وتترك ما لك لا تطلبه فهذا عدم النصرة
لها وهو غاية التسليم والمجاهدة وهو اعلى احوال القوم واما ذكر
حق الراعي وحق المسترعى ما هو فقد ذكرنا اولاً في حديث البيعة
قوله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم الحديث ظاهر
الحديث يدل على اتباع هذه الامة سنن اليهود والنصارى والكلام عليه
من وجوه منها ما معنى اتباعهم وفيماذا يكون السببه من سننهم هل على العموم
او هل في بعضها وان كان في بعضها فها هو ومنها ما معنى سبباً بشراً وذراعاً
بذراع فاما الجواب في جميع ما معنى سننهم فهي بمعنى طريقهم لانه السنة

مضى

بمعنى الطريقه كقولهم تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده اي الطريقه
والعادة التي عادت لا يخلفها لهم ولا فيهم واما الجواب عن سنن من قبلكم
هل على العموم في جميع طرقهم او على الخصوص احتمل لكن الظاهر العموم بدليل
من الحديث نفسه وهو قوله عليه السلام حتى لو سلخوا جحر ضب لسلكتموه واما
من خارج فقد جاءت احاديث كثيرة تبين ذلك فان من طرق من تقدم اختلافهم
كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في امته وهو قوله عليه السلام افترقت بنو اسرائيل
على اثنين وسبعين فرقة وستفرق امتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار
الواحدة ومنها انهم بدلوا الاحكام وقد اخبر عليه السلام بذلك في امته
حيث قال صلى الله عليه وسلم ويعود الحكم مغرماً وقال عليه السلام لان
كل عري الاسلام عروة عروة كلما جلا وعروة نشبوا في اخري فاول
عروة يحلون بها الاحكام واخر عروة يحلون بها الصلاة ومنها الخامس
بينهم وقد اخبر بذلك عن امته عليه السلام بقوله ياتي في اخر الزمان اقوام
اصداق العالنية اعدا السريره وما كان فيهم من نقص الكيل والربا وعمل
قوم لوط والكذب والمناكر فقد ظهرت في هذه الامة وما كان من التكاليف
على الدنيا والفساد في الارض فقد ظهر ايضا وما كان فيهم من الارتداد بعد
الهدى فقد اخبر به صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة وهو قوله عليه السلام
عند ذكر الفتن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً ببيع دينه
بعرض من الدنيا ولو لم يكن فيهم الا ردة الرجال لكانت كافيه وهي واقعة
حقاً وكل ما كان فيهم مما يشبه هذه اذا نتيجتها تراها قد ظهرت او قد
اخبر عنها الصادق صلى الله عليه وسلم فهي ستظهر لا محالة اعادنا الله من جميع

جاءه عند الله صلى الله عليه وسلم وما كان من المسخ فيهم فقد اخبر عليه السلام
 انه في هذه الامة الا انه في القلوب فببركة عليه السلام ستر على امته سوءة
 الصورة الظاهره وبقي في القلوب كما اخبر عليه السلام فيه فترى الشخص صورته
 باقية وقد مسخ قلبه وهتم الشرط والنجادة وشبههم تراهم طول يومهم
 يروعون الناس ويغيطوا في وجوههم ومنهم من يمسح قلبه صورة خنزير
 وهم اهل القذارة والبلادة فكذا امسى بنظره كفضة الشخص في خلقه
 تستدل بذلك على مسخ قلبه ما هو وقد يبقى متخبر الامسح في قلبه الا ان قلبه
 قد مات وقد اخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم بان يأتي زمان يموت
 فيه قلب المرء كما يموت بدنه لان القلب اذا لم يبقى فيه تلك الحرارة الغريزية
 حتى يفقه مصالحه فهو ميت وقد يكون موت حقيقي والله اعلم والقدرة صالحة
 ان يكون حسيا او يكون معنويا فاما ان يكون موتا معنويا فانه اذا لم ينتفع
 بقلبه في النوع الذي اراد منه وتوالت عليه الشهوات حتى لا يرى الا في ذلك
 موت لان الفائدة التي في حياة القلوب معدومته عند ولذالك شبه صلى الله عليه وسلم
 الذي ذكر له باحي والفاقل بالهيت واحتمل ان يكون موته حسيا كيف شئت
 القدرة كما يبس عضو من اعضا الشخص مثل يده او رجله او غيرهما من الجراح
 وباقى بدنه صحيح القدرة صالحة ومن سنن من قبلنا انهم بدلوا بعض كتبهم
 كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله يخفون الكلم من بعد مواضعه وقد اخبر عز وجل
 عن هذه الامة بمثل هذا في قوله تعالى ويتبعون ما تساه به منه ابتغاء
 الفتنة وابتغا تاويله والاي والحديث في هذا كثير فيكون فائدة
 الاخبار بهذا الحديث النمر عن مثل هذا نصا صلى الله عليه وسلم لامة واختصارا

في اللفظ

في اللفظ وابتغا في الانتذار لان الاي والاحاديث في هذا كثير كما قدمنا
 وكثير من الناس لا يعرفها وان عرفها لا يقدر ان يحصيها فاجاز هذا الحديث من
 ابدع البلاغة في الانتذار والتحذير عن كل ما تضمنته الاي والاحاديث فجزاه
 الله عنا افضل ما جزا نبيا عن امته وجعلنا من صالح امته بمنه وامننا
 ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم شبرا بشبر وذراعا بذراع فعناه انكم لا تتركون
 منها شيئا الا فعلتموه زيادة بيان كما ذكرنا انفا وكذا ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
 لو سلوا حتى تجرح صب مبالغة في ذلك الانباع وفيه دليل على الاخبار بالعام
 والمراد به الخاص يوحى ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لستبعن سنن الذين من قبلكم
 وهو عام ولم يرد من قبلنا الا قوما مخصوصين وهم اليهود والنصارى وفيه
 دليل على مراجعة السيد اذا بقي في كلامه على السامع احتمال يوحى ذلك من
 قول الصحابة رضي الله عنهم له صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى سوال ارتداد
 وتثبت فان حسن السؤال نصف العلم فاستفهموا الزوال الاحتمال وفيه
 دليل على جواز مخاطبة البعض بلفظ الكل يوحى ذلك من قوله لستبعن سنن
 من قبلكم وهو مخاطبة الحاضر من وم البعض من امته وخاطبه لجميع الامة وفيه
 دليل على جواز ان يضاف للشخص ما يفعله من هو مشترك معه في وصف ما
 من الاوصاف وان كان المخاطب ليس فيه من ذلك الفعل شيئا يوحى ذلك من خطابه
 صلى الله عليه وسلم لهؤلاء السادة وهم بالقطع ليس فيهم من هذه الاوصاف التي
 ظهرت بعدهم ولا من التي لم تظهر لنا بعد شيئا فلما كان اسم الامة يقع عليهم
 خاطبهم بذلك من اجل متضمن الاسم وفيه دليل على ان من حسن الكلام الاختصار
 في اللفظ اذا فهم المعنى يوحى ذلك من جوابه صلى الله عليه وسلم لهم حين قالوا

اليهود والنصارى قال فمن ولم يزد على ذلك سبباً لانهم فهموا بهذه الاشارة
انه عليه السلام لم يرد غيرهم واختصر بها طول الكلام والتطويل واجمل لهم
في ذلك من الحسن كل يدعي وفيه دليل على التحذير عن الجاهل من المناكر
عن حالهم وليس ذكركم بذلك اذا كان على هذا الوجه بغيبة يوحد ذلك
من تحذيره عليه السلام عن محبوب اهل الكتاب وفيهم ولا بد من المسلمين
المتبعين لبقضي شرعهم كثير فلما اظهر والمناكر لم يكن ذكركم
بها والتحذير عنها غيبة ومما يويد ذلك ويقويه قوله عليه السلام لا غيبة
في فاسق وفيه دليل على كثرة شين المعاصي يوحد ذلك من سورة
الثناء عليهم وتحذيره صلى الله عليه وسلم عنهم وعن طريقتهم بعد موتهم فتوم
المعصية اورثت سوء الثنا كما ان بركة الطاعة اورثت حسن الثنا
في الحياة وبعد الموت ولذلك قال ان اهل الخير وان ما نوا احبا بين
الانام فان ذكركم بحسن الثنا لذلك الرمم بحبهم قلوبى والدعاهم في كل
حين حسن نجز الجزء الثالث من شرح ابن ابي جرير للمحدث الشريف
من تجزية اربعة اجزا يتلوه في اول الجزء الرابع قول صلى الله عليه وسلم
الطاعون رجس ارسل على طائفة من بني اسرائيل صلى الله على سيدنا محمد وآل
اله وصحبه وسلم